المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك سعود

كلية الآداب – قسم التاريخ



الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة

التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة

المجلد الأول

هيئة التحرير

عبد العزيز بن صالح الهلابي

ديمتريس ج. ليتسوس

مشلح بن كميخ المريخي

عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار

الرياض

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة

التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة

سجل أبحاث

الندوة العالمية لعلاقات الجزيرة العربية بالعالمين اليوناني والبيزنطي (القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن العاشر الميلادي)

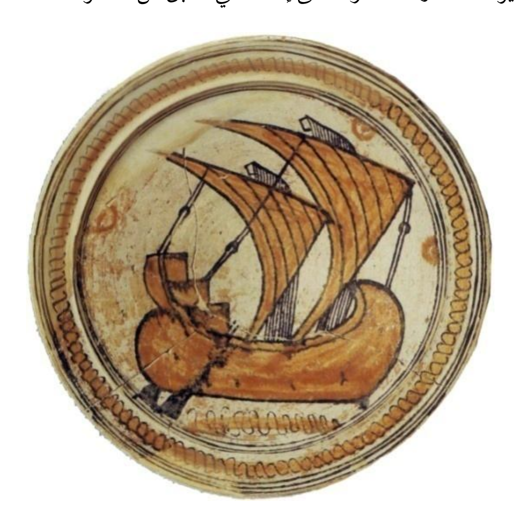
٣٠ ذي الحجة ١٤٣١هـ – ٣ محرم ١٤٣٢هـ الموافق ٦–١٠ ديسمبر ٢٠١٠م

اللجنة المنظمة:

- **الأستاذ الدكتور عبدالله العبدالجبار، رئيس اللجنة المنظمة، جامعة الملك سعود.**
- **الدكتور ديمتريس ليتسوس، سفير جمهورية اليونان.**
- **الأستاذ الدكتور يحي بن جنيد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.**
- **الأستاذ الدكتور فاسيليوس خريستيذيس، معهد الدراسات الشرقية والإفريقية – أثينا.**
- **الدكتور علي غبان، الهيئة العامة للسياحة والآثار.**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
جامعة الملك سعود
الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة.
هيئة التحرير، عبدالعزيز بن صالح الهلابي، مشلح بن كميخ المريخي، ديمتريس ليتسوس، عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ
١ مج
٤٤٩ص، ١٢٫٥×١٩سم
ردمك: ٢-٠٦٥-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٣- ٠٦٨-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)
١- الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة أ. الهلابي، عبدالعزيز بن صالح (مؤلف مشارك) ب. ليتسوس ج. دميتريوس (مؤلف مشارك) ج. المريخي، مشلح بن كميخ، (مؤلف مشارك) د. العبدالجبار، عبدالله بن عبدالرحمن (مؤلف مشارك)
ديوي ٩٣٩٫٤ ١٤٣٣/٩٢٥١

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٩٢٥١
ردمك: ٢-٠٦٥-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٠٦٨-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)



صفحة الغلاف

"صحن خزف مبكر يحوي مشهداً لسفينة بيزنطية مع اثنتين من الصواري والأشرعة المثلثة". حوالي ١٢٠٠ميلادية، كورنث، المتحف الأثري، قطعة رقم C-38-521

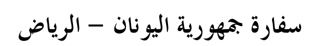
From: ELSISPATHARI, ***SAILING THROUGH TIME.*** *The ship in Greek Art*, Trans. David Hardy, Kapon Editions, **ATHENS 1995**, p.184, picture n. 227

شكر وعرفان

يسر هيئة التحرير أن تتقدم بخالص الشكر وجزيل العرفان لكل من أسهم معنوياً ومادياً وتقنياً في تنظيم الندوة، ونشر السجل العلمي لها، وتخص بالشكر:



جامعة الملك سعود



سفارة جمهورية اليونان – الرياض



مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



الهيئة العامة للسياحة والآثار

معهد الدراسات الشرقية والإفريقية – أثينا



الخطوط القبرصية



جي & بي المحدودة



مجموعة العليان



أركيردون



سيت، الطاقة السعودية للمشاريع الصناعية المحدودة



المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق

المحتويات

ملخصات الأبحاث الإنجليزية والفرنسية

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل
رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أودُّ، في البداية، أن أشكرَ لجامعة الملك سعود جُهُودَها في تنظيم هذه الندوة التي تنعقدُ في رحابها، والشكرُ موصولٌ إلى المؤسسات والجهات المشاركة في عقدها، وأخُصُّ هنا الهيئةَ العامةَ للسياحة والآثار والسفارةَ اليونانيةَ في المملكة، وجمعية الدراسات اليونانية العربية.

السيدات والسادة:

إنَّ من المعروف تاريخيّاً أن الجزيرةَ العربيةَ قد ارتبطت -بحكم المصلحة والضرورة- بعلاقاتٍ سياسيةٍ وثقافيةٍ واقتصاديةٍ مع الدول والإمبراطوريات والحضارات التي سادت في التاريخ البشري؛ لأهميةِ موقعها الجغرافيِّ المتميزِ وَسطَ الكرة الأرضية.

وسجلت لنا المصادرُ التاريخيةُ الكثيرَ من الأحداثِ والوقائع والتفاعلات التي تمت بين عالم الجزيرة العربية والعوالم الأخرى، وطبيعةَ تأثرٍ وتأثيرِ حضارات هذه العوالم في بعضها بعضاً. وإذا ما عدنا إلى هذه المصادر التاريخية فسنجدُ أن الجزيرةَ العربيةَ قد ارتبطت مع العالمين اليونانيِّ والبيزنطيِّ بعلاقاتٍ تِجاريةٍ مباشرةٍ وغيرِ مباشرةٍ منذ القدم، كما سجلت لنا هذه المصادرُ تاريخَ مراحل الوفاقِ والخلافِ بين العرب والروم وغيرهم. لقد كان القربُ الجغرافيُّ محتماً لوجود مثل هذه العلاقات.

وفي هذا السياق أتطلعُ أن تُسْهِمَ هذه الندوةُ في سبر أغوارِ طبيعة هذه العلاقات التاريخية وحدودها، بما يكشفُ لنا عن خبايا هذه العلاقة للفائدة العلمية وللاستفادة من دروسها. وأثق بأن ذلك ما سوف نسمعه خلال اليومين القادمين.

السيدات والسادة:

إن استحضارَ العلاقاتِ التاريخيةِ بين الدول والحضارات السائدة والبائدة ودراستَها، في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ البشرية، أمرٌ مهمٌّ وضروريٌّ لما تواجهه العلاقاتُ بين الحضارات

والأديان والثقافات السائدة من ضغوطٍ متنوعةٍ ومتعددةِ الأبعاد. فإذا كانت الاتصالاتُ وعلاقاتُ التعاونِ والحوارُ هي وسائلَ تجاوزِ الصراعاتِ بين الأمم في الماضي، فهي نفسها وسيلتُنا اليومَ للتعامل مع هذه التحديات. والمملكة العربية السعودية، الوارثةُ، هي وشقيقاتُها دولُ الجزيرة العربية، لإرثِ الجزيرة العربية التاريخيِّ والحضاريِّ في إقامة العلاقات مع الدول والشعوب الأخرى، لا تزالُ وفيةً لهذا الإرث بدفعها مبادرةَ خادمِ الحرمين الشريفين الملك عبدالله للحوار بين الثقافات والأديان والفلسفات السائدة في العالم. وإنَّ السيرَ نحو سبيلٍ أفضلَ للعلاقات مع كل شعوب العالم ودُوَلِهِ، والبحثَ فيما يجمعنا من قواسمَ تاريخيةٍ مشتركةٍ مع الآخرين يساعد في ذلك.

وفي هذا السياق ينبغي لنا أن نستذكرَ ما خلَّفته الحضارة الإغريقية من إرثٍ حضاريٍّ لا يزال العقلُ البشريُّ ينهلُ من أفكاره حتى يومنا هذا، ولن نجدَ أحداً في هذا العالم يتحدثُ عن فكرة الدولة والفلسفة والحكم والأخلاق دون أن يستشهدَ بمفكرٍ أو فيلسوفٍ يونانيٍّ. كما ينبغي لنا أيضاً أن نستذكرَ أن التلاقحَ الثقافيَّ بين حضارتنا وثقافتنا وحضارةِ اليونانِ وثقافتهم قد أسهم في وضع أسسِ الحضارة الغربية الحديثة وقواعدها في الفكر وفي العلوم.

إن هذه الحقائقَ التاريخيةَ توفرُ الأساسَ الراسخَ لعلاقات وثيقة تربط بين ورثة العالمين اليوناني والبيزنطي ودول الجزيرة العربية. ونتحملُ نحن -في المملكة العربية السعودية واليونان- مسؤوليةَ البناء على هذا الإرث التاريخي.

وختاماً، أرجو لهذه الندوة كلَّ النجاح، متمنياً أن تكون نواةً لأنشطةٍ أخرى تسعى لتوثيق العلاقات بين بُلداننا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

مقدمة هيئة التحرير

هناك انطباع سائد لدى دارسي تاريخ الجزيرة العربية بوجود موضوعات عديدة ومهمة من تاريخها لم يلتفت إليها الباحثون، ولم تعط من الدراسة ما هي حرية به، ومن هذه الموضوعات تواصل الجزيرة العربية مع جيرانها في العالم القديم في الجوانب السياسية والحضارية والتجارية وغيرها، ومن هنا نبعت فكرة تسليط الضوء على علاقات الجزيرة العربية المتعددة مع اليونان والرومان والبيزنطيين. ولأهمية الموضوع تضافرت جهود مراكز علمية داخلية وخارجية في تنظيم ندوة عالمية حول الموضوع.

فقد عقد قسم التاريخ بجامعة الملك سعود بالتعاون مع مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية والهيئة العامة للسياحة والآثار ومعهد الدراسات اليونانية –الشرقية والأفريقية بأثينا بالإضافة إلى سفارة اليونان بالرياض "الندوة العالمية لعلاقات الجزيرة العربية بالعالمين اليوناني والبيزنطي– القرن الخامس ق.م إلى القرن العاشر الميلادي" في جامعة الملك سعود بتاريخ ٣٠ ذي الحجة ١٤٣١هـ –١ محرم ١٤٣٢هـ الموافق ٦–٩ ديسمبر ٢٠١٠م.

وخلال فعاليات الندوة تم مناقشة العديد من الموضوعات، مثل المكتشفات الأثرية والمصادر الأدبية، التي شملت البرديات والنقوش، وكذلك الدراسات المختصة بالبيئة النباتية والحيوانية، والبضائع المتبادلة والملاحة وصناعة السفن دلائلَ على التواصل المستمر مع مناطق البحر المتوسط. وقد شكلت هذه الموضوعات نافذة على مدى الصلات الحضارية بين العرب والإغريق خلال العصور القديمة والوسيطة.

شكلت الرؤية الثاقبة والتحليل العميق لفرناند بروديل لثقافة البحر المتوسط، التي وَرَثت حضارة عريقة للعالم، آفاقاً جديدة للبحوث التاريخية الحديثة. إن البحر المتوسط هو حقيقةً عن مجموعة من البحار في وقت واحد، "ذو مساحة واسعة ومتشابكة"، اشترك الناس في العمل فيه، مع وجود تفاعلات بين البحر والسهل والجزر. ولقد وسمت التفاعلات الثقافية والاقتصادية والسياسية تاريخ المناطق وشعوبها في جميع أنحاء البحر المتوسط منذ العصور القديمة وحتى العصور الوسطى والحديثة.

لقد طرح العلماء سؤالاَ عما إذا كان البحر المتوسط هو أكثر من مجرد وحدة جغرافية،

ودائما ما كان يتم التأكيد على التواصل الحضاري بين شعوب البحر المتوسط. كما تم التأكيد دائماً على أن البحر المتوسط يقدم "وحدة في التعدد الذي هو بالتأكيد نموذج جذاب ... بوصفه مختبرًا للعولمة من منظور تاريخي بعيد."[1] رُغم الاختلافات الدينية واللغوية التي تفصل الحضارات البيزنطية والإسلامية، يمكن للباحث أن يرى أوجه الشبه في ثقافاتهم. وهذا التشابه واضح جداً ومحدد؛ بحيث يبدو أنهم يسخرون من الاختلافات اللغوية والدينية والسياسية.

يمثل هذا الإصدار تجسيداً لفكرة الندوة الداعية إلى العكوف المتأني على دراسة العلاقات العربية اليونانية في عمومها وتفصيلاتها، لاستكشاف ما يتعلق بالتواصل الحضاري وإلقاء بعض الضوء على الصلات التي أدت إلى نشاط العلاقات في الأزمنة القديمة، بغية الإجابة عن تساؤلات أساسية، من نوع: ما طبيعة العلاقات بين الحضارتين؟ وما العناصر المؤثرة في هذه العلاقات؟ وكيف تطورت هذه العلاقات؟

وقد تناولت الأبحاث عمليات التفاعل بين الجزيرة العربية واليونان من خلال عدة طرق، من أهمها العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت المعبر الرئيس للتفاعل والتلاقح بين الحضارتين العربية واليونانية خلال عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي. فعن طريق الحضارة الإغريقية حُفظ الكثير من المعلومات عن الجزيرة العربية، كما عرف العرب المسلمون الجوانب الحضارية للأمم الأسبق تحضراً عندما بدأوا في حركة الترجمة من الإغريقية، التي انطوى تراثها على أصول كثيرة من حضارات الشرق الأدنى.

ولم تكن العلاقات السياسية السبيل الوحيد للتفاعل بين الحضارتين، فهناك أيضاً طرق التجارة التي احتل فيها طريق البخور مكانة خاصة، نتيجة للمكانة المتميزة التي تبوأتها منتجات الجزيرة العربية وصادراتها إلى العالم القديم، والتي كانت هدفاً لإطماع الدول الكبرى في الشرق الأدنى بدءًا من الإسكندر المقدوني وانتهاء بالدولة البيزنطية، ووَلّد الاهتمام بالجزيرة العربية،

---

(1) GERHARD WOLF, Fluid Borders, Hybrid Objects. Mediterranean Art Histories 500-1500, Questions of Method and Terminology, in: ed. JAYNIEANDERSON, *Crossing Cultures: Conflict, Migration and Convergence, The Proceedingsof the 32nd International Conference in the History of Art* (Comité International d'Histoire de l'Art, CIHA), The University of Melbourne, 13-18 January 2008, Melbourne 2009, 134f.

وما نتج عنه من حملات عسكرية واستكشافية دافعاً للكتابة عن الجزيرة العربية وسكانها. وإذا أمعنا النظر، فسوف نجد تفاعلاً داخلياً بين هذه العناصر، فالتجارة الدولية والحملات الحربية كلها عناصر حضارية ترتبط على نحو قد يظهر جلياً، وقد لايبدو ظاهراً للعيان من النظرة الأولى.

تناولت الأبحاث العديد من الجوانب السياسة والحضارية والمصادر ذات الصلة بالتاريخ العربي والإغريقي والبيزنطي بدءًا من القرن الخامس قبل الميلاد، وحتى القرون الوسطى. وكان التركيز على مصادر دراسة تاريخ المنطقة والعلاقات الخارجية حيث تحدث السيد جاد عن علاقات العرب بالفرس الأخمانيين خلال عصر قمبيز الثاني من خلال كتابات هيرودوت. وسعت السناني لدراسة جوانب من حياة العرب السياسية والاجتماعية كما صورها أبو التاريخ هيرودوت. وخُصِّص بحث التركي لدراسة المحاولات الرومانية للسيطرة على الخليج العربي، التي ربما مثلت بداية التنافس مع الفرس على هذا الشريان المائي التجاري المهم. ولكن التركيز على العلاقات السياسية يبرز بشكل أكبر خلال العصر البيزنطي، حيث تناول ابن صراي بالدراسة الوجود البيزنطي في الخليج العربي، ثم دراسة محمد عبدالرحمن للصراع البيزنطي الفارسي على طريق الحرير الجنوبي خلال عهد جستنيان. وإذا كانت طرق المواصلات البحرية والبرية قد حظيت باهتمام متميز، فإن العلاقات الدبلوماسية والحربية قد استوفيت دراستها في بحثي: "التنوخيون وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية لخالد محمود؛ وسفارة عمرو بن هند إلى بلاط الإمبراطور جستين الثاني لنورة النعيم".

وتاريخياً شكلت الجزيرة العربية عنصراً مهماً في العلاقات الدولية خلال العصرين اليوناني والروماني، وقد حظي موضوع العلاقات السياسية باهتمام روبن في بحثه عن النقوش الجنوبية والدور الذي قامت به مملكة حمير وعلاقاتهم بالدولة البيزنطية. كما عمل برجر على دراسة التبشير المسيحي في جنوب الجزيرة العربية من خلال الاعتماد على الكتابات المسيحية. وتناولت أبحاث كل من النويعمي ويانوبولوس وكونتورا ولونتسني دراسة المصادر اليونانية والرومانية والبيزنطية عن موضوعات مختلفة من علاقات الجزيرة العربية بالإغريق والرومان والبيزنطيين.

وقد حظيت المصادر بشتى أنواعها من أدبية ونقوش وآثار بدراسات مهمة سعت إلى فهم أعمق لبعض الموضوعات. فقد تتبع بحث التضحية بالبشر بين الجزيرة العربية والأساطير اليونانية لحسين الشيخ المصادر خلال الألف الأول قبل الميلاد، وخصص الهلابي دراسته لسبر تاريخ

اليونان عند المسعودي. كما قدم عبدالغني دراسة نقدية عن الإمبراطور فيليب العربي في المصادر الرومانية، وكرست عقاب دراسة عن النخلة في المصادر العربية القديمة والكلاسيكية. وركز بحث رسلان على دراسة الكتابات الكلاسيكية عن الذهب والفضة في العربية الجنوبية.

وسعى بحث الأنصاري إلى دراسة موضوع أصحاب الأيكة المذكورين في القرآن الكريم وربطه مع معطيات تجارة البحر الأحمر. ويمثل بحث سالم في أرشيف نيكانور من البرديات والشقافات التي عثر عليها في الموانئ المصرية مصدراً مهماً لدراسة التجارة على جانبي البحر الأحمر. وكان بحث سمسم الذي تناول طرق التجارة في شرق مصر ودورها في نقل التجارة بين موانئ البحر الأحمر في العصر الروماني امتدادا لهذا الموضوع. وسعى العبدالجبار إلى البحث في نظرة الكتاب الكلاسيكيين عن تجارة الجزيرة العربية، وتحليل هذه المصادر ونقدها. وكان للجوانب الفنية حظوة في هذه الأبحاث، حيث تناول بحث العيدروس تأثير المدرسة الإغريقية الفنية على الصناعات في اليمن. وعلى نفس المسار قدم عبدالله دراسة عن تأثير المسكوكات الإغريقية على النقود المضروبة في ممالك شبه الجزيرة العربية. كما تناول رمضان موضوع حركة التعريب من خلال دراسة الدينار البيزنطي المتداول في الجزيرة العربية في صدر الإسلام.

ومن خلال المصادر المصرية قدمت حنفي دراسة علمية عن ثلاث برديات توضح أهمية هذا المصدر في توفير معلومات مفيدة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر. كما وفر الرحالة اليونان والعرب معلومات جمة عن الملاحة البحرية في البحر الأحمر والخليج العربي لتكون بمنزلة أساس لتقييم الملاحة وبناء السفن في المنطقة، وهو ما أكدته الدراسات الحديثة في مجال الآثار ويتضح ذلك في بحثي جيناليس ومنصور.

خلال العصور القديمة شكل البحر المتوسط وحدة جغرافية للسكان الذي عاشوا في حدوده وتطبعوا بثقافته ما يجعله يمثل الماضي الثقافي المشترك. وقد تناول بحث تسوتس وسوتيزيس ما ذكره الكتاب خلال العصور البيزنطية من ثقافة مشتركة حول الملاحة ومجال رسم الخرائط حتى العصر العثماني. ولم تقتصر كتابات الرحالة والمؤلفين على توثيق التجارة والسلع الأساسية بل حوت معلومات فريدة عن الحيوانات في ذلك الوقت كما في بحث خريستيذيس.

شكلت الاتصالات بين الناس، في السلم أو الحرب، أساسا للتبادل الحضاري وتجسيداً

للتفاهم والاستخدام الأمثل للعناصر الثقافية لدى الآخرين. ويمثل تبادل الأسرى بالصفة الرسمية وسيلة أخرى لفهم أفضل لحياة الآخرين. وعلاوة على ذلك لعب التجار دورًا مهمًا في تعريف عملائهم على السلع المتبادلة والثقافة المصاحبة لها. ومن هنا فقد كان من السهل أن تنتقل العناصر الدينية وتتحول في بيئة وأنماط مختلفة من الحياة الاجتماعية، يمكنها من التعايش السلمي. وهذا ما شكل جزء من أبحاث كل من هيلي والشرمان وباتورا والمنصوري وكارول هالينبراد.

كان نبوغ العرب في استخدام الخيول خاصة، كسلاح الفرسان، ابتكاراً مهماً برع العرب فيه براعة بارزة، وشكلوا حلفاء وعناصر مؤثرة في الحروب البيزنطية والفارسية. وفي هذا الصدد تناولت ورقة ماكابي دراية العرب بالمخطوطات اليونانية القديمة لطب الخيل، والذي يبرز جانباً آخر من الاتصالات الثقافية بين الحضارتين.

هذا ويلاحظ اختلاف الحضارة الإسلامية عن البيزنطية، حتى في الوقت الذي واصلت فيه الاستفادة من المكونات الحضارية البيزنطية، وهو ما يتجلى في قبة الصخرة والمسجد الأموي في دمشق، الذي يشهد على تمكن المسلمين من دمج العناصر الفنية في العمارة والزخرفة البيزنطية في الأهداف الخاصة بهم، وإنتاج عمل خلاق بالاعتماد على التقاليد المسيحية والبيزنطية المبكرة والرومانية أيضاً، بدلا من النسخ منها فقط. وقد جُسِّد هذا التلاقح الحضاري في بحث روبرت هالينبراد.

وعلى الرغم من الغرابة بعض الشيء، فإن نطاق الاتصالات الدولية شمل أجزاء بعيدة من العالم. فقد تناولت أبحاث لين ينغ ويو يوسن وكوردوسيس شهادة المصادر الصينية عن الجزيرة العربية وتاريخها، واشتغال التجار العرب والأجانب بالتجارة البرية والبحرية، والعناية الفائقة التي حظي بها الحرير من قبل الطبقة الأرستقراطية البيزنطية والمجتمع العربي أيضاً.

شارك أكثر من أربعة وستين باحثا وباحثة من خمس عشرة دولة عربية وأجنبية في الندوة وقدمت الأبحاث بثلاث لغات هي العربية والإنجليزية والفرنسية غطت مجالات مختلفة من أوجه العلاقات السياسة والتجارية والحضارية، ولا نزعم أنها تناولتها كلها، بل بقي موضوعات لازالت بحاجة إلى بحث مُتَقصٍ، ولعل ذلك يتم في قابل الأيام.

ومن أجل ضمان جودة الأبحاث فقد أخضعت الأبحاث للتحكيم العلمي فأجيز منها ٤٠

بحثاً. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين لم تمكنهم ظروفهم العملية من إنجاز أبحاثهم بشكلها النهائي في الوقت المحدد لتسليمها لهيئة التحرير، ومن ثم فلم تنشر مع هذه الأبحاث. أما الأبحاث المجازة فستنشر في مجلدين أحدهما للأبحاث باللغة العربية والآخر للأبحاث باللغتين الإنجليزية والفرنسية. وقد عملت ملخصات للأبحاث العربية باللغة الإنجليزية وكذلك ملخصات للأبحاث الإنجليزية والفرنسية باللغة العربية.

اقتصر تدخل المحررين في هذا الكتاب على المسائل التقنية، التي لا تؤثر على آراء الكتاب. ومن أجل قبول هذه الأبحاث للنشر فقد عهد بها إلى مختصين لمراجعتها، وفي بعض الحالات طلب من المؤلفين إجراء التحسينات اللازمة. وبصرف النظر عن بعض الاستثناءات، فقد اتبعت إجراءات تحرير موحدة في هذا الكتاب. وكانت الاختصارات المستخدمة، إذا لم تحديدًا دقيقًا، هي تلك الجارية في المراجع العلمية.

وبطبيعة الحال، فإن اللقاءات العلمية الدولية تتناول موضوعات محددة، وتقصر عن تقديم تحليل معمق للعلاقات التاريخية بين العالمين العربي واليوناني-البيزنطي. ومن المتوقع أن تؤسس هذه الندوة اللبنات الأولى للتعاون الدولي بين العلماء في جميع أنحاء العالم في مجال البحث في الماضي المشترك بين الحضارتين العربية واليونانية.

وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل للزملاء الباحثين على تعاونهم، ونعتذر لهم وللقراء جميعاً إن شاب عملنا بعض القصور، مع حرصنا على أن يخرج الكتاب بأفضل صورة نستطيع إخراجه بها. ونشكر كل من أسهم في عقد الندوة، وشارك فيها باحثاً ومشاركاً ومنظماً، وكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب وطباعته.

هيئة التحرير



الأبحـــاث

معاهدة قمبيز الثاني و"ملك العرب" عام ٥٢٥ ق.م.

السيد جاد

مقدمة:

يُشَكِّل احتلال الفرس لمصر بقيادة قمبيز (Cambyses) الثاني عام ٥٢٥ ق.م. أحد الأحداث التاريخية المهمّة في تاريخ العالم القديم التي توقف عندها المؤرخ اليونانيّ هيرودوتوس (Herodotus) بقدرٍ كبيرٍ من التفصيل، كما يتضح من الجزء الذي خصصه لهذا الموضوع في بداية الكتاب الثالث من مجلده الضخم عن الحروب الفارسية[١]. ويرجع ذلك بخاصة إلى أن هذا الحدث غيّر موازين القوى في الشرق الأدنى في تلك الآونة؛ من حيث إنه أخضع لنفوذ الفرس آخر القوى الكبرى في المنطقة، بعد أن كانوا قد أخضعوا في العقدين السابقين مملكة ليديا (Lydia) والإمبراطورية البابلية[٢]. لقد وضع الغزو نهاية لعصر النهضة الأخير الذي عاشته مصر في عصر الأسرة الصاوية، وبدأت معه مرحلة جديدة من الحكم الأجنبيّ، على الرغم من محاولات الكهنة المصريين جعل حكم قمبيز امتداداً للحكام السابقين، عن طريق جعله ينتسب إلى

---

(١) Herodotus 3.1-20. سوف أستخدم هنا في الإشارة إلى الملك الفارسيّ صيغة الهجاء المعربة عن المصادر اليونانية، التي استخدمت بدورها صيغة محرفة عن البابلية (Kambuziya) في الإشارة إليه، علماً بأن اسمه بالفارسية القديمة هو "كابوجيا" (Kabujiya)؛ انظر: Clément Huart, *Ancient Persia and Iranian Civilization,* trans. by M. R. Dobie, London 1927, 46 وكذلك: *RE,* s. v. *Kambyses*, 1812

(٢) Huart, *Ancient Persia and Iranian Civilization,* 46. وكذلك: Gene R. Garthwaite, *The Persians*, Malden and Oxford 2005, 31 حيث يُوصف فتح مصر على يد قمبيز بأنه كان "إنجازاً ليس بالهيّن"؛ علماً بأن الفرس أخضعوا مملكة ليديا عام ٥٤٦ ق.م، وقَضَوا على الدولة البابلية عام ٥٣٩ ق.م؛ انظر: هيرودوتوس (١ : ٧٥) عن فتح ليديا، و: (١ : ١٩٠-١٩١) عن فتح بابل.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٣-٣١

أبريس (Apries)، الملك المصريّ السابق الذي سلبه أمازيس (Amasis) العرش، وبتتويجه فرعوناً طبقاً للطقوس المصرية[٣]. ومن ناحية أخرى كانت للغزو آثاره بعيدة المدى على بلاد اليونان في العقود التالية؛ لأن أنظار الفرس اتجهت بعد غزو مصر إلى منطقة بلاد اليونان ذاتها. وفى الحقيقة فإن هذا الأمر، تحديداً، هو ما جعل هيرودوتوس يتطرق للحديث عن حملة قمبيز وعن دور العرب واليونانيين فيها، وكذلك عن آثارها عليهم وعلى العلاقة بينهم وبين مصر، في إطار تمهيده للمواجهة التالية بين الفرس وبلاد اليونان في بداية القرن الخامس قبل الميلاد[٤].

وتتناول هذه الدراسة المعاهدة التي عقدها الملك الفارسيّ قمبيز مع الملك العربيّ، الذي كان يحكم المنطقة الواقعة في جنوب فلسطين وامتداداتها في سيناء، في إطار استعداداته لغزو مصر. إن أهمية إشارات هيرودوتوس إلى هذه المعاهدة، التي لم يتوقف الباحثون عندها بالقدر الذي تستحقه من الدراسة المفصلة، تتضح من عدة زوايا. أولها: طبيعة الحدث الذي مهدت له والمتمثل في احتلال مصر على يد الفرس عام ٥٢٥ ق.م. وثانيها: أنها أقدم إشارة مباشرة في سجلاتنا التاريخية إلى معاهدة بين عرب شمال غرب الجزيرة وإحدى القوى الخارجية[٥]. وثالثها: أنها

---

[٣] وهو الأمر الذي أنكره هيرودوتوس أيضاً (٣: ٢)، عندما يقول: "إنهم، عندما يتحدثون عن هذه الأشياء، لا يذكرون الصواب: *λέγοντες δὲ ταῦτα οὐκ ὀρθῶς λέγουσιν*. انظر كذلك: A. T. Olmstead, *History of the Persian Empire (Achaemenid Period),* Chicago 1948, 90 وأيضاً: K.T. Atkinson, "The Legitimacy of Cambyses and Darius as Kings of Egypt", *JAOS* 76 (1956) 168.

[٤] لكون الحروب الفارسية بين الفرس وبلاد اليونان تشكل الموضوع الرئيس لكتابه، كما يوضح في بدايته (١: ١). وفيما يتعلق بالوحدة الموضوعية لهذا المؤلَّف، انظر: Aubrey de Sélincourt, *The World of Herodotus*, Boston and Toronto 1962, 31 وراجع كذلك: مصطفى كمال عبد العليم، "هردوت يتحدث *عن العرب وبلادهم*،" مجلة العصور، المجلد الثاني، ١٩٨٧، ١/ ٨، حيث يقارن بين "الأحاديث المصرية" و "الأحاديث الليبية" وبين "الأحاديث العربية" في كتاب هيرودوتوس.

[٥] إننا نسمع في ديودوروس (٢: ١: ٤ -٢: ٣: ١) عن معاهدة بين ملك عربيّ يُدعى أريايوس (Ariaeus) وملك أشورى يُدعى نينوس (Ninus)، ولكنهما ملكان أسطوريان. كذلك فإننا نعرف بالحلف الذي عقده الملك العربيّ جِنديبو (Gindibu) مع ملك دمشق الآراميّ ضد الملك الأشوريّ شَلْمَنِصِر الثالث (Shalmaneser III)، ولكن نظراً لطبيعة النصّ الذي يسجل فيه الملك الأشوريّ إنجازاته فإن الإشارة=

المصدر الوحيد الذي وصل إلينا متضمناً معلومات عن المعاهدة في الكتابات الكلاسيكية[٦]. ورابعها: أنه لا يوجد من الوثائق العربية ما يعرفنا بهذه المرحلة المبكرة من تاريخ العرب في المنطقة[٧]. وآخرها: أن المصادر الفارسية من عصر قمبيز ذاته تتسم بالندرة، كما أنها تعطينا صورة عامة للعلاقة بينهم وبين العرب مختلفة عن تلك التي يقدمها لنا هيرودوتوس. وفيما يلي سأبدأ بمناقشة إشارة هيرودوتوس إلى المعاهدة ثم سأنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن دلالتها بالنسبة لمكانة عرب المعاهدة في الإمبراطورية الفارسية، وعن هويتهم ونظامهم السياسيّ.

إشارات هيرودوتوس إلى المعاهدة:

تأتي الفقرات التي تحدث فيها هيرودوتوس عن المعاهدة، التي عقدها الملك الفارسيّ قمبيز وملك العرب، بعد أن ناقش أسباب الحملة الفارسية على مصر، وبعد أن أوضح هو ذاته أن الطابع الأسطوريّ يغلب على بعضها بالقدر الذي جعله يرفضه، ويبدى تفضيله للبعض

=للحلف موجزةٌ للغاية ولا تعرفنا بأكثر من ذلك؛ انظر: James B. Pritchard, *The Ancient Near East: An Anthology of Texts and Pictures*, Princeton 1958, 77-281.

(٦) راجع: الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى، *"الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية"*، في: *دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول: مصادر تاريخ الجزيرة العربية*، إشراف الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، (الرياض: جامعة الرياض، ١٩٧٧م)، ٥٥، حيث يقارن بين المصادر الأشورية والبابلية، ويرى في كتابات هيرودوتوس "أول مؤشر لاهتمام الغرب بالمنطقة،" وكذلك: Garthwaite, *The Persians,* 32: "Herodotus is the major source for the unknown and unclear last years of Cambyses' reign".

(٧) باستثناء نقشٍ واحدٍ عثر عليه في اليمن ويحمد فيه أصحابه الإله على نجاة قوافلهم في القتال الدائر بين "ماداي ومصر Madai-Misr" والذي ربما يشير إلى حملة قمبيز على مصر، لا يوجد من الوثائق ما يشير إلى الحملة: (Glaser 1135 = Halévy 535 *pace* H.P. Hall, *The Ancient History of the Near East: From the Earliest Times to the Battle of Salamis,* 11th edition, London 1950, 564, n. 2). قارن أيضاً: G. W. Bowersock, *Roman Arabia*, London1983, 4. وكذلك: R. G. Hoyland, *Arabia and the Arabs: From the Bronze Age to the Coming of Islam*, London and New York 2001, 9.

الآخر[٨]. بعد ذلك انتقل المؤرخ إلى التركيز على دور أحد أهالي مدينته هاليكارناسّوس (Halicarnassus) في الغزو بعامة، وفى عقد المعاهدة بخاصة. لقد أكّد أهمية دور هذا القائد الذي كان يُدعى فانيس (Phanes) منذ البداية من خلال الأوصاف العديدة التي خَلَعها عليه والتي أوضح فيها أنه كان رجلاً "صائب الرأي، وذا خبرة بالشؤون العسكرية"[٩]. في تلك الآونة كان فانيس يعمل لحساب الملك المصريّ أمازيس (Amasis)، ووقع بينهما خلاف أدّى إلى هروبه من مصر على وجه السرعة. ونظراً لأنه كان يعلم الكثير عن قوة مصر العسكرية، فقد أرسل أمازيس خلفه من يعيده إليه. وعلى الرغم من أن المبعوث استطاع القبض عليه في منطقة ليكيا (Lycia) جنوب آسيا الصغرى، إلا أنه تمكن من الإفلات منه ووصل في النهاية إلى بلاد الفرس[١٠].

إن هيرودوتوس لا يحدد تاريخاً لهروب فانيس من مصر، كما أنه لا يذكر الأسباب التي دفعته إلى مغادرة البلاد، مكتفياً بالقول بأن مشكلة حدثت بينه وبين أمازيس[١١]. ومع ذلك فإنه أهتم بتوضيح أن هروبه كان بصعوبة شديدة، وعلى وجه السرعة، حتى إن فانيس اضطر إلى

---

(٨) هيرودوتوس (٣: ١ – ٣)، حيث يشير إلى أن أمازيس أرسل ابنة أبريس (Apries) الذي سلبه العرش، بدلاً من ابنته هو ذاته، إلى قورش (Cyrus) والد قمبيز ليتزوجها، الأمر الذي أغضبه وجعله يقرر الانتقام، وإلى سبب آخر يستبعده وهو أن قمبيز أقسم وعمره عشر سنوات أن يقلب مصر رأساً على عقب، بسبب غيرة بعض زوجات قورش من زوجته المصرية التي كان يفضلها عليهم، وأن فتحه لمصر كان برّاً بقسَمه هذا.

(٩) هيرودوتوس (٣: ٤). ربما يدل على مكانة هذا الرجل أيضاً الإناءُ الفضيّ الذي عثر عليه في مدينة نقراطيس (Naucratis) والذي يقول النقش المسجل عليه: "قدمني فانيس [قرباناً] لأبوللو الملطي؛ انظر: Hall, *The Ancient History of the Near East*, 563-564, n.5 حيث يقتبس النقش.

(١٠) هيرودوتوس (٣: ٤)؛ وقد استطاع فانيس الإفلات بأن جعل مبعوث أمازيس يكثر هو ومن معه في الشراب، وهو الأمر الذي يتخذه المؤرخ، بشكل غير مباشر، دليلاً أيضاً على براعة الرجل وذكائه وسعة حيلته.

(١١) راجع: Jacob Abbot, *Darius the Great*, New York and London 1904, 23: "Phanes...had a very narrow escape from Egypt". وأيضاً هيرودوتوس (٣: ٤).

ترك أولاده في مصر[١٢]. وفى الحقيقة يمكننا القول إن هروبه هذا، الذي أعقبه عقد المعاهدة بين الملك الفارسيّ وبين الملك العربيّ، كان بالضرورة بعد أن ذاعت أنباء استعداد الفرس للقيام بحملة على مصر، وبعد أن وصلت الأخبار بأنهم دَعَّموا نفوذهم في منطقة بحر إيجه بمساعدة الأسطول الفينيقيّ، على الرغم مما يوحى به بعض الباحثين من أن هروبه كان يسبق هذا التوقيت[١٣]. يتضح ذلك مما يذكره هيرودوتوس من أن فانيس وصل إلى قمبيز وهو يعد للحملة، ويفكر في وسيلة لعبور المنطقة الصحراوية نظراً لخلوها من المياه. كذلك فإنه يتبين من تأكيده أنه: "أظهره [أيْ: قمبيز] على أحوال أمازيس، ودلَّه على الطريق"[١٤]. إن لجوءه إلى الفرس ربما يرجع إلى إحساسه بأن مصر لم تكن عندئذٍ بالقوة التي تسمح لها بالوقوف أمامهم، وأنه أراد أن يكون في الجانب الرابح[١٥]. لقد كان فانيس –على أية حال– أحد قادة جيوش المرتزقة اليونانيين الذين اعتمد عليهم الملك المصريّ اعتماداً كبيراً في بداية حكمه لفرض نفوذه على البلاد في أعقاب الثورة التي قام بها ضد سَلَفه أبريس[١٦].

وقد صحب فانيس حملة الملك الفارسيّ على مصر، وأثبت فائدته في عملية الغزو ذاتها بما يعرفه من معلومات عن البلاد[١٧]. ولكنه قدّم قبل ذلك دليلاً ملموساً على معرفته بطبيعة

---

(١٢) يوضح هيرودوتوس (٣: ١١) أن الجنود اليونانيين في جيش الملك بسيماتيك (Psemmaticus) الثالث خليفة أمازيس الذي توفى قبل الغزو مباشرة قتلوا أبناء فانيس بأن وضعوهم أمام ناظريه في إناء به ماء يغلى قبل بدء المعركة بين الجيشين الفارسيّ والمصريّ. راجع أيضاً: جواد على، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، الطبعة الثانية، (بيروت: بغداد: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ١/٢١.

(١٣) A.R. Burn, *Persia and the Greeks: The Defense of the West 546-478 B.C.*, New York 1962, 84: "[Phanes] had deserted apparently *even before* the invasion was imminent". [emphasis mine] وأيضاً: George Cawkwell, *The Greek Wars: The Failure of Persia,* Oxford 2005, 203-204.

وقارن كذلك: Abbot, *Darius the Great,* 23 الذي يجعل هروبه ضمن أحداث عام ٥٢٧ ق.م.

(١٤) هيرودوتوس (٣: ٤).

(١٥) يُعلّق: Burn, *Persia and the Greeks,* 84 على دور فانيس قائلاً بأنه ربما كان يتوقع الهزيمة.

(١٦) عن اعتماد أمازيس على الجنود اليونانيين، انظر: Hall, *The Ancient History of the Near East,* 562

(١٧) *The Cambridge Ancient History,* vol. 4, 48: "Phanes of Halicarnassus ... defected to=

موقعها، عندما نصح قمبيز أن "يرسل إلى ملك العرب لكي يأذن له بحق المرور بسلام"[١٨]. ويستطرد هيرودوتوس هنا موضحاً أن الطريق الوحيد الذي يفضى إلى مصر من فينيقيا يمر بمدينة كادوتيس (Cadytis)، غزة[١٩]. وبينما يقارن بينها وبين مدينة سارديس (Sardis) عاصمة مملكة ليديا في آسيا الصغرى من حيث الحجم والمكانة، فإنه يذكر أن المنطقة الواقعة بين فينيقيا ومدينة كادوتيس يقطنها "السوريون المعروفون باسم الفلسطينيين"[٢٠]. وتقع المنطقة المجاورة للساحل فيما بين مدينتي كادوتيس وينوسوس (Ienysus) القريبة من العريش تحت نفوذ العرب[٢١]. أما المنطقة التي تلي ينوسوس باتجاه مصر وحتى المستنقعات السيربونية فيسيطر عليها السوريون. وفيما وراء المستنقعات السيربونية يوجد خليج كاسيوس (Casius) الذي يطل عليه أيضاً جبل يعرف بهذا الاسم. وتستغرق المسافة فيما بين ينوسوس وجبل كاسيوس حواليّ ثلاثة أيام، ويصفها هيرودوتوس بأنها إقليمٌ ليس بالصغير؛ ولكنه يفتقر بشدة واضحة إلى المياه[٢٢].

يتضح من هذه الإشارة إلى الطريق الواصل من فينيقيا إلى مصر أن العرب كانوا يستقرون

=Cambyses, no doubt supplying vital information on the state of Egyptian armament and on the organization of their defences". [T.C.Young]. Jr.].

(١٨) Herodotus 3. 4: *πέμψαντα παρὰ τὸν Ἀραβίων βασιλέα δέεσθαι τὴν διέξοδον οἱ ἀσφαλέα παρασχεῖν.*

(١٩) فيما يتعلق بكون كادوتيس الاسم القديم لغزة، D.B. Redford, *Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times,* Cairo 1992, 459 with note 139 حيث يذكر أن كادوتيس هو الاسم المصريّ القديم للمدينة. وكذلك: John W. Betlyon, "A People Transformed Palestine in the Persian Period", *Near Eastern Archaeology* 68 (2005) 11. حيث يوضح أن مدينة غزة كانت أهم مدن منطقة جنوب فلسطين في القرن السادس قبل الميلاد.

(٢٠) Herodotus 3. 5: *Σύρων τῶν Παλιστίνων καλεομένων.*

(٢١) وكانت ينيوسوس تقع بالقرب من العريش الحالية، التي كانت تعرف في العصور القديمة باسم رينوكولورا (Rhinokolura)؛ انظر: Burn, *Persia and the Greeks,* 84 . ومع ذلك قارن مؤخراً: Jan Restö, *The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads,* London and New York 2003, 244 with note 74 الذي يرجح أنها خان يونس الحالية.

(٢٢) Herodotus 3. 5: *οὐκ ὀλιγον χωριον ἀλλα ὅσον τε ἐπὶ τρεῖς ἡμέρας ὁδὸν, ἄνυδρον ἐστὶ δεινῶς.*

في تلك الآونة بالقرب من المنطقة الساحلية في جنوب فلسطين، مثلما تتضح منها أيضاً حدود معرفة اليونانيين في عصر هيرودوتوس بالمنطقة. لقد عرف اليونانيون طريقهم إلى منطقة الشام منذ القرن الثامن، وإن كانت الآثار الدالة على وجودهم في منطقة جنوب فينيقيا ترجع إلى مرحلة متأخرة، إلى بداية القرن السادس قبل الميلاد(٢٣). ومع ذلك فإنه يلفت الانتباه في هذا السياق أن هيرودوتوس لا يحدد، باستثناء تلك الإشارة العابرة إلى المنطقة الساحلية التي يسيطر عليها العرب، الحدود الداخلية للمنطقة التي يقيمون فيها، لكونه يهتم فقط بوصف الطريق المؤدى إلى مصر من الشام، كما أنه لا يشير إليهم بالاسم. كذلك فإنه لا يُسمى الملك العربيّ الذي يكتفي بالإشارة إليه بهذه الصفة. وهكذا، فإن إغفال هذا المؤرخ ذكر اسم ملك العرب، وعدم اهتمامه بتحديد هويتهم، يتعارضان تعارضاً واضحاً مع حجم سيطرتهم ونفوذهم، خاصة أنهم كانوا يسيطرون على المنطقة بالقدر الذي جعله يؤكد هو ذاته في موضع آخر أن الوصول إلى مصر عبر أراضيهم أمرٌ مستحيلٌ بالنسبة لمن لم يحصل منهم على تصريح بالمرور(٢٤).

ومن ناحية أخرى، فإن وصف الإقليم بأنه خالٍ تماماً من المياه يمهد لما يذكره هيرودوتوس بعد ذلك عن عقد الاتفاقية بين قمبيز وملك العرب. وقد عمل قمبيز بنصيحة فانيس وأرسل سفراءه إلى ملك العرب لعقد اتفاق معه، ويقول هيرودوتوس مؤكداً ذلك:(٢٥) ولأنه لم تكن هناك عندئذٍ مياه جاهزة [أو: متاحة]، فإن قمبيز اقتنع بفكرة ضيفه الهاليكارناسيّ وأرسل إلى [الملك] العربيّ سفراء، وحدث أن حصل [الملك الفارسيّ] على حق المرور بسلام بعد أن أعطاه عهداً وأخذ منه [آخر].

وكما يتضح من النص اليونانيّ المقتبس في الفقرة السابقة ومن المصطلحات المستخدمة فيه

(٢٣) John Boardman, *The Greeks Overseas,* Norfolk 1980, 38-54.

(٢٤) Herodotus 3.88: *ἀεκόντων γὰρ Ἀραβίων οὐκ ἂν ἐσβάλοιεν Πέρσαι ἐς Αἴγυπτον* انظر كذلك مناقشة هذه الفقرة في الصفحات التالية، وكذلك: لطفي عبدالوهاب يحيى، *العرب في العصور القديمة: مدخل حضاريّ في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٩م)، ٤١٩.

(٢٥) Herodotus 3. 7: *τότε δὲ οὐκ ἐόντος κω ὕδατος ἑτοίμου, Καμβύσης πυθόμενος τοῦ Ἁλικαρνησσέος ξείνου, πέμψας παρὰ τὸν Ἀράβιον ἀγγέλους καὶ δεηθεὶς τῆς ἀσφαλείης ἔτυχε, πίστις δοὺς τε καὶ δεξάμενος παρ' αὐτοῦ.*

فإن هيرودوتوس يعطى هذه المعاهدة طابعاً رسمياً[٢٦]. لقد أرسل قمبيز سفراءه (ἄγγελοι) إلى الملك العربيّ لهدف محدَّدٍ هو الحصول على حق المرور (ἀσφαλείη) وتبادل معه لأجل ذلك العهد والميثاق (πίστις)[٢٧]. ومع ذلك فإنه يلفت الانتباه فيما يتعلق بهذا النص، وبالكيفية التي تمت بها الاتفاقية عدة أمور. أولها: أنه لم يذكر فانيس بالاسم مكتفياً بالإشارة إليه بوصفه الضيف الهاليكارناسِّيْ. وثانيها: أن عقد المعاهدة كان بين سفراء الملك الفارسيّ وبين الملك العربيّ نفسه. وثالثها: أنه لا يسمى الملك العربيّ في هذا الموضع في الوقت الذي يشير فيه إلى قمبيز باسمه، بل ويزيد على ذلك أنه لم يسبق اسمه بلقب ملك كما فعل في المرة السابقة بل وصفه فقط بالعربيّ. وأخيراً: وهو الأمر الأكثر أهمية، أن الاتفاقية ضمنت التزام الملك العربيّ بسلامة الحملة دون أن تحدد ما سيحصل عليه هذا الملك في المقابل. ربما أن هيرودوتوس أرجأ الحديث عن هذا المقابل إلى موضع آخر، كما سنرى، ولكن صمته هنا عن ذكر الاسم لا يخلو من دلالة في ضوء مكانة هذا الملك العربيّ. كذلك فإن المصطلحات التي استخدمها المؤرخ في إشارته إلى المعاهدة تستلفت الانتباه بقدر ما. إن كلاً من النقاط السابقة تتطلب تفسيراً.

وفيما يتعلق بتلك المصطلحات فإنه استخدم -بادئ ذي بدء- كلمة "أنجيلوس" (ἄγγελος) التي تعنى "رسول" أو "مبعوث" أو "سفير"، تبعاً للسياق الذي ترِد فيه[٢٨]. ولأن هذه

---

(٢٦) Ph. K. Hitti, *History of the Arabs,* 10th edition, London, 1970, 39. حيث يذكر إن قمبيز عقد "حلفاً (alliance)" مع سكان المنطقة.

(٢٧) لقد استخدمت في حالة الكلمات اليونانية المقتبسة في المتن حالة الرفع التي يمكن العثور عليها بسهولة في القاموس، تيسيراً على القارئ، حتى في تلك الحالات التي اختلفت فيها المواقع الإعرابية الكلمات في النصّ الأصليّ. وعلى سبيل المثال فإن كلمة السفراء المقتبسة في هذه الجملة وردت في نص هيرودوتوس بصيغة المفعول به المباشر (الأول) على الوجه التالي: ἀγγέλους. وقد اتبعت هذا الأسلوب في كافة الكلمات المقتبسة في المتن في هذه المقالة، أسماءً كانت أم أفعالاً. وفيما يتعلق بكلمة "حق المرور" ἀσφαλείη فإنها باللهجة الإيونية التي كتب بها هيرودوتوس والتي تختلف في الحرف الأخير فقط عن الهجاء المعتاد الذي نقابله في القاموس على الوجه التالي: ἀσφαλεία. وتنطبق هذه الملاحظة على الكلمات المؤنثة التي سنقابلها بعد ذلك من قبيل φιλίη بمعنى "صداقة" و συμμαχίη بمعنى "حِلْف" أو "تحالف".

(٢٨) بدلاً من كلمة "كيروكس" κῆρυξ التي يمكن أن تحمل الدلالة ذاتها في مثل هذا السياق، وإن كانت =

الكلمة وردت بصيغة المفرد والجمع ما يقرب من مائة مرة في كتاب هيرودوتوس، فإنه يكفينا هنا أن نشير إلى بعض الأماكن التي استخدمها فيها بدلالة "السفارة"، وبشكل أكثر تحديداً في تلك المواقف التي كان السفراء فيها يوفدون لعقد بعض المعاهدات والتحالفات. أحد هذه المواضع يَرِدُ في معرض الحديث عن حملة داريوس على تراقيا. ويذكر المؤرخ هنا أن القائد الفارسيّ ميجابازوس (Megabazus)، الذي أوكل إليه داريوس حكم المنطقة، أرسل سبعة من السفراء ἄγγελοι لكى يطلبوا من الملك المقدونيّ أمونتاس (Amyntas) أن يقدم "الماء والتراب". وبينما تهتم الإشارة بتأكيد أن هؤلاء السفراء كانوا من أهم قادة الجيش الفارسيّ ممن يَلُون ميجابازوس مباشرة[٢٩]، فإن الأمر الذي لا يحتاج إلى توضيح هو أن تقديم "الماء والتراب" كان علامة على الدخول في طاعة الملك الفارسيّ ذاته. وتتضح دلالة الماء والتراب أكثر في قصة الحلف الذي حاول الأثينيّون عقده مع الفرس في أعقاب طردهم الطغاة، لمواجهة محاولات الإسبرطيين التدخل في شؤونهم الداخلية. لقد أرسلوا سفارة إلى ساردِيس (Sardis) حيث يقيم الوالي الفارسيّ أرتافيرنيس (Artaphernes)، يُعربون عن رغبتهم في عقد حلف (συμμαχίη) مع الفرس، وعندئذٍ طلب الوالي منهم أن يقدموا "الماء والتراب" للملك الفارسيّ، إذا ما كانوا يرغبون حقاً في عقد مثل هذا الحلف[٣٠]، ويتضح من الإشارات السابقة أن "سفراء" قمبيز إلى بلاد العرب كانوا موفدين بصفة رسمية، إلا أنهم على عكس الإشارات السابقة، لم يأتوا لطلب علامات الخضوع بل لكي يطلبوا المساعدة من الملك العربيّ.

=أقرب إلى كونها "حاجب". ربما يجسد هذه المعاني جميعها ما نعرفه من اشتقاق الكلمة الإنجليزية (angel)، التي تعنى "مَلَك أو ملاك"، من الكلمة اليونانية.

(٢٩) هيرودوتوس (٥ : ١٧).

(٣٠) الأمر الذي أقدم عليه الأثينيون بالفعل "لحرصهم الشديد على عقد الحلف،" كما يذكر هيرودوتوس (٥ : ٧٣)؛ وانظر أيضاً (٧ : ١٥١)، حيث يشير إلى سفارة يتشكك في أنها حدثت بالفعل، ولكنه يستخدم فيها على أية حال المفردات ذاتها. إنه يروى هنالك أن بعض الناس يقولون إن أهالي مدينة أرجوس (Argos) أرسلوا سفراءهم إلى العاصمة الفارسية سوسا (Susa) عام ٤٤٨ ق.م. ليسألوا ملكها عندئذٍ، أرتاكزركسيس (Artaxerxes)، عما إذا كانت علاقة الصداقة φιλίη التي ربطت بينهما منذ عهد والده إكزركسيس (Xerxes) ما تزال قائمة أم لا.

وفيما يتعلق بكلمة (πίστις) فإنها، باشتقاقها من فعل يعنى "يثق" (πιστεύω)، ولكونها تعنى "ميثاقاً" أو "عهداً" أو "ضماناً"، من الكلمات التي استخدمها هيرودوتوس في سياق حديثه عن المعاهدات والتحالفات. لقد كرر المؤرخ هذه الكلمة ست مرات في معرض حديثه عن المعاهدة التي عقدها قمبيز مع العرب وعن حفظهم على العهد[٣١]، وهو ما يقرب من نصف المرات التي استخدم فيها الكلمة في كتابه كله، الأمر الذي يؤكد ما ذهب إليه بعد ذلك من وفاء العرب بالتزامهم في هذه المعاهدة. واستخدمها كذلك مرتين في إشارته إلى رغبة سكان جزيرة ساموس (Samos) الدخول في حلف اليونانيين بعد موقعة سلاميس (Salamis) في الحروب الفارسية الثانية. عندئذٍ أعطى بعض قادة ساموس "ميثاقا" (πίστις) بأن يكونوا حلفاءَ (σύμμαχοι) لليونانيين وعقدوا معهم حلفاً (συμμαχίη).[٣٢] وتكرر استخدام الكلمة أيضاً عندما أقسم سكان الجزر اليونانية في بحر إيجه، ومن بينهم أهالي جزيرة ساموس، أن يدخلوا في الحلف اليونانيّ، وأعطوا جميعاً "ميثاقاً" ألا يتركوا هذا الحلف أبداً[٣٣].

إذا كانت أهمية الكلمات السابقة تتمثل في ارتباطها بسياق المعاهدات والتحالفات الرسمية والعلاقات السياسية الخارجية، وفى كونها تضفى على المعاهدة الفارسية العربية طابعاً رسمياً، فإن كلمة (ἀσφαλείη) ترتبط بدور الملك العربيّ في هذه المعاهدة. وتعنى الكلمة عادة "سلامة" أو "أمن"؛ أما في السياق السياسيّ والعسكريّ فإنها تعنى "سلامة العبور" أو "العبور الآمن"[٣٤]. ومع ذلك فمن المهم هنا أن ندرك أن دلالتها في سياق المعاهدة الفارسية العربية تتخطى هذا المفهوم؛ لأن ما كان يريده الملك الفارسيّ ليس مجرد عبور قواته منطقة نفوذ الملك العربيّ دون أن يعتدى عليها أو أن يعترضها أحد، على عكس ما يذهب إليه بعض الدارسين[٣٥]. وفى الحقيقة

---

(٣١) هيرودوتوس (٣/ ٧، ٨ [أربع مرات]، ٩).

(٣٢) هيرودوتوس (٩/ ٩١-٩٢).

(٣٣) هيرودوتوس (٩/ ١٠٦).

(٣٤) Liddell and Scott, *Greek-English Lexicon,* s.v. ἀσφαλείη.

(٣٥) Garthwaite, *The Persians,* 31: "Cambyses also successfully negotiated with the Arabs *to allow for the movement of the Persian army* through the Sinai to Egypt". [emphasis mine] انظر كذلك: إحسان عباس، *تاريخ دولة الأنباط*، (عَمَّان: ١٩٨٧م)، ٢٠: =

فإن هذا الأمر ربما لم يكن محلّ تفكير من جانب قمبيز، في ضوء ما نعلمه عن حجم الجيش الذي أعده لغزو مصر، وفى ضوء أن منطقتي فينيقيا وفلسطين كانتا تابعتين له بالفعل. ومن ناحية أخرى فإن العرب كانوا بدورهم يدركون، بكل تأكيد، مدى قوة الفرس، الذين قضوا على الدولة البابلية قبل أعوام قليلة(٣٦)؛ وكانوا يعلمون أن من الأفضل لهم أن يعطوهم ما يطلبونه. لقد كان ما يريده الملك قمبيز من نظيره العربيّ هو التعهد بتزويد حملته بالمياه التي تؤدى إلى عبورها المنطقة الصحراوية بسلام(٣٧)، كما يتضح من انتقال هيرودوتوس بعد إشارته إلى المعاهدة إلى الحديث مباشرة عن حفظ العرب عهودهم ومواثيقهم، وعن الوسيلة التي لجأ إليها الملك العربيّ لتزويد الحملة بما تحتاجه من مياه وفاءً لعهده مع الملك الفارسيّ.

ويبدو هيرودوتوس هنا مناقضاً نفسه في وصفه لمنطقة نفوذ العرب على ساحل سيناء. لقد حددها بأنها المنطقة ما بين غزة والعريش الحالية، وأضاف أن بقية الساحل الشماليّ لسيناء كانت تحت نفوذ "السوريين"(٣٨). وإذ سلمنا بصحة هذه المعلومات، وبالنظر إلى أن الجيش الفارسيّ سار بمحاذاة الساحل، فإننا أمام أحد افتراضين: إما أن الملك الفارسيّ طلب من الملك العربيّ أن يزوده بالمياه في منطقة تقع خارج نفوذه، أو أن هيرودوتوس أخطأ في وصفه للسكان المقيمين في شمال سيناء؛ وأنها كانت تقع بالفعل تحت نفوذ الملك العربيّ. وفى الحقيقة فإن المؤرخ ذاته يساعدنا، كما سنرى فيما بعد، على إدراك حقيقة الأمر في وصفه لحدود مصر الشرقية. ويكفينا

="عندما غزا قمبيز مصر سنة ٥٢٥ ق.م. بعث سفيراً إلى ملك العرب يسأله أن يزوده بأدلاء يسلكون به سبيل السلامة عبر الصحراء بين فلسطين ومصر." وأيضاً: J.V. Prášek, *Kambyses und die Überlieferung des Altertums,* Leipzig 1897, 52-3: "Phanes hatte Kambyses an den Araberkönig Boten entsendet, um sicheren Durchgang durch die Wüste für sein Herr zu erlangen".

(٣٦) على يد قورش والد قمبيز. انظر: Huart, *Ancient Persia and Iranian Civilization,* 41-42 وكذلك النقش الذي تركه قورش بهذه المناسبة في: Pritchard, *The Ancient Near East,* 315-316.

(٣٧) قارن: مصطفى كمال عبد العليم، هردوت يتحدث عن العرب وبلادهم، ١٩: "لا بد وأن يكون قمبيز قد أدرك أهمية التعامل مع العرب ليضمن على الأقل تأمين مؤخرة جيشه وتوفير المياه اللازمة له".

(٣٨) هيرودوتوس (٣/ ٥). انظر كذلك: Burn, *Persia and the Greeks,* 84: "The area from Cadytis to Ienysus actually belonged to the Arabian king....".

هنا أن نؤكد أن الدلالة الحقيقية لكلمة "العبور الآمن" في سياق المعاهدة يمكن أن تساعدنا أيضاً على إدراك أن منطقة نفوذ الملك العربيّ كانت تفوق بكثير ما ورد في إشارته إلى المعاهدة.

وإذا ما انتقلنا إلى بقية النقاط التي تتطلب تفسيراً في المعاهدة فسنجد أن أولها تتعلق بالإشارة إلى فانيس بوصفه "الضيف والصديق [أو الحليف] الهاليكارناسّى." فبالإضافة إلى ذكر المدينة التي أتى منها، وهو أمر مألوف في كتاب هيرودوتوس وعند الكُتّاب اليونانيين الآخرين، نجده يهتم بتوضيح منزلته لدى الملك الفارسيّ، من خلال وصفه بأنه أصبح له صديقاً وحليفاً (ξεινος). وتتشابه هذه الكلمة مع الكلمات اليونانية السابقة من حيث كونها أيضاً محملة بدلالات مختلفة. فالكلمة تعنى أصلاً "ضيف" أو "مُضيف"، وإن كانت في حالة الأجانب تكتسب أيضاً معنى الصداقة، وإذا ما استخدمت في سياق سياسيّ فإنها تعنى أيضاً "حليفاً". ويتأكد ذلك من كون الكلمة ذاتها تصف طرفي العلاقة. لقد نزل فانيس ضيفاً على قمبيز، وأصبح بما قدمه له من خدمات صديقاً له وحليفاً. مثل هذه الدلالة للكلمة نقابلها في العديد من المواضع التي وردت فيها في كتاب هيرودوتوس، وبخاصة عندما يستخدم كلمة "صديق" إلى جوار كلمتنا هذه. وعلى سبيل المثال فإنه أشار في معرض حديثه عن سفارة قمبيز إلى ملك الإثيوبيين أن الملك الفارسيّ أرسل رسالة يقول فيها للأخير إنه يرغب في أن يكون "صديقاً له وحليفاً"[٣٩]. وفى موضع آخر أشار المؤرخ إلى العلاقة التي جمعت بين الملك أمازيس وبين بوليكراتيس (Polycrates) طاغية ساموس بالكلمات ذاتها[٤٠]. وآخر المواضع التي نشير إليها هنا لتوضيح دلالة الكلمة بوصفها تشير إلى علاقة التحالف ما يذكره هيرودوتوس من ندم الإسبرطيين على أنهم تسببوا في طرد "حلفائهم" (ξεῖνοι) في مدينة أثينا عندما ساعدوا الأثينيين على التخلص من حكم الطغاة[٤١].

وبينما يمكن هنا ملاحظة أن المؤرخ انتهز سياق المعاهدة فرصة للإشارة بشكل غير مباشر إلى مدينته هو ذاته، ولبيان أهمية أحد شخصياتها، فإنه يمكن أيضاً تبرير اقتصاره على وصف

---

(٣٩) Herodotus 3.21: *φιλος και ξεινος*.

(٤٠) هيرودوتوس، ٣/ ٤٠.

(٤١) هيرودوتوس، ٥/ ٩٠.

فانيس بالحليف الهاليكارناسيّ باعتقاده أن الوصف كافٍ في ضوء مكانة القائد التي ألقى عليها الكثير من الضوء من قبل. ويتضح من ذلك أن هيرودوتوس بالغ في حجم الدور الذي قام به هذا القائد في الترتيب للحملة. لقد مهَّد لهذا الدور بأن وصف صاحبه بالعديد من الصفات التي ترفع من شأنه ؛ فبالإضافة إلى وصفه له بالمهارة في الشؤون العسكرية، أكدّ أنه كان "صاحب كلمة بين الجنود اليونانيين في مصر". وبطبيعة الحال فإن وجه الدلالة فيما يتعلق بمكانة فانيس في هذا الموضع تحديداً يتضح من كونه أثبت أيضاً أنه صاحب كلمة في البلاط الفارسيّ، تماماً كما كان الحال في البلاط المصريّ وبين الجنود اليونانيين فيها. ويمكن تفسير السبب في المبالغة بأن فانيس ينتسب إلى المدينة نفسها التي أتى منها هيرودوتوس، وأن هذا الأخير حصل على المعلومات التي ذكرها هنا من بعض أقارب القائد الذين كان جلّ همّهم أن يرفعوا من شأنه[٤٢]. ويتضح عدم الدقة في الرواية خاصة من الأمر الذي ركز عليه هيرودوتوس من بين أعمال فانيس أكثر من غيره، والمتمثل في النصيحة التي قدّمها للملك الفارسيّ بعقد معاهدة مع الملك العربيّ، والتي تجعله يبدو عالماً أيضاً بالشؤون السياسية الخارجية في المنطقة كلها. إن نصيحته للملك الفارسيّ، وتصوير الملك وكأنه كان في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه النصيحة، توحي كما لو أن الفرس كانوا لا يعرفون شيئاً عن الطريق إلى مصر، ولا عن القبائل العربية في منطقة شمال شبه الجزيرة العربية في القرنين السابقين، في عصر الإمبراطوريتين الأشورية والبابلية، ولا عن محاولات هاتين الإمبراطوريتين السيطرة على المنطقة وضمّ مصر[٤٣]. لقد كان قمبيز، في حقيقة الأمر، يعرف عن هذه الأماكن أكثر مما يوحى به هيرودوتوس خاصة وأنه كان حاكماً على بابل منذ أن فتحها والده عام ٥٣٩ ق.م، وطوال الفترة التي سبقت اعتلاءه هو ذاته العرش عام ٥٣٠ ق.م[٤٤].

---

(٤٢) Cf., J. Hart, *Herodotus and Greek History*, London, 1982, 121. الذي يصم فانيس بالخيانة (١٢١) واصفاً إياه بأنه (*condottiere*). انظر أيضاً: مصطفى كمال عبد العليم، *هردوت يتحدث عن العرب وبلادهم*، ٢٠ ؛ وكذلك: جواد على، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ٦٢١/١.

(٤٣) راجع: لطفي عبدالوهاب يحيى، *العرب في العصور القديمة*، ٤٠٨-٤١٧ ؛ وأيضاً: *The Cambridge Ancient History,* iv. 254 [J. D. Ray].

(٤٤) انظر: Maria Brosius, *The Persians: An Introduction,* London and New York, 2006, 8, 13.

إن دلالة نصيحة فانيس، كما يصورها هيرودوتوس، تتعارض كذلك مع ما نعرفه عن أوضاع المنطقة في الأعوام القليلة السابقة للحملة الفارسية عندما اتخذ نابونيدوس (Nabonidus) ملك بابل مدينة تيماء مقراً له فيما بين أعوام ٥٥٣ و ٥٤٤ ق.م. كذلك فإنها تتناقض، من ناحية أخرى، مع ما نعرفه من الاستعدادات الأخرى العديدة التي قام بها قمبيز استعداداً لغزو مصر، وهى الحملة التي شكلت أعظم إنجازاته على الإطلاق[٤٥]. لقد كان من بين هذه الاستعدادات أنه ضمّ فينيقيا ووضع الأسطول الفينيقيّ تحت إمرته، وأنه أخضع بمساعدة هذا الأسطول الجزر اليونانية كافة القريبة من ساحل آسيا الصغرى التي كانت على علاقة صداقة مع مصر. وقد أدّت هذه الخطوات، على سبيل المثال، إلى جعل أمازيس يحاول الإبقاء على الطريق البحريّ بين مصر وبلاد اليونان مفتوحاً بأن دعم نفوذه في جزيرة قبرص وقَوَّى من علاقاته مع بلاد اليونان، استعداداً للغزو المرتقب[٤٦]. وكان من بينها كذلك، على صعيد آخر، أن نَقَضَ بوليكراتيس، طاغية ساموس، معاهدة الصداقة التي عقدها مع أمازيس، وأسهم هو ذاته في حملة الملك الفارسيّ على مصر بأربعين سفينة[٤٧].

وبوسعنا هنا أيضاً تأكيد أن معرفة الفينيقيين بالمنطقة وبأبناء عمومتهم من العرب المقيمين فيها كانت تفوق بمراحل ما يمكن لفانيس ولأقرانه من الجنود والتجار اليونانيين الوافدين على المنطقة معرفته. وبالتأكيد فإن المساعدات التي قدمها الفينيقيون لحملة قمبيز، سواءً لتأكيد نفوذه في شرق البحر المتوسط، أو في أثناء مسيرة الحملة إلى مصر، تفوق ما قدمه فانيس وغيره من الجنود اليونانيين المصاحبين للحملة. لقد كان الأسطول الفينيقيّ مهمّاً لأنه كان يسير بمحاذاة السواحل

---

(٤٥) فيما يتعلق بالاستعدادات، انظر: *RE,* s. v. *Kambyses,* 1814: "Der Feldzug gegen Ägypten wurde sorgfällig und umsichtig vorbereitet". انظر أيضًا: Hart, *Herodotus and Greek History*, 75: "Cambyses' invasion of Egypt required massive preparations".

(٤٦) هيرودوتوس، ٢/ ١٨٢.

(٤٧) هيرودوتوس، ٣/ ٤٣-٤٤. انظر أيضاً: Cawkwell, *The Greek Wars,* 40 وإن كان هيرودوتوس ينسب إلى أمازيس نقض المعاهدة مع بوليكراتيس بسبب تخوفه من سوء عاقبة الطاغية، وعن معالجة هيرودوتوس لقصة بوليكراتيس وأمازيس راجع: M. M. Austin, "Greek Tyrants and the Persians, 564-479 B.C", *The Classical Quarterly* 70, 1990, 89-306, esp. 293.

التي تسير عليها القوات البرية، وكان يزودها بما تحتاجه من مؤن وعتاد[٤٨]. كذلك فإنه ساعد الفرس على بسط نفوذهم على الساحل الجنوبيّ للبحر المتوسط حتى وصل هذا النفوذ إلى غرب ليبيا[٤٩]. وإزاء صمت المؤرخ عن كيفية وصول سفراء قمبيز إلى الملك العربيّ لا يمكننا سوى أن نتساءل عما إذا كانوا قد وصلوا في صحبة بعض هؤلاء الفينيقيين. وبطبيعة الحال فقد نجم عن استعدادات قمبيز التي أشرنا إليها أن أصبحت مصر معزولة إلى حدٍّ كبيرٍ عن بلاد اليونان، التي كانت المصدر الرئيس للجنود المرتزقة الذين تعتمد عليهم في جيوشها[٥٠].

وإذا كان عقد المعاهدة بين سفراء الفرس وبين الملك العربيّ يمكن تبريره بكون المعاهدة سابقة بالضرورة لمسيرة الحملة التي كانت بقيادة الملك الفارسيّ ذاته، فإن إغفال هيرودوتوس ذكر اسم الملك العربيّ، يؤكد تأكيداً غير مباشر ما سبق أن أشرت إليه من مبالغته، أو مبالغة مصادره في روايتها لدور فانيس على حساب الأطراف الأخرى في المعاهدة. ربما أنه يسجل هنا رواية يونانية للأحداث، وأنه لا يعرف الكثير عنها من الجانب الفارسيّ، ولكن دور الملك العربيّ في هذا الموضع تحديداً يمتاز بقدر كبيرٍ من الأهمية التي تجعل من الإشارة إليه بمجرد وصفه بالعربيّ ودون قرن بالصفة ولو بلقب ملك، وكذلك من عدم ذكر اسمه، مفارقة ودليلاً على أن أسلوب عرض المؤرخ ذاته للأحداث التي يتكلم عنها، والتي أشارت إليها مصادره، لا يزودنا بالكثير من المعلومات التي يتطلبها سياق الحديث؛ بالمقارنة بالمعلومات التي يميل إلى المبالغة فيها، أو التركيز عليها[٥١].

---

(٤٨) Brosius, *The Persians: An Introduction,* 13.

(٤٩) هيرودوتوس، ٣/ ١٩؛ حيث يذكر أن الفينيقيين رفضوا القيام بحملة ضد مدينة قرطاجة؛ لما يربطهم بها من صلات.

(٥٠) Garthwaite, *The Persians,* 30.

(٥١) ويتضح ذلك عندما نعرف أن هيرودوتوس أشار إليه في ثلاثة مواضع لم يذكر اسمه في أيٍّ منها ولم يقرنه باللقب الملكيّ إلا في الموضع الأول؛ هيرودوتوس، ٣/ ٤، ٧، ٨. راجع أيضاً: Michael Flower, "Herodotus and Persia", in: *A Cambridge Companion to Herodotus,* ed. Carolyn Dewald and John Marincola, Cambridge, 2006, 276. عن بعض المعلومات والأحداث المشابهة التي كانت مصادر هيرودوتوس فيها جنود وقادة يونانيون.

وكعادة هيرودوتوس المتمثلة في الميل إلى الاستطراد، فإنه اهتم، بعد حديثه عن المعاهدة، بأن يشير إلى سمة من سمات العرب ليمهد بها لما فعلوه في أثناء الحملة من الالتزام بسلامتها. لقد تطرق للحديث عن محافظتهم على المواثيق والعهود بوصفها من أهم السمات التي تميزهم عن غيرهم من الأمم الأخرى وإلى أسلوبهم في عقدها، قائلاً[٥٢]:

لا يوجد أناس يحافظون على مواثيقهم أكثر من العرب. وهذه هي الكيفية التي يفعلون بها هذه الأمور: يقف رجل بين الطرفين المتعاهدين ويجرح بحجر حاد راحة يد كل منهما عند الإبهام. وبعد ذلك يأخذ قطعة من الصوف من عباءة كل منهما [ويلطخها بالدم] ويلطخ بالدم سبعة قطع من الحجارة موضوعة بينهما؛ وهو يهتف في أثناء ذلك باسم ديونيسوس وباسم أفروديتي السماوية. وبعد أن ينتهي من ذلك تماماً فإن الرجل الذي يعطى الميثاق يوصى أصدقاءه بالضيف (ξεῖνος)، أو بمواطنه (ἀστός)، إذا كان الأمر كذلك، ويلتزم الأصدقاء والطرفان بأن يراعوا العهود.

يُذَكِّرُنا أسلوب العرب في عقد معاهداتهم هنا ببعض الأساليب التي عرفتها بعض الشعوب القديمة التي يشير إليها هيرودوتوس ذاته، من حيث استخدام الدم ودعوة الآلهة لتكون شاهدة على المعاهدات[٥٣]. كذلك فإن الوصف الذي يورده هنا ربما كان مناسباً بدرجة أكبر للمعاهدات الشخصية، ولبعض حالات التبني داخل القبيلة[٥٤]. وفيما يتعلق بموضوعنا فإنه لا يوجد ما يؤكد، في ضوء الظروف التي عقدت فيها المعاهدة بين سفراء الفرس وملك العرب، أنها عقدت

---

(٥٢) هيرودوتوس، ٣/ ٨.

(٥٣) يقول هيرودوتوس ذاته (٤/ ٧٠) عن الإسكيثيين:
عندما كانوا يعقدون اتفاقاً، فإنهم يملأون وعاءً فخارياً كبيراً بالخمر، ويضعون فيه قليلاً من الدماء التي يأخذونها من المتعاهدين إما عن طريق إحداث ثقب بواسطة إبرة، أو من جرح صغير بالسكين، ثم يغمسون سيفاً وبعض السهام وبلطة حربية ورمحاً في الوعاء، ثم يتلون عدة صلوات، وفى النهاية يشرب الطرفان المتعاهدان وأتباعهم خليط الخمر والدم.

(٥٤) Restö, *The Arabs in Antiquity,* 247-248; Hitti, *History of the Arabs,* 27.

بنفس الكيفية الواردة في هذه الفقرة[٥٥]. ومن ناحية أخرى فإن الأمر الذي يستلفت الانتباه بالإضافة إلى الجانب الطقسيّ هو سمة العلانية والمسؤولية الجماعية التي تتضح من التزام الأطراف المتعاهدة بالمحافظة هم وأصدقاؤهم على المعاهدة أو الاتفاق[٥٦]. ولهذا فإنه يمكننا هنا أن نؤكد أن الملك العربيّ ربما عقد المعاهدة مع سفراء الفرس أمام بعض معاونيه؛ لكي يشاركوه مسؤولية تنفيذ الالتزامات التي تعهد بها أمام السفراء.

وكما يتبين مما يذكره هيرودوتوس بعد ذلك فإن الملك العربيّ بادر على الفور إلى إعداد المياه. لقد أعدّ الملك قراباً مصنوعة من جلود الجمال، وملأها بالمياه، وحملها على ظهور الجمال، ثم ساقها إلى المناطق التي سيمر بها جيش قمبيز، وانتظر وصول الجيش. وفى الوقت الذي يعلق فيه المؤرخ على هذه الوسيلة موضحاً أنها أكثر الروايات التي سمعها معقولية (πιθανώτερος)، فإنه شعر أن عليه مع ذلك أن يذكر رواية أخرى أقل مصداقية (ἧσσος πιθανός). وتتلخص هذه الرواية الأخيرة في أن الملك العربيّ نقل المياه بواسطة أنابيب مصنوعة من جلود الجمال من نهرٍ كبيرٍ (ποταμὸς μέγας) في شبه الجزيرة العربية يُسَمَّى كوروس (Corys) ويصب في البحر الأحمر، ويبعد مسيرة حواليّ اثنيّ عشر يوماً عن طريق الحملة. وبالإضافة إلى ذلك أنشأ لهذا الغرض ثلاثة أنابيب نقل بها المياه إلى ثلاثة أماكن مختلفة حيث بنى خزانات كبيرة لاستقبال المياه وتخزينها[٥٧]. ويكتفي هيرودوتوس بنقد هذه الرواية دون أن يحاول شرح أسباب رفضه لها. وعلى ما يبدو فإنه اعتقد أن الأسباب ربما لا تحتاج إلى توضيح، ليس فقط لأنه لا توجد أنهار بهذا الوصف في شبه الجزيرة، بل أيضاً بسبب طول المسافة بين مصدر

---

(٥٥) قارن: Abbot, *Darius the Great,* 24

(٥٦) Herodotus 3.8: *οι δε φιλοι και αυτοι τας πιστις δικαιευσι σεβεσθαι.*؛ انظر أيضاً: الدكتور لطفي عبدالوهاب يحيى، *"الوضع السياسيّ في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلاديّ"*، في: *دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام*، إشراف الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، (الرياض: جامعة الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ٩١-١٠٣، وخاصة ١٠٠، حيث يشير إلى وجود نوع من "الملكية الجماعية" في الممالك الجنوبية في العصور القديمة.

(٥٧) هيرودوتوس، ٣/ ١٩.

المياه، كيفما كان هذا المصدر وأنّى كان[٥٨]. وبين الطريق التي سيمر بها جيش قمبيز. ومن الطريف هنا أن نقارن بين "المحطات الثلاث" التي تشير إليها رواية هيرودوتوس وبين مسيرة "الثلاثة أيام" التي يشير إلى أن الرحلة تستغرقها من غزة إلى جبل كاسيوس على حدود مصر وبين الأنابيب الثلاثة التي تشير إليها الرواية "الأقل معقولية." وبينما يمكننا أن نستنتج من ذلك أن العرب كانوا يزودون الفرس بما يحتاجونه من مياه يوماً بيوم، فإن دلالة الرواية الأخيرة لا تتعدى مجرد تأكيد أن العرب تجشموا مشقة كبيرة في سبيل نقل المياه إلى المناطق التي مرّ بها الجيش.

ومما يوضح أهمية المياه في هذه المنطقة أن هيرودوتوس ذاته عاد إلى مناقشة الأمر مرة ثانية في معرض حديثه عن الأواني الفخارية اليونانية التي تصل إلى مصر. إنه يبرر اختفاء هذه الأواني التي تصل إلى مصر محملة بالخمور، قائلاً[٥٩]:

لسوف أنتقل الآن إلى ذكر شيء لا يعرفه سوى القليلين ممن يزورون مصر. فعلى مدار العام يتم استيراد الخمور، ليس فقط من أرجاء بلاد اليونان كافة بل أيضاً من فينيقيا، في جرار فخارية؛ ومع ذلك يستطيع المرء أن يقول إنه لا توجد أية جرار خمر فارغة في أي مكان في البلاد. والسؤال الذي يتبادر للذهن هو عما يحدث لهذه الجرار؛ ولدي الإجابة على ذلك: إن حاكم كل منطقة [في مصر] لديه أوامر أن يجمع الجرار كافة في بلدته وأن يرسلها إلى منف، حيث يملؤها سكان المدينة بالمياه، ويرسلونها إلى هذا الجزء من الطريق المؤدى إلى سوريا. وبهذه الكيفية فإن كل جرة جديدة من الخمر تصل إلى مصر تُفرَّغ من محتوياتها، وتسلك طريقها إلى سوريا [محملة بالمياه] لكي تلحق بصويحباتها.

على الرغم من أن هيرودوتوس يسجل بذلك تقليداً كان متبعاً في عهده هو، حواليّ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، فإنه يرجع به إلى بداية احتلال الفرس لمصر، مؤكداً أن

---

(٥٨) من الصعب هنا أن نحاول تحديد المصدر الذي وردت منه المياه في ضوء قلة المعلومات الواردة في هيرودوتوس عن طبيعة المكان، على الرغم من أنه يذكر اسم النهر. ويمكننا أن نفترض أنه هذا المصدر لا يعدو كونه أحد مجارى السيول أو بعض الآبار الموجودة بالمنطقة.

(٥٩) هيرودوتوس، ٣/ ٦.

السبب من ورائه هو رغبة الفرس في ألا يعتمدوا على العرب اعتماداً كاملاً في هذا الأمر. إنه يقول بعد ذلك مباشرة: "لقد كان الفرس هم الذين أعدوا هذا الطريق إلى مصر، لكونهم زودوا المناطق المهجورة بالمياه، بمجرد أن احتلوا مصر"[٦٠]. هذه الحقيقة تؤكدها بعض الأدلة من المواقع الأثرية التي اكتشفت في منطقة شمال سيناء على الطريق الساحليّ المؤدى إلى مصر فيما بين مدينة غزة وقناة السويس، والتي ترجع إلى بداية عصر السيادة الفارسية. هذه الآثار تؤكد من ناحية ازدهار المنطقة بعد ضم الفرس لمصر، وتوضح من ناحية أخرى مدى أهميتها الإستراتيجية بالنسبة للجيوش الفارسية[٦١].

إن "الملك العربيّ" يختفى من رواية هيرودوتوس بعد هذه الفقرة التي أوضح فيها أنه وفى بما عاهد عليه الملك الفارسيّ، وينتقل المؤرخ بعدها إلى ذكر أحداث الغزو. ومع ذلك فإن اختفاءه لا يعنى بالضرورة أن العرب ابتعدوا بعدئذٍ عن مسرح الأحداث لأنهم ظلوا على ارتباطهم بالدولة الفارسية. وفى الحقيقة فإنهم يظهرون في أكثر من مناسبة تلقي الضوء على ما قاموا به في حملة قمبيز. ويبدو من حديث المؤرخ في أماكن أخرى من كتابه أن ملوك الفرس عاملوا العرب معاملة خاصة، على سبيل المكافأة لمساعدتهم في فتح مصر التي كانت عندئذٍ أكبر فتوحاتهم وأهمّها. وتَرِدُ أولى الفقرات التي تشير إلى هذه المعاملة في معرض حديث هيرودوتوس عن اعتلاء داريوس (Darius)، الملك التالى لقمبيز، عرش الإمبراطورية الفارسية[٦٢]:

وفى الحقيقة تُوِّج داريوس بن هوستاسبيس (Hystaspes) ملكاً وأصبح السكان كافة في آسيا، منذ أن أخضعهم قورش ومن بعده قمبيز، خاضعين له ما عدا العرب. ولم يخضع العرب أبداً للاستعباد الفارسيّ، بل كانوا حلفاءً لهم منذ أن سمحوا لقمبيز بدخول مصر؛ لأن الفرس ما كانوا ليدخلوا مصر بدون موافقة العرب.

---

(٦٠) هيرودوتوس، ٣/ ٨٨.

(٦١) Betlyon, *A People Transformed Palestine,* 12, 51-52. حيث يوضح أن شمال سيناء ومنطقة جنوب فلسطين أصبحتا: "Persian power projection platform" .

(٦٢) هيرودوتوس، ٣/ ٨٨. علماً بأن داريوس تولى العرش عام ٥٢٢ ق.م؛ أي بعد ثلاثة أعوام تقريباً من الحملة الفارسية على مصر. انظر كذلك: Burn, *Persia and the Greeks,* 107

وتتضح المعاملة الخاصة للعرب من خلال المصطلحات التي استخدمها هيرودوتوس في وصف علاقتهم بالفرس. إن المؤرخ يستخدم هنا كلمة تدل على الخضوع والتبعية (κατηκοοι) في وصف العلاقة بين الملك الفارسيّ وبين سكان المناطق التي وصل إليها نفوذه. ولأن الكلمة، باشتقاقها من فعل بمعنى "يلبى الأمر" و "يطيع"، تعنى في الأصل سماع الأوامر وتنفيذها، ولأن الذي لا يستطيع أن يناقش ما يصدر إليه من أوامر ولا يملك سوى تنفيذها لا يملك إرادته وحريته، فإن الخضوع في هذا السياق يعنى العبودية. ومن هنا كان رعايا الملك الفارسيّ كافة الخاضعين له في حقيقة الأمر يعانون تحت نير العبودية (ἐπὶ δουλοσύνῃ). أمّا العرب فإنهم لم يكونوا خاضعين، "ولم يُستعبدوا أبداً" بواسطة الفرس[٦٣]. وفى مقابل هذه الاصطلاحات سلبية الدلالة، من حيث إنها تنفى عن العرب المعاملة التي تلقتها غالبية رعايا الإمبراطورية، تأتى الكلمة التي تؤكد بدلالة إيجابية ما يتمتعون به من مكانة خاصة. لقد كانوا "أصدقاء وحلفاءً" (ξεῖνοι) للفرس. وقد استخدم المؤرخ في وصف هذه العلاقة الكلمة ذاتها التي وصف بها علاقة فانيس بالملك الفارسيّ، وإن كانت في صيغة الجمع. وكما حدث في إشارته إلى المعاهدة، لم يذكر هيرودوتوس هنا أيضاً اسم الجماعات العربية ولا اسم ملكهم، مكتفياً بأن يُذَكِّرَنا بالصداقة التي ربطت بين ملكي الفرس قمبيز وداريوس وبين العرب وأنها كانت بسبب دورهم في فتح مصر.

وباستطاعتنا أن نؤكد هنا أن هذه الفقرة تُكمل الإشارة إلى المعاهدة، على الرغم من الفقرات الثمانين التي تفصل بينهما. كذلك فإن باستطاعتنا أن نلحظ أهميتها من ناحيتين؛ أولاهما: أنها تثبت مرة أخرى أهمية الدور الذي قام به العرب في إنجاح حملة قمبيز، وأخراهما: أنها توضح المقابل الذي حصل عليه "ملك العرب" جراء المساعدة التي قدمها للحملة، والمتمثل في المعاملة الخاصة من جانب الفرس. ربما أن هذه المعاملة الخاصة كانت ضرورية ومهمة لضمان سيطرة الفرس على مصر في المراحل التالية، خاصة وأن العرب كانوا يقيمون على حدودها الشرقية ويسيطرون على منطقة يصعب عبورها. ولكن علاقة الصداقة التي

---

(٦٣) من المهم هنا ملاحظة استخدام هيرودوتوس لتأكيد فكرته أداة نفىٍ قوية οὐδάμα بالمقارنة بأداة النفيّ المعتادة οὐ, οὐκ التي استخدمها في السطر الأخير من الاقتباس الموجود في الحاشية السابقة.

قامت بين العرب وبين الفرس، وما ترتب عليها من مكانة خاصة للعرب بين رعايا الإمبراطورية الفارسية، تبدو وكأنها نتيجة منطقية لعاملين يقوى كلٌ منهما الآخر: أولهما، أنهم لم يدخلوا في صراع مع الفرس ولم يخضعوا لهم بحدّ السيف كما حدث مع بعض الجماعات الأخرى التي حاربها الفرس وانتصروا عليها؛ وآخرهما، أنهم عقدوا معهم معاهدة، وساعدوهم في تحقيق أحد أهم إنجازاتهم[٦٤]. ربما أن الخدمات المقدمة من جانب العرب كانت تفوق ما يحصلون عليه من جانب الفرس، ولكن ما يحصلون عليه كان كافياً -على أية حال- لجعلهم يحافظون على هذه العهود. لقد كان العرب يعرفون أنهم لا طاقة لهم بمواجهة الفرس بقدر ما كان الفرس يعاملونهم معاملة خاصة في ضوء أهمية موقعهم على الطريق المؤدى إلى مصر.

توجد أيضاً إشارة أخرى تؤكد المكانة الخاصة للعرب في بادية الشام، وإن كانت في سياق الحديث عن الجزية التي فرضها داريوس، الملك التالي لقمبيز، على رعايا الإمبراطورية[٦٥]. لقد كان العرب وحدهم، من بين الجماعات المقيمة في المنطقة كافة، لا يدفعون أية أموال مفروضة عليهم للملك الفارسيّ[٦٦]. ويترك لنا المؤرخ أن نتذكر هنا السبب في ذلك، مكتفياً بما ذكره من قبل عن كونهم حلفاءً وليسوا خاضعين، مثلما يترك لنا أيضاً أن نلاحظ أن دفع الجزية والضرائب كان مظهراً من مظاهر الخضوع والعبودية للملك الفارسيّ، تماماً مثلما أن تقديم الماء والتراب كان رمزاً للدخول في طاعته. وتتوافق الإشارة إلى إعفاء العرب من الضرائب مع ما ورد في موضع آخر من كتاب هيرودوتوس عن إرسالهم "هدايا" (δῶρα) سنوية إلى الملك الفارسيّ قدرها ألف

---

(٦٤) يذهب Restö, *The Arabs in Antiquity,* 246-247. إلى حدّ افتراض أن العرب كانوا هم والإثيوبيون يشكلون حراساً لمصر من الشرق ومن الجنوب. وفى الوقت الذي لا يوجد ما يؤكد ذلك الأمر في حالة العرب، فإن فكرته في حالة الإثيوبيين تتعارض أيضاً مع ما نعرفه من وضع الفرس لحامية يهودية في جزيرة إلفنتين في جنوب البلاد. عن هذه الحامية انظر: *The Cambridge Ancient History,* iv, 152 [Eph'al].

(٦٥) هيرودوتوس، ٣/٨٩-٩٤. ومع ذلك قارن: *The Cambridge Ancient History,* iv, 153, 162 [Eph'al]؛ حيث يوضح أن العرب كانوا يقيمون في جنوب المنطقة، ويشكلون أحد عناصرها السكانية الثلاثة المهمة بالإضافة إلى الفينيقيين والسوريين.

(٦٦) Herodotus 3.91.: *πλὴν μοίρης τῆς Ἀραβίων (ταῦτα γὰρ ἦν ἀτελέα).*

تالينتٍ، أيْ "وزنة"، من اللبان. ففي نهاية الحديث عن الجزية (φορος) السنوية المفروضة على رعايا الإمبراطورية، توقف المؤرخ للإشارة إلى بعض الشعوب القليلة التي تقدم في المقابل تلك الهدايا، ومن بينهم الإثيوبيون والعرب وسكان القوقاز(٦٧). وفى الحقيقة فإن السمة المشتركة التي نلحظها بين غالبية هذه الشعوب أنها تقع جميعها على حدود الإمبراطورية، وهى سمة يمكننا أن نضيف إليها أن الفرس لم يخضعوا تلك الشعوب بحدِّ السيف، ولم يحاولوا إرسال جيوشهم إليها(٦٨). ويساعدنا هيرودوتوس بالمقارنة التي يعقدها هنا بين "الجزية" وبين "الهدايا" على الربط بينها وبين المقابلة التي أشرنا إليها من قبل بين طبيعة العلاقة التي تربط الفرس بالعرب وتلك التي ربطت بين الفرس وغالبية الشعوب الأخرى الموجودة في المنطقة. لقد كانت المصطلحات التي استخدمها هنالك هي كلمة "الخاضعين" بالمقارنة بالـ: "حلفاء". وهكذا فإنه تتضح من المناقشة السابقة لإشارة هيرودوتوس إلى معاهدة قمبيز وملك العرب عام ٥٢٥ ق.م. أهمية الدور الذي قام به العرب في الحملة الفارسية على مصر، الذي جعل منهم حلفاء للفرس، مثلما يتضح منها أيضاً أن حدود نفوذهم كانت تفوق بكثير ما يذكره المؤرخ. ولكن منْ هم هؤلاء العرب الذين كانوا قرب نهاية القرن السادس قبل الميلاد بالقوة والأهمية التي جعلت قمبيز يضطر إلى طلب مساعدتهم في أثناء حملته على مصر؟

عرب المعاهدة:

يختلف الدارسون حول هوية هؤلاء العرب، ويرجع السبب في ذلك الاختلاف إلى كون شمال شبه الجزيرة العربية بعامة، ومنطقة بادية الشام بخاصة، من المناطق التي شهدت العديد من الهجرات والتحركات السكانية في منتصف الألف الأخيرة قبل الميلاد. لقد لعبت حالة عدم الاستقرار التي سادت شمال الجزيرة العربية في عصر الإمبراطوريتين الأشورية والبابلية دوراً مهماً

---

(٦٧) هيرودوتوس، ٣/ ٩٧. ومع ذلك قارن: Israel Iph'al, *The Ancient Arabs: Nomads on the Borders of the Fertile Crescent, 9th-5th Centuries B.C.*, Leiden 1982, 206-8 الذي يرى (٢٠٨) أن هذه الهدايا كانت أقرب ما تكون إلى الجزية: "extraordinarily onerous levy".

(٦٨) لقد أرسل قمبيز إلى الإثيوبيين فقط رسلاً يستطلعون الأحوال وللتجسس؛ هيرودوتوس، ٣/ ٢١.

في تغيير خريطة القوى السياسية العربية، وفى تحديد طبيعة استقرار العرب في المنطقة، وفى تشكيل علاقاتهم بالقوى المجاورة في الوقت ذاته(٦٩). ولأن الخوض في تفاصيل هذه الأحداث يخرج بنا عن موضوع المقالة؛ فإنه يكفينا هنا أن نناقش آراء الدارسين بشأن هوية العرب الذين عقد معهم قمبيز معاهدته عام ٥٢٥ ق.م. وفيما يتعلق بهذا الموضوع فإننا نقابل في الدراسات الحديثة ثلاثة اتجاهات مختلفة.

وأول ما نلاحظه حول المجموعة الأولى من الدارسين أنهم لم يتوقفوا، ربما كما فعل هيرودوتوس، عند هوية عرب المعاهدة مكتفين بالتركيز على طبيعة الحدث. وهكذا فإن جارثويت (Garthwaite) اكتفى بالقول إن "قمبيز أيضاً نجح في أن يتفاوض مع العرب لكي يسمحوا بمرور الجيش الفارسيّ برّاً عبر سيناء إلى مصر"(٧٠). والأمر ذاته نلحظه عند باحث آخر أشار إلى العرب بهذه الصفة، على الرغم من أنه فَصَّل الحديث نوعاً ما عن طبيعة المساعدة التي قدمها العرب وقدمها ملكهم(٧١). من الطريف كذلك أن باحثاً ثالثاً حدد مكان هؤلاء العرب بأنهم كانوا يقيمون في صحراء سيناء، وبأنهم قدموا إلى قمبيز خدمة جليلة بمساعدته في عبور هذه الصحراء، ولكنه مع ذلك اكتفى بالإشارة إليهم بوصفهم العرب وإلى ملكهم بوصفه الملك العربي(٧٢). وبينما اقتصر باحث رابع على وصفهم بالبدو(٧٣)، اكتفى خامس بأن وصفهم بالقبائل العربية(٧٤).

أما المجموعة الثانية من الباحثين فإنها تميل إلى القول بأن إشارة هيرودوتوس إلى العرب تعنى الأنباط. وهكذا فإن أولمستيد (Olmstead)، صاحب أكبر دراسة عن الدولة الأخمينية قرب منتصف القرن الميلاديّ الماضي، رأى في إشارة هيرودوتوس إلى عرب المعاهدة أول دليلٍ

---

(٦٩) جواد على، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ١/٥٧٤-٦١٩؛ لطفي عبدالوهاب يحيى، *العرب في العصور القديمة*، ٤٠٨-٤١٧. وأيضاً: Hoyland, *Arabia and the Arabs,* 58-62.

(٧٠) Garthwaite, *The Persians,* 31.

(٧١) Abbot, *Darius the Great,* 24.

(٧٢) Prášek, *Kambyses und die Überlieferung des Altertums,* 52-53.

(٧٣) Huart, *Ancient Persia and Iranian Civilization,* 47.

(٧٤) *The Cambridge Ancient History,* iv, 48 [T. C. Young, Jr.].

تاريخيٍّ يذكر الأنباط[٧٥]. وبعد أعوام قليلة سار بيرن (Burn) خطوة أخرى بهذه الفكرة عندما أكد أن الملك العربيّ الذي عقد المعاهدة مع قمبيز كان "بدون شك ملك الأنباط"[٧٦]. كذلك فإننا نقابل الرأي ذاته، وإن كان على سبيل الاحتمال، عند مصطفى كمال عبد العليم، بعد أن ذكر اختلاف الآراء بشأن هوية الملك العربيّ. لقد أشار إلى المناطق "العربية الشمالية والواقعة إلى الشرق من مصر،" وأضاف بعدها موضحاً أنها "ربما كانت مناطق الأنباط وأن الملك العربيّ هو ملكهم. وقد يكون في هذا القول ترجيح لوجود الأنباط من زمن باكر حتى ولو كانوا يعيشون في تنظيمات أو تجمعات لم تظهر أهميتها لمعاصريهم"[٧٧]. أما جواد علي، الذي لاحظ أن هيرودوتوس لم يذكر اسم الملك العربي، فإنه ذهب في الوقت ذاته إلى أنه "لم يُشر أيضاً إلى الأرض التي كان يحكمها. وقد يكون هذا الملك أحد ملوك النبط الذين كانوا يحكمون في أعالي الحجاز وفي الأقسام الجنوبية من الأردن وطور سيناء"[٧٨]. ومع ذلك فإنه عاد بعدها إلى ذكر اختلاف الدارسين بشأن هويتهم دون أن يدلي بدلوه في هذا الموضع، ربما مكتفياً بما ذكره من قبل عن هذا الموضوع[٧٩]. ومن اللافت للنظر هنا أن صاحب كتاب "بلاد العرب الرومانية" تجاهل كلية ما ذكره الباحثون بشأن إشارة هيرودوتوس إلى هوية العرب المقيمين في جنوب فلسطين وسيناء، وبدأ حديثه عن الأنباط بأول حادثة تاريخية تشير إليهم على وجه اليقين في بداية العصر الهللينستيّ. لقد بدأ الفصل الثاني من دراسته، الذي يحمل عنوان "ظهور الأنباط"، بالإشارة إلى حملة أنتيجونوس (Antigonus) الأعور على عاصمتهم البتراء، التي أشار إليها المؤرخ ديودوروس (Diodorus) الصقليّ ضمن أحداث عام ٣١٢ ق.م[٨٠]. إننا نقابل القدر نفسه من تجاهل الأمر في دراسة هول (Hall) عن "تاريخ الشرق الأدنى القديم" التي أغفلت الإشارة إلى مساعدة عرب شمال غرب الجزيرة في وصفها لحملة قمبيز، في الوقت الذي خصصت فيه حاشية

---

(٧٥) Olmstead, *History of the Persian Empire,* 88: "... our first literary reference to the Nabataeans".

(٧٦) Burn, *Persia and the Greeks,* 84: ". . . no doubt the king of the Nabataeans".

(٧٧) مصطفى كمال عبدالعليم، *هردوت يتحدث عن العرب وبلادهم*، ٩ حيث يعرض للآراء، ١٨-١٩ حيث يوجد الاقتباس.

(٧٨) جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ١/٦٢١-٦٢٢.

(٧٩) جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ١/٦٢٧ .

(٨٠) Bowersock, *Roman Arabia,* 12ff. علماً بأن إشارة ديودوروس في: (١٩ : ٩٥ : ٢).

طويلة للحديث عن إشارة مقتضبة يحتمل أنها تشير إلى الحملة في أحد النقوش العربية الجنوبية(٨١).

ومن ناحية أخرى فإن المجموعة الثالثة من الباحثين تتجه إلى نفى فكرة أن يكون عرب هيرودوتوس هم الذين اشتهروا في القرون الأخيرة قبل الميلاد باسم الأنباط، على أساس أنهم لم يكونوا قد ظهروا بعد بهذه القوة على مسرح الأحداث قرب نهاية القرن السادس قبل الميلاد. لقد كانت أهم الجماعات العربية القوية التي تعيش في المنطقة في تلك الآونة تتمثل في الإيدوميين الذين كانوا يقطنون منطقة جنوب الأردن وفى القيداريين الذين كانوا يقيمون إلى الغرب منهم، والذين كانوا يشكلون الفرع الأساسيّ من الإسماعيليين(٨٢). وفى الوقت الذي يقترح فيه إحسان عباس في دراسته عن الأنباط أن القيداريين "لعلهم هم الذين ساعدوا قمبيز في زحفه على مصر،" فإنه يقدم دليلاً على ذلك أنهم حلوا محل الإيدوميين في المنطقة، كما يتبين من مناطق نفوذهم في القرن الخامس قبل الميلاد(٨٣). هذه الفكرة نجدها أيضاً في عددٍ من الدراسات الحديثة الصادرة عن بلاد العرب. وهكذا فإن ما ذكره أحد باحثي هذه المجموعة ذكراً عابراً(٨٤)، ذهب باحث آخر إلى حدٍّ تأكيده قائلاً: "إن بلاد العرب التي أشار إليها هيكاتايوس (Hecataeus) وخَلَفُه هيرودوتوس كانت في الحقيقة بلاد قيدار، أو على الأقل يديرها حكام من قيدار"(٨٥).

وفى الحقيقة فإن هناك عدداً من الإشارات التي تؤكد قوة نفوذ القيداريين منذ القرن السابع قبل الميلاد، كما يتبين من الحملات المتكررة التي قام بها الملوك الأشوريون للحد من قوتهم،

---

(٨١) Hall, *The Ancient History of the Near East,* 564 with note 2.

(٨٢) Peter Högemann, *Alexander der Grosse und Arabien,* in *Zetemata: Monographien zur Klassischen Altertumswissenschaft,* Heft 82, München 1985, 27 n. 4 (with references cited).

(٨٣) إحسان عباس، *تاريخ دولة الأنباط*، ٢١.

(٨٤) Hoyland, *Arabia and the Arabs,* 61.

(٨٥) Restö, *The Arabs in Antiquity,* 251: "Arabia of Hekataios and his successor Herodotus was *in fact* the land of Qedar, or at least governed by rulers from Qedar". [emphasis mine]. علماً بأن هيكاتايوس الذي ينتمي إلى مدينة ميتيليني (Myteline) في جزيرة ساموس هو أحد المؤرخين والجغرافيين في الجيل السابق لهيرودوتوس، الذين استعان بهم هذا المؤرخ.

والتي كانت حملات آشور بانيبال (Assurbanipal) من أشدها ضراوة. لقد خلد الملك انتصاره على القوات المتحالفة ضده في النقش الذي عدد فيه الغنائم التي حصل عليها من أعدائه، والتي كان من بينها أعداد كبيرة من الجمال. ويتضح من الإشارات المتكررة إلى المواقع التي دارت بين الأشوريين والتي كان القيداريون طرفاً فيها، أنهم كانوا عندئذٍ من أشد المعارضين للنفوذ الأشوري[٨٦]. ولم تنته صراعات القيداريين مع القوى الشرقية مع مجيء البابليين، كما يتضح من الحملة التي قام بها على سوريا وفلسطين الملك البابليّ نَبُوخَذ نَصَّرْ الذي شن عليهم وعلى العرب المقيمين في بادية الشام حملة تأديبية عام ٥٩٩ ق.م[٨٧]. ومما ساعد على ازدياد نفوذهم في الأعوام التالية أن الملك البابلي نابونيدوس قضى على جيرانهم الإيدوميين في أثناء إقامته في تيماء في الأعوام التالية. ولأن عصر السيادة البابلية كان قصير الأمد، ولأن نفوذ الإيدوميين تضاءل في ذلك العصر، فإن القيداريين كانوا أقوى الجماعات العربية المقيمة في جنوب فلسطين عند مجيء الفرس.

وبالإضافة إلى هذه الإشارات التي تُعرِّف العرب المقيمين في منطقة شمال سيناء وجنوب فلسطين بأنها جماعات القيداريين، توجد الأدلة المستمدة من الآثار والتي تنفى أن يكون هؤلاء العرب هم الأنباط. وهكذا فإن إحدى الدراسات التي تمت على أساس البقايا الأثرية تؤكد أننا لا نكاد نعرف شيئاً عن تاريخ الأنباط قبل القرن الرابع قبل الميلاد، كما أن ما نعرفه عنهم حتى القرن الثانى قبل الميلاد قليل للغاية؛ لقد كانوا يقيمون في منطقة البتراء ولكنهم كانوا ما يزالون عندئذٍ أقرب إلى حياة البداوة[٨٨]. هذا الرأي نجده أيضاً عند هوجمان الذي يؤكد أن الأنباط لم

---

(٨٦) جواد على، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ٦٠٣/١ ؛ لطفي عبدالوهاب يحيى، *العرب في العصور القديمة*، ٤١٢ .

(٨٧) Redford, *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times,* 459 with note 138. قارن أيضاً سفر إرميا (٤٩ : ٢٨-٣٢)، الذي تنبأ بهلاك القيداريين على يد نبوخذ نصر، وهو ما لم يحدث نظراً لعودة الملك السريعة إلى بابل في ربيع العام التالي مباشرة.

(٨٨) K. Schmitt- Korte, "Nabataean Pottery: A Typological and Chronological Framework", 7 في: *دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام*، إشراف الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، (الرياض: جامعة الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

يكونوا قد انتشروا بعد على نطاق واسع في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وأنهم كانوا ما يزالون في منطقة البتراء، ولم يكن من السهل تمييزهم من الناحية الحضارية عن الجماعات الأخرى نصف البدوية التي تقيم على الحدود السورية الفلسطينية[٨٩].

وهكذا، فإن ما سبق وأن أشرت إليه من أحداث تاريخية ومن أدلة أثرية يثبت عدم صحة وجهة نظر الباحثين الذين يذهبون إلى القول بأن عرب هيرودوتوس هم الأنباط، في الوقت الذي يبين فيه أيضاً أنه لا مبرر لحذر أولئك الذين لم يحاولوا تحديد هويتهم. كذلك فإن الصراعات التي أشرت إليها بين القيداريين وبين الأشوريين والبابليين تثبت، وهو الأهم، مدى قوة نفوذهم. ولم تكن هذه الحقيقة خافيةً بالضرورة على قمبيز الذي حكم بابل لمدة تسعة أعوام قبل أن يتولى هو ذاته عرش الإمبراطورية الفارسية. وفى هذا السياق تحديداً نستطيع أن ندرك دلالة المعاهدة. لقد كانت قوة القيداريين والمنطقة التي يسيطرون عليها من ناحية أخرى[٩٠]، كما سبقت الإشارة، يشكلان عاملين لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض في تشكيل العلاقات العربية الفارسية في تلك الآونة على أساس من الصداقة والتحالف.

من المهم كذلك أن ندرك أن دور القيداريين في هذه المعاهدة ساعد أيضاً على ازدياد إحساسهم بمكانتهم في المنطقة، نتيجة للمعاملة الخاصة التي تلقوها من الفرس[٩١]. ومما يدل على ذلك، حواليّ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، أن ملكهم "جِشِم" (Geshem) حاول هو وبعض الملوك المقيمين بالقرب من القدس الاعتراض على بناء أسوار المدينة بواسطة نحميا، كما تشير التوراة[٩٢]. حقيقة إن هذه المعارضة لم تتمخض عن أي عمل إيجابيّ من جانب الملوك الآخرين على الرغم من كثرة عددهم، ولكن ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى أن الملك الفارسيّ

---

(٨٩) Högmann, *Alexander der Grosse und Arabien,* 140.

(٩٠) Bowersock, *Roman Arabia,* 2: "The importance of Roman Arabia for an imperial power in the Mediterranean can not be overestimated".

(٩١) David F. Graf, "The Origins of the Nabataeans", *ARAM,* 2 (1990), 48.

(٩٢) جواد على، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ١/٦٤٧-٦٤٨ . علماً بأن الإشارات إلى التوراة في "نبوءة نحميا"، الإصحاح ٤ : ٧-٢١ و ٦ : ٢-١٦ .

أرتاكزركسيس كان قد سمح ببناء السور بعد عودة العبرانيين من السبيّ البابليّ"[٩٣]. وعلى أية فإن معارضتهم تلك تدل على تخوفهم من ظهور كيان قوى منفصل يمكن أن يمثل تهديداً لمصالحهم التجارية في المنطقة[٩٤]. وربما أيضاً أن قاينو (Qainu) بن جشم الذي قدم إناءً فضياً للإلهة اللات، عثر عليه في مدينة تل المسخوطة (باتوموس القديمة) شرق الدلتا هو ابن جشم الذي أشارت إليه التوراة. يدل على ذلك أن هذه المدينة، كما أوضح هيرودوتوس، كانت على حدود بلاد العرب الغربية، وأن تاريخ الإناء يرجع إلى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وأن الإلهة عربية، وأن قاينو يصف نفسه في النقش بأنه "ملك قيدار"[٩٥].

---

(٩٣) لطفي عبدالوهاب يحيى، *العرب في العصور القديمة*، ١٩١، ٤٠٧-٤٠٨.

(٩٤) Restö, *The Arabs in Antiquity,* 250. انظر أيضاً: *The Cambridge Ancient History,* iv, 163-164 [Eph'al] حيث يلحظ أيضاً ازدياد أعداد العرب في المنطقة "بكيفية لا نعلم تفاصيلها."

(٩٥) Hoyland, *Arabia and the Arabs,* 62-63. حيث توجد صورة للإناء.

خاتمة:

تزودنا إشارة هيرودوتوس إلى المعاهدة التي عقدها قمبيز مع ملك العرب المقيمين في منطقة جنوب فلسطين وسيناء قرب نهاية القرن السادس قبل الميلاد بأول إشارة تاريخية إلى معاهدة بين إحدى الجماعات العربية في شمال الجزيرة وإحدى القوى الخارجية في الشرق الأدنى القديم. تمتاز هذه الإشارة بأهميتها لكونها المصدر الوحيد الذي يشير إلى هذه المعاهدة، ولكونها تفسر المكانة الخاصة التي ميزت عرب المعاهدة بين غالبية رعايا الإمبراطورية الفارسية في عصر ملكها قمبيز وداريوس. يتبين كذلك من المناقشة السابقة أن العرب الذين عقد معهم قمبيز المعاهدة التي أشار إليها هيرودوتوس هم القيداريون وليس الأنباط، على عكس ما يعتقد بعض الدارسين. لقد كان ظهور الأنباط في مرحلة تالية للقيداريين، ولم يشكلوا قوة تسيطر على المنطقة بالكيفية التي توحي بها المعاهدة إلا بعد قرنين على الأقل من ذلك التاريخ. وعلى الرغم من أن القيداريين لم يكونوا الجماعات العربية الوحيدة المقيمة في منطقة جنوب فلسطين في القرن السادس قبل الميلاد، فإنهم كانوا أقوى هذه الجماعات، كما يتبين من استمرار سيطرتهم على المنطقة في القرنين التاليين على الأقل. وكما يتضح من إشارة هيرودوتوس إلى نظام حكمهم فإنهم كانوا قد وصلوا عندئذ إلى درجة كبيرة من التطور السياسيّ تقترب بهم من المجتمعات المستقرة في دويلات المدن الموجودة إلى الشمال منهم في فلسطين وفينيقيا وبلاد الشام. حقيقة إنه أغفل الإشارة إلى اسم الملك العربيّ ولم يعرف القيداريين باسمهم، ولكن ذلك الأمر يمكن تفسيره بأنه يروى الأحداث من منظور يونانيٍ خالص: فمن بين الشخصيات الثلاث التي أشار إليها حديثه عن المعاهدة، حظي مواطنه اليونانيّ فانيس بنصيب الأسد فيها.

جوانب من حياة العرب السياسية والاجتماعية خلال القرن الخامس قبل الميلاد كما صورها هيرودوتوس٤٨٤-٤٢٤ق.م

رحمة بنت عواد السناني

تجمع آراء المؤرخين على أن أقدم المصادر الكتابية اليونانية التي ألقت الضوء على جوانب مهمة من تاريخ العرب القديم تتمثل في كتابات هيرودوتوس التي تضمنها كتابه المعروف بالاستقصاء. وهيرودوتوس أو أبو التاريخ كما يحلو للخطيب الروماني شيشرون أن يصفه- وهو محق في ذلك- غنيٌّ عن التعريف. إلا أن الأمر المثير للاهتمام في أحاديث هيرودوتوس عن العرب وبلادهم وأحوالهم يبرز في الكشف عن دورهم السياسي في أحداث الشرق الأدنى خلال القرن الخامس قبل الميلاد ووجودهم كياناً سياسياً أيًا كان حجمه من ناحية، وتركيزه على بعض مظاهر حياة العرب الاجتماعية وتقاليدهم وأعرافهم الخاصة بهم؛ والتي أثارت إعجاب هيرودوتوس حتى إنه يتحدث عنها بالكثير من الانبهار، ربما لأنه لم يجدها في ما عدا العرب من الشعوب والأمم التي زارها وعايشها وتحدث عنها بإسهاب كبير من خلال كتاباته.

فمن الناحية السياسية يشير هيرودوتوس في كتاباته إلى استخدام العرب للقب سياسي هو الملك؛ فيقول: "ملك بلاد العرب"[١]، بل ويحدد المنطقة التي يحكمها في منطقة ممتدة من جنوب غزة حتى الخليج العربي شرقاً[٢]. ولعل ذلك يرجح أمر كون العرب الذين يتحدث عنهم

---

(١) Herodotus, *The History of Herodotus,* Trans by A. D. Godley, London Loeb Classical Library 1981, V: 4.

(٢) Herodotus, *The History,* III: 4-10.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٣٣-٤٠

هيرودوتوس في كتاباته غالباً هم عرب شمال الجزيرة العربية وشرقها، فالعرب إذن في المناطق التي حددها هيرودوتوس يخضعون غالباً لملك سواءً كان هذا الملك يحكم دولة أو قبيلة تتفرع عشائرها في المنطقة، فهي خاضعة لحكم الملك المذكور.

الجدير بالذكر أن الحوليات الأشورية -التي كُشف عنها بعد ذلك- المؤرخة بأسماء عدد كبير من الملوك الأشوريين مثل؛ شلمنصر الثالث وتجلات بيلاصر الثالث وسرجون الثاني وسنحاريب وأسرحدون ثم أشور بانيبال أكدت جميعها صحة ما ذكره هيرودوتوس حول تلقب الحكام في بلاد العرب بالملك منذ القرن الثامن ق.م، وذلك من خلال ما ورد في حوليات ملوك آشور من علاقات الود والعداء مع عدد كبير من الحكام الذين تصفهم الكتابات الآشورية بالملوك ومن بينهم؛ ملك العرب جنديبو، والملك خزعل، والملك وطع ملك العرب والقيدار، وحزائيل ملك العرب، والملكات العربيات زبيبة وشمسي وتعل- حونة وياتيعة[٣].

وطبقا لكتابات هيرودوتوس فإن ملك العرب -الذي تحدث عنه آنفا- ومن يخضعون لحكمه من العرب ومن شعوب المنطقة كانوا يمتلكون جيشًا منظمًا قوامه رجال مسلحون بالأقواس والسهام القوية ويمتطون ظهور الجمال في الشمال[٤]. أما في الشرق في جزر (البحر الأدنى) الخليج وما حولها فيتسلح العرب بما يتسلح به جيرانهم من الميديين من خوذ اللباد على الرأس، وقمصان مطرزة الأكمام وسراويل ودروع، ويتمنطقون بالخناجر حول خصورهم، ويحملون السهام والأقواس المرنة[٥]؛ ما يشير إلى امتلاك العرب آنذاك القوة العسكرية التي تحافظ على كيانهم، وتحول دون الاعتداء عليهم من قبل شعوب المنطقة وقبائلها المختلفة.

على أن النقوش واللوحات الآشورية قد أكدت -بعد الكشف عنها- صحة وصف هيرودوتوس لهيئة المقاتلين العرب، ومن ذلك لوحة آشورية تؤرخ بنحو ٦٥٠ ق.م وتظهر

---

(٣) لمياء الكيلاني وسالم الألوسي، *أول العرب من القرن التاسع وحتى السادس قبل الميلاد*، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٩م)، النصوص التاريخية، ٤٤-٥٧.

(٤) Herodotus, *The History*, VII: 69.

(٥) *تاريخ هيرودوت*، ترجمة: عبدالإله الملاح، مراجعة: أحمد السقاف- حمد صراي، (أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠١م)، ٥٢١.

مقاتلين من العرب يقفون أمام الجمال وهم يحملون الأقواس والسهام، بينما يصور نقش آشوري آخر المقاتلين العرب وهم يركبون الجمال ويحملون سهامهم وأقواسهم(٦).

ومن ناحية أخرى تفيدنا كتابات هيرودوتوس بأن هؤلاء العرب لم يكونوا خاضعين لحكم الإمبراطورية الفارسية التي سيطرت على أجزاء كبيرة من الشرق الأدنى القديم آنذاك(٧)، يؤكد ذلك أن الإمبراطورية الفارسية لم تفرض على الجزيرة العربية الجزية المقررة على شعوب وأقاليم المنطقة كافةً آنذاك، إلا أن العرب –على الأرجح– ربطت بينهم وبين الفرس علاقات ود وصداقة؛ حيث كان العرب يرسلون سنويًا هدية – عربون ود وصداقة– للملك الفارسي دارا الأول؛ وتتكون الهدية المذكورة من ألف وزنة من البخور الذي يستخدم في أغراض دينية ودنيوية(٨). الجدير بالذكر أن ديودور الصقلي أكد هذا الأمر –بعد ذلك– حيث أشار إلى استقلال العرب وعدم خضوعهم لأي احتلال أجنبي(٩). فالحرية هي من أهم الصفات التي يتصف بها العرب في نظر الكَتَبَة اليونان والرومان.

على أن أمر حرص العرب على علاقات الود والصداقة مع القوى المجاورة الكبرى في الشرق الأدنى القديم –دون تمكينها من بسط سيادتها على ممالك العرب القديمة– لم تكن وليدة عصر هيرودوتوس، حيث دلت النقوش الأشورية التي عُثر عليها بعد ذلك؛ ومنها ما ورد في بعض النقوش من أن السبئي يثع أمر والملكة العربية شمسي قد قدموا الهدايا من البخور والذهب للملوك الآشوريين محافظة على العلاقات الجيدة مع تلك الدول(١٠).

وبناءً على التحالف وعلاقات الود التي ربطت بين الفرس والعرب لجأ الفرس إلى ملك

---

(٦) ربرت هيلند، *تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام ٣٢٠٠ق.م - ٦٣٠ق.م*، ترجمة: عدنان حسن، (بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ٢٢٥-٢٢٦.

(٧) Herodotus, *The History*, III: 88.

(٨) Herodotus, *The History*, III: 97.

(٩) Diodoros Cicilus*, Diodoros Historiae*, tr. C.H. Old father, London, 1961, LCL, 19: 94, 95.

(١٠) جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٦م)، ١/ ٦٢٣.

العرب ليساندهم في حروبهم الطويلة في المنطقة[(١١)]، وذلك مرتين ؛ الأولى عندما أراد الملك الفارسي قمبيز غزو مصر في عصر الفرعون بسماتيك الثاني ، فطلب من العرب السماح له بالمرور عبر أراضيهم وإمدادهم بالجمال[(١٢)]، التي كانت تحمل قرب الماء الذي عرف العرب قيمته وابتكروا الوسائل المتنوعة لحفظه بعد استخراجه من باطن الأرض، بسبب جفاف مناطقهم وقلة أمطارها[(١٣)]. وهكذا طلب قمبيز من ملك العرب أن يوفر له طريق آمناً باتجاه مصر، ويقدم للجيش الفارسي المؤن والمياه .

على أن هيرودوتوس أكد في كتاباته أن دور العرب لم يكن وليد عصره وعصر الفرس ؛ وإنما بدأ العرب المشاركة في مجريات الأحداث السياسية في المنطقة منذ العصر الأشوري في عهد الملك سنحاريب وذلك في حروبه ضد مصر في القرن الثامن ق.م[(١٤)]، ثم الملك الآشوري أسرحدون خلال القرن السابع ق.م في غزوه لمصر خلال القرن السابع ق.م في عصر ملكها طهراقا[(١٥)].

ويعود هيرودوتوس ليؤكد مرة أخرى هذا الدور المهم للعرب في المنطقة باشتراكهم في جيش الملك الفارسي أحشويرش في غزوه لبلاد الإغريق في سنة ٤٨٠ ق.م حيث استعان بالعرب أو بفريق من الهجانة الذين كانوا يمتطون ظهور الجمال، وكان تعدادهم مع الآشوريين نحو عشرين ألف جندي. وربما كان منوطاً بهم حمل المؤن والعتاد الخاص بالجيش البري على ظهور الجمال في مؤخرة الجيش، إذ أنه ليس من المنطقي التسليم بأن سبب وجود فيلق الهجانة العربي في مؤخرة جيش الفرس –كما يرى هيرودوتوس– هو الخوف الذي يعتري الخيول عندما ترى الجمال[(١٦)]، حيث إن الرسوم الآشورية التي تتحدث عن معاركهم مع العرب في شمال الجزيرة

---

(١١) Herodotus, *The History*, III: 7.

(١٢) Herodotus, *The History*, III: 9.

(١٣) Diodoros Cicilus, *Diodoros Historiae*, 2: 48.

(١٤) Herodotus, *The History*, II: 141.

(١٥) مصطفى عبد العليم، *هيرودوت يتحدث عن العرب وبلادهم*، مجلة العصور، (لندن: دار المريخ، ١٩٨٧م)، المجلد الثاني، ١/١٧.

(١٦) Herodotus, *The History*, VII: 87.

تصور عادة الأشوريين وهم يمتطون جيادهم ويطاردون الجمال التي تفر من أمامهم، وعليها راكبوها من العرب وليس العكس[١٧]. ولعل هيرودوتوس تدارك هذا الأمر في الكتاب السابع في الفقرة الثالثة والثمانين عندما أشار إلى أن الجمال والدواب في أخر الجيش الفارسي كانت مخصصة لحمل الزاد، وذلك في معرض حديثه ووصفه للمعارك البرية الطاحنة التي دارت بين الفرس والمدن الإغريقية في بلاد اليونان[١٨].

ومما يدل على المكانة التي كان يحظى بها العرب عند الفرس، الذين قدروا أهمية دورهم في الجيش الفارسي المُعد لغزو الإغريق، أنهم أوكلوا قيادتهم إلى قادة كبار في جيوش الملك الفارسي؛ فالعرب المشاركون في الجيش الفارسي من شمال الجزيرة العربية مع الأثيوبيين كانوا تحت قيادة أرسياميس بن داريوس سِبط قوروش[١٩]، أما العرب في الشرق في جزر الخليج العربي وما حولها من المشاركين في الجيش الفارسي فقد عهد الملك أحشويرش بقيادتهم إلى القائد الفارسي ماردونيستيس بن باجويس[٢٠].

وهكذا أسهم هيرودوتوس في تقديم صورة واضحة تقريبًا عن عرب الجزيرة العربية خلال القرن الخامس قبل الميلاد، من حيث تنظيمهم السياسي والعسكري وقوة مراسهم حتى إن القوى الكبرى في المنطقة مثل الإمبراطورية الفارسية والمصريين لم تستطع السيطرة عليهم أو إخضاعهم.

ويصور هيرودوتوس لنا أيضًا جانبًا من الحياة الاجتماعية للعرب -السائدة في عصره- تشير إلى تقدمهم ورقيهم الاجتماعي آنذاك. فمن ناحية أشاد هيرودوتوس بأخلاق العرب وصفاتهم النادرة وذلك عندما تحدث عن تحالف الملك الفارسي قمبيز مع الملك العربي قبيل غزو الفرس لمصر، فأسهب هيرودوتوس في وصف حرص العرب على الوفاء بالعهد مهما كلفهم ذلك من ثمن؛ بل ووصف كيفية توثيق العهود بين الرجلين من العرب حيث ذكر أنهما يقفان وبينهما رجل ثالث، تنحصر مهمته بإتمام مراسم العهد؛ فيأخذ حجراً حادًا ويجرح به راحتي

---

(١٧) مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ١٦.

(١٨) Herodotus, *The History*, VII: 83.

(١٩) Herodotus, *The History*, VII: 69.

(٢٠) *تاريخ هيرودوت*، ٥٢١.

يدي الرجلين بالقرب من أسفل الإبهام ثم يأخذ بعض قطع الصوف من ثيابهما ويغمسها بدمهما ويلطخ بهما سبعة أحجار تقع بين الرجلين، وبينما يقوم بذلك يردد أسماء أشهر معبودات العرب الشماليين -على الأرجح- ديوسنيوس(العزى) واورانيا (اللات)، وبعد ذلك يقوم الشخص الذي أخذ على نفسه العهد بتأكيد عهده مع من تعاهد معه بأن يبلغ أصدقاءه وعشيرته ليحترموا عهده ويحافظوا عليه سواءً كان المُعاهد قريبًا أو غريبًا، ويختتم هيرودوتوس حديثه قائلاً : "ما من أمة تحترم العهود وتقدسها مثل العرب"[٢١]. وهكذا أثنى المؤرخ اليوناني على هذه الخصلة الجميلة التي تحلى بها العرب وحافظوا عليها حتى عصور الجاهلية التي سبقت الإسلام الذي جاء مشيدًا بها ومقرًا لها بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[٢٢]، وقال عز من قائل: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[٢٣].

وفي مواضع أخرى يتحدث هيرودوتوس في كتابه عن حب العرب للنظافة وحرصهم عليها. ويفصل ذلك في مظهرين اتسمت بهما الشخصية العربية عند هيرودوتوس الأول: تتمثل في التزام الزوجين -الرجل والمرأة- في علاقتهما الخاصة بالطهارة حيث يحرصان على الاغتسال والتبخر بالروائح العطرة، ويتجنبان مس الماء -ربما المعد للشرب- قبل الاغتسال من الجنابة[٢٤]. ويبدو أن هذا المظهر قد أخذه عنهم البابليون بعد ذلك. والثاني: يكمن في تأكيد هيرودوتوس أمر حرص الرجال على حلاقة شعورهم بشكل دائري، وحلاقة شعر جانبي الوجه مشبهاً إياهم بالمعبود ديونيسس[٢٥]. ومما لاشك فيه أن التخلص من الشعر الزائد -حتى لو كان بدافع ديني- لاسيما شعر الرأس يحافظ على نظافة الشخص وحماية رأسه، من الأتربة التي تتسم بها صحاري الجزيرة العربية، ومن ثَمَّ تراكم القاذورات، ومن ثم تكاثر القمل.

وأخيرًا يقدم لنا هيرودوتوس في كتاباته في معرض حديثه عن مشاركة العرب في جيش الملك الفارسي أحشويرش المعد لغزو الإغريق وصفًا مختصراً مبسطاً وافياً عن لباس العرب في

---

(٢١) Herodotus, *The History*, III: 8.

(٢٢) القرآن الكريم: الإسراء: ٣٤.

(٢٣) القرآن الكريم: الرعد: ٢٠.

(٢٤) Herodotus, *The History*, I: 198.

(٢٥) *تاريخ هيرودوتوس الشهير*، ترجمة: حبيب أفندي، (بيروت: ١٨٨٦- ١٨٨٧م)، ٣: ٨.

شمال وشرق الجزيرة العربية، فهم في الشمال يرتدون ثيابًا طويلة، أو عباءة تجمع إلى الوسط بحزام عريض، بينما يتركون شعورهم منسدلة إلى الكتفين، أما العرب في الشرق من سكان جزر الخليج العربي وما حولها فهم يرتدون قمصاناً مزخرفة عند الأكمام وسراويل وأحزمة تربط حول الخصور متأثرين في ذلك بلباس جيرانهم من الميديين[٢٦].

ومما تجدر الإشارة إليه بصدد وصف هيرودوتوس الموجز الوافي للباس العرب أن اللوحات المكتشفة حديثا في الجزيرة العربية تؤكد ما ذكره هيرودوتوس حول ذلك، ومن بينها لوحة تصور شخصاً عربياً ظهر وهو يرتدي عباءة طويلة[٢٧]، ومن مقبرة الملك العربي معاوية بن ربيعة –أحد ملوك الفاو– يمكن الاستدلال على بعض الملابس حيث يدل التمثال المذكور على أنه كان يرتدي رداءً يمتاز بكثرة الثنيات، ويلبس فوقه رداء آخر يبدو أنه كان مفتوحاً من الأمام –يماثل العباءة حالياً– وقد لف أحد طرفيه على الكتف اليمنى كما يظهر من خلال نحت التمثال[٢٨]، وأخيرًا تؤكد أثار الجزيرة العربية من لوحات وتماثيل أن الثياب التي كان يرتديها الرجال في الجزيرة العربية القديمة إجمالًا كانت إما طويلة كاسية مزخرفة عند الطرفين وفي الوسط وعند نهاية الكمين[٢٩]، أو عبارة عن قميص وتحته نقبة تشد إلى الخصر بحزام عريض، كما ظهرت شعورهم وقد انسدلت على الكتفين[٣٠]، ما يشابه هيئتهم التي وردت عند هيرودوتوس.

وهكذا قدم لنا هيرودوتوس جوانب مهمة عن حياة العرب السياسية والاجتماعية خلال القرن الخامس قبل الميلاد، لم تتوافر في مراجع أخرى عدا كتاباته التي كانت نواة لاهتمام الإغريق بالجزيرة العربية وجغرافيتها ومحاصيلها المقدسة –من وجهة نظر القدماء– وسكانها

---

(٢٦) *تاريخ هيرودوت*، ٥١٨ - ٥١٩.

(٢٧) ربرت هلمند، *تاريخ العرب في جزيرة العرب*، ٤٤.

(٢٨) عبدالرحمن الأنصاري، *قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام*، (الرياض: جامعة الرياض، ١٤٠٢هـ)، ١٧.

(٢٩) عبدالعزيز صالح، *تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة*، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧م)، ٩٥؛ سابينا أنطوني، *الصور: الآلهة والبشر والحيوانات من اليمن في بلاد ملكة سبأ*، ترجمة: بدر الدين العردوكي، (دمشق: معهد العالم العربي، ١٩٩٩م)، ١٥٧.

(٣٠) كريستيان روبان، *تأسيس إمبراطورية السيطرة السبئية على الممالك الأولى من اليمن في بلاد سبأ*، ترجمة: بدر الدين العردوكي، (دمشق: معهد العالم العربي، ١٩٩٩م)، ٩٢.

وعاداتهم وتقاليدهم، ومن ثَمَّ قدم هيرودوتوس للإغريق ومن ثم الرومان معلومات وافية عن الجزيرة العربية وسكانها في مختلف جوانب حضارتها بعد أن كانت عالمًا مغلقًا ومغلفًا بالغموض والأساطير قبل عصر هيرودوتوس.

أهم نتائج هذه الدراسة تتمثل فيما يأتي:

أولاً: من الناحية السياسية:

١. وجود العرب كياناً سياسياً في عصر هيرودوتوس.
٢. مشاركة العرب في أحداث الشرق الأدنى خلال القرن الخامس قبل الميلاد.
٣. امتلاك العرب القوة العسكرية اللازمة لحفظ وجودهم السياسي والاقتصادي في عصر هيرودوتوس.
٤. محافظة العرب على استقلالهم مع وقوع مناطقهم بين أقوى الدول آنذاك مصر غربًا وفارس شرقًا.
٥. إدراك ملوك الفرس لأهمية العرب في المنطقة ومن ثَمَّ عقد التحالفات معهم كما حدث في عهد الملك الفارسي قمبيز.
٦. اشتراك العرب في جيش الملك الفارسي أحشويرش في غزوه لبلاد الإغريق في سنة٤٨٠ق.م تقريبًا.
٧. تقدير الفرس للعرب في الجيش الفارسي من خلال إسناد قيادة الفرقة التي تضمهم لكبار القادة في الجيش الفارسي مثل: أرسياميس بن داريوس حفيد قوروش.

ثانيًا: من الناحية الاجتماعية:

١. حرص العرب على الوفاء بالعهد وتأكيده بين المتعاهدين بطريقة عملية تقوي الصلة بين المتعاهدين وتلزمهما بالمحافظة عليه مدى الحياة .
٢. حب العرب للنظافة والحرص عليها باستخدام الماء والروائح الطيبة مثل البخور وحلاقة شعر الرأس والصدغين.
٣. اختلاف اللباس بين العرب – في عصر هيرودوتس– بين شمال وشرق الجزيرة العربية باختلاف البيئة التي يعيشون فيها.

التضحية بالبشر بين الجزيرة العربية والأساطير اليونانية

حسين الشيخ

تدور هذه الدراسة حول ظاهرة التضحية بالبشر في الأساطير اليونانية والعهد القديم ومدى ارتباط ذلك بالجزيرة العربية[١].

وقد يجدر في البداية الإشارة إلى أنه يكاد يكون من المتفق عليه بين أغلب المتخصصين في الأساطير اليونانية، أن التضحية بالبشر نادراً ما مورست فعلياً في طقوس العبادات، وإن ظهرت بكثرة في الأساطير. وطبقاً لأفلاطون فقد اعتبر الإغريق التضحية بالبشر عملاً بربرياً ودنسا[٢].

---

(١) كانت بداية هذه الدراسة هي عبارة وردت في سياق تحليل أحد مؤرخي الدراما اليونانية لمسرحية يوربيديس الشهيرة "إفيجينيا في أوليس"، حيث قال: "إن مشهد التضحية بإفيجينيا يذكر المرء بقصة التضحية بإسحق في العهد القديم، ويبدو أن مثل هذه الأساطير قد وضعت لتفسر نبذ عادة التضحية بالبشر". CF. Harsh, *A Handbook Of Classical Drama*, Stanford University Press, 1948, 247، وقد أثارت هذه العبارة العديد من التساؤلات عن أوجه الشبه بين الحادثتين وأسباب هذا التشابه ومغزاه إن وجد. وفي نفس الاتجاه كانت هناك محاولة سابقة لمقارنة فكرة الحياة والموت وقصة الفيضان (الطوفان)، في كل من ملحة جلجامش والعهد القديم، قارن: Alexander Heidel, *The Gilgamish Epic and Old Testament Parallels*, Phoenix Books, The University Of Chicago Press, 1970, 137–269.؛ ثم المحاولة الأحدث في: D. E. Avne, *Greco – Roman Literature and the New Testament*, Teubner, Stuttgart, 1990.

(٢) Plato, Minos, 315. ويبدو أن عادة التضحية بالبشر في اليونان قد ارتبطت بشكل ما بعبادة الإلهة "أرتمس" إلهة الصيد، حيث يحدثنا المؤرخ والجغرافي "باوسانياس" عن أهل باتراي في إقليم أخايا باليونان الذين ربطوا عبادة إلهتهم أرتمس بطقس بربري من التضحية بالبشر (III, 24, 3; VII, 19, 3-9)؛ CF. W. K. Guthrie, *The Greeks and their Gods*, London, Methuen 1950, 163; =

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٤١–٥٠

أما فيما يخص اليهود فيبدو أن الوضع كان مختلفاً، فطبقاً للتوراة قدم ملك مؤاب (ميشع)، ابنه البكر قرباناً للإله (شمش)، لينقذه من قوات إسرائيل ويهوذا التي حاصرته (سفر الملوك "ثان" - ٣: ٢٧)، ويبدو أن هذه العادة قد استمرت حتى نزول التوراة، كما يتضح من سفر الخروج، حيث يحرم الله على بني إسرائيل أن يعطوا أبكار أبنائهم قرباناً (الخروج ٢٢ : ٩)، وفي سفر اللاويين ينص على رجم من قدم ابنه قرباناً لإله العمونيين (لاويون ١٨ : ٢١، ٢٠، ٢)، وربما استمرت هذه العادة حتى عصر النبي أرميا (٦٢٧ - ٥٧٧ ق.م)، والذي يعيب على بني إسرائل أنهم: "بنوا المرتفعات ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار" ثم النبي أشعيا الذي يقول لبني إسرائيل: "يابني الساحرة، نسل الفاسق والزانية، القاتلون الأولاد تحت شقوق المعاقل" (أشعيا ٥٧ : ٣ - ٥)[٣].

وعودة إلى الأساطير اليونانية ففي أسطورة إفيجينيا[٤] تنبأ عرافو اليونان أن سفن الحملة العسكرية الإغريقية ضد مدينة طروادة لن تبحر من ميناء أوليس، إلا بعد التضحية بإفيجينيا قرباناً

=Martin Nilsson, *A History of Greek Religion*, Translated by, F. J. Fielden, Oxford 1925, 59. الذي يؤكد على فكرة ندرة ممارسة هذه العادة في الواقع رغم ظهورها بكثرة في الأساطير، وعن التضحيات بشكل عام راجع: R. K. Yerkes, *Sacrifice in Greek and Roman Religion and Early Judaism*, London, 1952

(٣) قارن محمد بيومي مهران، *دراسات تاريخية من القرآن الكريم*، في بلاد العرب، (بيروت ١٩٨٨م)، ١٧٨/١ - ١٨٠.

(٤) هي ثالث أو رابع بنات إجاممنون أحد أبرز زعماء حملة الإغريق ضد مدينة طروادة لاستعادة أميرتهم "هيلين". راجع: Louis Sécham, Le Sacrifice d' Iphigenie, *Revue des Etudes Gréques*, Tome XLIV (1981) 379-80 et n. 9. ؛ والذي يلاحظ أيضاً عدم تعرض هوميروس لقصة التضحية بإفيجينيا، لأن هذا -في رأيه- يتعارض مع الجلال والعظمة التي أضفاها هوميروس على أجاممنون، ويؤيد هذا بعدم تعرض الشاعر أيضاً لقصة مقتل أجاممنون على يد زوجته كلتيمنسترا وعشيقها إيجيثوس، أو ربما -في رأيي المتواضع- لعدم معرفة الشاعر بقصتي التضحية والقتل وعن إفيجينيا في الأدب اليوناني واللاتيني أيضاً قارن: A, Ag, 184 FF, 1526; Soph, El, 569; Eur, EL, 1023; Iph. T, 10-30, 783; Iph. AuL, 1540 FF; Schol, Ar, Lys, 645; Ov, M, 12, B, 27 Sq; Hyg, Fal, 98 and 120; Cic, Tusc, I, 48, 146; Pro, 3, 7 (4-6), 24; Juv, 12, 119; Luc, I, 82- 86. والذي يستغل قصة التضحية بإفيجينيا للتدليل على أن الديانة اليونانية القديمة تخرج لليونان والرومان على حد سواء أفعالاً دنسة.

للآلهة، فتُستدرج إفيجينيا إلى أوليس بزعم زواجها من إخيليس البطل الأسطوري[٥]، وتكاد أن تتم عملية التضحية، إلا أن الإلهة "أرتمس" تتدخل وتنقذ إفيجينيا من الموت.

وقد ظهرت القصة (الأسطورة) بشكلها المتكامل هذا لأول مرة في ما يعرف باسم "القصيدة القبرصية" Ta Koupria، والتي يعود تاريخ نظمها إلى الفترة ما بين القرنين السابع إلى السادس ق.م، وعرفها كل من هيرودوت ويوربيديس وأرسطو[٦].

ورغم أن التضحية بإفيجينيا قد جاء ذكرها عند "إيسخيلوس"، في مسرحيته "أجاممنون"، وعند "سوفوكليس" في مسرحيته "اليكترا"، وعند "يوربيديس" في مسرحيته "إفيجينيا بين التاوريين"[٧]. إلا أن مسرحية "إفيجينيا في أوليس "ليوربيديس تظل هي العمل الدرامي الوحيد تقريباً الذي أورد القصة بكل تفاصيلها الدقيقة، والتي يبدو منها أن يوربيديس قد تبنى كل تفاصيل القصة التي وردت في القصيدة القبرصية[٨]، فعندما تتصاعد الأحداث المسرحية لتصل إلى ذروتها المتمثلة في التضحية بإفيجينيا يحكي يوربيديس أن افيجينيا خاطبت أباها قائلة:

يا أبي، ها أنا ذي (ممتثلة) للمطلوب (مني)

أقدم جسدي لوطني، ولكل أرض اليونان

لتقودني إلى مذبح الربة طواعية

وتضحي بي طالما هذه إرادة السماء[٩]

ويستمر يوربيديس في وصف إجراءات التضحية بإفيجينيا قائلاً:

ثم أمسك الكاهن بالسكين وقام بتلاوة صلاة

---

(٥) حيث يسمي أجاممنون اخيليس زوج ابنته Homer., I1., IX, 145, 287؛ قارن أيضاً: Eur, Iph. T, 29-30;. حيث تدعوه كليتمنسترا بنفس الصفة (زوج إبنتها) Iph. Aul., 835-6.

(٦) G. Kinkel, *Epicorum Graecorum Fragmenta* (E. G. F.) 1877; CF. Hdt., II. 117; Aristot., Po. 1459, B. 2

(٧) Aeschyl, Ag, 194 sq; Soph, EL, 569sq; Eur, Iph. T. 10sq.

(٨) Eur, Iph. Aul, 1540. sq.

(٩) Eur, Iph. Aul, 1552 - 56

واختبر عنق افيجينيا ليعرف أين يضرب بسكينه

إلا أنه وأمام الأعين ظهرت معجزة مفاجئة

فقد سمع بوضوح صوت انفجار، واختفت افيجينيا

وفي نفس البقعة استلقى على الأرض وعل ضخم أرسلته الآلهة، لم ير مثله في الجمال، وقد سال دمه على مذبح الآلهة[١٠].

وتثير المقتطفات السابقة عدة ملاحظات أهمها:

١. سبب التضحية بإفيجينيا: وهو هنا إرادة الآلهة التي تجلت في رؤية يراها واحد من البشر، وهو هنا العرّاف "كالخاس"[١١].

٢. طقوس التضحية ومستلزماتها: صلاة يتلوها الكاهن والمذبح والسكين[١٢].

٣. مكان التضحية: ميناء أوليس أو ميناء براورون شرق أتيكا[١٣].

٤. موقف الضحية: الانصياع لإرادة الآلهة وتقبل الأمر بطواعية تامة.

٥. المحصلة النهائية للموقف: إحلال الآلهة لأضحية حيوانية بدلاً من الأضحية البشرية -غالباً وعل- وإنقاذ إفيجينيا من الموت.

وانطلاقاً من المقولة الأولى حول قصة التضحية بإفيجينيا والتي قد تعيد إلى الذهن قصة التضحية بإسماعيل (أو إسحق كما هو في التوراة)[١٤]. قد تحسن الإشارة هنا إلى ما جاء في التوراة

---

(١٠) Eur, Iph. Aul, 1578 – 1589. ويبدو أن مشهد التضحية هذا كان من الموضوعات المفضلة للفنانين القدامى، فالمصور تيمانثيس المعاصر ليوربيديس كان قد صور هذا المشهد محاولاً تأكيد مشاعر الحزن التي تظهر على وجه أجاممنون، ونجد وصفاً كاملاً لهذا المشهد عند شيشرون وبليني Cicero, Orator, 74; Pliny, 35, 73; CF. Harsh, op. cit, 246-7.

(١١) Eur, Iph, Aul, 89-93.

(١٢) Eur, Iph. Aul, 1470-2.

(١٣) Schol. Aristoph, lys. 645.

(١٤) ليس من بين أهداف هذا البحث تحديد شخصة الذبيح في التوراة، وهل هو إسماعيل أم إسحق. وحول التضحية بالبشر في الجزيرة العربية، فيبدو أنها كانت معروفة فيما قبل الرسول محمد عليه الصلاة=

بشأنه، فتقول التوراة في سفر التكوين (٢٢: ١-٢ ، ٢٢ : ٩-١٣): " وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم[١٥]، فقال له: يا إبراهيم، فقال: ها أنذا. فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب به إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك"[١٦].

"فلما أتيا إلى الموضع الذي قال الله، بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء، وقال: إبراهيم إبراهيم، قال هاأنذا، فقال لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف من الله فلم تمسك إبنك وحيدك عني، فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقه عوضاً عن ابنه"[١٧].

وتبرز هذه المقتطفات من التوراة عدة ملاحظات أخرى أهمها:

١. سبب التضحية بإسماعيل (أو إسحق حسب التوراة)، هو إرادة الله التي تجلت في رؤيا لواحد من البشر (إبراهيم عليه السلام)[١٨].

=والسلام، فقد نذر عبدالمطلب لله إن أعطاه عشرة ذكور أن يذبح أحدهم قربانا له، وبعد ما حدث أن استجاب الله لدعائه ورزقه بالذكور العشرة، حاول أن يقرب لله عبدالله أبا الرسول عليه الصلاة والسلام، فرفض العرب حتى لا تكون سابقة وعادة من الآباء للأبناء، واحتكموا إلى كاهنة معروفة، فضربوا بالقدح (أي أجروا القرعة)، حتى تم افتداء عبد الله بمائة من الإبل. راجع: عبدالعزيز غنيم، *لحظات مع الذبيح وأبيه*، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٢م)، ٩٣ — ٩٤؛ وروي عن معاوية أن رجلاً قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: "يا إبن الذبيحين"، (أي إسماعيل وعبدالله)، فضحك ﷺ. راجع: ابن كثير، *قصص الأنبياء*، (القاهرة: مكتبة الدعوة بالأزهر)، ١٦١.

(١٥) سفر التكوين: ٢٦٠١١ ، ٢٥ ، ١٠ . وفي الغالب ولد إبراهيم في وادي الرافدين حوالي ٢٠٠٠ -١٩٠٠ ق.م. .Cf. Collier 's Encyclopedia, Macmillan, New York 1985. وعن حياة إبراهيم عليه السلام بالتفصيل راجع: Charles Pfeiffer, *The Biblical World*, Bonanza Books, New York, pp.13-16; James Sanders, *Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century*, Double, New York 1970, XX-XXI.

(١٦) سفر التكوين، ٢٢ : ١-٢، وغالباً فأرض المريا (المورية)، هي قرية المروة من قرى بني عبد شحب بالقرب من منطقة القنفذة جنوب مكة المكرمة. راجع: كمال الصليبي، *التوراة جاءت من جزيرة العرب*، (بيروت: ١٩٩١م)، ٢٣٣ - ٢٤١.

(١٧) سفر التكوين، ٢٢ : ٩ -١٣.

(١٨) سفر التكوين، ٢٢ : ١-٢ ؛ سورة الصافات: ١٠١ - ١٠٢.

٢. طقوس التضحية ومستلزماتها: المذبح والنار والسكين[١٩].

٣. مكان التضحية: مختلف عليه[٢٠].

٤. موقف الضحية: الانصياع لإرادة الله وتقبل الأمر بطواعية تامة[٢١].

٥. المحصلة النهائية للموقف: استبدال الأضحية البشرية بأمر من الله بأضحية حيوانية ،وهو هنا كبش[٢٢].

وإذا وضعنا هذه الملاحظات جنباً إلى جنب مع ما سبق ومع ما لاحظناه في قصة التضحية بإفيجينيا، لوجدنا أن التطابق يكاد يكون تاماً، مما يجعلنا نستبعد إمكانية الصدفة أو توارد الخواطر، ومع ملاحظة أن التاريخ التقريبي لإبراهيم عليه السلام، ومن ثم إسماعيل (أو إسحق في التوراة)، يعود إلى ما بين ٢٠٠٠ – ١٩٠٠ ق.م، وأن قصة التضحية بإفيجينيا ظهرت لأول مرة في القصيدة القبرصية التي تعود إلى ما بين القرنين السابع إلى السادس ق.م، تبرز لنا إمكان تأثر مؤلف هذه القصيدة (ومن ثم يوربيديس الذي أخذ عنه)، بقصة التضحية، بإسماعيل (أو اسحق في التوراة).

وهنا يطرح السؤال الطبيعي نفسه: كيف حدث هذا التأثر، وبمعنى آخر كيف ومتى انتقلت القصة من الجزيرة العربية إلى قبرص؟

بداية نذكر بأن قصة التضحية بشكلها الشرقي وردت بتفاصيلها في سفر التكوين من العهد القديم[٢٣]، أما بشكلها الغربي فقد وردت في القصيدة القبرصية –التي يعود تاريخها إلى ما بين القرنين السابع والسادس ق.م– مما يبرر بعض التوقف عند قبرص مَهْد تلك القصيدة، وهي الجزيرة التي خضعت مؤقتًا في القرن الخامس عشر ق.م للسيادة المصرية، ثم حوالي القرن

---

(١٩) سفر التكوين، ٢٢ : ٦.

(٢٠) راجع فيما سبق حاشية (١٦).

(٢١) سفر التكوين، ٢٢: ٩ - ١١؛ سورة الصافات ١٠١– ١٠٢.

(٢٢) سفر التكوين، ٢٢: ١٣.

(٢٣) ربما في القرن العاشر ق.م تم تحرير أول نص للتوراة وعرف بالرواية اليهودية والتي تشكل أسفار موسى الخمسة (التكوين– الخروج – اللاويين – العدد – التثنية)، راجع: موريس بوكاي، *دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة والعلم*، (بيروت: ١٩٩١م)، ٢٣– ٢٤.

التاسع ق.م استعمر الفينيقيون مدينة كيتيون، وحتى القرن الرابع ق.م كان الفينيقيون قد سيطروا على معظم أجزاء الجزيرة[٢٤].

ومن ناحية أخرى فإن الاتصال المباشر بين سكان شبه الجزيرة العربية (موطن القصة بشكلها الشرقي)، والإغريق لم يحدث قبل أواخر القرن الخامس ق.م، أما الاتصال غير المباشر فقد حدث منذ أواسط الألف الثاني ق.م عن طريق الوسطاء وأهمهم الفينيقيون[٢٥].

أما العلاقة بين سكان شبه الجزيرة العربية والمصريين فتعود إلى فترات أسبق بكثير من عهد الدولة الحديثة، أي فيما قبل منتصف الألف الثاني ق.م، وذلك عبر طريقين: الأول هو الشمال الشرقي، أي عبر شبه جزيرة سيناء، والثاني جنوبي عند مضيق باب المندب عبر إريتريا والصومال، ثم شمالاً حتى صحراء مصر الشرقية[٢٦].

وعادة ما تبدأ هذه العلاقات المتبادلة بشكل تجاري مباشر أو غير مباشر، عن طريق بعض الوسطاء التجاريين (وأهمهم في المنطقة كان الفينيقيون). وكما هو معروف فقد اشتهرت شبه الجزيرة العربية بالتجارة، أو الوساطة التجارية، في الطيوب والتوابل والعطور، والوساطة في تجارة مهمة كهذه لا تقتصر بالطبع على مجرد نقل هذه المواد، بل يصاحبها في العادة نقل لأخبار مواطن هذه المواد، ولا شك أن المعلومات الأولية التي تجمعت لدى الإغريق ، مثلاً ، عن سكان شبه الجزيرة في كل ما يتعلق بهم، كانت نتيجة لما رواه الوسطاء الفينيقيون عنهم[٢٧].

---

(٢٤) يذكر أحد النقوش التي عثر عليها في الجزيرة أن حاكم إحدى المدن (؟)، يطلق على نفسه لقب (خادم أحيرام ملك الصيدونيين)، وربما كانت هذه المدينة هي كيتيون. راجع: محمد أبو المحاسن عصفور، *المدن الفينيقية*، (بيروت: ١٩٨١م)، ٥٩.

(٢٥) رسمية محمد شاكر خيري، *تجارة شبه الجزيرة العربية وعلاقتها مع مصر في العصر الهللينستي*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الملك سعود، ١٤٠٧هـ، ١١١؛ راجع: لطفي عبدالوهاب يحيى، *الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية*، (دراسات في تاريخ الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، جامعة الرياض، ١٩٧٩م)، ٥٥/١ وما بعدها والحاشيتين ١، ٢؛ ثم قارن: سيد الناصري، *المصريون والعرب وعلاقتهم بإفريقيا في العصور القديمة*، (القاهرة: دار النهضة، ١٩٩٠م)، ٢٦ وما بعدها.

(٢٦) الناصري، المرجع السابق، ١١ وما بعدها؛ قارن: خيري، المرجع السابق، ١١٣-١١٨.

(٢٧) راجع: يحيى، المرجع السابق، ٥٥ وما بعدها؛ CF. Hdt., III, 5, 7, 8, 107, 108, 110, 113.

من هذا نخلص إلى أن القصة قد انتقلت من مكان حدوثها في غرب شبه الجزيرة العربية -باعتبارها تراثا توراتيا- إلى قبرص عن طريق غير مباشر، مما يطرح ثلاثة احتمالات لهذا النقل:

١. من وسط غرب شبه الجزيرة العربية إلى الجنوب عبر مضيق باب المندب وصولاً إلى مصر بمحاذاة الساحل الغربي للبحر الأحمر ومن ثم إلى قبرص.

٢. من وسط غرب شبه الجزيرة العربية شمالاً عبر شبه جزيرة سيناء إلى مصر، ومن ثم إلى قبرص.

٣. من وسط غرب شبه الجزيرة العربية شمالاً بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر وحتى الساحل الفينيقي، ومن ثم إلى قبرص.

فيما يخص الاحتمالين الأول والثاني، عن انتقال القصة إلى قبرص عن طريق مصر، سواء دخلت هذه القصة من الجنوب أو الشمال فتوجد عدة نقاط قد تجعلنا نغض النظر عنها:

أولاً: من ناحية البعد الزمني، يفترض أن الفترة التي كان من الممكن أن تنتقل فيها القصة من غرب شبه الجزيرة العربية إلى قبرص عبر مصر، (أي من تاريخ حدوثها وحتى ظهور القصيدة القبرصية)، تحتل مساحة زمنية طويلة نسبياً، من القرن التاسع عشر ق.م وحتى القرن السابع أو السادس ق.م، ما يعرضها للتحريف بالحذف أو الإضافة، ما لم تكن قد انتقلت كتابة.

ثانياً: لم تدم السيطرة المصرية على جزيرة قبرص عبر هذه المساحة الزمنية الطويلة، إلا فترة قصيرة، مؤقتة خلال القرن الخامس عشر ق.م.

ثالثاً: التطابق الغريب بين القصة بشكليها التوراتي والقبرصي - فيما عدا تغيير شخصية الذبيح وأبيه، كي ينسجم مع العقلية القبرصية أو اليونانية فيما بعد، قد يطرح هنا احتمال انتقال القصة كتابة، ولما كان سفر التكوين لم يكتب قبل القرن العاشر ق.م، لذا فالغالب أن القصة قد انتقلت فيما بعد، أو خلال، هذه الفترة، ويؤكد هذا أن هوميروس لم يكن على علم بهذه القصة، فلم يشر إليها إطلاقاً، رغم تعرضه لبعض شخصياتها مثل أجاممنون وإفيجينيا نفسها[٢٨].

---

[٢٨] راجع فيما سبق حاشية (٤).

وبغض النظر عن الاحتمالين الأول والثاني، يبقى لنا الاحتمال الثالث، وهو القائل بانتقال القصة من وسط غرب شبه الجزيرة العربية شمالاً بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر حتى الساحل الفينيقي، ومن ثم إلى قبرص، والذي تدعمه عدة نقاط وهي:

١. لم يقتصر وجود السفن الفينيقية على السواحل الشرقية للبحر المتوسط، وإنما اتخذوا لهم أسطولاً في البحر الأحمر، وجلبوا من المناطق المطلة عليه الذهب والعاج بكميات كبيرة[٢٩].

٢. حوالي القرن التاسع ق.م، استعمر الفينيقيون مدينة "كيتيون"، في جزيرة قبرص، وحتى القرن الرابع ق.م، كان الفينيقيون قد سيطروا على معظم أجزاء الجزيرة[٣٠].

٣. الوجود الفينيقي المكثف في أقصى شمال غرب شبه الجزيرة وفلسطين من خلال العلاقة التي قامت بين أحيرام ملك صور (٩٨٠ – ٩٤٧ ق.م)، وبين ملوك إسرائيل: داوود (حوالي ١٠٠٩ – ٩٧٤ ق.م)، وسليمان (حوالي ٩٦٠– ٩٢٥ ق.م)، فعندما اختار داوود قلعة "اليبوسين" (أورشليم)، وأطلق عليها "مدينة داوود"، بني فيها قصره الملكي على أيدي معماريين من أهل صور بمساعدة ملكها أحيرام، وبصداقة داوود مع أحيرام بدأت العلاقة بين المملكتين، وتوطدت دعائمها في عهد سليمان[٣١]، الذي اعتمد هو الآخر على أحيرام في تشييد الهيكل والقصر الملكي، وبالمقابل استخدم أحيرام طريقاً جديداً للتجارة مع العرب وأفريقيا عبر فلسطين بدلاً من الطريق القديم عبر مصر[٣٢].

---

[٢٩] سفر الملوك أول ١٠ : ٢٢؛ سفر الأيام ٨ : ١٧، ٩ – ٢٧؛ عصفور، المرجع السابق، ١١٧.

[٣٠] راجع فيما سبق حاشية (٢٤).

[٣١] حسن ظاظا، *القدس مدينة الله أم مدينة داوود*، (الإسكندرية: ١٩٧٠م)، ١٧- ١٨؛ قارن: محمود المراغي، *أشعيا، نبي بني إسرائيل، وأزمة الكيان اليهودي القديم*، (بيروت: ١٩٩٢م)، ٣١ - ٣٢.

[٣٢] الاعتماد في بناء هيكل سليمان وقصره على المهارات الفينيقية الفنية دون غيرها، كما جُلبت الخامات الضرورية من مدينة صور الفينيقية (سفر الأيام الثاني: ٤ : ١١)، ولم يكن لبني إسرائيل إلا الخدمة والتسخير في قطع الأخشاب ونقلها إلى مكان البناء. ويبالغ العهد القديم في تصوير ذلك (إذ بلغ عدد المسخرين ثلاثين ألفا من جميع رجال بني إسرائيل، يرسلهم بالتناوب إلى لبنان لقطع الأخشاب، وسخر سبعين ألفاً يحملون أحمالاً، وثمانين ألفاً يقطعون أحجاراً من الجبل، ما عدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل، ثلاثة آلاف وثلاثمائة من المتسلطين على الشعب العاملين العمل)، سفر الملوك الأول: ٥ : ١٣- ١٧؛ قارن المراغي، المرجع السابق، ٣٦ – ٣٧؛ أي أن العدد قد تجاوز المائة والثمانين ألفاً من =

ومن هذا نخلص إلى أن حادث التضحية بإسماعيل، والذي وقع غالباً في الفترة بين القرنين العشرين إلى التاسع عشر ق.م قد ترسخ في الوجدان العربي القديم، وأصبح جزءاً من التراث العربي، وحوالي القرن العاشر ق.م أضاف الإسرائيليون هذا الحدث إلى توراتهم بحجة أن الذبيح كان اسحق، ومن ثم أصبح جزءاً من التراث الإسرائيلي أيضاً.

وقد كان للعلاقات الدولية المتشابكة في المنطقة، بين كل من ملوك إسرائيل وفينيقيا، وعرب شبه الجزيرة العربية، نتائجها في فتح طريق تجاري جديد يمر من صور عبر فلسطين، إلى غرب شبه الجزيرة العربية وصولاً إلى جنوبها. وعبر هذا الطريق نقترح أن قصة التضحية بشكلها العربي القديم (حيث الذبيح هو إسماعيل)، أو حتى بشكلها الإسرائيلي (حيث الذبيح هو إسحق)، قد انتقلت إلى الساحل الفينيقي عبر فلسطين، ومن ثم نقلها الفينيقيون إلى مستعمرتهم في "كيتيون" بقبرص حيث تلقاها الشاعر القبرصي ليقصها شعراً كما هي -فيما عدا تغيير شخصيتي الذبيح وأبيه بشخصيات مألوفة للمتلقي القبرصي أو الإغريقي- وفيما بعد اعتمدها يوربيديس الشاعر الأثيني موضوعاً لمسرحيته الشهيرة "إفيجينيا في أوليس".

=العمال، وهو عدد ضخم جداً مقارنة بحجم العمل المتواضع الذي قاموا به. هـ. ج. ويلز، *معالم تاريخ الإنسانية*، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، (القاهرة: ١٩٥٦م)، ٢/ ٢٩٥؛ قارن: جوستاف لوبون، *اليهود في تاريخ الحضارات الأولى*، ترجمة: عادل زعير، (القاهرة: ١٩٧٠م)، ٤٦.

تاريخ اليونانيين في كتابات المسعودي

عبدالعزيز بن صالح الهلابي

المسعودي هو أبو الحسن علي بن الحسين من أحفاد الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود (ت ٣٣هـ/٦٥٢م) من قبيلة هذيل التي كانت تسكن في أطراف مكة شرفها الله، بينها وبين المدينة، وظل معظم من لم يهاجر من القبيلة إلى خارج الجزيرة العربية يسكنون في نفس المواطن حتى الوقت الحاضر.

ولد المسعودي ببغداد سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦ م وعاش شبابه وتلقى تعليمه بها، ولا نعرف عن حياته المبكرة سوى ما يذكره هو في ثنايا كتبه وهو قليل. قضى المسعودي جل حياته في القراءة والتأليف والترحال حتى أطلق عليه بعض الدارسين المحدثين لقب: هيرودتس Herodotus العرب.

لا نعرف المهنة التي كان يكسب منها عيشه، وأول ما يخطر على البال أنه كان يشتغل بالتجارة؛ لكن كثرة ترحاله بين البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، وانكبابه على القراءة والتأليف، وكثرة مناظراته مع العلماء المسلمين واليهود والنصارى والصابئة والزرادشتيين تقود إلى استنتاج أمرين، الأول: أن لا وقت لديه للعمل بالتجارة، والثاني: أنه كان يعيش في يسر من العيش مكنه من القيام بالرحلات والتفرغ للقراءة والتأليف. ولا يوجد في ثنايا كتبه ما يشير إلى اتصاله بأمراء البلدان التي زارها أو استقر بها حتى يسترفدهم بشيىءٍ من المال.

انتهى التطواف بالمسعودي إلى الإقامة بالفسطاط عاصمة إقليم مصر في ذلك الوقت، وقد يكون وصلها سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م وكان حكامها الإخشيديين في ذلك الوقت، وظل بها حتى وفاته سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٥١–٧٠

يمكن الاستنتاج أنه لم يكن معروفا كثيرا إبان حياته وبعد مماته في الأوساط العلمية، ولم تحفل به بدليل أن مؤلف "كتاب الفهرست" محمد بن إسحاق النديم المتوفى ببغداد سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م كان يجهل المسعودي، حيث ذكر في الأسطر القليلة التي ترجم له بها "أنه من أهل المغرب"[١] كما أني لم أجد له ترجمة في "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وكذلك عند ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) في "وفيات الأعيان" رغم أنه اقتبس منه ١٩ مرة، على أن الكتبي يقتبس ترجمته عن الشيخ شمس الدين[٢] ويقصد بذلك ابن خلكان، ومن ثم فقد تكون ترجمته ساقطة من الطبعة التي بين أيدينا من كتاب وفيات الأعيان[٣].

لقد تطورت الكتابة التاريخية عند العرب في الإسلام تطورا متدرجا، بدأ بتدوين السيرة النبوية وأخبار الفتوح، إلى أن تطورت إلى كتابة تاريخ الأمة على أيدي مؤرخي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، الذي بلغ ذروته على يدي محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م في تاريخه. وبدءًا من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ظهر تطور جديد هو الاهتمام بالتاريخ العالمي، وبلغ هذا التطور أقصى مداه على يدي أبي الحسن المسعودي. ولا نزعم أن الريادة له في هذا الميدان؛ فقد سبقه بقليل المؤرخ اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م) في تاريخه، على أن المسعودي يتفوق على سابقيه في توظيفه للمصادر اليونانية في كتاباته عن الجغرافيا الطبيعية والفلك والفلسفة والعلوم، وامتيازه الرئيس عليهم هو في عنايته بالتاريخ بقدر طيب من التفاصيل، إضافة إلى محاولته التأريخ لدين النصرانية منذ ولادة المسيح عليه السلام بما يتداخل مع تاريخ الرومان والبيزنطيين.

لقد امتاز المسعودي بالتسامح والانفتاح على الثقافات والديانات الأخرى، فاطلع على

---

(١) محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، كتاب *الفهرست*، تحقيق: رضا تجدد، (طهران: ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ١٧.

(٢) محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، *فوات الوفيات*، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م)، ١٣.

(٣) أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، *وفيات الأعيان*، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ت).

كتبها، وتحاور مع الكثير من مفكريها وعلمائها، وتعكس كتاباته شغفا بالاطلاع على المعتقدات وتاريخها وفهم الفروق بينها، وانعكس كل ذلك في مؤلفاته التي لم يبق لنا منها سوى كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وكتاب "التنبيه والإشراف" وجزء مشكوك في صحته من كتابه "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان".

ومما يجدر ذكره أن المعلومات عن تاريخ اليونانيين في كتابيه المشار إليهما آنفا ليست سوى موجز لما أودعه في كتابيه الكبيرين المفقودين وهما: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان" و "الكتاب الأوسط"، ويعتذر المسعودي عن هذا في ختام حديثه عن تاريخ الإسكندر المقدوني، الذي بلغ خمس عشرة صفحة في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" بالقول: "وإنما ذكرنا اليسير من أخباره لئلا يَعْرَى كتابنا هذا من شيء منها"[٤]. والنسخة المتداولة طبعاتها بين أيدينا في الوقت الحاضر من "كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر" موجزة ورديئة، فهي النسخة التي فرغ من تأليفها سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، ويقول عنها المؤلف: "كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر في النسخة الأخيرة التي قررنا أمرها في هذا الوقت وهي سنة ٣٤٥ وهي أضعاف ما تقدم من النسخة المؤلفة في سنة ٣٣٢"[٥]. أما من حيث رداءتها فيتبين ذلك بمقارنة معلوماتها بما هو موجود في كتابه "التنبيه والإشراف" من حيث الصحة والدقة مع أن هذا الكتاب ليس في حال جيدة كذلك.

ما هي مصادر المسعودي عن اليونانيين؟

من خلال تتبع ما كتب عن اليونانيين يمكن الملاحظة أنه يذكر في عدد من المرات مصادر معلوماته عن العلوم والفلسفة اليونانية، لكنه يتفادى ذكر مصادر معلوماته بصفة مباشرة عن تاريخ اليونايين، ويذكر مصادر معلوماته العرَضية التي ليست في صلب الموضوع وهي مصادر إسلامية.

يذكر ابن النديم "أن سالما أبا العلاء كاتب الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك

---

(٤) *مروج الذهب* ومعادن الجوهر، (بيروت: دار الأندلس، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ٣٣٢/١

(٥) *التنبيه والإشراف*، (بيروت: دار الهلال، ١٩٨١م)، ١٤٩، ١٦٥.

(ت ١٢٥هـ/٧٤٣م) قد نقل رسائل أرسطوطاليس إلى الإسكندر، أو نقلت له فأصلحها هو"[٦]، فإن صحت هذه المعلومة فهل اطلع عليها المسعودي؟

وفي بداية حديث المسعودي عن ملوك اليونانيين يقول: "وكان أول ملوكهم ممن سماه بطليموس في كتابه"[٧] فهل المقصود هنا كلاوديوس بطليموس Claudius Ptolemy أو بطليموس القلوذي المؤلف الروماني الشهير الذي ولد وعاش بالإسكندرية ما بين سنتي ٩٠-١٦٨م في ظل الحكم الروماني؟ على أن أشهر أعمال بطليموس هذا في الجغرافيا والفلك والتنجيم ككتابيه الجغرافيا في المعمور وصفة الأرض، والمجسطي، ولا نعرف إن كان له كتاب في التاريخ.

لكن المسعودي يعطي مصادر أخرى للمعلومة نفسها في كتابه "التنبيه والإشراف" حيث يقول: "عدة ملوك اليونانيين من فيلبس أبي الإسكندر إلى قلوبطرة آخرهم ستة عشر ملكا، وجملة ما ملكوا من السنين مائتا سنة وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يوما، وذلك موجود في قانون ثاون الاسكندراني وغيره"[٨].

والمسعودي يذكر أنه اطلع في أثناء زياراته للبلدان ومخالطته لعلمائها على كتب منها ما موضوعاته في تاريخ الروم. وأحيانا يُقَيِّم هذه الكتب ويعطي رأيا فيها، لكنه قلما يصرح بالنقل عنها، ومنها قوله: "ورأيت في مدينة أنطاكية في بعض تواريخ الروم المَلَكية في كنيسة القُسبان: أنه كان من ملك الإسكندر إلى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع سنين"[٩].

ويقول كذلك: "وقد ألف جماعة من المَلَكية والنسطوية واليعقوبية كتبا كثيرة ممن سلف وخلف منهم، وأحسن كتاب رأيته للملكية في تاريخ الملوك والأنبياء والبلدان وغير ذلك كتاب محبوب بن قسطنطين المنبجي (ت بعد سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م)، وكتاب سعيد بن البطريق (ت

---

(٦) *النديم*، ١٣١.

(٧) *مروج الذهب*، ٣١٧/١.

(٨) *التنبيه والإشراف*، ١١٣.

(٩) *مروج الذهب*، ٣٤٢/١.

٣٢٨هـ/٩٤٠م) ... بطريرك كرسي مارقس بالإسكندرية وقد شاهدناه بفسطاط مصر انتهى بتأليفه إلى خلافة الراضي (٣٢٢- ٣٢٩هـ/٩٣٤- ٩٤٠م)، وكتاب إثنايوس الراهب المصري رتب فيه ملوك الروم وغيرهم من الأمم وسير أخبارهم من آدم إلى قسطنطين بن هيلاني (ت ٣٣٧م)"[١٠] وفي السياق نفسه يضيف: "ولقيس الماروني (ت بعد سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م) كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم، انتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي (٢٨٩- ٢٩٥هـ/٩٠٢- ٩٠٨م)، ولم أر للمارونية في هذا المعنى كتابا غيره"[١١].

ثم يذكر بعض المؤلفات لعلماء الطوائف المسيحية الأخرى فيقول: "ورأيت لأهل المشرق من العباد كتابا ليعقوب بن زكريا الكسكري الكاتب (ت.؟) وشاهدناه بأرض العراق والشام ويشتمل على أنواع من العلوم في هذه المعاني يزيد على غيره من كتب النصارى، وكتابا لليعاقبة في ذكر ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم وأخبارهم ألفه أبو زكريا دنخا[١٢] النصراني (ت. بعد سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م) ... جرت بيني وبينه مناظرات كثيرة ببغداد في الجانب الغربي بقطيعة أم جعفر، وبمدينة تكريت في الكنيسة المعروف بالخضراء في الثالوث وغيره ... وذلك في سنة ٣١٣"[١٣].

ونوه المسعودي بجهود المؤلفين من المسلمين فيقول في سياق خبر افتداء الخلافة العباسية لأسرى المسلمين لدى الدولة البيزنطية في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م: "وفي هذا الفداء أخرج أهل زِبَطرة، وفيه خرج مسلم بن أبي مسلم الجرمي، وكان ذا محل في الثغور ومعرفة بأهل الروم وأرضها، وله مصنفات بأخبار الروم وملوكهم وذوي المراتب منهم، وبلادهم وطرقها ومسالكها وأوقات الغزو إليها والغارات عليها، ومن جاورهم من الممالك من برجان والابر والبرغر

---

(١٠) *التنبيه والإشراف*، ١٤٨.

(١١) *التنبيه والإشراف*، ١٤٨.

(١٢) لم أجد له ذكرا فيما أطلعت عليه من مصادر، وقد ذكر علي بن يوسف القفطي، (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (بيروت: دار الآثار، د.ت.)، ٢٦٣؛ أبا الحسن دنخا من أطباء عضد الدولة البويهي، ولا ندري إن كان ذا قرابة لأبي زكريا دنخا.

(١٣) *التنبيه والإشراف*، ١٤٨.

والصقالبة والخزر وغيرهم"[١٤]. ووَصْفُ المسعودي لمصنفات الجرمي كما هو ملاحظ وصف مطلع. أما المؤلف الآخر الذي تحدث عنه المسعودي فكان في مناسبة مماثلة عندما جرى افتداء أسرى المسلمين لدى الدولة البيزنطية في سنة ٣٣٤- ٣٣٥هـ/٩٤٥م، وكانت الشام تابعة للإخشيديين فيقول: "وكان أبو عمير عدي بن أحمد بن عبدالباقي التميمي الأَذَني شيخ الثغور والمنظور إليه منهم قدم إلى دمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ونحن يومئذ بها، ومعه يوانس الأنيبطوس البطريقوس المسدقوس المترهب رسول ملك الروم في إتمام هذا الفداء، وكان ذا رأى وفهم بأخبار ملوك اليونانيين والروم ومن كان في أعصارهم من الفلاسفة، وقد أشرف على شيء من آرائهم."[١٥] ويمكن الإستنتاج من هذا النص أن المسعودي التقى بأبي عمير ورئيس الوفد البيزنطي يوانس وتحاور معهما، خاصة إذا عرفنا حرصه على استثمار مثل هذه الفرصة للإلتقاء بشخصيتين مهمتين يمتلكان خبرات ومعارف ثرية.

ومما يدل على عناية المسعودي الشديدة بتتبع أخبار البيزنطيين أولا بأول، روايته لنهاية الصراع على السلطة في عهد الإمبراطور قسطنطين بن لاوس بن بسيل[١٦] (ت ٩٥٩م) فيقول: "وتوفي أرمانوس بعد أربع سنين من ترهبه وبقي اصطفن في الجزيرة إلى هذا الوقت على ما ينمى إلينا من أخبارهم، ونحن بفسطاط مصر ممن يرد في المراكب من القسطنطينية من التجار والرسل إلى السلطان بها، وصفا الملك لقسطنطين فبقي في الملك بقية أيام المقتدر (ت ٢٩٥هـ/٩٠٨م) والقاهر (خلافته ٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م) والراضي (خلافته ٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م) والمتقي (خلافته ٢٢٩-٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م) والمستكفي (خلافته٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٦م) وإلى هذا الوقت من خلافة المطيع (خلافته ٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٦-٩٧٤م) [١٧]".

ولا تقل عناية المسعودي بأخبار الديانة النصرانية وطوائفها عن اهتمامه بأخبار البيزنطيين

---

(١٤) *التنبيه والإشراف*، ١٧٨.

(١٥) *التنبيه والإشراف*، ١٨١ بدأت إجراءات الفداء في شهر ذي الحجة سنة ٣٣٤هـ واستكملت في سنة ٣٣٥هـ.

(١٦) هو قسطنطين السابع ولد سنة ٩٠٥م وحكم من سنة ٩٠٨م حتى وفاته سنة ٩٥٩م تحت الوصاية بالاشتراك أو مستقلا، وأرمانوس هو والد زوجته وشريكه في الحكم.

(١٧) *التنبيه والإشراف*، ١٦٤.

فبعد ذكره لتاريخ انعقاد السنودس السادس بالقسطنطينية "من بلاد بوزنطيا" وبعض ما جرى فيه قال: "... ولم يكن إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، والملك على الروم قسطنطين بن لاون بن بسيل، اجتماع فيما بلغني مع قربنا من ديارهم وبحثنا عن أخبارهم وتنقلنا بالثغر الشامي وأنطاكية ومصر ..."[١٨].

تأريخه لليونانيين:

معلومات المسعودي كما هي في "مروج الذهب" عن تاريخ اليونان قليلة ومرتبكة بخلاف معلوماته عن تراثهم العلمي، فهو بدأها على غرار المؤلفين العرب بالحديث عن أصل اليونانيين ونسبهم. ومن الطريف أنه بعد أن ساق الرواية الرئيسة أورد رواية ثانوية بديلة فيقول: "وذكر ذوو العناية بأخبار المتقدمين أن يونان أخو قحطان ... وأنه خرج من أرض اليمن في جماعة من ولده ومن انضاف إلى جملته حتى وافى أقاصي بلاد المغرب ..."[١٩]. ويصرح في مكان آخر أن "يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٥٢هـ/٨٦٦م) يذهب في نسب يونان إلى ما ذكرنا من أنه أخ لقحطان"[٢٠]. ويظهر أن الدافع وراء هذه الرواية هو الصراع بين متعصبي كل من اليمانية والمضرية، فقد جَهِد بعض المتعصبين من اليمانية على إدعاء أن كثيرا من أبطال العالم القديم يعودون في أصولهم إلى اليمن، والغاية من الرواية السالفة كما أظن هي أن يكون الإسكندر المقدوني وعلماء اليونان وعباقرتهم من أصل يماني، وذلك رد ضمني على متعصبي المضرية الذين يفاخرون أن النبي محمد صلى الله علي وسلم مضري النسب. والمسعودي بريء من تهمة التعصب القبلي، لكن الكندي ليس كذلك، وقد اقتبس المسعودي هجاءً للكندي وروايته السالفة[٢١]. والرواية البديلة السالفة اختفت من كتابه "التنبيه والإشراف"، ولا أستبعد أنه حذفها من النسخة الأخيرة لكتاب مروج الذهب التي فرغ من نسخها سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م أثناء استقراره بمصر بسبب إطلاعه على مصادر جديدة.

---

[١٨] *التنبيه والإشراف*، ١٥٢.
[١٩] *مروج الذهب*، ٣١٥/١.
[٢٠] *مروج الذهب*، ٣١٦/١.
[٢١] *مروج الذهب*، ٣١٦/١.

لم يذكر المسعودي أحدا من ملوك اليونانيين سوى "حربيوس" الذي يصفه بأنه ابن ووريث لـ"يونان" أصل اليونانيين ومؤسس بلادهم كما في روايته. بعد ذلك يبدأ بسرد ملوك الأسرة المقدونية على أنها رواية بديلة للرواية السابقة فيقول: وكان أول ملوكهم ممن سماه بطليموس في كتابه:

فيلبس، وتفسيره محب الفرس[٢٢]. والمقصود هنا الملك المقدوني فِلِبس الثاني والد الإسكندر. وكانت مدة ملكه سبع سنين. وقد ملك فِلِبس الثاني مقدونية ثم شمل حكمه أثينا من سنة ٣٥٩ ق.م حتى اغتياله سنة ٣٣٦ ق.م والمدة تكاد تتطابق مع معلومة المسعودي.

وقد استدرك المسعودي على نفسه فقال: وكان لليونانيين ملوك سلفوا يُتَنازع في أعدادهم وسماتهم ومدة ما ملكوا من السنين[٢٣].

الثاني: ابنه الإسكندر تولى الملك بعد مقتل أبيه وعمره إحدى وعشرون سنة، وملك خمس عشرة سنة، تسع منها قبل قتله لدارا بن دارا وست بعد قتله إياه، ومات وهو ابن ست وثلاثين سنة، والعوام تكثر من سنيه، وهذا هو المعول عليه[٢٤].

وناقش بعد ذلك في ما إذا كان الإسكندر هو ذو القرنين الذي أشار إليه القرآن الكريم[٢٥] واختلاف الآراء حول هذا الأمر[٢٦].

تعكس كتابات المسعودي إعجابا شديداً بالإسكندر من حيث إنجازاته العسكرية، فيذكر أنه بعد انتصاره على الملك الفارسي دارا (داريوس) وإخضاعه بلاد فارس لسلطانه سار إلى أرض السند والهند، وهزم ملوكها، وأخضع البلاد لسلطانه وحُمِلت إليه الهدايا والخراج تعبيرا عن الخضوع له. ثم سار نحو بلاد الصين والتبت وذلل ملوكها، ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من

---

(٢٢) *مروج الذهب*، ٣١٧/١.
(٢٣) *التنبيه والإشراف*، ١١٤.
(٢٤) *التنبيه والإشراف*، ١١٤؛ *مروج الذهب*، ٣٢٣/١.
(٢٥) سورة الكهف، الآيتان ٨٦ و ٩٤.
(٢٦) *مروج الذهب*، ٣١٨/١.

الممالك وكَوّر بخراسان كوراً وبنى مدناً في سائر أسفاره[٢٧].

ومما يؤكد إعجاب المسعودي بالإسكندر أنه لم يبدِ أي شك بصحة المعلومات التي يوردها، مع أنه في العادة يكون له موقف فيما يورده من معلومات شكا أو نقدا أو تأكيدا. ونجد معاصر المسعودي حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م) لا يشاطره الإعجاب بالإسكندر، فعند ذكره للرواية المتداولة: أن الإسكندر بنى اثنتي عشرة مدينة موزعة في مناطق إيران وأطلق على كل واحدة منها اسم الإسكندرية، قال حمزة: ليس لهذا الحديث أصل، لأنه (يقصد الإسكندر) كان مخربا ولم يكن بناء[٢٨]. ويشارك الأصفهاني رأيه في الإسكندر محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، ومما قاله فيه، مع ما في نصه من التواء: "... وقَتْلِه دارا بن دارا الملك واستيلائه على ملكه وهدمه المدائن وإخرابه المجادل ... وإهلاكه ما كان في صنوف البناء من أنواع العلم الذي كان منقوشا ومكتوبا في صخور ذلك وخشبه بهدم ذلك وإحراقه وتفريق مؤتلفه ..." [٢٩].

وإعجاب المسعودي بالإسكندر لا يقتصر على إنجازاته العسكرية بل بحبه للحكمة والحكماء، ويعزو ذلك ضمنا لتنشئته العلمية فمعلمه كان أرسطوطاليس حكيم اليونانيين، وهو صاحب كتاب المنطق وتلميذ أفلاطون[٣٠]. وذكر أن الإسكندر كان يحيط نفسه بحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من جميع الأمم، وكان يجمعهم ويستريح إلى كلامهم، ولا يُصدِر الأمور إلا عن رأيهم[٣١].

وقد وصف المسعودي قبر الإسكندر فيقول: "... وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد

---

(٢٧) *مروج الذهب*، ٣١٩/١.

(٢٨) حمزة بن حسن الأصفهاني (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، *تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء*، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.)، ٣٤.

(٢٩) *الفهرست*، ٣٠٠.

(٣٠) *مروج الذهب*، ٣١٩/١.

(٣١) *مروج الذهب*، ٣٢٠/١.

الإسكندرية من أرض مصر، ويعرف بقبر الإسكندر إلى هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة[٣٢] (٩٤٣م)".

ينتقل المسعودي بعد ذلك إلى ذكر ملوك البطالمة في مصر ويسميهم "ملوك اليونانيين"، فيقول: عدة ملوك اليونانيين من فيلبس أبي الإسكندر إلى قلوبطرة آخرهم ستة عشر ملكا[٣٣]، وجملة ما ملكوا من السنين مائتا سنة وثلاث وتسعين سنة وثمانية عشر يوما[٣٤].

وبمقارنة معلومة المسعودي عن مدة حكم أسرة البطالمة بالمدة المذكورة بالمصادر الحديثة وهي ٢٧٣ سنة (٣٠٣ –٣٠ ق.م) نجد فارقا في عدد السنوات، لكن يمكن فهم ذلك أن المسعودي يبدأ بحكم الملك المقدوني فيلبس ومدة حكمه سبع سنوات ثم ابنه الإسكندر ومدة حكمه حسب المسعودي خمس عشرة سنة ومن ثم فتصبح السنوات قريبة من التطابق.

ويعطي المسعودي رواية أخرى فيقول: وذهب قوم ممن عني بأخبار سير الملوك وتواريخ الأمم إلى أن عدة ما ملكوا من السنين ثلاثمائة وثلاث سنين. ثم يحتاط المسعودي لنفسه بقوله: وقيل في عدة ملوكهم ومدة سنيهم أكثر من ذلك وأقل، غير أن الأشهر ما ذكرناه[٣٥].

أسرة الملوك البطالمة في مصر:

يجعل المسعودي ، كما أشرنا، حكم أسرة البطالمة استمرارا لتسلسل الحكم من الملك فِلِبس المقدوني ولعل السبب أنهم كلهم مقدونيون، وتمييزا لهم عن تسلسل الحكام الرومان اللاحقين في مصر، ومن ثم فترتيب الملك بطليموس الأول يكون الثالث لديه أي أنه يلي الإسكندر من حيث الترتيب.

---

(٣٢) *مروج الذهب*، ٣٢٣/١.

(٣٣) لم يشر المسعودي في سرده لملوك البطالمة للملوك الذين شاركوا في الحكم ،ولم يشر للملكات سوى قلبطرة آخر ملوكهم ويقصد كليوباترا السابعة.

(٣٤) *التنبيه والإشراف*، ١١٣.

(٣٥) *التنبيه والإشراف*، ١١٣.

معلوماته عن الملوك البطالمة على هذا النحو:

بطليموس الأول، يقول عنه أنه ملك بعد الإسكندر ... وكان ملكه ٤٠ سنة، وكانت له حروب مع بني إسرائيل وغيرهم من ملوك الشام[٣٦]. لقد امتدت فترة حكم بطليموس الأول على مصر من بعد وفاة الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٣ ق.م وحتى وفاته سنة ٢٨٣ ق.م، وبذلك تكون معلومة المسعودي الرئيسة أي أنه حكم ٤٠ سنة دقيقة، على أن بطليموس الأول حكم في أول الأمر باسم الملكين فيلبس الثالث والإسكندر الرابع، وبعد تمزق إمبراطورية الإسكندر الأكبر ثبت نفسه حاكما مستقلا على مصر. وقد خاض حروبا كثيرة مع الدول التي ورثت إمبراطورية الإسكندر لتأمين حكمه في مصر أولا، ثم لتوسيع ممتلكاته خارجها على حساب تلك الدول[٣٧]. ولم يذكر المسعودي سوى إشارة صغيرة لحروبه مع بني إسرائيل وغيرهم من ملوك الشام، ثم فصل في المعلومات عن امتلاكه للبزاة واهتمامه بها[٣٨].

بطليموس الثاني: ومعلومات المسعودي عن هذا الملك تختلف في "التنبيه والإشراف" عنها في "مروج الذهب" اختلافا موضوعيا، ويفترض أن معلومات "التنبيه والإشراف" هي النهائية لأنه ألفه بعد تأليفه "مروج الذهب" النسخة الأخيرة أو معه أي بعد حوالي ثلاث عشرة سنة من تأليفه كتابه مروج الذهب النسخة الأولى، ففي التنبيه والإشراف: "الرابع بطلموس الكصندروس ملك اثنتين وعشرين سنة، وهو الذي نقلت له التوراة، نقلها اثنان وسبعون حبرا بالإسكندرية من بلاد مصر من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية. وقد ترجم هذه النسخة إلى العربي عدة ممن تقدم وتأخر منهم حنين بن إسحاق، وهي أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس". ثم توسع في الحديث عن التوراة وعلمائها وحواراته هو المتعددة معهم في بلدان مختلفة[٣٩]. على أن بعض معلومات "مروج الذهب" أقرب إلى الدقة، فاسمه فيه: بطليموس "هيفلوس" وسنوات حكمه ثمان وثلاثون

(٣٦) *مروج الذهب*، ٣٣٣/١؛ وقارن *التنبيه والإشراف*، ١١٤ الثالث: بطليموس اورنداس، ملك سبع سنين.

(٣٧) Encyclopedia Britannica, S.V. Ptolemy I

(٣٨) *مروج الذهب*، ٣٣٣/١.

(٣٩) *التنبيه والإشراف*، ١١٣-١١٤.

سنة، وقيل: أربعون، وأشار إلى غزواته على بني إسرائيل ببلاد فلسطين وإيليا.[٤٠] فاسم الملك بطليموس الثاني فيلادِلفيوس (Ptolemy II Pheladelphus، وحكم بين سنتي ٢٨٣ – ٢٤٦ق.م أي بحدود ٣٧ سنة، وكان له حروب في الشام على فترتين[٤١].

الملك بطليموس الثالث: يضيف المسعودي عليه في التنبيه والإشراف "لقب "الأريب" ويذكر أن مدة ملكه ٢٧ سنة[٤٢]، بينما يذكر في "مروج الذهب": ثم ملك بعد هيفلوس "بطليموس الصانع" ستا وعشرين سنة[٤٣]. ولم يضف المسعودي معلومات عنه سوى ما ذكرنا. ومدة ملك الملك بطليموس الثالث امتدت بين سنتي ٢٤٦–٢٢١ق.م، ما يجعل الفرق في السنوات ليس كبيرا، وكان يلقب Euregete أو Benefactor، وbene تعني حسن، وfactor وحدها تعني الصانع، فتكون المحسن أو صانع الإحسان مما يقرب المعنى إلى ما ذكره المسعودي.

الملك بطليموس الرابع: محب أخيه ملك ستا وعشرين سنة. ورواية المسعودي المبكرة في كتابه "مروج الذهب": ثم ملك بطليموس المعروف بمحب الأب تسع عشرة سنة. وبطليموس الرابع (فِلوباتور Philopator) وفِلوباتور تعني باللغة اليونانية محب الأب[٤٤]، وتبدأ فترة حكمه بعد وفاة أبيه بطليموس الثالث سنة ٢٢١ ق.م وتنتهي بوفاته سنة ٢٠٥ق.م. وبذلك تكون أحدى روايات نسخ "مروج الذهب" التي ذكرت أن مدة حكمه سبع عشرة سنة أقرب إلى الدقة. ويذكر المسعودي أنه كانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب أنطاكية، ولم يذكر شيئا عن نتائج هذه الحروب[٤٥]. وهذا الملك بدأ في عهده تدهور مملكة البطالمة نتيجة لضعفه وسوء تدبيره وفساده[٤٦].

---

[٤٠] *مروج الذهب*، ١/٣٣٤-٣٣٥.

[٤١] Encyclopedia Britannica, S.V. Ptolemy II

[٤٢] *التنبيه والإشراف*، ١١٥، ويجدر التنبيه مرة أخرى أن المسعودي يبدأ ترتيب تسلسل الملوك من الملك فيلبس ثم ابنه الإسكندر الأكبر ثم تسلسل ملوك البطالمة.

[٤٣] *مروج الذهب*، ١/٣٣٦.

[٤٤] Encyclopedia Britannica, S.V. Ptolemy IV

[٤٥] *مروج الذهب*، ١/٣٣٦.

[٤٦] Encyclopedia Britannica, Ptolemy IV

الملك بطليموس الخامس: ابطليموس الصانع ملك ستا وعشرين سنة(٤٧). ويذكر في "مروج الذهب": وملك على اليونانيين بطليموس، صاحب علل علم الفلك والنجوم، وكتاب المجسطي وغيره، أربعا وعشرين سنة(٤٨). على أن المسعودي بعد حوالي ثلاث عشرة سنة يستدرك على نفسه ويصحح معلوماته فيقول بعد أن سرد الملوك البطالمة "وليس ابطليموس القلوذي صاحب كتاب المجسطي وغيره من الكتب من هؤلاء البطليموسين ولم يكن ملكا"(٤٩). والمقصود هنا: بطليموس الخامس، إبيفينز Epiphanes الذي انتقل إليه العرش بعد وفاة أبيه وهو طفل، فتعاقب على إدارة المملكة عدد من الأوصياء، وفقد البطالمة كثيرا من ممتلكاتهم خارج مصر للمقدونيين والسلوقيين، ولما وصل إبيفينز إلى سن الرجولة أصبح طاغية، وتحول الحكم إلى ابنه الطفل قبل موته المبكر سنة ١٨٠ ق.م(٥٠). ومعلومات المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف عن مدة حكم الملك بطليموس الخامس دقيقة.

بطليموس السادس، محب أبيه ملك سبع عشر سنة(٥١). وفي "مروج الذهب" بطليموس محب الأم ملك خمساً وثلاثين سنة(٥٢). وهذه الرواية أصح من رواية التنبيه والإشراف من حيث الصفة محب الأم لأن Philometor معناها في اللغة اليونانية محب الأم Loving his mother، ومن حيث عدد سنوات الحكم، إذ امتدت منذ وقت ما في أواخر عهد أبيه المتوفى سنة ١٨٠ق.م وحتى مقتله هو في معركة أنطاكية سنة ١٤٥ق.م، وعندما غزا الملك السلوقي أنطوخيوس الثالث إبيفينز Epiphanes مصر عزله عن الملك وولى أخاه بطليموس الثامن يوريجيتز الثاني Euregetes II ملكا دمية، وبعد انسحاب الملك السلجوقي من مصر، اتفق الأخوان مع أختهما

---

(٤٧) *التنبيه والإشراف*، ١١٥.

(٤٨) *مروج الذهب*، ٣٣٦/١.

(٤٩) التنبيه والإشراف، ١١٦.

(٥٠) Wikipedia, Ptolemaic Kingdom

(٥١) *التنبيه والإشراف*، ١١٥؛ وقارن *مروج الذهب*، ٣٣٦/١ . ثم ملك بطليمس محب الأم خمسا وثلاثين سنة.

(٥٢) *مروج الذهب*، ٣٣٦/١ .

كليوباترا الثانية على أن يشتركوا في الحكم، لكن لم يلبث أن دب النزاع بين الأخوين، وتدخلت روما في شئون مصر، ثم استعاد بطليموس السادس العرش إلى أن قتل في معركة أنطاكية سنة ١٤٥ ق.م[٥٣].

بطليموس السابع الظاهر ملك أربعا وعشرين سنة[٥٤]. وفي مروج الذهب ثم ملك بعده بطليموس الصانع الثاني سبعا وعشرين سنة[٥٥]. والروايتان غير صحيحتين، لأن بطليموس السابع Ptolemy VII Neos Philopator يكون الابن الأصغر والشريك في الملك لأبيه بطليموس السادس، وقد خلف والده على الملك بعد وفاته سنة ١٤٥ ق.م وهو لا يزال صغيرا تحت وصاية أمه وشريكته في الملك كليوباترا الثانية، لكن عمه بطليموس الثامن، بالتعاون مع الأحزاب المعارضة له ولأمه، انتزع الملك منه وتزوج بأمه وقتله سنة ١٤٤ ق.م. والمصادر المصرية الكلاسيكية وحتى المعاصرة شابها شيء من الاضطراب حول موقع Neos Philopator في تسلسل ملوك البطالمة، بسبب أن لبطليموس السادس فلوميتور ابنًا آخر أكبر من بطليموس السابع واسمه كذلك بطليموس، وكان شريكا لوالده في الملك. ووجد الدارسون المحدثون أن نيوس فِلُوباتور أصبح شريكا لأبيه بطليموس السادس منذ ١٤٧ ق. م ثم صار ملكا بعد وفاة أبيه لعدة أسابيع امتدت من شهر يوليو إلى أواخر شهر أغسطس سنة ١٤٥ ق.م[٥٦].

بطليموس الثامن، محب أمه، ملك سبعا وعشرين سنة. وفي مروج الذهب بطليموس محب الأم ترتيبه متقدم، وملك خمسا وثلاثين سنة.

وبطليموس الثامن يورجيتز الثاني Ptolemy VIII Euergetes II نَصَّبه- كما أُشير إلى ذلك سابقا- الملك السلوقي أنطوخيوس ملكا على مصر لفترة وجيزة، ثم شارك بعد ذلك أخاه الملك بطليموس السادس فِلُوميتور Philometor وأخته كليوباترا الثانية الحكم بين

(٥٣) Wikipedia, the Ptolemaic Kingdom

(٥٤) *التنبيه والإشراف*، ١١٥.

(٥٥) *مروج الذهب*، ١/٣٣٦.

(٥٦) Encyclopedia Britannica, S. V. Ptolemy VII

سنتي١٧٠- ١٦٤ق.م ثم انفرد في الحكم سنة ١٦٣ ق.م، وأصبح ملكا على برقة Cyrenaica بين سنتي ١٦٣- ١٤٥ق.م . وأصبح ملكا على مصر منفردا ولم يقطع استمرار حكمه لها سوى نفيه بين سنتي ١٣١- ١٢٩ق.م إلى أن مات سنة ١١٦ ق.م، وكان في نزاع دائم مع الملكة كليوباترا الثانية زوجة أخيه ثم زوجته[٥٧] وأختهما معا. وبذلك يكون حكمه لمصر وحدها مشتركا ومنفردا بحدود ٣٥ سنة، ومنفردا ٢٨ سنة مما يجعل روايتي المسعودي الأولى منفردا والثانية مشتركا ومنفردا قريبتين من الدقة.

بطليموس التاسع، الجوال ملك ثلاثا وعشرين سنة[٥٨] وفي مروج الذهب: بطليموس الإسكندراني ملك اثنتي عشرة سنة[٥٩]. وبطليموس الجوال في مروج الذهب هو بطليموس الحادي عشر. ولم يقدم المسعودي معلومات إضافية على هذه المعلومات أو سبب وصفه بالجوال.

وبطليموس التاسع سوتر الثاني Soter II حكم مصر ثلاث فترات متقطعة تصل في مجموعها إلى ما يزيد عن ١٥ سنة في السنوات ١١٦- ١١٠ ق.م، و١٠٩- ١٠٧ ق.م، و٨٨- ٨١ ق.م. ٨ سنوات منها بالاشتراك مع أمه الملكة كليوباترا الثالثة أرملة بطليموس الثامن يورجيتس الثاني والتي كانت الحاكمة الفعلية لمصر. وكانت علاقته بأمه علاقة صراع مستمر. وحكم مصر منفردا منذ سنة ٨٨ ق.م حتى وفاته سنة ٨١ ق.م[٦٠].

بطليموس العاشر المخلص، ملك سبع عشرة سنة[٦١]، وفي مروج الذهب: بطليموس الجديد ثماني سنوات[٦٢].

واسم بطليموس العاشر الإسكندر الأول، وهو ابن بطليموس الثامن يورجيتز الثاني،

---

(٥٧) Encyclopedia Britannica, S.V. Ptolemy VI Philometor

(٥٨) *التنبيه والإشراف*، ١١٥.

(٥٩) *مروج الذهب*، ١/٣٣٦.

(٦٠) Encyclopedia Britannica, S.V. Ptolemy IX Soter II

(٦١) *التنبيه والإشراف*، ١١٥.

(٦٢) *مروج الذهب*، ١/٣٣٦.

وأمه الملكة كليوباترا الثالثة، وشاركها في حكم مصر بالتناوب مع أخيه بطليموس التاسع الذي تزوج بابنته بِرِنيس الثالثة Berenice III وفي الفترات التي شارك فيها شقيقه الأكبر سوتر الثاني أمه في الحكم ذهب الإسكندر إلى قبرص مرتين، مرة بصفته حاكما وثانية بصفته ملكا على الجزيرة. لم يكن الإسكندر الأول محبوبا من شعب الإسكندرية وطرده منها ثلاث مرات، وبعد طرده للمرة الثالثة قتل في البحر سنة ٨٨ ق.م وهو في طريقه إلى قبرص[٦٣].

بطليموس الحادي عشر الكصندرس أيضا ملك عشرين سنة[٦٤]. وفي مروج الذهب: بطليموس الجوال ثمانيا وستين سنة[٦٥].

ونلاحظ أن المسعودي جعل ترتيب بطليموس الأسكندراني التاسع في مروج الذهب، بينما يأتي ترتيب بطليموس الاصكندرس الحادي عشر في التنبيه والإشراف، وبما أن اسم بطليموس الحادي عشر الإسكندر الثاني، واسم والده بطليموس العاشر الإسكندر الأول فيكون التنبيه والإشراف أقرب إلى الدقة، على أن ترتيب تسلسل الملوك البطالمة لدى المسعودي في كلا الكتابين غير دقيق، وقد يرجع ذلك إلى مصادره التي استقى معلوماته منها أو إلى اختلاط في مخطوطتي الكتابين.

لم يشر المسعودي في ترتيبه للملوك البطالمة إلى كل من الملكة كليوباترا الثالثة التي حكمت بالتناوب مع ابنيها بطليموس التاسع سوتر الثاني وبطليموس العاشر الإسكندر الأول وكانت هي الحاكمة الفعلية، والملكة برينيس الثالثة ابنة بطليموس التاسع والتي تزوجت للمرة الأولى بعمها بطليموس العاشر الإسكندر الأول في وقت ما قبل سنة ١٠١ ق.م وتفردت بحكم مصر بعد مقتله، ثم استدعت من روما ابنه الشاب بطليموس الحادي عشر الإسكندر الثاني وتزوجت به؛ لكنها لم تمكنه من مشاركتها بالسلطة ومن ثم لم يستطع التعايش معها، فأقدم على اغتيالها سنة ٨٠ ق.م بعد ١٩ يوما من الحكم المشترك، ونظرا لإعجاب شعب الإسكندرية بها وحبه لها قامت

---

(٦٣) Encyclopedia Britannica, S.V. Ptolemy X, Alexander I

(٦٤) *التنبيه والإشراف*، ١١٥.

(٦٥) *مروج الذهب*، ٣٣٦/١، وفي الهامش في بعض النسخ "الحوال"، وبعض النسخ "ثمان سنين".

ثورة شعبية ضده انتهت بمقتله، وتعد نهايته نهاية آخر أفراد الأسرة البطلمية الشرعيين حكام مصر[٦٦].

بطليموس الثاني عشر قساس ملك ثمانية عشر يوما[٦٧]. وفي مروج الذهب: بطليموس الحديث ثلاثين سنة[٦٨].

ونلاحظ أن مدة حكم هذا البطليموس ١٨ يوما في كتاب التنبيه والإشراف تقارب مدة حكم بطليموس الحادي عشر الإسكندر الثاني ١٩ يوما، على أن لفظ الاسم قساس بعيد عن الاسكندر. أما رواية مروج الذهب فبعيدة كل البعد عن الدقة.

بطليموس الثالث عشر ديونسيوس ملك تسعا وعشرين سنة[٦٩]. ورواية مروج الذهب: قلبطرة.

وإن كانت رواية التنبيه الإشراف غير دقيقة من حيث ترتيب تسلسل الملوك إلا أنها دقيقة من حيث الاسم، فاسمه بطليموس الثاني عشر أوليتز (معناها في اللغة اليونانية: عازف العود) فِلُوباتور فلادلفوس نيوس ديونيسيوس Ptolemy XII Auletes Philopator Philadelphus Neos Dionysos ومن حيث عدد سنوات حكمه التي امتدت من سنة ٨٠ ق.م إلى سنة٥١ ق.م.

وبطليموس الثاني عشر هو ابن شبه شرعي quasi-legal لبطليموس التاسع سوتر الثاني لأن أمه عشيقة لبطليموس التاسع وليست زوجة. دعاه شعب الإسكندرية في سنة ٨٠ ق.م ليعود من منفاه في روما ليتسلم زمام الملك بعد الموت العنيف لآخر ملكين من البطالمة الشرعيين، وبعد وصوله بوقت قصير تزوج بأخته كليوباترا الخامسة تريفانا ,Tryphaeanaوأنجب منها إناثا وذكورا. وبسبب خسارة مصر لجزيرة قبرص سنة ٦٤ ق.م وخضوعه المذل لحكومة روما سخط

---

(٦٦) Encyclopedia Britannica, S.V. Ptolemy XI, Alexander II

(٦٧) *التنبيه والإشراف*، ١١٥.

(٦٨) *مروج الذهب*، ٣٣٦/١.

(٦٩) *التنبيه والإشراف*، ١١٥.

شعب الإسكندرية عليه فطرده من مصر، ونَصّب زوجته تريفانا وابنته برنيس الرابعة حاكمتين معا على مصر، وبموت الملكة تريفانا نَصّب الشعب ابنته برينيس الرابعة بمفردها حاكمة على مصر. وفي سنة ٥٥ ق.م عاد إلى الإسكندرية يصحبه جيش من الرومان ودخل الإسكندرية وقتل ابنته الملكة برينيس الرابعة التي كانت على رأس المعارضين لعودته. لقد أرهق بطليموس الثاني عشر مالية مصر بكثرة رشاويه للرومان الذين جعلوا من التشكيك في شرعيته وسيلة لابتزاز مصر ماليا ما جعل مصر على شفير الإفلاس.

وقبل وفاته بوقت قصير سنة ٥١ ق.م أوصى أن تكون ابنته الشهيرة كليوباترا السابعة وابنه الأكبر ملكين على مصر، وحمل الابن لقب بطليموس الثالث عشر، ثيوس فلوباتور، وأحاطت به زمرة سيطرت عليه وأججت المنافسة بينه وبين أخته كليوباترا السابعة ما أجبرها على الفرار من مصر بعد سنة ٥٠ ق.م بقليل واتجهت إلى سوريا ثم عادت سنة ٤٨ ق.م ومعها جيش من العرب وحاصرت أخاها وجيشه في مدينة الفرما Pelusium على الحدود الشرقية لمصر، وبعد وقت قصير وصل يوليوس قيصر بجيشه إلى الإسكندرية، وأمر جميع المتحاربين بوقف الحرب والخضوع لحكمه طبقا لوصية بطليموس الأب[٧٠].

قلوبطرة ابنة بطليموس ملكت اثنتين وعشرين سنة، وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء، ولها كتب مصنفة بالطب والرقية وغير ذلك من الحكمة، مترجمة باسمها عند صنعة أهل الطب. وهذه الملكة آخر ملوك اليونانيين إلى أن انقضى ملكهم ودثرت أيامهم، وامحت آثارهم، وزالت علومهم إلا ما بقي في أيدي حكمائهم.

وكان لهذه الملكة خبر طريف في موتها وقتلها نفسها، وكان لها زوج يقال له أنطونيوس مشارك لها في ملك مقدونية، وهي بلاد مصر من الإسكندرية وغيرها[٧١]، فسار إليهم الثاني من ملوك الروم، من بلاد رومية، وهو أغسطس وهو أول من سمي قيصر، وإليه تنسب القياصرة

---

(٧٠) Encyclopedia Britannica, Ptolemy XIII

(٧١) لعل بعض المصادر التي استقى المسعودي منه معلوماته تصف مملكة البطالمة بـ"مملكة المقدونيين" وهو وصف صحيح مما سبب الالتباس لدى المسعودي فقال: مقدونية وهي بلاد مصر من الإسكندرية وغيرها.

بعده. وكانت له حروب بالشام ومصر مع قلبطرة الملكة ومع زوجها أنطونيوس إلى أن قتله. ولم يكن لقلبطرة في دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة، وأراد أغسطس إعمال الحيلة فيها فراسلها، وعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها وجنودها فطلبت الحية التي تكون بين الحجاز ومصر والشام، وهي نوع من الحيات تراعي الإنسان حتى إذا تمكنت من النظر إلى عضو من أعضائه قفزت أذرعا كثيرة كالرمح فلم تخطئ العضو بعينه حتى تتفل عليه سما، فتأتي عليه، ولا يعلم بها لخموده من فوره ويتوهم الناس أنه قد مات من فوره فجأة حتف أنفه، فاحْتُمل لها حية من هذه الحيات ثم جلست قلبطرة الملكة على سرير ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب في مجلسها وقدام سريرها، وأدنت يدها من الإناء الزجاج الذي كانت فيه الحية فتفلت عليها الحية فجفت مكانها، وانسابت الحية وخرجت من الإناء، ولم تجد جحرا ولا مذهبا تذهب فيه لإتقان تلك المجالس بالرخام والمرمر، فدخلت في تلك الرياحين، ودخل أغسطس حتى انتهى إلى المجلس، فنظر إليها جالسة والتاج على رأسها، فلم يشك أنها تنطق، فدنا منها فتبين له أنها ميتة، وأعجب بتلك الرياحين، فمد يده إلى كل نوع يلمسه ويتبينه، فبينما هو كذلك من تناول الرياحين وشمها إذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها، فيبس شقه الأيمن من ساعته، وذهب بصره الأيمن وسمعه وهلك في اليوم التالي[٧٢].

لم يشر المسعودي في كتابيه إلى الملكات اللواتي حكمن مصر منفردات أو بالمشاركة سوى كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة، كما لم يشر إلى كل من الملك بطليموس الرابع عشر الذي شارك أخته الكبرى الشهيرة كليوباترا السابعة ملك مصر وهو طفل، ثم تخلصت منه بالقتل سنة ٤٤ ق.م لتفسح المجال لابنها من يوليوس قيصر ليصبح شريكا لأمه وعمره ٣ سنوات، وسمته ملك الملوك كما أطلقت على نفسها ملكة الملوك، ويحمل لقب الملك بطليموس الخامس عشر قيصر وامتدت فترة شراكته في ملك مصر من سنة ٤٤ ق.م حتى قتله على يدي وريث يوليوس قيصر أوكتافيان Octavian سنة ٣٠ ق.م.

---

(٧٢) *التنبيه والإشراف*، ١١٥؛ وينفرد *مروج الذهب*، ٣٣٦/١-٣٣٩ بقصة قتل كليوباترا لنفسها وقد اقتبستها مختصرة هنا.

لقد هُزمت قوات أنطونيوس والقوات المصرية المشتركة سنة ٣٠ ق.م في الإسكندرية على يدي أوكتافيان، وعندما سمع أنطونيوس بالأخبار الكاذبة عن موت كليوباترا لم يحتمل وقعها على نفسه، وانتحر بالإنحناء على سيفه وحُمِل إليها ولفظ أنفاسه بين يديها، أما هي فيذكر الكتاب الكلاسيكيون أنها أقدمت على الانتحار عن طريق تمكين صِلٍّ asp بلسعها، وذلك رمز من رموز الملوك الآلهة، ودفنا معا بالإسكندرية بناء على وصيتيهما[٧٣]. وهذه المعلومة تنسجم في خطها الرئيس مع الرواية التي أوردها المسعودي مع خلاف في بعض التفاصيل، منها غلط روايته في دور يوليوس قيصر الذي أغتيل في روما سنة ٤٤ ق.م وكانت كليوباترا على علاقة غرامية به وأنجبت منه ابنا، ثم أقامت علاقة غرامية جديدة مع القائد الروماني أنطونيوس وتزوجته وأنجبت منه ابنا وبنتا.

وبموت ملكة الملوك كليوباترا السابعة سنة ٣٠ ق.م انتهى حكم أسرة البطالمة لمصر، وفقدت مصر استقلالها وأصبحت ولاية رومانية.

---

(٧٣) Encyclopedia Britannica, Cleopatra VII.

أثر المدرسة الإغريقية الفنية في جنوب شبه الجزيرة العربية
(العربية السعيدة، أو اليمن أنموذجاً)
(دراسة لنماذج من التماثيل البرونزية في المتاحف)[1]

حسين أبوبكر العيدروس

مدخل:

لقد عرفتنا المصادر التاريخية عن الكثير من جوانب الصلات والعلاقات بين كل من اليونان والرومان وتطلعهم لمعرفة أرض جنوب شبه الجزيرة العربية، وشغفهم الدائم لاكتشاف أسرارها ومَظَانها، لما كان يكتنفها من الغموض والتحفظ الشديد من قبل سكانها الذين لم يُمكنوا الأجانب الغرباء من معرفة أسرارها على مدى وقت طويل من التاريخ، ولعل أقدم الإشارات التي ظهرت لاحقاً جاءت عند بليني عقب الحملة الرومانية على سبأ في عام ٢٤ قبل الميلاد[2] والتي توالت بعدها الكشوف ووضحت الصورة إلى حد ما عبر الوفود التي كانت ترسل لاستكشاف المنطقة ومعرفة جوانب الغموض التي تكتنفها، وما تنتجه من مواد.

---

(١) معظم التماثيل البرونزية التي نستعرضها في هذه الورقة محفوظة بالمتحف الوطني بصنعاء، ولهذا أنتهز الفرصة لأعبر عن شكري وامتناني لمدير المتحف الأستاذ/ عبد العزيز الجنداري الذي أبدى استعداده ولم يتردد في مساعدتي عندما طلبت منه تصوير القطع المعروضة في المتحف، وقد عاونني على ذلك مشكوراً الأخ الأستاذ/ إبراهيم الهادي، فلهم جميعاً جزيل الشكر والتقدير.

(٢) محمد عبد القادر بافقيه، *"توحيد اليمن القديم، الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي"*، الصندوق الاجتماعي للتنمية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، (صنعاء: ٢٠٠٧م)، ١٣٤.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٧١-١٠٤

أما الفن، بخاصة، فقد ارتبط بحياة البشرية منذ الوهلة الأولى، وتَدَرَّج بتدرُّج الفِكر وتَرَاكُم المَعْرفة وازدياد الخِبرات لدى الشعوب، كما أن صناعة التماثيل -وهي جزء لا يتجزأ من الفنون- تنوعت هي الأخرى، وتعددت بتعدد الثقافات، فتشربت بسماتها الخاصة بحيث أخذت ملامح مميزة في كل حضارة. وظهرت التماثيل البرونزية لاحقة للتماثيل الحجرية والخشبية التي عرفتها الشعوب منذ بدايات العصور الحجرية، إلا أن معرفة البرونز وإتقان التعامل مع المواد المُركبة لإنتاج أدوات أقوى وأمتن قد أسهم إسهامًا واضحًا في رُقي هذه الصناعة وفي بروز صناعات ثانوية أخرى كان للفن نصيب كبير منها.

وقد عَرَفَ اليمنيون وسكان جنوب الجزيرة العربية فن صناعة التماثيل كغيرهم من الشعوب الأخرى، ولم تكن هي المادة الأولى التي تعاملوا معها في صناعة تماثيلهم، فقد صَنَعوا التماثيل الأولى من الحَجَر ثم الرُّخَام بدرجة رئيسة، وربما ينطبق ذلك إلى حدٍ كبير على معظم التماثيل الحجرية المتعددة الأغراض التي أنتجت في جنوب شبه الجزيرة العربية في فترات مختلفة يعود أقدمها بوضوح للعصر البرونزي، ومنها تلك التي سُميت بالأنصاب الجنائزية أو شواهد القبور[٣]، وعرفوا الأنماط المتأثرة باليونان والرومان في صناعة رؤوس الأعمدة (التيجان)، وهي المتأثرة بالفن الكورنثي[٤] أكثر من غيرها.

ومع ظهور البرونز وانتشار استخدامه في صناعات متعددة مثل الأسلحة والأدوات الأخرى، مثل الأواني وغيرها، كان للفن حُضور واضح على هذه المادة، فَصُنِعَت منه تماثيل

---

(٣) N. Lynne S, and J. Zarins . "Aspects of Bronze Age Art of Southern Arabia", The pictorial landscape and its relation to economic and socio-political status. *Arabian Archaeology and Epigraphy* Vol. 11, 2000. 154-179; تارا ستيمر إربيه، " *ثلاثة نصب جنائزية من الألف الرابع قبل الميلاد*" ، كتاب طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية، الهيئة العامة للسياحة والآثار وآخرون، بإشراف كل من: أ. د. علي بن إبراهيم الغبان، أ. د. بياتريس أندريه سالفيني وآخرون، الرياض، ١٥٦-١٥٩.

(٤) جاكلين بيرين، "*الفن في منطقة الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام*" ، *دراسات يمنية* ٢٣، ٢٤، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٦م)، ٣٤.

نَذريَّة صغيرة ومتوسطة ذات طابع فني لا يختلف كثيراً عن الطابع الذي عُرف في المواد السابقة، إلا أن صِنَاعَة التماثيل البرونزية الكبيرة والمُجَوَّفة بالذات لم يَكن بالأمر الهيِّن، ولهذا لم يَكن مُتقَناً بالشكل الذي عَرَفه الإغريق، والذي كان في مُتَنَاول الكثيرين، ونظراً للضعف التكنيكي والأسلوب المتميز والواضح الذي اتسمت به مدرسة جنوب شبه الجزيرة العربية الفنية بوجه خاص فيما يتعلق بفن صناعة التماثيل الآدمية البرونزية، الأمر الذي أعرب عنه (جروهمان) بقوله: أن التَّوفيق فيها أقل من التوفيق في رَسم الحيوانات، فالفنان يَفشل فشلاً ذَريعاً في رَسم الآدَميِّين[٥]، ما جعله يَنْصَرِف عن دراستها. والواقع أن المُتَأمِل في هذه النظرة يَجدها قاصِرَة إلى حد ما، فربما كان المقصود منها أنه حين قورنت التماثيل الآدمية بالتماثيل المعروفة من مدرسة الفن الإغريقي وبعض الفنون الأخرى؛ يمكنّ أن يستنتج جانباً من القصور في إنتاجها، وهو الجانب التقني الذي يظهر واضحاً في التنفيذ، ولكن أُغفل الهَدَف الأساس من عملها بهذه المُواصفات، وعلى هذا الأسلوب كالذي نراه في مدرسة جنوب شبه الجزيرة العربية بعامة، ولو أن الأمر يتعلق باكتساب الخبرة لتحسين المنتج وجودة العمل الفني لحدث ذلك في الفترات اللاحقة من التاريخ، كما أنه يُمكن ملاحظة وجود أعمال فنية أخرى تكتمل فيها الجوانب الفنية، ويظهر الجانب التقني فيها على أحسن حال، وهو ما يُؤكد أن الأمر مَقصود، ولا يمثل قصوراً في التكنيك أو الصناعة، ولكنه يتعلق بتصميم خاص سَارَ عليه الأحفاد، ليس إلا لكونه يتعلق بالجانب الميثولوجي والعقائدي، وهذا الجانب لا يُمكن إدراكه والتحول فيه إلا في مراحل زمنية طويلة، كما أنه لا يتغير بسهولة لارتباطه الوثيق بالدين، ومن أمثلة ذلك نضع هذه النماذج كما هي في المجموعة (لوحة ١).

وإذا ثبت حقاً أن معظم هذه التماثيل لم تستورد من بلاد الإغريق، أو على الأقل لم يتدخل في صناعتها الفنان الإغريقي تدخلاً مباشراً إلا بصفة استشاري أو مدرسة فنية، وأن الذين قاموا بعملها هم فنانون من المناطق اليمنية أو من منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية، وهو أمر

---

[٥] ديتلف نيلسن وآخرون، "*التاريخ العربي القديم*"، ترجمة: فؤاد حسنين علي، مراجعة: زكي محمد حسن، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٢٧م)، ١٧٠.

مستبعد إلى الآن، فيبدو أن فن صناعة التماثيل البرونزية الآدمية على أسلوب المدرسة الإغريقية بالذات قد اقتصر على الطبقات الراقية والشخصيات المهمة والبارزة، وهكذا ظل فناً راقياً يختص بالقليل من الناس. ومع كل هذا فقد توغلت هذه الفنون حتى في المواقع والمناطق الثانوية في اليمن، ولم يقتصر وجودها على المعابد والمناطق الرئيسة.

وتوجد الكثير من النماذج الرائعة التي جاءت على نَسَق المدرسة الإغريقية في معظم المحافظات من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، مثل تلك القطعة البرونزية لتمثال نِصْفي لامرأة مُجَنَّحَة من موقع عَادِيَّة الغُرَف بحضرموت، وهو من القرن الأول بعد الميلاد، وكذلك عدد آخر من القطع الفنية الرائعة لتماثيل برونزية نسائية يظهر فيها الطابع الإغريقي ظهوراً كاملاً جُلبَت من موقع جَبَل العَوْد.

لا يُمكننا في الوقت الحاضر الجَزم بمواقع صِنَاعة تلك التماثيل البرونزية، وحتى يتم التحقق من مَصَادرها الأصليَّة عبر التنقيبات والدِّرَاسَات المَيدانية، أو على الأقل ظهور مَصَادر فيها إشارات واضحة كتلك الإشارة المكتوبة والمقتضبة التي أشارت فقط لاشتراك فنَّان يَمَني وآخر يوناني في عمل تمثالي ذمار علي وثأران يهنعم، إلا أن مثل هذه الإشارة لا تكفي للقول بأن هذه التماثيل أُنْتِجَت بكاملها في اليمن، فقد يكون التصميم للجسم وعَمَل القوالِب في منطقة أخرى ثم جُمعت بعد نقلها إلى الموقع الذي نُصِبَتْ فيه باشتراك الفنان اليَمَني الذي أدى تلك المُهِمَّة الأخيرة، في حين كانت العملية الأولى من الرسم والتصميم العام للهيكل في بلاد اليونان - مثلاً- سِيَمَا وأن هيئة التمثالين تشابه كثيراً التماثيل البرونزية الإغريقية من نفس المرحلة، ولم يظهر الاختلاف سوى في سُحْنَة الوَجه والمَلامِح، الأمر الذي يُثير الجدل حول كثير من التماثيل الأخرى أنها ربما جُلبَت من الخارج عبر القوافل التجارية، من طريق مباشر أو غير مباشر (هَدَايا أو قرابين أو غيرها)، وقد أضيفَت عليها لاحقاً تلك الكتابات أو السِّمات الخاصة بالمناطق التي وصلتها، ورغم كل هذا إلا أننا نبقى حَذرين من قول ذلك صراحة لكون منطقة اليمن أو شبه الجزيرة العربية هي بلاد امتلكت صُنُوفاً مُختلفة من الفنون القديمة، ولديها تنوع وثروة فنية سابقة بحيث تستطيع إنتاج أعمال مثل تلك، أو على الأقل إضفاء لَمسَات البيئة والطابع المحلي على المنتجات المحلية التي أنتجَتها منذ عُصور مُوغلة في القِدَمْ.

التماثيل المنسوبة لمدرسة جنوب شبه الجزيرة:

لم تكن المدرسة الفنية المنسوبة للإغريق هي المدرسة الفنية الوحيدة التي عرفها الناس في شبه الجزيرة العربية، كما لم تكن هي الأولى، ولكنها ظهرت لاحقاً بارزة ومحددة، مقتصرة على أعمال مُجَسمة بالبرونز، وكان ذلك نتاج العلاقات التجارية لجنوب شبه الجزيرة العربية مع العالمين اليوناني والروماني. وكذلك فقد كانت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية قد عَرَفَت مدارس فنية خاصة بها منذ زمن أقدم، تعود أقدم الأدلة الأثرية إلى العصر الحجري. وفيما يتعلق بالرسوم الصَّخرية المُلوَّنة، ففي مناطق كثيرة من شبه الجزيرة العربية انتشر فَن الرُّسوم الصخرية في مناطق متفرقة وكثيرة من شمال الجزيرة وغربها وشرقها ووسطها[٦]، وفي مناطق جنوب شبه الجزيرة وبالتحديد في اليمن بَرَزَت العديد من تلك المواقع، ومن أمثلته موقع "وادي بن عَلي" في حضرموت[٧] ومواقع من منطقة "صَعدة"[٨] ومواقع كهوف منطقة "الضَّالع" وهي: "كهف النَّابرَة"

---

(٦) توجد دراسات كثيرة لمواقع الرسوم والنقوش الصخرية في شبه الجزيرة العربية قام بتوثيقها ودراستها عدد كبير من المهتمين والمتخصصين، وكانت أبرز الدراسات التوثيقية تلك التي قام بها كل من أ. أناتي في السعودية و دي كاردي و ب. كلارك في عمان، ثم أعاد دراسة رسوم السعودية بأسلوب منهجي مجيد خان وعدد آخر من الباحثين الذين لا يتسع المجال هنا لذكرهم.

(٧) ريمي كراسار، *"تقرير أولي لموقع وادي بن علي1 في منطقة شبام حضرموت"*، *حوليات يمنية*، العدد الثالث، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، (صنعاء: ٢٠٠٦م)، ٣-١٠؛ حسين أبوبكر العيدروس، *"الرسوم والنقوش الصخرية في وادي حضرموت"*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، (جامعة صنعاء: ٢٠١٠م)، ٢٥.

(٨) Madiha Rachad, *L'art rupestre et son contexte préhistorique au Yémen dans la région de Sàdaa,* Vol. 1 and 2, Instit d'Art et d'Archéologie, Université de Paris 1- Panthéon – Sorbonne, (Doctorat), 1994; *L'art rupestre du Yémen du nord (région de SADAA)*, Année universitaire, Université de Paris 1- Panthéon – Sorbonne, 1987-1988; Rachad Bayle des Hermens R. (DE), & M. Tardif, *Note Préliminaire sur l'art rupestre de la république arabe du Yémen*- Mission, 1988; L'Anthropologie, 94, 1, 1990, 171 -174; الجرو، أسمهان سعيد. *"المراحل الحضارية الأولى في اليمن القديم، عصور ما قبل التاريخ"*، الإكليل، العدد الأول، (صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٩٢م)، ١٤٧.

و"كهف القرود" و"كهف الإبل"[(٩)]. كما ظهرت التماثيل المنحوتة على مَواد مُختلفة من بينها الحَجَر في العصر البرونزي، وقد تَركَت التماثيل المنحوتة على التماثيل المعروفة في شواهد القبور المصنوعة من الحَجَر[(١٠)]، وبعض التماثيل الحجرية الصغيرة التي تفتقد التفاصيل، وهي رَمزِّية أكثر منها تماثيل ذات مَغْزَى جَمَالي، لكونها أُعِدَّت قرابين تُهدى للآلهة تخصيصاً، وتُدفَن في المَقابر مع الأموات[(١١)] وهذه المدارس لها سِمَاتها وخَصَائصها التي تتباين من فترة إلى أخرى، ويتوحد بعضها مع بعض بوصفها سمة تخص منطقة جنوب شبه الجزيرة.

إن أبرز سِمَات التماثيل المنحوتة في جنوب شبه الجزيرة العربية ومنطقة (اليَمَن) خاصة هي افتقادها للمُرونَة وتَجَلِّي القَسَاوَة فيها (لوحة ١)، حتى لُمجَرَّد خَلقِ نوع من الحَرَكة والحَيَويَّة في التَّمَاثيل، كتلك التي نَرَاها في التماثيل الإغريقية التي امتازت بتصوير دقائق الجسم وتفاصيله بما ينطبق تماماً مع الجسم الحقيقي للإنسان، مع ليُونَة حَرَكة الأعضاء كما هي في الواقع، بالإضَافة

---

(٩) ميشيل الآن غارسيا، مديحة رشاد، *"فن ما قبل التاريخ"*، *كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ*، ترجمة: بدرالدين عردوكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، (دمشق: دار الأهالي، ١٩٩٩م)، ٢٦- ٢٩؛ مديحة رشاد، *"لمحة تاريخية عن الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ بمحافظة صعدة ومقارنتها بالرسوم الصخرية المكتشفة في محافظة الضالع (جرف النابرة)"*، الإكليل ٢٧، (صنعاء: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢م)، ١١٣- ١١٨.

(١٠) بوركهارد فوكت، *"نهاية ما قبل التاريخ في حضرموت"*، كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدرالدين عردوكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، (باريس: دار الأهالي، دمشق: ١٩٩٩م)، ٣٠- ٣٣؛ Newton Lynne S, and Juris Zarins. *"Aspects of Bronze Age Art of Southern Arabia",* The pictorial landscape and its relation to economic and socio-political status. Arabian archaeology and epigraphy. Vol. 11, 2000, 156.

(١١) أليساندرو دي ميغرية، *حضارة العصر البرونزي في خولان الطيال والحدا، الجمهورية اليمنية*، المعهد الايطالي لدراسات الشرقين الأوسط والأقصى، (روما: مركز الحفريات والدراسات الآثارية، أسميو، ١٩٩٠م) (ملحق الصور)، PL 52a, b؛ كريستيان روبان، *"حضارة الكتابة"*، كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدرالدين عردوكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، (باريس: دار الأهالي، دمشق: ١٩٩٩م)، ٨٩؛ أليساندرو دي مغرية، "*عصر البرونز في المرتفعات*"، كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدرالدين عردوكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، (باريس: معهد العالم العربي، دمشق: دار الأهالي، ١٩٩٩م)، ٣٤-٣٩.

إلى أن التَّمَاثيل في جنوب الجزيرة قد اهتَّمَت في أغلبها بخصائص مُحَدَّدة بالإضافة إلى التركيز على الرأس وبأتم دقة على العُيون، حيث استخدم في كثير منها مواد نَفيسَة كالأحجار الكريمة لوضعها في موضع العُيون أو ما يُطلق عليها (عُيُون بَديلة أو مُطَعَّمة). أما بقية أعضاء الجسم فلم يُعِرْهَا الفنان أي اهتمام، وربما اكتفى بجهده في تنظيم الجزء العلوي من الجسم حتى العَجَزْ أو أعلاه فقط، ولم يكن ذلك في كل التماثيل، ولكن في أغلبها. وأبرز نماذج التماثيل اليمنية القديمة يُمكن استعراضها هنا حتى نَتَمكَّن من مَعرفة الفوارق الأسلوبية بين المدرستين في جنوب شبه الجزيرة القديمة والمدرسة الإغريقية.

١. تمثال الملك هوترعثت:

رغم أن هذا التِّمثال لم يكن على شَاكِلَةِ التَّماثيل المنسوبة للمدرسة الإغريقية من حيث المَلامِح وتجسيد الحركة، إلا أنه ربما كان على نَسَق التكنيك في الصناعة والصَّب؛ فخصائصه التي تمثل حركة الأعضاء أكثر جُموداً وخُشونة من التماثيل التي عرفتها المدرسة الإغريقية، وبالإضافة إلى أن حَجمَه أقل من الأحجام التي ظهرت في المدرسة الإغريقية المُبَالغة في الطول وضخامة الجسم، والتي ظهرت في تمثالي ذَمَارْ عَلي وابنه ثاران، وفي بعض التماثيل التي ظهرت بقايا منها كالأرجل البُرونزيَّة الموجودة في كل من مَتَاحِف صنعاء ومَتحَف سَيئُون بحضرموت، وهي أكبر بكثير من الحَجم الطبيعي للإنسان.

وهذا التمثال يُعَدُ من أبرز التماثيل التي أنجزت في منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية وبالتحديد في (اليمن)، وهو تمثال للملك هَوْتَرعَثَتْ[١٢] بن رَضو إل مِن أُسرَة شَلَلَم[١٣]، الذي

---

[١٢] عزة علي عقيل بن يحيى، "*هوترعثت بن رضوإل من أسرة شللم*"، (دراسة غير منشورة)، ٢٠٠٦م.

[١٣] من المحتمل أن يكون تاريخ هذا التمثال معاصراً لتمثال معدي كرب الذي يؤرخ من القرن السادس قبل الميلاد، ويمثل هذا التمثال رجلاً واقفاً، يبلغ ارتفاعه ١٤٠سم، يُشابه تمثال هوترعثت في طِرازه تماثيل مأرب التي عثر عليها في معبد آوام (ي. م٢٦٢، ي. م٢٦٣، ي. م ٢٦٤)، صُور الشعر بشكل مدببات صُفت في دوائر متطارده حول الرأس، قد تمثل هذه المدببات خصل الشعر الملتفة في شكل حلزوني والتي نراها في تصفيف الشعر الآشوري؟ والتي استخدمت بشكل مبسط في الفترة الفارسية، ونجد ما يماثلها أيضاً في الفن الإغريقي منذ القرن السادس قبل الميلاد. بن يحيى، (المرجع السابق).

يَكتسي إزاراً كالُفوطَة التي لازَالت تُلبَس حَالياً في اليمن، يَلتَفُ على الخَصْر مُشَكلاً ثنايا صغيرة متوازية تتقاطع عند السُّرة لتنسدَل أطراف الإزار في الوسَط، ويُغَطي الفَخذَين مُشكلاً ثنايا صُوِّرت بشكل مُبسط، هذا الشكل للثنايا يماثل ما نَرَاه في برسابوليس(١٤)، ويمثل هذا التمثال رَجُلاً واقفاً، ارتفاعه ١٤٠سم. كُسرت ذراعاه عند المَرفَق، يَكتسي إزاراً يلتصق بالفخذين تلتقي أطرافة في الأمام، ومربوط عند الخصر، تبدو فيه القدم اليمنى منفصلة عن التمثال، بينما يظهر لِسَان تثبيت التمثال واضحاً على قاعدته بادياً أسفل القَدَم اليُسرى. ويوجد النقش على البَطن وهو مُكون من ١٢سطراً (لوحة ٢، ٣).

النقش:

١. هوترعثت بن رضوإل من أُسرة شللم

٢. عبد ذومذاب قدم للمقه سيد مستوطني

٣. نشقم تمثال من البرونز من بواكير غلالة هداها له

٤. هو وأباه رضوإل <بالإضافة> للحي عثت وإبنه

٥. رأب عثت وكل نسائه وأبنائه

٦. وممتلكاته ودياره في مأرب ونشقم وكل

٧. نخيله وكرومه ومزارعه في وادي نشقم

٨. حيث أعطاه ألمقه كل ما وعده به

٩. بعثتر وألمقه وبذات حميم وبذات بعدنم

١٠. وذات نشقم وبيدع إل بين ملك سبأ

١١. وسيده يشرح إل وإل شرح ذي مذهب وبأبيه رضوإل.

---

(١٤) برسيبوليس او بيرسيبوليس من اليونانية ويعني «مدينة الفرس» وتعرف اليوم باسم «تَخْتِ جَمْشيد». مدينة أثرية على مسافة ٦٠كيلومتر إلى الشمال الشرقي من مدينة شيراز.

ومن المحتمل أن يكون تمثالنا هذا معاصراً لتمثال مَعدي كرب الذي يؤرخ من القرن السادس قبل الميلاد[١٥].

٢. تِمثال مَعْدي كَرِب:

تمثال الملك مَعْدي كَرب يُعد من أهم وأشهر وأجمل القطع الأثرية في اليمن، ويختلف عن التماثيل الإغريقية هو الآخر من حيث السِّمات الفنية والتنفيذ الذي امتازت به المدرسة الإغريقية عن المدرسة الفنية في جنوب شبه الجزيرة العربية، وكذلك من حيث ضخامة الجسم فهو أقل من الحجم الطبيعي لجسم الإنسان، وقد عثر عليه خلال أعمال الحفريات الأثرية التي قامت بها المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان التي تمت عند بداية خمسينيات القرن الماضي في معبد أوام بمَأرب، ضِمن أكثر من أربع وعشرين قطعة أثرية معظمها كانت مُكسرة. وهذا التمثال مصنوع من البرونز، يبلغ ارتفاعه ٩٣سم، ويعود تاريخه إلى حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، وقد كتب على كتفه الأيسر اسمه مَعدي كرب أو (مَعد يَكرب) كما يَحلو للبعض كتابتها[١٦]، وهو الآن ضمن معروضات متحف صنعاء الوطني (لوحة ٤).

من خلال المشاهدة للتمثال يظهر أنه لقائد يرتدي إزاراً قصيراً يَتَمَنْطَق بالخَنْجَر أو (الجَنْبِيَّة) كما يطلق عليها أهل اليمن، والتي مازالت تستخدم حتى الوقت الحاضر، ويتوج ظهره وكتفيه جِلْد أَسَد، حيث تظهر أذرعه واضحة في المُقَدِّمَة وحَول الإزَار (لوحة ٥)، وهذا الجلد الهِرَقلي، وهو النموذج الفينيقي الأصل أو النشأة[١٧] تتقاطع يداه عند صَدر التمثال، هذا التمثال يَحْمِل كثيراً من المتناقضات فعلى مَلامِحِه تَجد رَجُلاً مُحَارباً، كما أن طريقة وقُوفِه طريقة قتالية – تُشبه وضع الاستعداد في ألعاب الكاراتيه – ويلبس خوذة للرأس عادة ما يلبسها المُحَاربون، كل هذه

---

(١٥) بن يحيى. "هوترعثت"، (المرجع السابق).

(١٦) جواد علي، "*المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*"، الطبعة الثالثة، (بغداد: مكتبة النهضة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)، ٧٩/٢؛ روبان. (المرجع السابق)، ٨٨.

(١٧) جاكلين بيرين، "*الفن في منطقة شبه الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام*"، دراسات يمنية، العددان ٢٣-٢٤، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٦م)، ٢٤.

الأشياء تدل على أنه رَجُل حَرب وقتال إلا أننا نجده مكشوف الصَّدر، ولا يرتدي نعالاً، وله ابتسامة واضحة لا تتناسب مع شخصية رجل محارب. وقد نقش على الجهة الأمامية منه نقشين.. النقش الأول مكتوب بحروف كبيرة اسم صاحب التمثال (مَعدي كرب)، والنقش الثاني بحروف أصغر، وهو الأطول يمثل الإهداء الذي قدمه والد مَعدي كرب ومعناه:

عَمَي أَنَسْ ابنْ لُحَي عَثَتْ ابنْ كَشَحَتْ أهدى إلى أَلَمَقَه هذا التمثال البرونزي أحد ثلاثة (تماثيل) مُحَاربين من البرونز، ويذكر خَمْسَة من أبنائه هم: حمي عثت، معدي كرب، أوس عثت، لحي عثت، وأوس بنو كشحت، بالإضافة إلى ثلاثة أشخاص آخرين هم: عمي كرب كبير أقيان ذي مرحب، و ذي أمر يدع ابن كبير خليل، وهوفي عثت ابن شرسهمو، وبيته يَفْعَان وكل أمواله الموجودة في وادي ذَنَهْ وسَهِل نَشِقْ. وينتهي النقش بذكر خَمْسَة آلِهَة وملك سَبَأ يَدِعْ ايْل بَيِّن الذي كتبه بالخطأ يدع إيل بين.

٣. تمثال برونزي نصفي لشاب:

توجد تماثيل برونزية أخرى محفوظة في المتحف الوطني بصنعاء نُفِذَتْ بأسلوب مَدْرَسَة شبه الجزيرة العربية التي نفذ بها تمثال مَعدي كرب، كالتمثال البرونزي النصفي لشاب، والذي يُشبه رأسه رأس تمثال مَعدي كرب(١٨)، ويُظهر الوقفة القاسية ووضع الأيدي المعروفة في تماثيل الحضارة اليمنية الأخرى، وهي رفع اليد اليُمنَى، ومَد اليُسرى التي تُمسِك بالعَصَا، ويَبدو العُنق الطويل أكثر من المُعتاد، وتصفيف الشَّعَر الذي يَظهَر على شكل حُبيبَات أو رُؤوس الدَّبَابيسْ، وهو أشبه بالخَوذَة الحَربيَّة، يمتاز بالذقن الخفيف الذي نُفذ على شكل حُفَر غائرة صغيرة، ويمتاز التمثال بعُيُون واسِعَة وحَاجِبَين غَلِيظين شبه متصلين، وأنف مُدبَّب، ويلتف على الجزء السفلي من التمثال إزار يَعلوه حِزام عريض (لوحة ٦).

ولا تظهر هذه الأنواع من التماثيل الخصائص التشريحية للجسم كما تظهر في التماثيل المنسوبة للمدرسة الإغريقية، إلا أنها تتَّسم بالشدَّة والقَسْوَة.

---

(١٨) لم يحدد الموقع الذي جلب منه هذا التمثال المحفوظ في المتحف الوطني بصنعاء، والذي يمتاز برقبة طويلة ووقفة تشابه الوقفات التي عليها التماثيل اليمنية من هذه المرحلة، ويظهر أنه كان يحمل بيده اليُسرى عصا في حين يقوم برفع يده اليمنى مستقيمة ومفتوحة الأصابع، وتصل إلى قرب الرقبة.

٤ . تمثال السيدة برأت:

تمثال مصنوع من البرونز لِسّيدة وَرَد اسمُها في بداية النقش المكتوب على القاعدة التي تحمله، وهو بَرَأت رَثَدْ إل (لوحة ٧)، وعثر على هذا التمثال في مدينة تَمْنَع عاصمة الدولة القتبانيه في (هَجْر كُحْلان) وبالتحديد في موضع (بَيْت حَدث) قرب البوابة الجنوبية للمدينة بواسطة البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان أثناء التنقيبات في مقبرة حَيْد بن عَقيل عام ١٩٥٢م. وهذا التمثال معروض في متحف عَدَن، وقد أخذ ضمن معروضات معرض الحضارة اليمنية في أوروبا. ويعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، ويختلف في طِرَازه عن التماثيل الإغريقية المعروفة من حيث الواقعية في رسم صور المرأة ورشاقتها وإظهار مفاتنها، التي غالباً ما تظهر عارية أو شبه عارية، في حين عَمَد في هذا التمثال للاحتفاظ بملابسها ومراعاة تقاليد المنطقة التي لا تبيح العري وكشف العورات، ويرى البعض بأنه ربما يُماثل التماثيل الموجودة في Selevcie في Tigre (تِجْري) والتي تظهر فيها ملامح من الفن البارثي[١٩] مع تأكيد الانتماء للمدرسة الجنوبية من خلال الكتابة والنص المدون على القاعدة.

ويبدو التمثال لامرأة تجلس على قاعدة وترفع يديها لأعلى، ويرتفع التمثال نحو ٥٢سم، والمقعد نحو ١٧سم، ويبدو جسم المرأة بديناً إلى حد ما ومتناسقاً في تنفيذه إلى درجة كبيرة، ودقيق الملامح، ووضع المرأة جالسة ومتجهة برأسها إلى الأعلى قليلاً، وتلبس ثوباً أتقن المُنَفِّذ في إظهاره إلى درجه كبيرة بحيث أظهر ثنيات الثوب المائلة تحت الصَّدر وفوق الأرْجُل، كذلك عند أسفل الرَّقبَة بحيث بدأ وكأنة ثوب حقيقي وليس مصنوعاً من البرونز، كما صُوِّر ما يُشبه القلادة أو الطَّوق على شكل حلقة مستديرة حول الرقبة وهو نوع من الزينة التي تلبسها النساء عادة.

وقد أخذ التمثال جانباً من الفن الواقعي في صناعته، حيث أظهر شخصية تكاد تنطبق في ملامحها مع الواقع، كما لا نَغْفَل أنه كيف أتقن الفنان تنفيذ الرأس بدقة، وقام بعمل ما يُشبه

---

(١٩) بيرين (المرجع السابق)، ٣٣؛ آرنست ويل، *"الفنون في مدرسة اليونان وروما"*، كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدرالدين عردوكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، (باريس: معهد العالم العربي، دمشق: دار الأهالي، ١٩٩٩م)، ٢٠٤.

التَّاج المُسْتدير فوق الرأس، وتَجَاعيد مُلتفة فوق الأذنين تمتد إلى الخلف بمحاذاة الرَّقبة، وتظهر ملامح الوجه المُمتلئ واضحة، الأمر الذي يمنحها صِحَّة وشباباً، كما جعلها تنظر إلى الأمام وأضفى على مُحيَّاها ابتسامة لطيفة تكشف عن قدسية ما تنظر إليه، كما وضعت الأقدام مباشرة فوق القاعدة، وتلبس نِعَالاً سميكة كما التفت حول ساقيها أسَاور سميكة. والتمثال على ما به من الدقة والإبداع في التنفيذ إلا انه يحمل عيباً واضحاً وهو ما يظهر جلياً في عدم تناسق حجم الكفين والذراعين، حيث بدت ضعيفة وغير متناسقة إلى حد بعيد مع بقيه الجسم.

وهذا التمثال يجلس على قاعدة حجرية عريضة كُتب على واجهتها الأمامية نقش بخط المسند.

النقش:

١. برأ ت ذ ت بيت رثد إ ل بن شحز سقـ

٢. نيت ذ ت حميم عثت يغل صلمت ذ

٣. هـبن حجن تكربتس لو فيس و و فـ

٤. ي أ ذ نس و مقمس و قنيس قظرت

٥. عم ذ ربحو رشوت عم ذ

٦. ر يمت بور و إ ل غيلن يهنعم

مفهوم معنى النقش:

بَرَأت من عائلة رَثد إيل من بني شَحِز قدمت للآلهة ذات حَمِيمْ عثتر بَعْل تمثال من البرونز لما كانت قد نذرت لها، وذلك من أجل سلامتها وسلامة أملاكها لِقظرَت عَمْ ذي رَبَحو الكاهنة في معبد الإله عَمْ ذي دَيْمَت بِجَاه ورو إيل غيلان يُهَنْعِمْ.

وقد صنع هذا التمثال بأسلوب فيه بعض سمات الفن الإغريقي من حيث شكل طيَّات الملابس وليونة الحركة (لوحة ٨)، وفي نفس الوقت فانه يجسد الواقع للمرأة البدينة التي تظهر في الواقع اليمني دون أن يركز على مواضع الجمال أو يبرزها.

١. تمثالي ذمار علي وثاران يهنعم:

يمكن التركيز على تمثالي ذَمَارْ علي يَهَبْئِرْ وابنه ثارَان يُهَنْعِمْ، على اعتبار أنهما أهم النماذج الموجودة في اليمن وأبرزها[٢٠]، والتي تمثل المدرسة الإغريقية بكل تفاصيلها، كما تمثل النموذج للعمل الفني المشترك بين الفنان الإغريقي والفنان اليمني، الأمر الذي أنتج فناً مشتركاً به سمات المنطقة التي عُمل من أجلها، أو الأشخاص الذين نفّذ العمل من أجلهم وهما (ذَمَارْ عَلي وابنه ثارَان)، وسِمَات المدرسة الفنية الإغريقية التي طَغت عَلى العَمَل وجَسَّدت الصِّلة الفنية وأكدتها (لوحة ٩)، والملك الصغير ثاران هو الذي حكم مع أبيه ذمار علي حكماً مشتركاً بعد سنة ٣٤٠م وسنة ٣٥٠[٢١]. وهذان التمثالان محفوظان بالمتحف الوطني بصنعاء التمثال الأول للأب ذمار علي يحمل رقم (ي. م ٣٠٦) والنقش برقم (RES470)، والتمثال الثاني للابن ثأران يحمل رقم (ي. م ١٩٦)، والنقش يحمل رقم (CIH 479)، وهذا النقش المكتوب على صدر كل واحد من التمثالين لا يختلف عن الآخر، إلا أن التلف قد أصاب أجزاء من النص المكتوب على تمثال الابن[٢٢] وهذان التمثالان هما النموذجان الأساس لهذه الدراسة، واللذان عُملا نسخة طبق الأصل من التمثالين اللذين عُثر عليهما في مدينة يَكْلَا أو(سِلِع) أو النخلة الحمراء[٢٣] (لوحات ١٠، ١١) وهما على نسق تام للتماثيل اليونانية من حيث المادة والطريقة والحركة والملامح الرئيسة للجسم، ويشابه تمثال حَامِلْ الرُّمح للفنان بوليكليتوس من حوالي ٤٤٠ ق.م.

وقبل ترميم التمثالين أجريت بعض الدراسات عليهما من قبل بعض الباحثين، فقد دَرَسهُما شُولُوبي، وأرَّخهُما للفترة من القرن الثالث الميلادي، وقد اعتَمد في تأريخه على عُملات

---

(٢٠) يجب التنويه إلى أن التمثالين البرونزيين المعروضين في صالة مدخل المتحف الوطني بصنعاء ليسا التمثالين الأصليين، وإنما نسخة منهما، في حين تعرض القطع الأصلية للتمثالين في فاترينات العرض بنفس الصالة.

(٢١) علي، (المرجع السابق)، ٥٦٣، ٥٦٦.

(٢٢) مطهر علي إرياني، "ذمار علي وابنه ثأران يعودان إلى صنعاء"، الإكليل، العددان الثاني والثالث، السنة الثانية، (صنعاء: وزارة الإعلام والثقافة، ١٩٨٣م)، ٢٦٦.

(٢٣) علي، المرجع السابق، ٥٩٤.

الملك ثأران، أما جاكلين بيرين فقد أرَّختهُما إلى القرنين الأول والثاني الميلادي(٢٤)، كما قارنتهُما بقطع ساسانية مشابهه في بعض الخصال مثل الشارب وتصفيف الشعر(٢٥)، وأما راتجنس فقد ربطهما بالتماثيل البارثية وأرخهما للفترة من القرن الثالث الميلادي(٢٦)، ويبدو كذلك من بقايا قطع برونزية غير مكتملة تشير إلى وجود تماثيل برونزية ضخمة كلاسيكية الشكل انسيابية الحركة، ويظهر ذلك من خلال بقايا لأقدام منتعلة نِعَال ذات خُيُوط رَفيعة، وهي محفوظة بالمتحف الوطني بصنعاء (لوحات ١١، ١٠)، ويوجد نموذج مشابه لها محفوظ بمتحف سَيئوُن للآثار بوادي حضرموت.

تظهر مواضع كثيرة في التشابه بين تمثال الأب والابن خصوصاً في الجزء السفلي من التمثالين، من حوالي مُنْتَصَف البَطِنْ، وتختلف حركة الأيدي والسَّاقين اختلافاً واضحاً. ويظهر بنفس الوقت الفارق الواضح بين وجهي الأب والابن من حيث كِبَر السِّن، كما يظهر اختلاف تَسْريحَة الشَّعَر (لوحات ١٢، ١٣)، فشعر الابن يتدلى إلى فوق الكتفين على شكل خصلات متفرقة، ما دَعَاهُ لعمل رَبطة عند قِمَّة الرأس، أما شَعَر الأب فيظهر أقصر، ولا يتدلى إلى أسفل، ولكنه مربوط بربطة عريضة عند قمته أيضاً (لوحات ١٤، ١٥)، وشَعَر الأب يشبه إلى حد كبير طريقة الشعر في بعض التماثيل اليونانية مثل تمثال أبوللون ساورو كتونس في رُوما، وهو على غِرَار طريقة تصفيف الشعر للآلهة الإغريقية (لوحة ١٦). وبصورة عامة يُمكن القول؛ إن الاختلافات بين التمثالين طفيفة، إذ لم يغير الصانع في جسم التمثالين سُوى حركة الذراع الأيمن المَمدُود على طول الجسم في تمثال ذمار علي، والتي أصبحت مثنية خلف الوِرْك في تمثال الابن،

---

(٢٤) J. Pirenne. "Notes d'archéologie sud-arabe II: La statuette d'un roi de 'Awsn et l'hellénisation dans la statuaire sud-arabe", *Syria*, XXXVIII, 1961, 300-304.

(٢٥) C. Rathjens. Sabaeica, Bericht über die archäologischen Ergebnisse seiner zweiten, dritten und vierten Reise nach Südarabien (Mitteilungen aus dem Museum für Völkerkunde in Hamburg, XXIV): II. Teil, Die unlokalisierten Funde, Hamburg, 1955, 106.

(٢٦) C. Rolley, *Les bronzes grec*s, Paris, 1983, 157, fig. 146.

أما في تفاصيل الوجه، فقد غير الفنان بعض ملامح الوجه، حيث يظهر الأنف أعرض والفم أرفع في تمثال ذمار علي، وأضَافَ خِصْلات من الشعر أسْدِلَت على كتفي تِمثال ثأران[٢٧].

كل ذلك يُحَملنا على القول بأن القالب المُعَد لِعَمَل التماثيل على هذا النَّسَق هو بهذا الحجم الأكبر من الحجم الطبيعي المُعْتاد، وربُما يتم عمل القوالب للجسم دُون الرأس لعدد من التماثيل مُتشابهة بحيث تحدث بعض التغييرات الطفيفة فيما بعد. والمعروف أن أجسام اليمنيين -غالباً- أقصر بكثير من أجسام الناس في أوروبا مثلاً، ولكن الفنان قَصَدَ تضخيم الجِسم لِكونه لِمُلوك وشخصَّيات مُهمَّة.

أما الذقن فهو قصير الشعر في كلا التمثالين ويتشابه مع عدد من التماثيل الإغريقية مثل تمثال القيصر غالينوس المحفوظ بمتحف برلين الشرقية (لوحة ١٧).

النقوش المكتوبة على التمثالين:

توجد كتابات منقوشة على جسمي التمثالين معظمها بالخط العربي الجنوبي (المُسْنَد)، فَعَلى قمَّة صَدر تمثال الملك ذمار علي يوجد النص التالي (لوحة ١٨):

ذمر علي| يهبر| ثاران| ملكي| سبأ| وذريدان| ذخمري| مأدبت

يهمي| بهل| أخطر| وشرح سمو يدع| ومجد| بني| ذرنح لمسود| بيتهمو| صنع...

محتوي النقش:

ذمار علي يهبر وابنه ثاران ملكا سبأ وذريدان وضعا ما انعما به على رعاياهما " باهل أخطر" و "شرج سمويدع" و "مجد" بنو ذرانح ، من أجل قاعة الاستقبال في قصرهما صنعاء[٢٨].

---

(٢٧) عزة علي عقيل بن يحيى، *"التماثيل البرونزية ذمار علي وابنه ثاران" : ذمار عبر العصور، قراءات آثارية، تاريخية، جغرافية، ثقافية*، إعداد أحمد محمد الحضراني، (دار جامعة ذمار للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م)، ٤٣.

(٢٨) ويل، المرجع السابق، ٢٠٣.

السمات البارزة في تمثالي ذمار علي وثاران يهنعم:

ومن أبرز السِّمات والخصائص التي يُمكن التركيز عليها في تمثالي ذمار علي وابنه ثاران هي مسألة العُري، فالتماثيل اليمنية القديمة لم تظهر بهذا الشكل دُون ملابس لا في الرَّجال ولا في النِسَاء، ولكن بخلاف ذلك في معظم التماثيل اليونانية والرومانية، وكذلك عدم وجود النِّعَال في كلا التمثالين، وقد وجُدت التماثيل التي صُنِعَت بالأسلوب الشائع في جنوب شبه الجزيرة العربية مُنتَعلة أحذية ذات خُيوط، وتظهر أمثلتها بكثرة في بقايا الأجزاء السفلية من سيقان تماثيل برونزية أكبر من الحجم الطبيعي (اللوحات ١٠، ١١)، مُعظمها محفوظ بالمتحف الوطني بصنعاء، وقدم واحدة لرِجل يُمنى محفوظة بمتحف سَيئون للآثار[٢٩]، ولهذا فقد أضُيفَت وَرَقَة العِنَبْ على الأعضاء التناسلية لكلا التمثالين فيما بعد (اللوحة ١٩).

تتشابه هذه التماثيل إلى حد كبير مع تماثيل متفرقة محفوظة في بعض المتاحف العالمية مثل متحف اللوفر، ومنها تمثال روماني صغير طبقاً لتمثال الاسكندر المقدوني الكبير وهو يُمسِك الرُمح، وكذلك تمثال آخر من القرن الثاني قبل الميلاد محفوظ بمتحف تيرمن في روما (اللوحات ٢٠، ٢١)، وكانت هذه الطريقة المميزة لتصوير تماثيل القياصرة الرومانيين حتى نهاية القرن الثالث الميلادي. كما تتشابه مع تمثال برونزي كبير للأمير الهلينستي في قصر ما سيميو في روما (اللوحة ٢٢).

ومن المُسَّلم به تماماً أن هذين التمثالين قد صُنِعا على يَد فنان إغريقي ترك اسمه مكتوباً على الرُّكبة اليُسرى لتمثال الملك الأصغر ثاران يهنعم، ويرى بعض الباحثين بأن الفنان (فُوكَاس) فنان مُتجوِّل، أو أنه كان مُقيماً في النخلة الحمراء[٣٠]، ولكن لا يُوجد ما يُثبت أن تنفيذ هذا العمل قد حَدَث بكامله داخل اليمن، وُربَما أنه نفذهُما في بلاده، إلا أنه لم يَقُم بتلحيم القطع

---

[٢٩] توجد قدم برونزية للرجل اليُمنى، وهي بحجم أكبر من الحجم الطبيعي، ومشابهة لبعض أقدام التماثيل المحفوظة في المتحف الوطني بصنعاء، اقتناها متحف سيئون للآثار بوادي حضرموت منذ عام ١٩٩٩م، والأقرب أنها قد أتت من منطقة غرب حضرموت.

[٣٠] ويل، المرجع السابق، ١٩٩؛ الارياني، المرجع السابق، ٢٤٩.

مع بعضها البعض لكي يَسهُل نقلها إلى اليمن، ولإتمام العمل قام بتعليم فنان عربي أو (يمني) ليُكمل عملية الرَّبط وتوصيل القطع مع بعضها بعضا، الأمر الذي تُوضِّحه علامات صَب البرونز اللاحقة، ويظهر أن الفنان اليمني هو الذي يُدعَى (لُحَي عَمْ) (اللوحات ٢٣، ٢٤)، وهذا الفنان قد اقتدى بتعليمات الفنان عندما قام بعد انجاز عمليات الصَّب الرَّئيسَة بإغلاق التمثال (تركيب القطع المُجَزأة)، أما (فُوكَاس) الذي أنجَزَ العمل الأساس، فقد دوَّن اسمه هو الآخر على الرُكبة اليمنى لتمثال الملك الأصغر نفسه ولكن بالكتابة اليونانية (اللوحة ٢٣).

وتظهر بوضوح المواضع التي قام بانجازها فيما بعد (لُحَي عَمْ) من عمليات الإغلاق، كما وردت في الكلمة أسفل اسم (لُحُيَ عَمْ)، وهي (هَنْسَجَ)، وتظهر علامات الصَّب والتوصيل (لوحات ٢٥، ٢٦).

وتظهر كتابة أخرى على قمة صَدر تمثال الملك الصغير ثاران يهنعم، وهي بخط المسند والنص على صدر تمثال الابن نص مجزأ: (ذمار علي يهبر وابنه مع ثاران ملك) سبأ وذريدان، وضعا ما أنعما به على رعاياهما (بهيل/ أخطر وشرح) سمويدع ومجد، بنو ذرانح من/ أجل قاعة الاستقبال في قصرهما بصنعاء[٣١].

وتظهر حركة الأيدي اليسرى متشابهة في كلا التمثالين، وهي مرتفعة قابضة على عصا (لوحة ٢٧، ٢٨)، وهذا المشهد يتكرر في كثير من التماثيل البرونزية الإغريقية مثل التمثال الروماني الصغير طبقاً لتمثال الاسكندر المقدوني الكبير وهو يُمسك الرمح، وكذلك التمثال البرونزي الكبير للأمير الهلينستي في قصر ما سيميو في روما (لوحة ٢٠، ٢٢).

٢. تمثال فتي واقف:

يوجد تمثال برونزي يبلغ ارتفاعه ٣٢سم، معروض في متحف عدن الوطني[٣٢]، وهو لفتى عارٍ واقف وقفة على الأسلوب الإغريقي المعروف، ووقفته وقفة مرتخية وطرفه ينظر إلى

---

(٣١) ويل، المرجع السابق، ٢٠٣.

(٣٢) ويل، المرجع السابق، ١٩٨.

أسفل قليلاً، وقد كُسرت ذراعه اليُسرى ويَصعُب التكهن بمعرفة وضعها تماماً، بحيث نقول ربما أنها كانت تُمسك شيئاً مثل الرمح المُعتاد حملها في مثل تلك التماثيل، كما يظهر تصفيف شعره المفروق في منتصفه والمربوط بربطة كالتي نراها في تمثال أبوللون، وبعض التماثيل الإغريقية السابقة، بالإضافة إلى عدم انتعاله الحذاء، وقد اكتفى الفنان بأن يجعله يقف على القاعدة البرونزية بثبات (لوحة ٢٩).

٣. تمثالا الأسدين والطفلين:

تمثالا الأسدين اللذان يمثلان إلهي الحُب الموجودين في قاعة آرثر ساكلر بواشنطن، يعدان من أبرز التماثيل البرونزية التي كشفت عنها البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان في تمنع، ويعود تاريخهما بين ٧٥ قبل الميلاد و ٥٠ ميلادية. ويظهر تركيبهما البرونزي طريقة تركيب البرونز المصري البطلمي، ويظهر فيهما ديونيوس طفلاً، وأهم ما فيهما هو أن النقش المحفور على امتداد قاعدتهما بخط المسند الجنوبي، الأمر الذي يؤكد عملهما لشخصين يَمنيين هُما أب وابنه، وهما: ثويب وعقرب ذو مهصنع، اللذان وضعا هذين التمثالين للبيت يفش[٣٣]، (لوحة ٣٠)، وصناعة هذين التمثالين يبرز قوة الجانب الفني في صنعهما من حيث إتقان التفاصيل الدقيقة سواء في الأسدين أو الطفلين، كما أن التماثل والتقابل الذي يوحي بالتطابق لإعطاء المكان الذي صُنعا من أجله جمالاً ورونقاً، والأقرب أن يكون مدخلاً لمبنى مميز، فهذا الأمر معروف في اليمن القديم، وربما يكون مثالاً على ذلك حالات الأحصنة البرونزية التي كانت موجودة في مداخل معبد أوام في مارب، وقد عثر على رجل واحدة فقط لأحد الأحصنة، وهي بالحجم الطبيعي، وكذلك الثيران البرونزية الأكبر من الحجم الطبيعي التي وُضعت على المدخل إلى منطقة المعبد الرئيس في أوام أيضاً، والتي عُرفت من خلال القاعدة الحجرية والنقش المكتوب عليها.

٤. تمثال صغير أنثوي:

وهي قطعة برونزية لتمثال مستوردة من بلاد الشام، محفوظة في قاعة أرثر ساكلر

---

[٣٣] ويل، المرجع السابق، ٢٠٢.

بواشنطن، من إيداعات المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان، يعود تاريخها للقرن الرابع –القرن الأول قبل الميلاد، من منطقة تمنع، يبلغ ارتفاعها ٢٣,٥سم[٣٤]، وتوجد قطعة شبيهة بها من البرونز أيضاً معروضة بالمتحف الوطني بصنعاء برقم (YM 289) عثر عليها في وادي شلاله[٣٥] (لوحة ٣١).

٥. تماثيل برونزية أخرى في أماكن متفرقة:

توجد تماثيل أخرى مصنوعة من البرونز محفوظة أو معروضة في أماكن متفرقة، وهي إما أجزاء من تماثيل برونزية كبيرة توضع في مواضع ثابتة، بحيث تثبت على قاعدة، وهي تلك التي عُملت على غرار أسلوب تمثالي ذمار علي وابنه ثاران، أو تماثيل صغيرة يسهل حملها بسهولة. ومن هذه القطع تلك الأقدام المعروضة في المتحف الوطني بصنعاء والتي تظهر أكبر من الحجم الطبيعي، وهي منتعلة الحذاء ذا الخيوط، وبنفس الأسلوب؛ ذلك القدم البرونزي للرجل اليُمنى المحفوظة بمتحف سيئون أيضًا[٣٦]، والذي من المُحتمل أنه قد جُلب من المناطق الواقعة غرب وادي حضرموت وخصوصاً شبوة، وكذلك الذراع البرونزي الذي عُثر عليه من القصر الملكي المُسمى "شقر" في شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ويبلغ طوله ٣٤,٥ سم، ويعود تاريخه للقرن الأول – الثاني الميلادي، يحمل الأسلوب الإغريقي[٣٧]، وهو ما يُشير إلى انتصاب مثل تلك التماثيل البرونزية الضخمة في صرح القصر الملكي بشبوة. بالإضافة الى تماثيل برونزية صغيرة جُلبت من موقع جبل العود، وهي منفذة بالأسلوب الإغريقي الواضح، منها التمثال البرونزي الصغير

---

[٣٤] ويل، المرجع السابق، ٢٠٣.

[٣٥] ويل، المرجع السابق، ٢٠٣. ويقع وادي شلاله في مقعر بمديرية خب في محافظة إب.

[٣٦] كذلك القدم البرونزية المنتعلة بنعال ذي الخيوط الذي يعود للقرن الأول بعد الميلاد، والمحفوظ بمتحف الرياض برقم ٢٢٣٥، فهرس الأنصاري، ١٩٨٢م، ١١٢؛ راجع: عبدالرحمن الطيب الأنصاري" *قرية الفاو" ، كتاب طرق التجارة القديمة*، روائع آثار المملكة العربية السعودية، الهيئة العامة للسياحة والآثار وآخرون، بإشراف كل من: أ.د. علي بن إبراهيم الغبان، أ.د. بياتريس أندريه سالفيني وآخرون، (الرياض: ٢٠١٠م)، ٣٠١- ٣٥٤.

[٣٧] ويل، المرجع السابق، ٢٠٣.

لامرأة واقفة مُرتدية ثيابها (لوحة ٣٢). وكذلك تماثيل صغيرة جداً بحجم أصابع اليد معروضة في متحف قسم الآثار بجامعة صنعاء، وتحمل الطابع الإغريقي، وكذلك التمثال النصفي لامرأة يتوج رأسها خوذة جميلة التصميم، كما تبدو ثيابها المزخرفة بوريدات نباتية ورسم لوجه آدمي، وقد صنع بطريقة بحيث يُوضع معلقاً على الجدار (لوحة ٣٣)، ويظهر على الرقبة نقش مكتوب بخط المسند الجنوبي، وكذلك التماثيل البرونزية الصغيرة التي عثر عليها في موقع جبل حجاج[٣٨].

٦. تمثال المرأة المجنحة من موقع الغُرف:

توجد قطعة برونزية صغيرة الحجم (حوالي ١٠سم)، عُثر عليها أثناء التنقيبات الأثرية في الموسم الثاني ٢٠٠٦م في موقع الغُرف بحضرموت، والذي يُنسب للألف الأول الميلادي، وهي تمثال نصفي يظهر به وجه امرأة عليها غطاء للرأس، ويظهر جزءاً من شعرها في المقدمة، ويبرز الصدر بوضوح، وتظهر بوضوح ملامح الأسلوب الإغريقي على وجه المرأة وطريقة عصابة الرأس (لوحة ٣٤)، ويتضح أن هذه القطعة الفنية كانت جزءاً من آنية برونزية، إلا أنه لم تنظف بعد حتى تتضح تفاصيل معالمها جيداً.

من الواضح تماماً أن هذه التماثيل البرونزية تختلف عن التماثيل التي عُملت من مواد أخرى، وخصوصاً تلك التماثيل الرخامية أو (الألباستر)، والتي تمتاز بأسلوب فني خاص، ومنها تلك التماثيل الأوسانية، التي تبرز وقفتها المميزة.

كما أن أغلب تماثيل جنوب شبه الجزيرة العربية المصنوعة من الرخام بالذات؛ تمتاز بعدم التناسب في الأعضاء، حيث يكون الاهتمام إلى حد ما بالرأس فقط، وليس في كل الأحوال، أما بقية الجسم فيظهر مجرد قوالب لا تظهر الكثير من تفاصيلها، ولا تعير للنسب أي اهتمام.

---

(٣٨) أحمد محمد شمسان، "الحفريات الأثرية في الموقع القتباني المتأخر في جبل حجاج"، *مؤتمر الدراسات السبئية*، (برلين: ٢٠٠٠م).

الخاتمة:

من خلال استعراض نماذج التماثيل البرونزية الموجودة في اليمن، والتي تجسد مدارس فنية قديمة كانت قد عرفتها اليمن على نمط التماثيل التي أنتجت بالأسلوب السائد في جنوب شبه الجزيرة العربية، والذي يعد امتداداً للفنون المنتشرة بنفس الأسلوب ولنفس المدرسة التي انتشرت في المنطقة. ومع مجيء المدرسة الإغريقية امتزجت بعض المميزات وطورت المدرسة اليمنية القديمة، بحيث أعطتها شيئاً من المرونة والواقعية التي تمتاز بها المدرسة الإغريقية، ولم تختف في نفس الوقت المدرسة اليمنية القديمة، بل ظلت هي المدرسة المحلية الأكثر شيوعاً رغم التباين الفني الواضح بين المدرستين، وطُعِّمت الأعمال الفنية التي أنتجت على أسلوب المدرسة الإغريقية ببعض مميزات المدرسة اليمنية لإضفاء الطابع المحلي، وأقل ما يمنحها الانتماء المحلي وجود بعض النصوص الكتابية عليها.

كما أن تغلغل الفن الذي يحمل الطابع الإغريقي في مناطق اليمن كان قد أوجد له مكانة بين الطبقات الراقية على وجه الخصوص، وربما كان كبار الشخصيات في الدولة يطلبون من بعض الفنانين الإغريق نحت أعمال فنية لهم، فكان يشاركهم في إنتاجها مهرة وفنانون محليون، وقد جاء على هذا النسق تمثالا الملكين ذمار علي وابنه ثاران يهنعم، بالإضافة إلى تماثيل أخرى مشابهة أكدت إنتاجها في اليمن، ويؤكد ذلك وجود الكتابات المسندية التي أو ضحت تفاصيل عن ذلك.

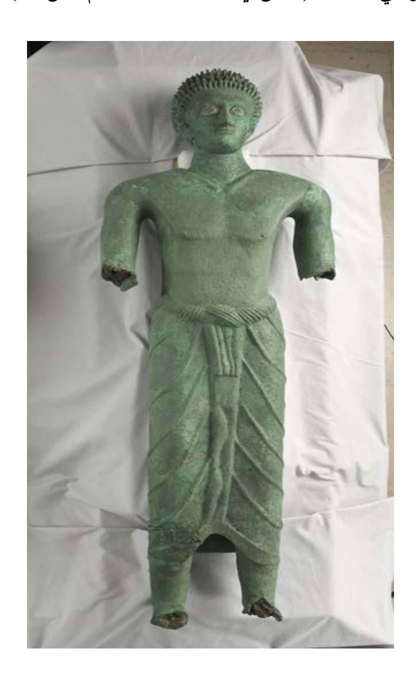
ومن نتائج الأعمال الفنية لمدرسة الإغريق في مناطق اليمن تظهر بعض الخصائص التي تعكس الملامح الخاصة باليمن مثل وجود النعال في بعض التماثيل، ووجود بعض الكتابات المُسْنَديَّة التي تؤكد التعاون بين الفنانين اليمنيين والفنانين المُسْتَقدَمين أو المُقِيمين لفترة في اليمن، كما تؤكد بعض النماذج الخروج عن المدرسة التقليدية وعدم التقيد بالمدرسة المستقدمة (الإغريقية) كلياً، بل ظهر الخلط والمزج في بعض الخصائص والسِّمَات والمَلامِح، وربما يَتَجَلَّى ذلك في تمثال بَرَأَتْ (السَّيدَة).

ومع أنه يُمكن التشكيك في أن بعض التماثيل ذات الأسلوب الإغريقي قد استقدمت من

خارج اليمن عبر قوافل التجارة التي كانت ترتبط باليمن مع دول شمال شبه الجزيرة العربية، وهو ما جعل البعض يُرجح أن مصدرها الوحيد هو الاستقدام من الخارج، ولكن في الوقت ذاته يعتقد البعض أيضاً بأن إنتاج الأعمال ذات الصبغة الإغريقية إنما هو عمل فني لا يقوم به إلا فنانون من خارج اليمن، وربما استقدموا لليمن وتعاون معهم فنانون أو مهرة يمنيون لتنفيذ مثل هذه الأعمال، ولكن ذلك تم في المنطقة اليمنية، ولكننا نعتقد بأن كلا العمليتين قد حدثتا بالفعل، وأن عملية الاستقدام والإهداء كانت موجودة، وفي الوقت ذاته نُرَجِّح انتشار فن صناعة التماثيل البرونزية بشتى أساليبها، سواء على النمط التقليدي أو التي يظهر فيها بجَلاء الأسلوب الإغريقي في مناطق اليمن عموماً ومنها المناطق الداخلية، ولم يقتصر على المناطق الحيوية والرئيسة فحسب، الأمر الذي يدل على اتساع رقعة الاهتمام بهذه الفنون، كما يدل في الوقت ذاته على توسع رقعة الصلات والعلاقات التجارية بشكل أساس، ورغبة الكثير من الفئات في المجتمع اليمني باقتناء هذا الأسلوب في وقت لاحق، على الرغم من أن اقتناءه ربما كان مقتصراً على فئة الأثرياء، ولم يكن ذلك إلا لصعوبة إنتاجه وغلاء قيمته مقارنة بالمواد الأخرى المُتَوفرة كالحِجَارة والرُّخَام.



لوحة (١) نماذج من التماثيل البرونزية اليمنية القديمة التي تنتمي لمدرسة جنوب شبه الجزيرة العربية محفوظة بالمتحف الوطني بصنعاء (اليمن في بلاد سباء، ١٩٩م، ص٩٤)



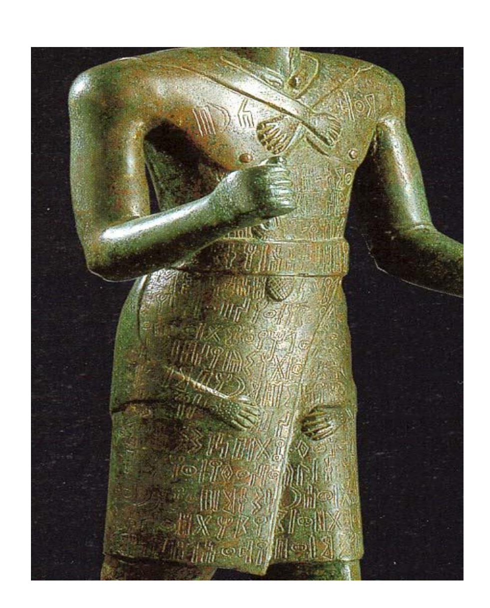
لوحة (٢) تمثال الملك هوتر عثت بن رضوال محفوظ بالمتحف الوطني بصنعاء (عن عقيل)



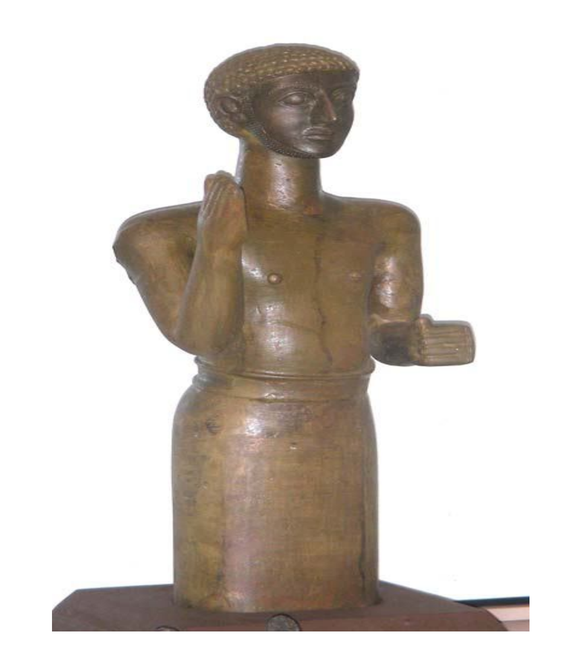
لوحة (٣) رأس تمثال الملك هوتر عشت بن رضوال، وتظهر الخوذة ذات الحبيبات المدببة واللحية المحببة (المتحف الوطني صنعاء)



لوحة (٤) تمثال معدي كرب (المتحف الوطني صنعاء)



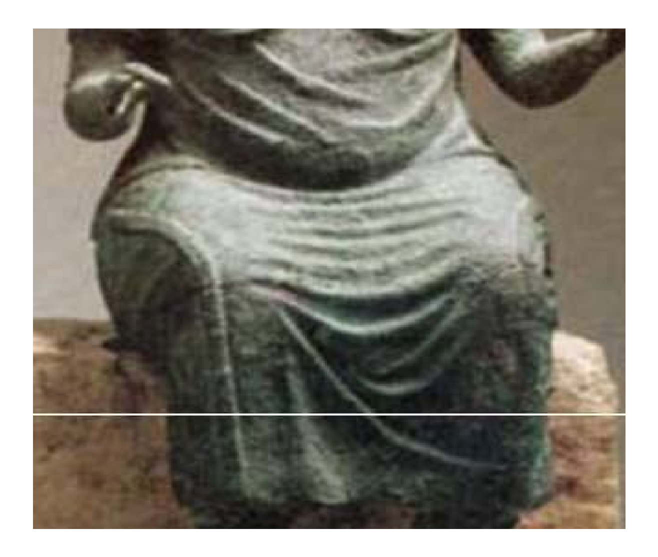
لوحة (٥) إزار على هيئة جلد حيوان يلبسه معدي كرب (اليمن في بلاد سباء، ١٩٩٩م، ص٨٨)



لوحة (٦) تمثال برونزي للشاب محفوظ (المتحف الوطني صنعاء) (الباحث)



لوحة (٧) تمثال السيدة برأت (اليمن في بلاد سباء، ١٩٩٩م، ص٢٠٤)



لوحة (٨) تفصيل لطيات الثوب الذي على السيدة برأت (اليمن في بلاد سباء، ١٩٩٩م، ص٢٠٤)



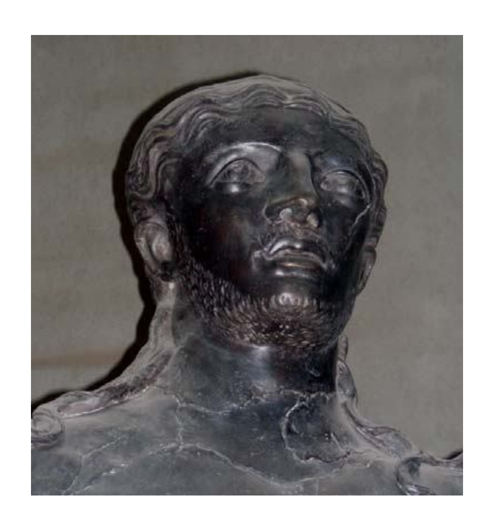
لوحة (٩) تمثالي الملكين ذمار علي وابنه ثاران يهنعم معروضان بالمتحف الوطني بصنعاء (الباحث)



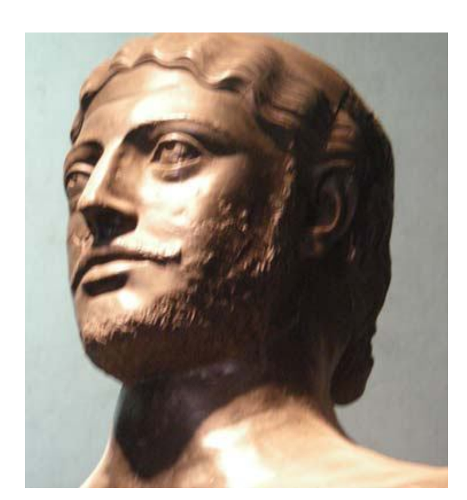


لوحات (١٠ ، ١١) نماذج لأقدام تماثيل برونزية أكبر من الحجم الطبيعي (المتحف الوطني بصنعاء، الباحث)





لوحات (١٢ ، ١٣) وجهي تمثالي ذمار على وابنه ثاران يهنعم ويتضح الفارق في السن واختلاف الشعر (الباحث، ٢٠١٠)



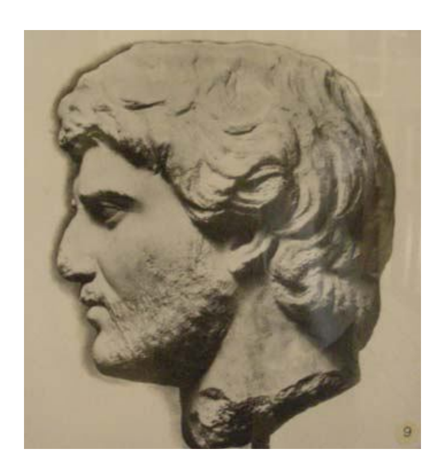
لوحة (١٤) رأس تمثال ذمار علي وتظهر تسريحة الشعر (المتحف الوطني بصنعاء، الباحث)



لوحة (١٥) رأس تمثال ثاران يهنعم وتظهر بطة الرأس (المتحف الوطني بصنعاء، الباحث)



لوحة (١٦) رأس تمثال أبوللون ساورو كتونس في روما



لوحة (١٧) رأس تمثال القيصر غالينوس المحفوظ بمتحف برلين الشرقية



لوحة (١٨) النقش المكتوب بخط المسند على صدر الملك ذمر علي (المتحف الوطني بصنعاء، الباحث)



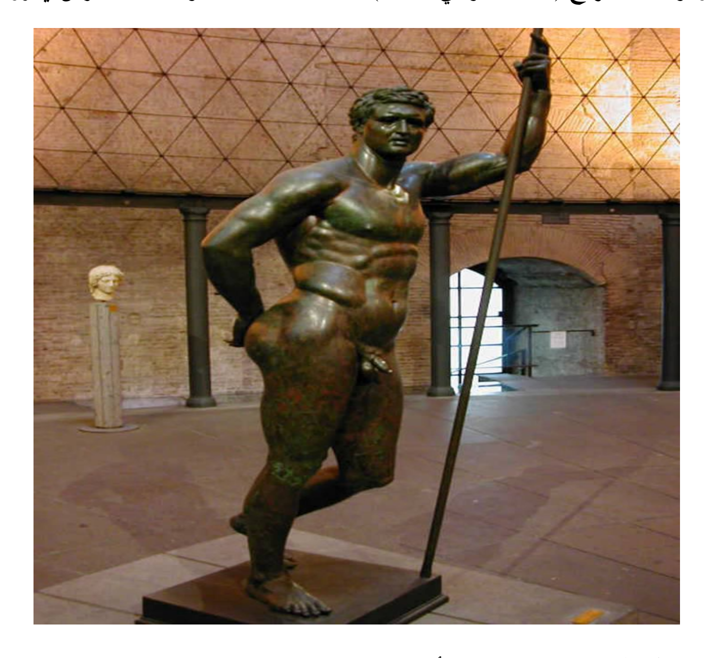
لوحة (١٩) ورقة العنب التي تم وضعها لتغطي الأعضاء التناسلية لتمثالي ذمار علي وأبنه ثاران يهنعم (المتحف الوطني بصنعاء، الباحث)



لوحة (٢٠) تمثال روماني صغير طبقا لتمثال اسكندر المقدوني الكبير وهو يمسك الرمح (المتحف الوطني بصنعاء)



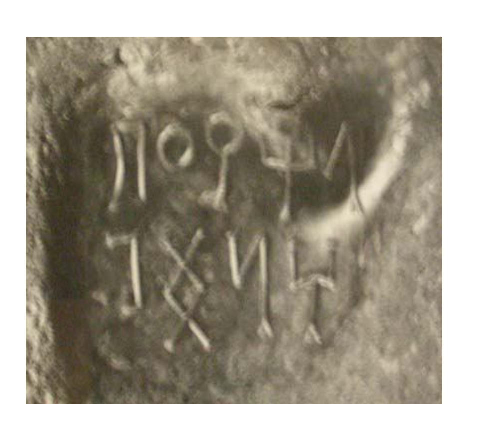
لوحة (٢١) تمثال من القرن الثاني قبل الميلاد محفوظ بمتحف تيرمن في روما



لوحة (٢٢) تمثال برونزي كبير للأمير الهلينستي في قصر ما سيميو في روما (الانترنت)



لوحة (٢٣) اسم الفنان اليوناني الذي قام بعمل التمثالين (المتحف الوطني بصنعاء)



لوحة (٢٤) اسم الفنان اليمني الذي استكمل عمل التمثالين (المتحف الوطني بصنعاء)



لوحة (٢٥) جانب من آثار التلحيم التي قام بها لحي عم (المتحف الوطني بصنعاء)



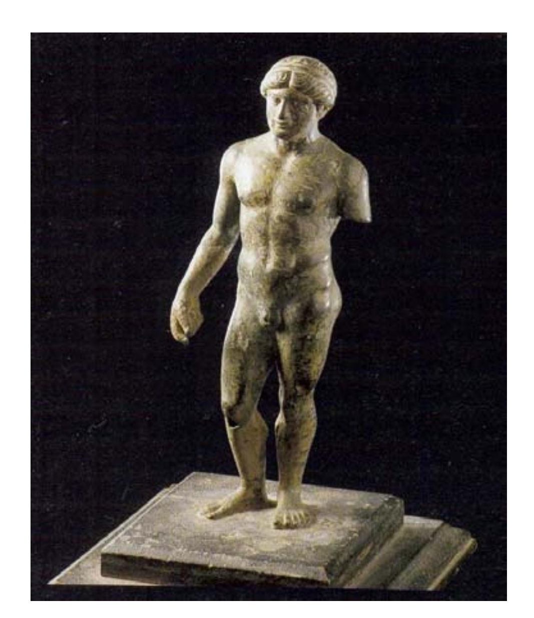
لوحة (٢٦) جانب آخر من بقايا التوصيل لقطع التمثالين (المتحف الوطني بصنعاء)



لوحة (٢٧) تظهر حركة اليد اليسر أنها حاملة للعصا أو الرمح في تمثال ذمار على وأبنه (الباحث)



لوحة (٢٨) توضيح لحركة اليد اليسرى في تمثال الابن ثاران يهنهم (الباحث)



لوحة (٢٩) تمثال برونزي لفتى واقف تم العثور عليه في وادي عرمه بشبوة محفوظ بمتحف عدن الوطني (اليمن في بلاد سباء، ١٩٩٩م، ص١٩٨)



لوحة (٣٠) تمثالا الأسدين اللذان يمثلان إلها الحب الموجودان في قاعة آرثر ساكلر بواشنطن (اليمن في بلاد سباء، ١٩٩٩م، ص٢٠٢)



لوحة (٣١) تمثال صغير أنثوي محفوظ في قاعة آرثر ساكلر بواشنطن (اليمن في بلاد سباء، ١٩٩٩م، ص٢٠٣)



لوحة (٣٢) تمثال برونزي صغير لامرأة واقفة مرتدية ثيابها من موقع جبل العود، إب
Piotrovskiy, Mikhail, Die Grunde, op cit. Fig. 463)



لوحة (٣٣) تمثال نصفي صغير لأثينا يتوج رأسها خوذة، من موقع جبل العود، أب

(Afer Hitgen, Hollger, An Early Himyarite Mountain Settlement, p.108)



لوحة (٣٤) تمثال برونزي نصفي صغير لامرأة مجنحة، موقع عادية الغرف بحضرموت، (الباحث)

تأثير الطراز الإغريقي على النقود المضروبة في ممالك شرق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام رؤية تحليلية جديدة

علي حسن عبدالله حسن

قبل الحديث عن التأثيرات اليونانية على النقود في ممالك شرق الجزيرة العربية يجب إعطاء فكرة موجزة عن بداية استخدام النقود في العالم القديم لنرى مدى مواكبة سكان شرق الجزيرة العربية لهذا الاختراع والإفادة منه، بل وسبقهم لكثير من الأصقاع والبقاع في تلك الحقبة.

قبل اختراع النقود:

لم يعرف الإنسان التعامل بالنقود[١] عندما بدأ حياته على سطح الأرض، بل مر نشاطه الاقتصادي بعدة مراحل أهمها:

- مرحلة الاكتفاء الذاتي حيث كانت الأسرة والقبيلة تنتج ما تستهلكه[٢].
- مرحلة اقتصاد التبادل، قبل أن يعرف الإنسان نظام النقد كان لزاماً عليه أن يجد طريقاً ليحصل على حاجاته، وقد وجد ضالته هذه فيما عرف بنظام المقايضة[٣] "Barter"، إذ إنه

---

(١) عبدالرحمن فهمي محمد، *النقود العربية ماضيها وحاضرها*، المكتبة الثقافية، عدد ١٠٣، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٤م)، ١٢.

(٢) السيد محمد الملط، *نقود العالم متى ظهرت؟ ومتى اختفت*، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م)، ٢٥.

(٣) B. H. A, Greek Coins and Their Values, Great Portland, London 1966, 6.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص١٠٥-١١٨

بمرور السنين عرف الإنسان ميزة التخصص وتقسيم العمل، وبدأت آثارها تظهر في تحسين نوعية الإنتاج وزيادة كميته، وكان من آثار ذلك ظهور الحاجة إلى عملية تبادل المنتجات، فإذا حقق أحد المنتجين المتخصصين فائضاً في إنتاجه يزيد عن حاجاته فإنه يستطيع أن يستبدل بهذا الفائض من إنتاجه فائض إنتاج الآخرين(٤)، ولكن هذا النظام واجه صعوبات تمثلت في أن من يرغب في إتمام عملية التبادل كان عليه أن يبحث عن ذلك الشخص الذي تتوافق رغبته معه حتى تتم الصفقة، ويضاف إلى صعوبة التوافق المزدوج صعوبة تجزئة بعض السلع حتى يمكن دفع قيمة سلعة أقل منها في القيمة(٥). وقد أدت هذه الصعوبات إلى بحث الإنسان عن وسيلة تمكنه من الحصول على حاجاته بطريقة أيسر وأسهل.

- مرحلة اختراع النقود حين قامت النقود بوظيفة الوسيط لعمليات تبادل السلع والمنشط والمسهل لها والحافظة لقيم جميع السلع والخدمات.(٦)

اختراع النقود:

كانت بلاد الرافدين هي الأسبق إلى اتخاذ المعدن وسيطاً للمبادلة، وقد ورد ذلك في شريعة الملك السومري أورنمو (٢١١١–٢٠٠٣ ق.م) حيث اتخذت الفضة وسيلة للمبادلة والمعاملات، وقد ورد ذلك في بعض المواد التي تضمنتها هذه الشريعة ومنها:

- المادة السادسة: "إذا طلق الرجل زوجته الأصلية عليه أن يدفع لها نصف منا من الفضة".
- المادة التاسعة عشرة: "إذا كسر الرجل سن رجل آخر عليه أن يدفع كغرامة شيقلين من الفضة"(٧).

---

(٤) الملط، المرجع نفسه، ص٢٦.

(٥) وهيب مسيحة، *الأسعار والنفقات*، (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥٠م)، ٢٢٢.

(٦) الملط، المرجع نفسه، ٢٦-٢٨.

(٧) خلف فارس الطراونة، ناهض عبدالرازق دفتر، *المسكوكات وقراءة التاريخ*، (عمان: ١٩٩٤م)، ٩-١١؛ عاطف منصور محمد رمضان، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، *نقود الخلافة الإسلامية*، ٣٥/١؛ عاطف منصور محمد رمضان، *النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية*، ٣١؛ عاطف منصور محمد رمضان، *النقود الإسلامية المحفوظة في المتحف اليوناني والروماني بالإسكندرية*، المجلس الأعلى للآثار، سلسلة الثقافة الآثرية والتاريخية، العدد ٥١، (مصر: د.ت.)، ٣٥.

ويكاد يجمع علماء المسكوكات والتاريخ على حقيقة أن مملكة ليديا القديمة (بالقرب من أزمير تركيا حالياً) هي التي كان لها فضل السبق في اختراع النقود وانتشارها إلى بقية بلاد العالم القديم، وكان ذلك تقريباً في الربع الأول من القرن السابع قبل الميلاد[٨].

في مملكة ليديا توفر معدن الذهب الأبيض[٩] الذي هو مكون من خليط الذهب بنسبة ٩٦٪ والفضة ٤٪، وهو ما يطلق عليه إليكتروم Electrum، بالإضافة إلى استخدام الفضة والنحاس والبرونز[١٠]. وكانت قطعة النقود تشبه حبة الفاصوليا، ومدموغة من جانب واحد فقط[١١].

النقود في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام:

تمتعت شبه الجزيرة العربية بموقع متوسط بين بلدان العالم القديم، ما جعلها ترتبط بطرق التجارة التي كانت تنقل البخور والطيب من جنوب الجزيرة العربية إلى الممالك المجاورة في بلاد الرافدين ومصر وممالك حوض البحر المتوسط كالإغريق ثم الرومان بعد ذلك، وكانت القوافل المحملة بالبخور من ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية تمر على مدن شبوة وتمنع وصرواح ومأرب[١٢].

كان من نتيجة اتصال ممالك شبه الجزيرة العربية التجاري بالبلاد المجاورة وبالأخص الإغريق أن عرف العرب المسكوكات منذ وقت مبكر تقريباً في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد[١٣]؛ حيث تعاملوا بالنقود الإغريقية، ثم بدأ العرب في إصدار المسكوكات بعد ذلك في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد[١٤].

---

(٨) M., Mitchiner, Oriental Coins and Their Values, II., The Ancient and Classical World, 600 B.C – 650 A. D., London 1978, 27.

(٩) P. Gardiner, A History of Ancient Coinage 700-300 B.C., Oxford 1918, 9.

(١٠) ملكزادة بياتي، *تاريخ سكة از قديمترين أزمنة تادورة ساسانيان*، جلد أول ودوم، انتشارات دانشكاه، تهران، مهرماه، ١٣٧٢هـ، ٤٩-٥٠.

(١١) مؤسسة نقد البحرين، *متحف النقود*، ط٣، ٢٠٠٢م، ٨٠، لوحة ٥، =١٩٣.

(١٢) فرج الله أحمد يوسف، مسكوكات *ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام*، أدوماتو، العدد الخامس ذو القعدة ١٤٢٢هـ/ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٠م، ٧٣.

(١٣) منصور، *موسوعة النقود الإسلامية*، ٣٦؛ منصور، *النقود الإسلامية وأهميتها*، ٣١؛ منصور، *النقود الإسلامية المحفوظة*، ٣٩.

(١٤) جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: دار العلم للملايين)، ٤٩٠/٧.

التأثيرات اليونانية على نقود شرق الجزيرة العربية:

تعد حضارات دلمون وماجان وملوخيا من أقدم الحضارات التي نشأت في شرق الجزيرة العربية فيما بين الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد[١٥] حيث ذكرت دلمون (Dilmun)، البحرين، في النصوص السورية، ووردت الإشارة إلى حضارة ماجان أيضاً في المصادر السومرية والأكدية والأشورية، بينما احتلت دلمون مكانها في الأدب السوري[١٦].

عندما ظهر الإسكندر الأكبر على مسرح الأحداث في الشرق أرسل ثلاث حملات استكشافية إلى شرق الجزيرة العربية بقيادة ثلاثة من قواده هم: أرخياس Archias، أندروثنيس Androthenes وهييرون Hieron وتمكن هييرون من الوصول إلى رأس مسندم، كما وصلت القوات الإغريقية إلى جزيرة فيلكا التي أسموها إيكاروس، واستمر الوجود الإغريقي بها حوالي قرنين (٣٠٠ – ١٠٠ ق.م)[١٧].

ضربت ممالك شرق الجزيرة العربية المسكوكات المتأثرة بمسكوكات الإسكندر الأكبر، فلقد كشفت الحفائر الآثارية التي تمت في شرق الجزيرة العربية عن وجود مسكوكات في العديد من المواقع مثل عمانا (الدور)، مليحة، فيلكا (إيكاروس)، كنزان وثاج[١٨]، كما سيتضح في الصفحات التالية من البحث فيما بعد. ولكن قبل الحديث عن التأثيرات الإغريقية على مسكوكات ممالك شرق الجزيرة العربية، يجب إعطاء فكرة موجزة عن مسكوكات الإسكندر الأكبر لنعرف مدى تأثيرها على مسكوكات شرق الجزيرة العربية.

مسكوكات الإسكندر الأكبر :

اعتلى الإسكندر الأكبر ابن فيليب الثاني عرش مقدونيا عام ٣٣٦ ق.م، وحكم بعد ذلك إمبراطورية مترامية الأطراف امتدت من اليونان إلى الهند، وقد أمر مدن السك التي استولى عليها

---

(١٥) فرج الله، المرجع السابق، ٩٣، بتصرف.

(١٦) فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة العربية قبل الإسلام*، مجلة العصور، المجلد السابع عشر، ذو الحجة ١٤٢٧هـ/ يناير ٢٠٠٧م، (لندن: دار المريخ للنشر)، ١/ ٧.

(١٧) فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة*، ٨.

(١٨) فرج الله، المرجع نفسه، ٩.

بسك نقوده الخاصة دليلاً على أنه صاحب السلطان، وكانت هذه النقود تسك في جميع أنحاء الإمبراطورية، وبذلك فإنه قد أكمل عمل والده بأن ساعد على تأسيس نقد موحد، وهكذا وضع نظاماً نقدياً عالمياً ذا معدنين هما الذهب والفضة يمكن مقارنته بعملات اليورو Euro التي ظهرت في عام ١٩٩٩م في جميع أنحاء أوربا الموحدة[١٩].

ومسكوكات الإسكندر منها مسكوكات فضية فئة أربع دراخمات تحمل على وجهها رأس المعبود هرقل (الإله الحارس) التي يعتقد البعض أنها في الحقيقة رأس الإسكندر نفسه، وإن صح هذا الاعتقاد يكون الإسكندر هو أول من وضع صورته على المسكوكات في العالم القديم[٢٠] أما الوجه الآخر من مسكوكات الإسكندر فكان يحمل صورة زيوس[٢١] (Zeus) كبير آلهة اليونان، جالساً على العرش وعلى يده اليمنى الممدودة إلى الأمام نسر وفي يده اليسرى الصولجان، وغالباً ما يكون اسم الإسكندر مكتوباً خلف العرش، وقد استمر إصدار هذا الطراز من المسكوكات لمدة مائتي عام بعد وفاة الإسكندر عام ٣٢٣ ق.م[٢٢].

وقد وصلتنا عملة من عهد الإسكندر الأكبر ضُربت في الإسكندرية حوالي سنة ٣٢٦ – ٣٢٥ ق.م، وتمثل على الوجه الأمامي صورة الإسكندر في هيئة هرقل (هيراكليس) وهو يرتدي جلد الأسد فوق رأسه، أما على الوجه الخلفي نجد الإله زيوس يجلس على عرشه ممسكاً بعصاه والنسر واقفٌ على يديه وأمامه رسم الفنان وردة[٢٣].

بعد وفاة الإسكندر تقاسم قواده السيطرة على البلاد التي فتحها، فوقعت منطقة شرق

---

(١٩) عزت زكي حامد قادوس، *العملات اليونانية والهلستينية*، (الإسكندرية: ٢٠٠١م)، ١٧٣.

(٢٠) قادوس، *العملات اليونانية والهلستينية*، ١٧٤.

(٢١) زيوس هو كبير آلهة اليونان الإثنى عشر على جبل الأولمبيوس، وهو صاحب القدرات والخوارق في تصريف أمور الكون، سلاحه الصاعقة، وهو صاحب العواصف والأعاصير، تزوج من هيرا زواجاً شرعياً، وقد قدسه العالم اليوناني بأكمله، وكان يصور دائماً مرتدياً غصن الزيتون، ملتحياً، عارياً أو نصف عار، يقذف بالصاعقة أو يجلس على العرش، قادوس، *العملات اليونانية والهلستينية*، ٤٣.

(٢٢) قادوس، *العملات اليونانية والهلستينية*، ١٧٤.

(٢٣) قادوس، *العملات اليونانية والهلستينية*، ١٧٥، شكل ٢٣٣؛ مؤسسة نقد البحرين، متحف *النقود*، ط٢، ٢٠٠٢م، ٨٢، لوحة ٥، =٢٠١.

الجزيرة العربية تحت سيطرة المملكة السلوقية التي أسسها سلوقس الأول الذي حكم بابل بعد وفاة الإسكندر الأكبر سنة ٣٢١ ق.م، ثم تمكن بعد عدة حروب مع خصومه، استمرت لعشر سنوات من السيطرة على بلاد الشام، وامتدت مملكته من بحر إيجة إلى الخليج العربي، واتبع سلوقس الأول النظام السياسي الذي كان سائداً في شرق الجزيرة العربية بتقسيم مملكته إلى مدن منفصلة لها سيادة ولها نظامها الخاص في ضرب المسكوكات[٢٤].

قام حكام ممالك شرق الجزيرة العربية بضرب المسكوكات التي يتضح عليها التأثر بمسكوكات الإسكندر الأكبر[٢٥]، وإن كانت هناك بعض الفروق فالمسكوكات المحلية المضروبة في شرق الجزيرة العربية امتازت بعدم استواء سطحها، وذلك بأن يكون الوجه محدباً وبه الكتابات والرسوم، أما الظهر فمقعر وخال من الكتابات والرسوم في أغلب الأحيان، وهي بذلك تتشابه مع مسكوكات مملكة كندة المضروبة في قرية الفاو، كما امتازت الصور المرسومة على مسكوكات شرق الجزيرة العربية، بأنها تبدو على هيئة خطوط تجريدية وبعيدة عن محاكاة الطبيعة، وليست مثل المسكوكات الإغريقية والسلوقية، كما أنه كتب على المسكوكات المحلية في الغالب بخط المسند[٢٦].

هذا وقد عثر على قوالب سك في ممالك شبه الجزيرة العربية تثبت أن النقود التي وجدت هناك وكانت متداولة قد سُكَّت في ممالك شرق الجزيرة العربية.

والآن جاء الدور لدراسة التأثيرات اليونانية على مسكوكات ممالك شرق الجزيرة العربية.

أولاً جزيرة فيلكا (إيكاروس) (*Failaka*):

عثر في جزيرة فيلكا أثناء الحفائر التي قامت بها البعثة الدانماركية سنة ١٩٥٨ –١٩٥٩م على ثلاث عشرة قطعة متشابهة، وسكت في مكان واحد، ومن بين هذه المجموعة مسكوكة فضية أمكن نسبتها إلى الملك "أنطيوخس الثالث" الذي حكم الإمبراطورية السلوقية من سنة ٢٢٣ –

---

[٢٤] فرج الله، مسكوكات *من شرق الجزيرة*، ٩.
[٢٥] فرج الله، مسكوكات *من شرق الجزيرة*، ٩.
[٢٦] فرج الله، مسكوكات *من شرق الجزيرة*، ١٠-١١.

١٨٧ ق.م، وعلى ظهر القطعة صورة الإله أبوللو[٢٧] جالساً على عرشه المقدس ينظر إلى سهم في يده اليمنى وقوس بيده اليسرى، وعلى كل جهة من الإله اسم الملك (باسيلوس أنطيوخس) وفي أقصى اليمين واليسار وضع ختم الشخص الذي قام بسك القطعة بالخط اليوناني، وختم السك يشير إلى "سوسا" التي كانت تقع على مقربة من مكان اكتشاف النقود في فيلكا "إيكاروس" "Failaka"[٢٨].

ومن هذه المجموعة أيضاً، عثر على دراخما برونزية نقش على وجهها صورة الملك أنطيوخوس الثاني، وعلى الظهر معبودة النصر واقفة في قارب على شكل بطة[٢٩] أما بقية المجموعة، وهي معاصرة للدرهم السلوقي السابق الذي يحمل صورة أنطيوخوس الثالث فعلى الوجه صورة هرقل يحمل جلد الأسد الذي لبسه بعد انتصاره على أسد نمين. وعلى الظهر الإله زيوس جالساً على عرشه ويحمل بيده اليمنى النسر وبيده اليسرى عصا طويلة، والشكل الجالس كتابة يونانية[٣٠] وعثر أيضاً في فيلكا على مسكوكة من فئة أربع دراخمات يتضح عليها التقليد التام لمسكوكات الإسكندر الأكبر[٣١].

وفي سنة ١٩٨٤م عثرت البعثة الفرنسية على دراخما فضية نقش على وجهها صورة الإسكندر الأكبر، وعلى الظهر المعبود زيوس جالساً على عرشه، ويسند على ذراعه اليمنى الممتدة طائراً بينما تلتف يده اليسرى حول صولجانه[٣٢].

---

(٢٧) أبوللو "*Apollo*" هو إله الشمس وأحد الآلهة العظمى الإغريقية وابن زيوس ولوتو، وكان أيضاً إلهاً للفن والشعر والموسيقى وراعياً للماشية ورسول أبيه للآلهة والبشر، وكان إلهاً للغيب والشباب وكانت رأس أبوللو تصور مكللة بتاج من أوراق العنب وتظهر القيثارة أحدى مخصصات هذا الإله، وكانت من الأشكال التي صورت على العملات الإغريقية المبكرة، قادوس، *العملات اليونانية والهلستينية*، ٤٠- ٤١.

(٢٨) Otta Morkhan, Greek coins from Failaka, Kuml 1960, 219 – 236؛ هذا المرجع ترجم بواسطة، إدارة الآثار والمتاحف بالكويت تحت عنوان نقود يونانية من مدينة فيلكا.

(٢٩) فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة*، ١٢.

(٣٠) Morkhan, op. cit., F.6 No. 2.

(٣١) فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة*، ٢١٢، لوحة ٤.

(٣٢) فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة* ، ١٢.

كما عثر في فيلكا على دراخمة فضية نقش على وجهها صورة سلوقس الأول ٣٢١-٢٨١ ق.م وعلى الظهر المعبود زيوس جالساً على عرشه ويسند على ذراعه اليمنى المتدة طائراً، بينما تلتف يده اليسرى حول صولجان[٣٣].

ثانياً مليحة:

تقع مليحة على بعد حوالي ٢٠كم جنوب الذيد، وعلى مسافة ٥٠ كم شرق الشارقة في المنطقة الداخلية لإمارة الشارقة، تولت التنقيب فيها لأول مرة في العام ١٩٧٣م بعثة عراقية، ومنذ عام ١٩٨٥م عملت البعثة الفرنسية حفائر هناك برئاسة ريمي بورشالات، ولقد عرفت مليحة لفترة من الزمن على أنها من أهم مواقع الفترة السلوقية في جنوب شرق الجزيرة العربية[٣٤].

ومن أهم ما عثر عليه في مليحة نصف قالب سك يتكون أساساً من قسمين لصب المسكوكات، ولقد عثر عليه في سنة ١٩٩٠م[٣٥]. وهذا القالب يحمل سلسلة من أشكال رأس المعبود هرقل، التي تظهر عادة على وجه المسكوكات المضروبة على نمط مسكوكات الإسكندر الأكبر، ويؤكد هذا القالب أن مليحة كانت إحدى دور ضرب المسكوكات في شرق الجزيرة العربية[٣٦].

ثالثاً: الدور:

يقع ميناء الدور في إمارة أم القيوين، ولقد رجح بعض علماء الآثار أن يكون ميناء الدور هو عمانا القديمة[٣٧].

دلت الحفائر الآثارية التي أجريت في الدور على أنه كان هناك تبادل تجاري بين ميناء الدور وبلاد فارس والهند وبلاد الرافدين[٣٨].

---

(٣٣) فرج الله، مسكوكات *من شرق الجزيرة*، ١٢.
(٣٤) بوتس، مسكوكات *ما قبل الإسلام*، ٢٢.
(٣٥) بوتس، مسكوكات *ما قبل الإسلام*، ١٧٨– ١٧٩؛ فرج الله، مسكوكات *من شرق الجزيرة*، ١٢، شكل ١.
(٣٦) فرج الله، مسكوكات *من شرق الجزيرة*، ١٢.
(٣٧) بوتس، مسكوكات *ما قبل الإسلام*، ٢٢.
(٣٨) فرج الله، مسكوكات *من شرق الجزيرة*، ١١.

ولقد عثر بعض الهواة في الدور على فئات من المسكوكات ، وكذلك عُثر على ثلاثة كنوز على الأقل، يحتوي الأول والثاني على ٣٨ مسكوكة وجدت داخل جرار، أما الكنز الثالث ففيه حوالي ٤٠ مسكوكة[٣٩].

ومن المسكوكات التي عثر عليها في الدور، وتأثرت بمسكوكات الإسكندر الأكبر، مسكوكة نقش على وجهها المعبود زيوس جالساً على عرشه ويسند على ذراعه اليمنى الممتدة حصاناً، بينما تلتف يده اليسرى حول صولجان وأمامه نخلة وحرفي H.E.

كما عثر أيضاً في الدور على مسكوكة أخرى تشابه السابقة غير أنها تختلف عنها بوجود ندبة على وجه هرقل[٤٠].

رابعاً: تايلوس (البحرين):

تم في البحرين (تايلوس) تداول المسكوكات التي سكها الإسكندر الأكبر، ولكن بعد وفاته أصدر خلفاؤه مسكوكات تدوولت في تايلوس، ومن تايلوس أمثلتها هذه المسكوكات المتأثرة بمسكوكات الإسكندر الأكبر، وكان تداولها في مسكوكة فضية نقش على وجهها صورة المعبود زيوس جالساً على العرش ويحمل في يده اليمنى صولجاناً، ونقش على الظهر صورة أسد[٤١].

كما عثر أيضاً على مسكوكات في تايلوس، نقش على الوجه صورة المعبود هرقل أو الإسكندر الأكبر، أما على الظهر فصورة المعبود زيوس جالساً على عرشه[٤٢].

ومما يؤكد أن هذه المسكوكات ضربت في البحرين أو إحدى مدن السك شرق الجزيرة العربية أن الرسوم صارت أكثر تجريداً من المسكوكات الإغريقية، فرسم رأس المعبود هرقل عبارة عن خطوط تجريدية، وكذلك فقد رسم المعبود زيوس أيضاً على هيئة خطوط واختفى رأسه تماماً وتبدو قوائم العرش الذي يجلس عليه وقد اختلطت بقدميه.

---

(٣٩) بوتس، *مسكوكات ما قبل الإسلام*، ١٣٥-١٦٦.

(٤٠) فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة*، ١١، لوحة ٢.

(٤١) فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة*، ١٤، لوحة ٦.

(٤٢) فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة*، ١٤، لوحة ٩-١١.

خامساً: ثاج:

تقع ثاج في شمال شرق المملكة العربية السعودية على بعد ٩٥كم من ساحل الخليج العربي، وعلى أطراف منطقة وادي المياه، والثاج منفذ على الخليج العربي، واستناداً إلى حجم المدينة المحصنة ومدافنها، وما عثر بها من تحف وآثار أمكن القول أنها من أهم المدن البرية في محيط المناطق المجاورة، وأحد أقوى المواقع المرشحة لموقع جراهاء[٤٣]. ومن أهم ما عثر عليه في ثاج قالب سك من الصلصال قطره حوالي ٢سم نقش عليه صورة معبود جالساً على عرش وبيده صولجان وبجواره نسر، وهذا يؤكد أن ثاج كانت موقعاً أنتجت فيه مسكوكات[٤٤].

عثر في ثاج على العديد من المسكوكات التي تأثرت بمسكوكات خلفاء الإسكندر الأكبر في شرق الجزيرة العربية، ومن المرجح أن هذه المسكوكات قد سُكت في ثاج نظراً لوجود قالب السك، وكذلك التحوير الشديد الذي يبدو على الرسوم الآدمية، كما يتضح في مسكوكة عثر عليها على الوجه صورة هرقل، أما على الظهر فنقش عليها صورة الإله زيوس جالساً على عرشه[٤٥].

سادساً: جبل كنزان:

يمثل هذا الموقع منطقة واسعة من تلال المدافن وحقول قديمة وأنقاض مستوطنة تحيط بها كثبان رملية ويحتوي على قاع بحيرة متحجرة، يمتد إلى مسافة حوالي ٢٣كم إلى الشمال الشرقي من الهنوف[٤٦]، ويبدو أن جبل كنزان كان من أكبر مراكز سك المسكوكات في ذلك الوقت حيث أنه قد عثر على ثماني سبائك نحاسية ذات شكل هرمي نوعاً ما، تزن كل منها حوالي ٤,٥كجم، واكتشاف هذه السبائك يجعل من المحتمل جداً بأن هناك مكاناً لسك العملة كان يوجد في جبل

---

(٤٣) عوض بن علي السبالي الزهراني، *ثاج ومملكة الجرهاء*، بحث في معرض طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية، (السعودية: الهيئة العامة للسياحة والآثار، ٢٠١٠م)، ٣٧٩.

(٤٤) بوتس، *مسكوكات ما قبل الإسلام*، ١٩.

(٤٥) فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة*، ١٣، لوحة ٥.

(٤٦) بوتس، *مسكوكات ما قبل الإسلام*، ٢١.

كنزان[٤٧]، كما عثر على مئات المسكوكات النحاسية والبرونزية[٤٨] المتأثرة في قيمتها النقدية أو في نقوشها بالمسكوكات الإغريقية ومنها مسكوكة فضية على الوجه صورة هرقل، ويظهر القليل جداً من فروة الأسد النمي[٤٩].

كما عثر على مسكوكة متأثرة بالمسكوكات الإغريقية[٥٠] والتي نقش على وجهها صورة شخص، ربما يكون هرقل أو الإسكندر، بينما على الظهر صورة المعبود زيوس.

مسكوكات مملكة ميسان:

تأسست مدينة كراكي على يدي الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٤ ق.م عند التقاء نهر دجلة بأحد روافده قبيل مصبه في شط العرب، ثم قام الملك أنطيوخس الرابع (١٧٥– ١٤٦ ق.م) بإحياء المدينة وأطلق عليها اسم أنطاكية نسبة إليه، وارتبطت المدينة فيما بعد بالملك الميساني هايسباوسنيس Hyspaosines الذي أسس أسرة حكمت مملكة ميسان، ومن أهم مدن ميسان فرات، أبولوجوس وأباميا، وقامت مملكة ميسان خلال الفترة (١٢٩ ق.م – ٢٢٣/٢٢٢م) وعرفت مملكة ميسان في المصادر اليونانية باسم (شراكس أو خراكس)، ومعنى ميسان بالآرامية "المدينة المسورة"، وأطلق عليها هذا الاسم بسبب السدود الكثيرة التي تحميها من الفيضانات[٥١]. وتعد مملكة ميسان جزءاً من شرقي الجزيرة العربية، ويتجلى ارتباط هذه المملكة بشرقي الجزيرة العربية في تلقيب الملك ميراداتيس على المسكوكات بلقب ملك العمانيين، والذي سجل بالخط اليوناني في إشارة إلى امتداد سيطرته على الأجزاء الشرقية من الجزيرة العربية[٥٢]. ولقد تأثرت مسكوكات مملكة ميسان بالمسكوكات الإغريقية؛ حيث إن مسكوكات الملك هايسباوسنيس Hyspaosines (١٢٩ – ١٠٩ق.م)، نقش بها على الوجه صورته، أما على الظهر فقد نقش صورة المعبود هرقل جالساً على العرش وبيده اليمنى يمسك صولجاناً، وحوله كتابات بالخط

---

(٤٧) بوتس، *مسكوكات ما قبل الإسلام*، ٢١.
(٤٨) بوتس، *مسكوكات ما قبل الإسلام*، ٢١، ٧٢؛ فرج الله، *مسكوكات من شرق الجزيرة*، ١٣.
(٤٩) بوتس، *مسكوكات ما قبل الإسلام*، ٢٩.
(٥٠) بوتس *مسكوكات ما قبل الإسلام*، ٥١.
(٥١) أحمد يوسف فرج الله، *تنوع الخطوط على المسكوكات العربية قبل الإسلام*، أدوماتو، (مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، محرم ١٤٣١هـ – يناير ٢٠١٠م)، ٢٧.
(٥٢) فرج الله، *تنوع الخطوط*، ٢٧.

اليوناني[٥٣]. أما ابنه الملك أيودكوس (أيوداكس) (١٠٩ - ١٠٤ق.م)، فقد قام بسك المسكوكات التي تشبه مسكوكات أبيه؛ حيث إنه نقش على الوجه صورته بينما نقش على الظهر صورة هرقل جالساً على كرسي، وبيده اليمنى عصا، وحوله اسم الملك بالخط اليوناني أيضاً[٥٤].

قام الملك تيرايوس الثاني Tiraios II (٦١ - ٥٢ق.م) بسك مسكوكاته التي على وجهها صورته، بينما على الظهر نقش صورة هرقل جالساً على العرش، وبيده اليمنى صولجانٌ، وحوله كتابات بالخط اليوناني أما الملك أتامبيلوس الأول Attambelos I (٤٧ - ٢٧ق.م)، فقد أصدر النقود التي قلد فيها أسلافه؛ حيث إنه نقش صورته على الوجه، بينما نقش على الظهر صورة هرقل، ولكنه زاد في مسكوكاته ونقش صورة معبودة النصر عند الإغريق نايكي Nike. ولكن يمكن القول إنّ عهد هذا الملك امتازت مسكوكاته بأن الكتابة صارت بالخط الآرامي بدلاً من الخط اليوناني، كما أن صورته اختلفت عن صور سابقيه بحيث صارت صورة الملك ذات لحية طويلة أو قصيرة[٥٥].

أما الملك الميساني ثيونيسيوس الأول Theonneses I (٤٠-٣٩ ق.م) فقد قلد مسكوكات الملك أتامبيلوس الأول؛ إذ نقش على مسكوكاته صورته على الوجه، بينما نقش على الظهر صورة هرقل جالساً على العرش ممسكاً بيده اليمنى صولجاناً، ويحيط بصورة هرقل كتابة بالخط اليوناني[٥٦].

أما الملك أتامبيلوس الثاني فقد أصدر مسكوكاته التي على وجهها صورته، بينما على الظهر صورة هرقل، كذلك الملك ثيونسيوس الثاني الذي أصدر مسكوكاته التي على وجهها صورته، بينما على الظهر صورة هرقل.

---

(٥٣) محمد باقر الحسيني، *نقود مملكة ميسان ودورها التاريخي والحضاري والإعلامي*، المورد، المجلد ١٥، العدد الثالث، ١٩٨٦م، ٣١.

(٥٤) الحسيني، *نقود مملكة ميسان*، ٣١.

(٥٥) الحسيني، *نقود مملكة ميسان*، ٣١ - ٣٢.

(٥٦) J. Morgan, Manual de numismatique orientale l' antiquite et du moyen âge, Chicago 1979, 217.

ضرب الملك أتامبيلوس الثالث سلسلة من النقود التي امتازت بجمال الخط ودقة التصوير ولكنها متأثرة بالنقود اليونانية؛ حيث إن ظهر هذه المسكوكات يحمل صورة هرقل جالساً على عرشه ويحمل بيده صولجاناً وحوله كتابات بالخط اليوناني[٥٧].

قلد الملك أتامبيلوس الرابع Attambelos IV (١٠١- ١١١م) مسكوكات أسلافه، حيث إنه نقش صورة هرقل على ظهر مسكوكاته[٥٨]. وسار الملك ثيونيسيوس الثالث Theonneses III على نهج أسلافه، حيث إنه نقش صورة هرقل على ظهر مسكوكاته. أما الملك أتامبيلوس الخامس فلقد عثر على درهم له نقش على وجهه صورة أتامبيلوس الخامس بينما على الظهر صورة هرقل وحوله كتابات بالخط اليوناني[٥٩].

سار الملك عبادة Obadas على نهج أسلافه في ضرب المسكوكات المتأثرة بالطراز الإغريقي؛ حيث إنه نقش على ظهر مسكوكاته صورة هرقل وحوله كتابات بالخط اليوناني[٦٠].

أما الملك ابينيرجلوس Abinerglos (١٦٥- ٨٠م) فلقد عثر على مسكوكات برونزية سُكت في عهده ونقش عليها صورة هرقل[٦١]. أما الملك ماجا (١٩٥- ٢١٠م) فلقد ضربت في عهده مسكوكات تأثرت بالنقود اليونانية وفيها مسكوكة نقش على وجهها صورته، بينما نقشت على الظهر صورة هرقل[٦٢].

وبعد استعراض التأثيرات الإغريقية على مسكوكات ملوك مملكة ميسان يمكن القول بأن القاسم المشترك بين هذه المسكوكات هو ظهور صورة هرقل على الظهر، والتي يبدو فيها أنه كان المعبود الرئيس في مملكة ميسان؛ حيث ظل ينقش على الظهر حتى سقوط مملكة ميسان.

---

(٥٧) محمد باقر، المرجع نفسه، ٣٢.

(٥٨) Morgan, Manual de numismatique orientale., 221.

(٥٩) Morgan, Manual de numismatique orientale, 223.

(٦٠) Morgan, Manual de numismatique orientale, 223.

(٦١) Morgan, Manual de numismatique orientale, 224.

(٦٢) Morgan, Manual de numismatique orientale, 225.

نتائج البحث:

١. اتضح خلال البحث أن العرب قد عرفوا المسكوكات مبكراً جداً منذ القرن الخامس قبل الميلاد عن طريق تداولهم للمسكوكات اليونانية، ثم ضربوا بعد ذلك نقودهم الخاصة منذ القرن الرابع قبل الميلاد، ويؤكد ذلك العثور على أختام سك المسكوكات في مليحة وثاج وغيرها.

٢. جرى في هذا البحث دراسة تأثيرات الطراز الإغريقي على مسكوكات شرق الجزيرة العربية منذ غزو الإسكندر الأكبر، وحتى عصر الملك الميساني ماجا، وهي فترة تزيد عن خمسمائة عام.

٣. تمثل التأثير الإغريقي على مسكوكات شرق الجزيرة العربية في ظهور صورة الآلهة اليونانية ممثلة في صورة زيوس كبير آلهة اليونان وصورة هرقل، وكذلك صورة إلهة النصر نايكي وكذلك المعبود أبوللو.

٤. أثبت البحث أن شرق الجزيرة العربية كان يوجد بها دور لسك المسكوكات وأن مسكوكاتها المحلية امتازت بأن يكون السطح غير مستو فالوجه محدبٌ أما الظهر فمقعر. أما الرسوم فتبدو على هيئة خطوط تجريدية وبعيدة عن محاكاة الطبيعة.

٥. ظهرت التأثيرات الإغريقية على المسكوكات الميسانية حيث إن الوجه نقش به صورة الملك الميساني، أما الظهر فنقش عليه صورة هرقل الذي هو معبود مملكة ميسان الرئيس قبل سقوطها.

نظرة الكتاب الكلاسيكيين لتجارة الجزيرة العربية

عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار

شدت تجارة الجزيرة العربية اهتمام الكتاب الكلاسيكيين، ما دفعهم إلى البحث والتحري عن مصادر هذه التجارة وأنواع السلع المصدرة ومناطق الإنتاج وغيرها من الموضوعات ذات الصلة، التي أكسبت العرب شهرة عالمية في الأسواق الدولية. كما تحدثوا عن ثراء العرب الأسطوري، وامتلاكهم الأموال والثروات الضخمة، التي حققوها من تجارة المواد العطرية والتوابل والمشتقات الأخرى. وقد أثرت كتاباتهم على القادة العسكريين، مثل الإسكندر وخلفائه والقادة الرومان، وشجعتهم على إرسال الحملات العسكرية لغزو الجزيرة العربية[١]. وظل الاهتمام حتى العصور الحديثة، حيث شهد القرن التاسع عشر الميلادي زيارة عدد كبير من الرحالة للجزيرة العربية للتنقيب عن كنوزها واستكشاف مناطق إنتاج البخور، ليجابهوا بخيبة كبيرة، مثل من سبقهم في العصور القديمة، لأن الجميع بالغ في أثرها على الجزيرة العربية[٢].

---

[١] لا تزال النظرة الكلاسيكية تهيمن على الكتابات العربية المتصلة بتجارة الجزيرة العربية خلال الفترة الكلاسيكية، أنظر مثالا فيكتور سحاب، *إيلاف قريش. رحلة الشتاء والصيف*، (بيروت: المركز الثقافي العربي ١٩٩٢م)، ٢٩-٤٢، ٤٦-٤٨، عبدالرحمن سعد ابراهيم، *تجارة روما مع الهند وجنوب الجزيرة العربية في العصر الإمبراطوري. دراسة اقتصادية واجتماعية ٣٠ق.م - ١٩٢م*، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة المنصورة: ٢٠٠٦م)، ٢٣١-٢٣٣.

[٢] حول الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية وما ذكروه من معلومات تتعلق بتاريخها القديم وتجارتها، أنظر جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب. *خمسة قرون من المغامرة والعلم*. ترجمة: قدري قلعجي، (الرياض: منشورات الفاخرية، ب.ت)؛ سمير عطا الله، *قافلة الحبر. الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢-١٩٥٠م)*، (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤م).

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص١١٩-١٤٤

ويمكن ربط نظرية ثراء سكان الجزيرة العربية لأول مرة عند هيرودوت[٣]، الذي تطرق لأهمية منتجات الجزيرة وصادراتها، وظل هذا الرأي لدي الكتاب المتأخرين حتى العصور الميلادية. وتطورت النظرة خلال القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي لتصل إلى اتهام العرب باستنزاف الخزينة الرومانية، نتيجة إنفاق الرومان الهائل على المنتجات العطرية والتوابل للاستخدام في الحفلات الرسمية وغير الرسمية، أو للاستخدام في المنازل والحمامات العامة والعلاج وصناعة المستحضرات الطبية والزينة، وهو ما سوف نفصله لاحقاً. ولكن قبل ذلك من المهم معرفة الطبيعة الاقتصادية للجزيرة العربية خلال العصور القديمة.

وحقيقيةً، لا يختلف مجتمع الجزيرة العربية عن المجتمعات الأخرى في العصور القديمة، حيث كان مجتمعاً زراعياً من الدرجة الأولى[٤]، ولم يكن للتجارة أو الصناعة دور مؤثر في النشاط الاقتصادي، وحتى الرعي كان يعد مكملاً للنشاط الزراعي، ولم يعتمد عليه سوى عدد قليل من سكان الجزيرة العربية، كما تدل على ذلك الشواهد الأثرية والنقوش. فمن خلال دراسة آلاف النقوش المكتشفة في الجزيرة العربية يتضح اقتصارها على جوانب سياسية وعسكرية ودينية وزراعية، ويندر العثور على نقوش تتناول الموضوعات التجارية المتعلقة بتجارة المواد العطرية. فعلى الرغم من مشاركة العديد من الممالك العربية في تجارة البخور مثل، السبئيين، والقتبانيين، والمعينيين، والجرهائيين، والأنباط، والتدمريين، إلا أن النقوش، التي تناولت التجارة، اقتصرت على النقوش المعينية والتدمرية. ففي النقوش المعينية نجد نقش زيد إيل المعيني (حوالي ٢٦٣/٢٦٤ ق.م) في مصر، ونقش هاني وزيد إيل في ديلوس[٥]، أو النقش المعيني، الذي يشكر

---

[٣] مؤرخ إغريقي ولد في بلدة هليكرناسوس (حوالي ٤٨٤- ٤٢٥ ق.م) ولقب أبو التاريخ بفضل كتابه "تاريخ هيرودوت". قام برحلات إلى مناطق البحر المتوسط، مثل مصر وسوريا وشمال أفريقيا، وكتب عن الحروب اليونانية الفارسية، انظر Lucian Boia (ed.), Great Historians from Antiquity to 1800: An International Dictionary, London: Greenwood Press 1989, 189-191.

[٤] حول أهمية الزراعة ودور التجارة في العصور الكلاسيكية، أنظر Neville Morley, *Trade in Classical Antiquity*, Cambridge: Cambridge University press 2007, 1-11. وفي الجزيرة العربية، أنظر نورة عبد الله النعيم، *الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي*، ط١، (الرياض: دار الشواف، ١٩٩٢م)، ٩٤ ، ٩٨، ٢٨٥.

[٥] سعيد فايز السعيد، *العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة*، =

كاتبه الرب على نجاة قافلتهم من الحرب بين "مذي ومصر"[٦]. كذلك تتكرر عند التدمريين النقوش التي تتناول انخراط التدمريين في التجارة، وتقديمهم الشكر للآلهة على نجاح تجارتهم[٧].

استهلاك البخور في العصور الكلاسيكية:

قبل التطرق إلى استهلاك منتجات الجزيرة العربية يجب تأكيد أن التجارة الشرقية ليست تجارة رفاهية، بل هي تجارة ضرورية لمجتمعات الشرق الأدنى، بما في ذلك الإغريق والرومان، لسبب يسير يكمن في أن معظم هذه السلع تتعلق بحياة معظم السكان لارتباطها بطقوس العبادة والدفن والعلاج منذ الألف الأول قبل الميلاد، حيث تناولت الكتابات الآشورية والبابلية والنصوص التوراتية العلاقات الحربية والتجارية مع العرب[٨]. ولذلك برز عدد من الباحثين، الذين رفضوا وصف التجارة الشرقية بتجارة السلع الفاخرة، لهذا السبب اليسير نفسه، وهو أن معظم هذه السلع تتعلق بحياة معظم السكان لارتباطها بطقوس العبادة والدفن والعلاج[٩]. وقد ذكر الكتاب الكلاسيكيون أنواعاً عديدة من المواد العطرية المشتقة من اللبان، والمر، والبلسم، والقرفة، التي عرفوها بأسماء مختلفة حسب مناطق الإنتاج، وصنفوا المواد حسب الاستخدامات المتعددة لها[١٠]، التي من أبرزها التالي:

=(الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣م)، ١١٨-١١٩، باسم الشرقاوي، "بعض الجاليات الأجنبية التي عاشت في مصر القديمة"، *العدد التكريمي أ.د. تحفة حندوسة*، المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٧م، http://www.adabalex.org/vb/showthread.php?t=8278، ٢٠١١/١/١٥م.

(٦) محمد بيومي مهران، "دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة"، (مجلة اللغة العربية العلوم الاجتماعية، ٦، ١٩٧٦م)، ٣٢٦-٣٢٧.

(٧) Gary K. Young, *Rome's Eastern Trade. International Commerce and Imperial Policy, 31BC-AD 305*. London: Rutledge 2001, 136–143.

(٨) مهران، *"دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة"*، ٣٣٧- ٣٥٥، ٣٧٧- ٣٨٠.

(٩) Steven E. Sidebotham, *Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa 30 B.C. - A.D. 217*, (Mnemosyne Suppl., 91) Leiden: Brill, 1986, 45.

(١٠) حول استخدام واستهلاك البخور في المجتمعات القديمة، أنظر Nigel Groom, *Frankincense and Myrrh. A Study of the Arabian Incense Trade*, London: Longman 1981, 1-21، محمد السيد عبدالغنى، *شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة*، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م)، ١٤٥- ١٦٨، Morley, *Trade in classical Antiquity*, 39-43.

- في المعابد تكريما للآلهة وممارسة الطقوس والاحتفالات الدينية.
- في الجنائز.
- في صناعة الأدوية.
- في صناعة العطور.
- في الحمامات.

ويمكن استعراض أهم الشواهد التاريخية التي ذكرها الكتاب الكلاسيكيون المتعلقة بالبخور منذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي. فخلال العصر البطلمي في مصر (٣٢١-٣١ق.م) نظمت العديد من الاحتفالات ذات الطابع السياسي والديني مثل حفل ديميتريا (*Demetria*)، وحفل الباسيليا (*Basilca*)، وحفل البطوليمايا (*Ptolenaca*). ويمثل حفل البطوليمايا نموذجاً لهذه الاحتفالات التي هدفت إلى إبراز القوة العسكرية والاقتصادية للدولة من خلال استعراض الجنود والإنفاق الباذخ لإبهار الحضور. وبدأ بإقامته الملك بطليموس فيلادلفيوس عام ٢٧٩ ق.م، للاحتفال بذكرى مرور أربعة أعوام على وفاة والده. وقدم أثينايوس *Athenaeus* وصفا لهذا الاحتفال، تناول فيه الكميات الضخمة من الأواني الفضية والذهبية، التي حوت كميات ضخمة من البخور والمر وغيرها من المنتجات العربية[١١].

وخلال الفترة الرومانية نذكر الكمية الضخمة التي أحرقها الإمبراطور الروماني نيرون (٣٧ - ٦٨م) في جنازة زوجته يوبيا، التي ذكر بليني[١٢] أنها تفوق ما ينتجه العرب في عام واحد، أي ما يعادل حوالي ٢٥٠٠ طن من اللبان[١٣]. كذلك يبرز عدد من الشواهد التي تناولت تقديم كميات ضخمة من حاصلات الجزيرة العربية إلى القادة الإغريق أو الرومان خلال مراحل زمنية مختلفة، مثل:

---

(١١) مصطفى كمال عبدالعليم، *"بطلميوس الثاني والاحتفال بعيد البطوليمايا"*، (الجمعية التاريخية المصرية، ١٩، ١٩٧٢م)، ٢٩٧ - ٣٢٤.

(١٢) *Gaius Plinius Secundus* ولد في كومو (٢٣- ٧٩م)، واشتهر باسم بليني الأكبر، وتقلد عددًا من المناصب العليا في الإمبراطورية. وكتب الكثير من الأعمال العلمية من أشهرها كتاب "التاريخ الطبيعي"، أنظر: Groom, *Frankincense and Myrrh*, 77-78.

(١٣) Pliny, *Natural History*. trans. by H. Rackham. Cambridge, 1963, 12.41.84, Groom, Frankincense and Myrrh, 159-161

- الحادثة الأولى تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد حين ذكر هيرودوت تقديم العرب هدايا للملك الأخميني داريوس الأول (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) تتضمن ألف تالنت[١٤] من البخور سنوياً[١٥].
- الحادثة الثانية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد خلال فتح الإسكندر المقدوني لمدينة غزة، وحصوله على كميات ضخمة من البخور، أرسل منها ٥٠٠ تالنت من اللبان و١٠٠ تالنت من المر إلى معلمه ليونيدس لإحراقها من أجل الآلهة[١٦].
- الحادثة الثالثة ارتبطت بحصار دميتريوس للبتراء سنة ٣١٢ ق.م، وتقديم الأنباط كميات من البخور والجمال لشراء حرياتهم[١٧].
- الحادثة الرابعة وقعت خلال حصار أنطخيوس الثالث للجرهاء عام ٢٠٥ ق.م، وحصوله على فدية ضخمة تمثلت في ١٠٠٠ تالنت من اللبان و٢٠٠ تالنت من المر. حيث يذكر بوليبيوس: *"استصدار الجرهائيين مرسومًا بتكريم أنطخيوس، وإهدائه خمسمائة قطعة من الفضة، ومائة قطعة من اللبان، ومائتي قطعة مما يسمونه عبق البخور"*[١٨].

تقدم هذه الشواهد نماذج تاريخية على ذكر البخور خلال العصور الكلاسيكية وربطه بالجزيرة العربية، وهي جزء من الأدلة التي سيقت للدلالة على الثراء الفاحش للجزيرة العربية، ولكن يجب ملاحظة أن هذه النماذج تعد حالات فردية، امتدت على مدى أربعة قرون، ولا تعبر عن تجارة الجزيرة.

---

(١٤) تساوي التالنت حوالي ٢٥,٥ كيلوغرام.

(١٥) Herodotus, *The History of Herodotus*, trans. by A. D. Dodley, London: Loeb classical library 1981, 3.97.

(١٦) Plutarch, *Lives. Life of Alexander*. trans. by John Dryden, The Classical Archive, http://classics.mit.edu/Plutarch/alexandr.html, 23/9/2010, ch 25.

(١٧) Diodorus Siculus, *Library of History*, Trans. by C. H. Oldfather London: Loeb classical Library 1935, 19.97, 4-98.1.

(١٨) Groom, *Frankincense and Myrrh*, 195.

الكتاب الكلاسيكيين وتجارة البخور:

بدأ الكتاب الكلاسيكيون في الحديث عن تجارة الجزيرة العربية منذ القرن الخامس قبل الميلاد، ومن أبرز الكتاب الكلاسيكيين الذين تحدثوا عن تجارة الجزيرة ومنتجاتها:

هيرودوت/ Herodotus	٤٣٠ ق.م
ديودور/ Diodurus[١٩]	٨٠-٢٨ ق.م
سترابو/ Strabo[٢٠]	٦٤ ق.م- ٢٥م
بليني/ Pliny	٢٣- ٧٩م
كتاب الطواف حول البحر الأريتيري	القرن الأول الميلادي[٢١]
فتيوس القسطنيطيني[٢٢]	٨١٠- ٨٩٣م

يعد هيرودوت أول من تناول صادرات الجزيرة العربية من البخور، حين ذكر إنتاج الجزيرة لعدد من المواد العطرية مثل اللبان والمر والقرفة، ومعاناة العرب في حصاده، وأشار إلى ثراء العرب، وإعفاء الملك الأخميني دار الثاني لهم من دفع الضرائب مقابل تقديمهم هدية ضخمة من اللبان سنوياً، تمثلت في كمية قدرها ألف تالنت من البخور[٢٣].

---

(١٩) مؤرخ وموسوعي إغريقي (حوالي ١٠٤- ٢٠ ق.م) ولد في جزيرة صقليه عاش في روما وسافر إلى عدد من الولايات الرومانية. ألف "المكتبة التاريخية" في ٤٠ مجلد، نقل معظم مادته من الكتب التي رجع إليها، أنظر Boia, Great Historians from Antiquity to 1800, 185-186.

(٢٠) ولد في آسيا الصغرى (حوالي ٦٤ ق.م- ٢٦م)، وهو جغرافي وفيلسوف رواقي من أنصار الإمبراطورية الروماني، وتقلد عدد من المناصب في الإمبراطورية. قام برحلات كثيرة وألف موسوعته المشهورة "الجغرافية" في ٤٧ مجلد، أنظر Boia, Great Historians from Antiquity to 1800, 194-195.

(٢١) هناك اختلاف بين الباحثين حول تاريخ كتابة هذا الدليل، ولكن المرجح الآن هو النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، أنظر عبدالله حسن الشيبة، *دراسات في تاريخ اليمن القديم*، (تعز: مكتبة الوعي، ٢٠٠٠م)، ٢٠٧-٢٢٣.

(٢٢) البطريرك فتيوس القسطنيطيني Photius of Constantinople (٨٢٠- ٨٩٣م) بطريرك مدينة القسطنطينية (٨٥٧-٨٨٦م) وقام بدور سياسي كبير. ألف عددًا من الكتب من أشهرها "المكتبة"، نقل فيه أجزاء من مؤلفات الكتاب الإغريق والرومان، أنظر Groom, Frankincense and Myrrh, p. 67-68.

(٢٣) *Herodotus*, 3.97.

وبعد هيرودوت تواترت الكتابات الكلاسيكية عن الثراء العربي عند الكتاب الإغريق والرومان، وأبرز الكتاب الذين تحدثوا عن الجزيرة العربية وثرائها، المؤرخ والجغرافي أجاثاراخيدس[٢٤]، خلال وصفه لجنوب الجزيرة ومناطق إنتاج اللبان، حيث كتب:

ومن تجارتهم أصبح السبئيون والجرهائوين من أكثر الناس ثراءً، وكان لديهم عدد كبير من المقتنيات الذهبية والفضية، مثل المقاعد والأسرة ذات الثلاث مقاعد والأقداح. كما كان لديهم أكواب للشرب ومنازل باهظة الثمن، حتى أن الأبواب والجدران والأسقف كانت مطرزة بالعاج والذهب والفضة ومرصعة بالأحجار الكريمة[٢٥].

وهذا النص شبيه بالنص الذي أورده البطريرك فتيوس القسطنطيني نقلا عن نفس المؤلف، حيث يورد: لا يوجد شعب يتمتع بالثراء مثل السبئيين والجرهائين، نظرا لعملهم كمستودع ضخم لكل البضائع القادمة من آسيا وأفريقيا التي تدخل ضمن البضائع الفاخرة. وقد جعل هؤلاء الأشخاص سوريا البطلمية غنية بالذهب. وهم بفضل نشاط الفينيقيين وبالإضافة إلى آلاف الأشياء، نجحوا في السيطرة على أسواق المنتجات الفاخرة. هذا ولم يقتصر غناهم على الأعمال المنقوشة والأكواب دقيقة الصنع، بل تعداه ليشمل أسرتهم وطاولاتهم ثلاثية الأرجل. كما وصل قمته في الأغراض المنزلية الأخرى التي هي عادية بالنسبة لنا. ويبدو أن الكثير منهم يمتلك ثروات ملكية. ويقال أنهم قاموا ببناء الكثير من الأعمدة من الذهب أو الفضة. بالإضافة إلى أن أسقفهم وأبوابهم زينت بحفر غائرة محشوة بالأحجار الكريمة ... وباختصار يوجد اختلاف كبير بين ثرائهم وثراء الآخرين[٢٦].

ويزودنا سترابو بمعلومات مختلفة عن ثراء سكان الجزيرة العربية، حيث يشير أثناء حديثه عن حملة إيليوس جاليوس (Aelius Gallus) إلى أن هدف الحملة هو رغبة الإمبراطور قيصر

---

(٢٤) Agatharchides عاش في الإسكندرية خلال القرن الثاني قبل الميلاد وألف عددًا من الكتب أحدها عن البحر الأحمر، ولكن كتبه مفقودة، Groom, *Frankincense and Myrrh*, 66.

(٢٥) Strabo, *The Geography of Strabo*, trans. by H. L. Jones London, Loeb classical Library, 1930, 16.14.4.

(٢٦) Groom, *Frankincense and Myrrh*, *Photius, frag. 102.*

في كسب العرب أو إخضاعهم، بسبب التقارير التي تحدثت عن ثرائهم الفاحش، التي برزت منذ وقت طويل، نتيجة بيعهم البخور وجميع الأحجار الثمينة مقابل الذهب والفضة، وعدم رغبتهم في التعامل مع الأشخاص الخارجيين في جميع ما حصلوا عليه من الذهب والفضة، وذلك لأن القيصر رغب في التعامل مع أصدقاء أثرياء أو السيطرة على أعداء أثرياء[٢٧].

إن أسطورة الثراء العربي لم تقتصر على اشتغالهم في تجارة المواد العطرية والبخور، بل نجد كاتباً مثل فتيوس القسطنطيني ينقل من كتاب أجاثاراخيدس "حول البحر الأريتيري" مقتطفات واسعة، يشير فيها إلى وجود كميات كبيرة من الذهب في مساحات شاسعة من الجزيرة العربية على شكل كتل من الذهب الخالص أو المخلوط خلطاً يسيراً، وأنه يباع بثمن بخس حتى إن وزنة الذهب تستبدل بمثليها من الحديد، وبثلاثة أمثالها من البرونز، وعشرة أمثالها من الفضة. كما تحدث فتيوس عن نهر جار ينقل معه غبار الذهب بكميات كبيرة، ولكن الناس لا يعرفون كيف يستخرجونه[٢٨].

وآخر الكتاب الكلاسيكيين الذين قدموا وصفاً لتجارة الجزيرة العربية هو مؤلف كتاب "الطواف حول البحر الأريتيري"، لكن الملاحظ عدم إشارته لموضوع ثراء الجزيرة العربية من البخور والعطور، وربما يعود ذلك في المقام الأول إلى ازدياد المعرفة بالجزيرة ومناطقها نتيجة تطور معرفة الرومان والملاحين الإغريق بتجارة المنطقة، والتكاليف الخاصة بالتجار، أو لتقلص مداخيل العرب من التجارة نتيجة تطور الملاحة البحرية. كما يبرز احتمال عدم تأثر التجارة البرية بتطور الملاحة نظرا لطبيعة منتجات الجزيرة ومواسم حصادها، وأن التطور الكبير في التجارة البحرية حدث مع الهند، وليس مع الجزيرة العربية، وذلك بسبب صعوبة الملاحة في البحر الأحمر في بعض مواسم الحصاد ما يتيح لتجار الجزيرة العربية نقل منتجاتهم قبل وصول السفن البحرية أو بالتزامن معها[٢٩].

---

(٢٧) *Strabo*, 16.4.24.

(٢٨) *Photius, frag. 96*, Groom, *Frankincense and Myrrh*, 69.

(٢٩) ترد إشارات إلى العرب وتجارتهم في أشعار هوميروس وهسيودوس وإيسخليوس، وكذلك عند الجغرافيين ثيوفراستوس وإراتوسثنيس وأرتميدوروس وبطليموس الجغرافي، وغيرهم من كتاب العصر الكلاسيكي، =

وفيما عدا الكاتب بليني، الذي سوف يفرد بالدراسة لاحقاً، فإن هؤلاء الكتاب أبرز من كتب عن تجارة البخور في الجزيرة العربية، حيث تناول عدد منهم جغرافية الجزيرة أو بيئتها، وكان لهم تعليقات موجزة على تجارة الجزيرة العربية، تمثل امتداداً للكتابات السابقة في النظرة لتجارة الجزيرة العربية[٣٠]. ومع القرن الثاني الميلادي تقلص الاهتمام بالتجارة، نتيجة عدد من العوامل التي أدت إلى تقلص التجارة بدءاً من نهاية هذا القرن، لأسباب يمكن تلخيصها في التالي:

- توقف التوسع الروماني، ووصوله إلى أوجه مع بداية القرن الثاني الميلادي، ما أدى إلى تقلص الغنائم المحصلة من الحروب الخارجية والقدرة على الإنفاق.
- بدء الحروب الأهلية في الإمبراطورية الرومانية مع نهاية القرن الثاني، وبدأ الحروب مع الدولة البارثية.
- انتشار النصرانية وسعي أتباعها إلى القضاء على الرموز الوثنية، ومنها إحراق البخور في المعابد والاحتفالات الدينية.

بليني والتجارة العربية:

تقدم كتابات بليني، (٢٣-٧٩م) [عسكري ومحامي وقائد لأسطول روماني] أفضل سجل مفصل عن منتجات الجزيرة العربية وأسعارها، ومراحل التجارة والمسافة التي تقطعها. وقد ذكر بليني أنه نتيجة لازدياد الطلب على المر واللبان أصبح يجمع مرتين في السنة، إحداهما في الصيف، وهو الموسم الحصاد الرئيس، والثانية في موسم الربيع[٣١]. ويعد بليني من منتقدي التجارة الشرقية، وهو القائل باستنزافها للخزينة الرومانية، كما سوف نرى لاحقاً.

=أنظر: لطفي عبدالوهاب يحي، *العرب في العصور القديمة. مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٧٩م)، ١٩٥-٢١٦.

(٣٠) Young, *Rome's Eastern Trade*, 106.

(٣١) Groom, *Frankincense and Myrrh*, 146-148; Young, *Rome's Eastern Trade*, 105-106.

كان بليني، بصفته أحد المسؤولين الرومان، على دراية بالأمور المالية في الإمبراطورية الرومانية، ما يفترض لتقديراته عن تجارة الجزيرة العربية صدقية كبرى، ولكنها ليست كذلك. فقد قدر الإنفاق الروماني على تجارة الجزيرة العربية والهند والصين بحوالي ١٠٠ مليون سيسترز[٣٢]، وفي جزء آخر يرى أن حجم التجارة مع الهند يبلغ على أقل تقدير حوالي ٥٠ مليون سيسترز أو ما يعادل حوالي بليون يورو[٣٣]، تنفق على الكماليات في الاحتفالات والمعابد والزينة، التي تباع في الإمبراطورية الرومانية بثمن يبلغ مائة مرة ضعف ثمنها الأصلي[٣٤].

كان اللبان والمر أهم صادرات الجزيرة العربية، وبدرجة أقل البلسم والقرفة، بحيث مثلت نسبة اللبان حوالي ٦٠٪ والمر ٣٠٪ من الصادرات، وباقي السلع حوالي ١٠٪[٣٥]. ووضع بليني قائمة بأسعار المنتجات المصدرة من الجزيرة العربية مثل، اللبان، والمر، والقرفة، والبلسم، التي تمثل سعر التجزئة في روم[٣٦]. ويذكر بليني معلومات حول وجود أنواع مختلفة من اللبان والمر، حيث ذكر بليني أن سعر المر الأريتيري هو ١٦ ديناراً للرطل، و١٦,٥ ديناراً لمر ساكني الكهوف، و١٢ ديناراً للمر المعطر والمر المزروع[٣٧]، في حين يصل سعر البلسم الفلسطيني إلى ١٠٠٠ دينار وسعر القرفة بين ٣٠٠ و١٥٠٠ دينار للرطل[٣٨]. وهذه الأرقام تدل على تدني أسعار اللبان والمر مقارنة بالمنتجات الأخرى، وهو ما سوف نفصله عند مناقشة أسعار هذه السلع.

---

(٣٢) *Pliny*, 12.41.84، يساوي الدينار الروماني حوالي ٤٥,٤٥٤ سيسترز.

(٣٣) *Pliny,* 6.26.101; Anna M. Kotarba-Morley, 'Maritime connections of the Arabian Peninsula in the network of Indo-Roman trade – study of ports and harbours," International Symposium on the Historical Relations between Arabia, the Greek and Byzantine World (5TH c. BC – 10TH c. AD), Riyadh, 6-9 December 2010.

(٣٤) .*Pliny*, 6.26.101

(٣٥) Groom, *Frankincense and Myrrh*, 159.

(٣٦) Groom, *Frankincense and Myrrh*, 154, Young, *Rome's Eastern Trade*, 221، أنظر أيضاً جدول أسعار هذه السلع عند كل من Groom, *Frankincense and Myrrh*, 154-155, .Young, *Rome's Eastern Trade*, 222

(٣٧) .*Pliny*, 12.35.71

(٣٨) يرى جروم أن القرفة الواردة عند بليني ربما كانت تستورد من الساحل الصومالي وتختلف عن القرفة التي استوردت لاحقاً من الهند Groom, *Frankincense and Myrrh*, 154-155

ويلاحظ من أسعار بليني تدنى أسعار اللبان والمر، أهم عنصرين في صادرات الجزيرة العربية، مقارنة بالسلع الأخرى، مثل البلسم والقرفة. فقد حدد سعر رطل اللبان حسب الجودة بستة دنانير وخمسة دنانير وثلاثة دنانير. أما رطل المر فتراوحت أسعاره بين ١٢ و٣٫٥٠ ديناراً، أي أن سعر اللبان الذي يمثل ٦٠٪ من الصادرات يعادل نصف سعر المر.

وقد ظهر اختلاف بين الباحثين حول هذه الأرقام، وهل تمثل المبالغ النقدية أو الذهب أو المقايضة بأسعار آخري. ففي حين يرى جروم عدم إمكان تصدير سلع رومانية تكفي لتغطية الواردات، وأن معظم الاستيراد كان يغطى بالذهب، ما أدى إلى استنزاف السبائك الذهبية، وأسهم في انخفاض قيمة العملة، وانهيار الاقتصاد الروماني[٣٩]. لكن الدراسات الحديثة تنتقد هذه النظرة لعدة أسباب سنفصلها لاحقاً. فعلى سبيل المثال يؤكد هاريس أن الجزء الأكبر من التبادل التجاري لم يكن يعتمد على الذهب والفضة، بل كان عن طريق السندات والقروض، حيث تشير برديات Muziris[٤٠] إلى شراء أحد المقرضين سفينة أحد التجار القادمة من الهند بسبعة ملايين سيسترز[٤١]. وربما يكون المقصود بهذه الأرقام هو العقود التي تباع للحصول "على عقود بيع حق جباية الضرائب في البحر الأحمر، أو في خطوط التجارة الرئيسة الأخرى"[٤٢].

تكاليف الإنتاج والتصدير:

لعل أفضل وصف وتقدير لتكاليف نقل البخور عبر الطرق البرية هو الوصف الذي قدمه بليني خلال وصف طرق ومراحل نقل اللبان والمر من مناطق الإنتاج في جنوب الجزيرة العربية

---

(٣٩) Groom, *Frankincense and Myrrh*, 157-158، قارن يونغ، الذي يفند هذه النظرية Young, *Rome's Eastern Trade*, 134-135.

(٤٠) ميناء تجاري على الساحل الجنوبي للهند بالقرب من مدينة كيرلا، واشتهرت خلال العصور القديمة بتجارتها مع الجزيرة العربية وروم والصين.

(٤١) W.V. Harris, "A Revisionist View of Roman Money" JRS, 96 (2006) 16. كرس هاريس المقالة لنقد الاتجاه السائد حول التعامل التجاري في الإمبراطورية الرومانية واعتماده بشكل أساس على النقود الذهبية والفضية.

(٤٢) الحسين أحمد عبدالله، "ميناء برينيقى ونشاطه التجاري في القرن الميلادي الأول،" حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، (جامعة الكويت، ٢٠٠٩م)، ٢٣.

وحتى وصوله إلى مراكز الضرائب في الإمبراطورية الرومانية، مثل أرسينوى (السويس) وميوس هورموس (أبو شعر القبلي) وبرينيقى (الحراس) وغزة أو غيرها من المراكز الرومانية. فهو يذكر مرور قوافل التجارة بحوالي ٦٥ مرحلة منذ مغادرتها عاصمة القتبانيين تمنع وحتى تصل إلى غزة في رحلة تمتد على طول ١٤٨٧,٥ ميلا ، وكانت كل مرحلة مزودة بمحطات استراحة مجهزة بالمياه والمؤن[٤٣]، يدفع التجار خلالها العديد من الضرائب المقدرة من قبل الملك والكهنة وموظفي الملك والحراس ومرافقيهم وحراس الأبواب والخدم، ويظل التجار يدفعون حتى وصول السلع إلى مراكز الإمبراطورية الرومانية (انظر الجدول). كما تولت عدد من الأسر والجماعات احتكار إنتاج البخور، مثل وجود ثلاثة آلاف أسرة معينية تحتكر زراعة البخور المعيني وتصديره، ولا تسمح لأحد بالاقتراب من مناطق إنتاجه، ما أكسب هذه الأسر صفة دينية حتى لقبوا بـ: "المقدسيين"[٤٤].

والنص التالي من بليني يقدم تصورا عن مراحل تجارة اللبان منذ حصاده وحتى تصديره، والتكاليف التي يتكبدها التجار حتى يصل إلى مراكز الاستهلاك في الإسكندرية، حيث يذكر:

بعد جمع اللبان كان ينقل على الجمال إلى سوباتا، وهناك تفتح أبواب المدينة للسماح بدخوله، وقد جعل الملك تحول الجمال المحملة عن الطريق المحدد لها جريمة كبرى يعاقب عليها. وفي سوباتا تقدر عشر الكمية بدون وزن يحصلها كهنة الإله المسمى سابيس، ولا يسمح بوضع البخور في السوق حتى تحصل (ضريبة العشر)، وكان يأخذ العشر لتغطية المصاريف المحلية. وفي الحقيقة فإنه خلال أيام محدودة كان الإله يقدم حفلات طعام للضيوف. ولا يمكن تصدير البضاعة إلا بواسطة القتبانيين، ولذلك تدفع ضريبة أخرى لملكهم... وكانت عاصمتهم تمنع تبعد ١٤٨٧,٥ ميلا عن مدينة غزة في فلسطين على ساحل البحر المتوسط، وتنقسم الرحلة إلى ٦٥ مرحلة مع وجود محطات لانتظار الجمال.

كما تقدم كميات محددة من البخور إلى الكهنة أيضاً، وخدم الملك، وبالإضافة إليهم كان

---

(٤٣) *Pliny*, 12.32.63 صالح ناصر العمري، *طريق البخور القديم. من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه*، (صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٤م)، ٣٢- ١٣٩.

(٤٤) *Pliny*, 12.30.54.

هناك الحراس ومعاونوهم، وحراس الأبواب وخدمهم الذين يحصلون على جزء من البضاعة، وفي الحقيقة فهم يدفعون على طول الطريق، ففي مكان يدفعون للحصول على المياه، وفي مكان أخر للعلف، وكذلك للحصول على الخدمات الأخرى. وهكذا تصل إجمالي تكاليف الجمل الواحد إلى حوالي ٦٨٨ دينارًا قبل الوصول إلى البحر المتوسط، وهناك أيضاَ تدفع ضريبة إلى مسؤولي الجمارك في إمبراطوريتنا. ولذلك فإن سعر أفضل أنواع اللبان يصل إلى ستة دنانير، وخمسة دنانير للدرجة الثانية، وثلاثة دنانير للدرجة الثالثة[٤٥].

ومن خلال تتبع نص بليني كان على التجار تحمل الكثير من المشقات والمصاعب في سبيل نقل التجارة، ولعل من أبرزها طوال المسافة التي يتعين قطعها لنقل التجارة من جنوب الجزيرة العربية إلى مناطق الاستهلاك في البحر المتوسط، ومرورها بمناطق خاضعة لعدد من الدول والممالك والقبائل، فرضت رسوماً وإتاوات على مرور البضائع. كما يجب الالتفات للنفقات المطلوب دفعها لنقل البضائع من تكاليف توفير الإبل وتزويدها بالأعلاف والمياه وتوفير الطعام وعمليات الحراسة، خاصة عندما نعرف أن مسافة الرحلة امتدت لأكثر من ١٤٨٧,٥ ميلا، حسب تقديرات بليني[٤٦]، وسط ظروف وطرق صعبة يكتنفها الكثير من المخاطر. لذا فإن تجارة الجزيرة العربية امتازت بأنها تجارة طويلة المدىlong distance trade، ما أدى إلى وجود عوامل عديدة تتحكم بها[٤٧]. ولذلك فإن الدخل المتحقق من التجارة لم يكن كبيراً ليحقق ثروات طائلة للعرب نتيجة توزعه على أطياف عديدة في المجتمع.

م	المستفيد	السبب
١	المعبود سابين	للمعبود سابين ولإقامة الحفلات
٢	الملك	ضريبة الملك
٣	كهنة المعبد	ضريبة المعبد
٤	كاتمو أسرار الملك	خدمات

(٤٥) *Pliny*, 12.32.63-64.

(٤٦) *Pliny*, 12.32, حول مراحل طرق البخور، أنظر العمري، *طريق البخور القديم*، ٣٢- ١٣٩.

(٤٧) Morley, *Trade in classical Antiquity*, 26-34.

٥	الحراس ومرافقوهم	خدمات
٦	حراس الأبواب والخدم	خدمات
٧	زعماء محليون	رسوم محطات القوافل
٨	الأفراد	خدمات الأعلاف والمياه
٩	رسوم العبور	ضرائب
١٠	الجمارك الرومانية	ضرائب

جدول بالضرائب التي يخضع لها البخور بناء على كتابة بليني

يوضح الجدول المرفق بعض الضرائب والإتاوات التي يُوجَب على التجار دفعها خلال رحلتهم الطويلة على طريق البخور، بالإضافة إلى المستجدات التي يمكن أن تحدث نتيجة اعتراض قطاع الطرق أو فقدانهم للدواب، ما يكبد التجار تكاليف إضافية.

التجارة العربية والاقتصاد الروماني:

حظيت التجارة الشرقية باهتمام القدماء والمحدثين بسبب طبيعة المنتجات المستوردة، الكتابات التي ذكرها الكتاب حول أسعارها، وأثرها على الإمبراطورية الرومانية. إن نظرة هؤلاء الكتاب للتجارة العربية ليس لها ما يسندها في الواقع، لعدة أسباب جوهرية تتعلق بطبيعة السلع التجارية، والاقتصاد والسياسة الرومانية، والمجتمع الروماني. وتوضح دراسة المصادر والمكتشفات الأثرية مجانبة هذه المصادر للصدق، أو خطأ النظرة السائدة حول استنزاف التجارة الشرقية بعامة والعربية بخاصة للخزانة الرومانية.

إن المتأمل في سلع الجزيرة العربية يجد أن معظم الصادرات تقتصر على سلعتين، هما اللبان والمر، تعادلان حوالي ٩٠٪ من الصادرات. ويلاحظ عدم إشارة الكتاب الكلاسيكيين إلى قيام أية صناعات عطرية في جنوب الجزيرة العربية، ما يرجح أنها كانت تصدر بشكلها الخام بسبب عدم إمكان حفظ العطور بعد تصنيعها لفترة طويلة[٤٨]، وكذلك عدم قدرتها على تحمل مشقات النقل

(٤٨) Jean-Pierre Brun, "The Production of Perfumes in Antiquity: The Cases of Delos and Paestum," *AJA*, 104, 2000, 277.

البري. وقد أسهم ذلك في انتشار مصانع العطور في جميع مناطق الاستهلاك حول البحر المتوسط، فيذكر بليني إنتاج مشتقات العطور عند البطالمة والحراسة الكبيرة التي تحظى بها، ما يدل على أهميتها، وقبل ذلك نجد انتشار المصانع في جميع أنحاء العالم الإغريقي، مثل أثينا Athens وكورينثا Corinth، التي اشتهرت بجودة صناعتها لبعض أنواع العطور. ويوضح برون أن مدينة ديلوس Delos اكتسبت دوراً كبيراً في صناعة العطور، بعد أن جعلها الرومان ميناءً حراً، بحيث وفد إليها التجار من كل أنحاء الإمبراطورية[٤٩]. كما أكد بلينى أهميتها عندما ذكر أنه "في الأيام القديمة، كانت أفضل العطور تأتي من ديلوس"[٥٠].

إن المكتشفات الأثرية والرسوم التي عثر عليها في بومبي Pompeii وهيركولنيوم Herculaneum في كامبانيا Campania في إيطاليا وغيرها من المدن الرومانية، وخاصة روما، تشير إلى تجارة مزدهرة في مجال صناعة وإنتاج المواد العطرية[٥١]. كذلك نجد مصانع العطور تنتشر في مناطق عديدة من الشرق الأوسط خلال الفترة الرومانية، مثل فلسطين حيث عثر على مصانع في القدس وماسادا[٥٢]. كما وجد في البتراء شواهد على ممارسة صناعة العطور وتعبئته في قوارير تمهيداً لتصديره[٥٣]. لقد أوجدت هذه التجارة مصانع وأسواق مزدهرة قامت على إنتاج العطريات واعتمد عليها عدد غير قليل من الحرفيين والتجار في الإمبراطورية الرومانية، كما أسهمت في زيادة خزانة الدولة الرومانية من خلال الضرائب المحصلة عليها.

والجزء المهم هو تقديرات بليني وعلاقتها بالواقع الفعلي لهذه التجارة، وهل جميع الأموال التي ذكرها، مائة مليون أو خمسون مليون سيسترز، كانت تصدر للخارج؟ أم أن الجزء

---

(٤٩) Brun, "The Production of Perfumes in Antiquity, 282.

(٥٠) *Pliny*, 13.4.

(٥١) حول المدن والمقاطعات الرومانية في ايطاليا التي اشتهرت بصناعة العطور، أنظر Brun, "The Production of Perfumes in Antiquity", 290-291.

(٥٢) Brun, "The Production of Perfumes in Antiquity", 280

(٥٣) Zeyad Al-Salameen, "Frankincense and the Nabataeans: Historical and Archaeological Evidence", *Journal of King Saud Univ. Tourism and Archaeology* 1, 2009, 3-4.

الأكبر كان يمثل تجارة المنتجات الشرقية داخل الإمبراطورية الرومانية؟ إن النص الذي ساقه بليني يشير إلى "استنزاف الهند لمبلغ ٥٠ مليون سيسترز من الإمبراطورية في مقابل بضائع (هندية)"(٥٤). وهذا يعنى، إذا سلمنا بهذه الأرقام، أن المبلغ المتبقي، ٥٠ مليون سيسترز، كان يصرف على البضائع المستوردة من الجزيرة العربية وأفريقيا.

لكن الكتابات الكلاسيكية تقدم صورة مختلفة، فيشير مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأريتري إلى أن جزءاً من التجارة الشرقية كان يتم عن طريق نظام المقايضة. حيث يذكر أن ميناء موزا كانت تستورد البضائع التالية: جميع أنواع الأقمشة الأرجوانية وقماش الموسلين والعباءات والأغطية الزعفران والمراهم والنبيذ والقمح، وكذلك أواني الذهب والفضة والنحاس(٥٥).

ويؤكد المقايضة التجارية قطع الأوستراكا (ostraca) التي عثر عليها في ميناء ميوس هورموس، التي تذكر صادرات مصر من المواد الطبيعية والمواد المصنعة إلى الهند(٥٦). وكذلك أرشيف نيكانور، تاجر يوناني مقيم فى مدينة قفط، وله وكلاء تجاريون في موانئ البحر الأحمر، مثل ميوس هورموس وبرينيقى، وكان اهتمامه منصباً على تزويد الجنود والمحطات بالأغذية والمستلزمات الضرورية، وذلك خلال الفترة من ١٨ ق.م حتى عام ٦٩م(٥٧). وتوضح الوثائق أن إدارة الموانئ والإشراف على الطرق لم يكن يكلف الخزينة الرومانية أو خزينة الولاية أية نفقات، لسبب وجيه وهو أن التجار كانوا يدفعون تكاليف صيانة الطرق وحراستها وإقامة المراكز من خلال الرسوم المقررة عليهم. ففي صحراء مصر الشرقية فرضت رسوم العبور على الجميع، فكان

---

(٥٤) *Pliny*, 6.26.101.

(٥٥) حسين علي الحبيشي ونجيب عبدالرحمن شمير، *الطواف في البحر الأحمر ودور اليمن البحري*، (عدن: جامعة عدن، ٢٠٠٤م)، فصل ٢٤.

(٥٦) الحسين، "ميناء برينيقى ونشاطه التجاري في القرن الميلادي الأول"، ١٦-٢٠، C. Howgego, "The supply and use of money in Roman world 200 BC-AD 300", *JRS* 82 (1982), 6.

(٥٧) الحسين، *"ميناء برينيقى ونشاطه التجاري في القرن الميلادي الأول"*، ٧؛ Tony Judd, "The Trade with India through the Eastern Desert of Egypt under the Roman Empire," The Archaeology of the Eastern Desert, 2007, http://archaeology-easterndesert.com/assets/applets/LYSA_Judd.pdf,10/1/2011, 15-16.

قائد السفينة يدفع ٨ دراخمات والبحار ٥ دراخمات والمرافق ٥ دراخمات والرجل دراخمة والمرأة دراخمتين والجمل أوبولاً واحداً والحمار أوبولين أثنين (يساوي الدرهم ستة أوبولات)[٥٨].

وإذا عدنا مرة أخرى إلى صادرات الجزيرة العربية، واللبان والمر العنصران الرئيسان فيها، يلاحظ تدني أسعارها مقترنة بأسعار البضائع الأخرى مثل البلسم الفلسطيني والسوري والقرفة، التي يصل سعر الرطل منها إلى حوالي ١٠٠٠–١٥٠٠ دينار، وحتى سعر المر الإريتري كان يعادل ضعف سعر المر العربي حسب شهادة بليني[٥٩]. وهناك شهادة بليني الذي يذكر أن السلع الشرقية تباع بأضعاف ثمنها الأصلي مائة مرة في الإمبراطورية الرومانية[٦٠]. ويعود ذلك إلى وجود عدد من الرسوم، مثل رسوم العبور ورسوم التصدير، المقررة في المناطق التي تعبرها التجارة[٦١]، ما أدى إلى ارتفاع أسعار هذه السلع داخل الإمبراطورية.

وهناك نقطة مهمة تتعلق بتجارة الجزيرة العربية، وهي أن التركيز الأكبر في تحصيل الضرائب كان منصبا على التجارة الشرقية الخاصة بالهند والصين، حيث تمثل وارداتهما الجزء الأكبر من التجارة الشرقية. هذه التجارة التي بدأت في التحول إلى الطريق البحري مع القرن الثاني قبل الميلاد نتيجة جهود البطالمة البحرية في البحر الأحمر، تطورت تطوراً كبيراً خلال القرن الأول قبل الميلاد نتيجة استخدام الرياح الموسمية[٦٢]. ومن الواضح أنه مع تقدم الفترة الزمنية أصبح الجزء الأكبر ينقل عن طريق البحر. وربما يفسر هذا الأسباب التي دفعت بالإمبراطور الروماني تراجان (٩٨–١١٧م) إلى تأسيس أسطول بحري روماني في البحر الأحمر، بهدف حماية الملاحة

---

(٥٨) عبدالغني، *شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة*، ٥٨- ٥٩، Judd, "The Trade with India through the Eastern Desert", 13-14.

(٥٩) *Pliny*, 12.35.63-65.

(٦٠) *Pliny*, 6.26.101.

(٦١) حول الرسوم الجمركية ورسوم العبور، انظر الحسين، *"ميناء برينيقى ونشاطه التجاري في القرن الميلادي الأول"*، ١٥-١٦.

(٦٢) مصطفى كمال عبد العليم، *"دور البحر الأحمر في تاريخ مصر على عهد البطالمة" البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة*، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث، (القاهرة: جامعة عين شمس، ١٩٨٠م)، ٩-٢٧، نقولا زيادة، "دليل البحر الإرتري وتجارة العربية البحرية"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ط١، (جامعة الملك سعود، ١٩٨٤م)، ٢٥٩/١- ٢٧٧.

البحرية من القرصنة[٦٣]. لكن السبب الرئيس ربما يعود إلى رغبة الإدارة الرومانية وبعض المتنفذين الرومان في احتكار العائدات الضريبية للتجارة الشرقية.

وهذا يفسر اهتمام الرومان بوضع محصلي الضرائب في الموانئ البحرية على البحر الأحمر، مثل برينيقى وميوس هورموس وأيلة، بل حسب رأي بعض الباحثين وضع محصلين رومانيين في الميناء النبطي لوكي كومي[٦٤]، الذي ربما كان الهدف الأساس منه هو منع السفن من التهرب الضريبي. وهذا ما نفتقده في المراكز النبطية الداخلية، مثل البتراء أو بصرى، حيث لا توجد أية إشارة إلى وجود محصلين رومان في هذه المدن. وهذا ما دفع يونغ إلى الاعتقاد بعدم تحصيل ضرائب رومانية على تجارة البخور البرية "the Arabian incenses which had been brought by land from southern Arabia into the empire in fact never paid the tetarte (tax)"[٦٥].

كما يجب الإشارة إلى النقطة السابقة، وهي أن جزءاً كبيراً من هذه التجارة كان يتداول داخل الإمبراطورية الرومانية، من خلال المصانع والوسطاء والتجار الكبار، أكبر المستفيدين من هذه التجارة، بالإضافة إلى العاملين في نقل التجارة برياً وبحرياً[٦٦]. والنقطة المهمة هي أن المستفيد الأكبر من هذه التجارة هو الإمبراطورية التي تتحول التجارة فيها إلى ضرائب نقدية تعود على خزينتها بالدخل. فقد أشار سترابو إلى تحصيل ضريبة قدرها ٥٠٪ على واردات مصر من السلع الشرقية والأفريقية، بحيث تحصل نسبة ٢٥٪ عند الدخول، ونسبة ٢٥٪ عند التصدير من ميناء الإسكندرية[٦٧].

---

(٦٣) Groom, *Frankincense and Myrrh*, 151.

(٦٤) هناك اختلاف بين الباحثين على هوية المحصل الموجود في لوكي كومي وهل هو نبطي أم روماني، خاصة وأن الأنباط استخدموا العديد من المصطلحات الرومانية، أنظر Young, *Rome's Eastern Trade*, 95-96, 208-209.

(٦٥) Young, *Rome's Eastern Trade*, 209.

(٦٦) Brun, "The Production of Perfumes in Antiquity, 299-302.

(٦٧) Strabo, 16.7.98, Julie Jenkins, "The Berenike customs archive and the organization of trade", *The Archaeology of the Eastern Desert*, http://www.archbase.com/berenike/UCstudentLA2.html, 10/1/2011.
قارن الحسين، ١٥، الذي يرى أن الرسوم الجمركية البالغة ٢٥٪ تمثل رسوم العبور من الموانئ المصرية =

إن استنزاف النقود وتصديرها إلى الخارج، حسب شهادة بليني أو الآخرين، لا يمكن إثباتها على أرض الواقع، فجميع التنقيبات الأثرية في الجزيرة العربية والهند لم تكشف عن كميات ضخمة من النقود، تشهد على وجود استيراد ضخم للنقود الرومانية. ومقارنة بالمناطق الأخرى خارج الإمبراطورية الرومانية نجد أن كميات النقود التي عثر عليها في ألمانيا وداشيا وبريطانيا ومناطق شمال أوربا تفوق ما كشف عنه في الجزيرة العربية أو الهند[٦٨].

إن التحليل المنطقي للسياسة الإمبراطورية يدل على عدم خوف قياداتها من التجارة الشرقية، بما في ذلك تجارة الجزيرة العربية، والدليل هو عدم سن أية قوانين تحد من تدفق التجارة الشرقية على ولايات الإمبراطورية، أو وضع سياسة خارجية تهدف إلى السيطرة على طرق التجارة الشرقية، ولكن العكس هو الصحيح حيث نجدهم يسعون إلى تشجيع التجارة، بدليل الاهتمام الواضح بإنشاء الطرق والاستراحات والموانئ وتوفير الحماية العسكرية للتجار، ما يؤكد أن الاهتمام انصب في المقام الأول على تحصيل ضرائب التجارة الشرقية ومنع التهرب منها[٦٩]. ويمكن الاستدلال على أهمية تنظيم العملية التجارية من خلال إنشاء "طريق تراجان الجديد "Via Nova Trajan" بعد القضاء على مملكة الأنباط سنة ١٠٦م[٧٠]، الذي كان الطريق الرئيس للتجارة النبطية بين البتراء وميناء إيلة على خليج العقبة. إن سرعة اهتمام الرومان بتأهيل الطريق استهدف، إضافة إلى إحكام السيطرة السياسية على المنطقة، منع التجار والوسطاء من التهرب الضريبي.

إن إدعاءات تسرب الأموال خلال القرن الأول الميلادي لها ما يسوغها بسبب نقص النقود المعدنية مع نهاية العصر الجمهوري حوالي ٧٩ ق.م، بعد عقود من الزيادة المطردة في كميات

=على البحر الأحمر إلى النيل أو الإسكندرية، وهذا ربما يكون غير صحيح في ظل تحصيل مبالغ مالية محددة من كل شخص وحيوان، أنظر Judd, "The Trade with India through the Eastern Desert," 13-14,

(٦٨) C. Howgego, "The Supply and Use of Money in Roman World 200 BC-AD 300", 5-6.

(٦٩) Young, *Rome's Eastern Trade*, 204.

(٧٠) Virtual Karak Resources Project, "Trajan and the Via Nova", http://www.vkrp.org/studies/historical/roman-roads/info/new-way.asp, 15/1/2011.

النقود نتيجة التوسع الإمبراطوري. ويستدل على ذلك من مطالبات بعض أعضاء مجلس الشيوخ بسن قانونين ضد تسرب الأموال خارج إيطاليا، مثل الطلب المقدم من شيشرون Cicero إلى مجلس الشيوخ عام ٦٣ ق.م بمنع تصدير الذهب والفضة، ما دفع الرومان إلى سك عملتهم الخاصة عام ٤٨/٤٦ ق.م[٧١].

كما يؤكد هاريس أن الاقتصاد الروماني لم يكن قائماً على استخدام النقود المعدنية في جميع تعاملاته، وأن الذهب لم يكن جزءا من أساليب الدفع المالية قبل حكم قيصر[٧٢]، وكان الاقتصاد يعتمد اعتماداً كبيراً على القروض البنكية والصكوك وغيرها من المشتقات المالية المستخدمة في تلك الفترة، ويستدل على ذلك بأنه في عز ازدهار الاقتصاد الروماني، خلال القرنيين الأول والثاني الميلاديين، يندر العثور على حطام سفن رومانية تحتوى على مبالغ نقدية ضخمة، لإدراك التجار أخطار النقل البحري المتمثلة في القرصنة البحرية والتعرض للأنواء البحرية، أو ربما بسبب عدم استخدامها في التجارة[٧٣]. هذا وتقدر السيولة النقدية من الذهب والفضة في الدولة الرومانية خلال القرن الثاني الميلادي بين ١٢ بليون و٢١ بليون سيسترز موزعة على النحو التالي:

١. ١٢ بليون سيسترز ذهب.

٢. ٧ بليون سيسترز فضة.

٣. ٢ بليون سيسترز برونز.

ويجب عدم إغفال أن جزءاً من النقود الرومانية، التي كانت تنفق على تأمين البضائع الشرقية، كان يعود إلى الإمبراطورية لشراء بضائع رومانية، التي اقتصر التعامل فيها على النقود الرومانية[٧٤]. ويرى البعض أن الجزء الأكبر من المبالغ التي تحدث عنها الكتاب الكلاسيكيون لم

---

(٧١) Harris, "A revisionist view of Roman money", 18.

(٧٢) Harris, "A revisionist view of Roman money", 3.

(٧٣) Harris, "A revisionist view of Roman money", 19.

(٧٤) أنظر: John H. D'Arms, *Commerce and Social Standing in Ancient Rome,* London: Harvard University Press, 1981, 149، الذي يرى انتشار التعامل بالنقود في معظم أجزاء الإمبراطورية، ما عدا القليل من التعامل القائم على التبادل التجاري بالبضائع في المناطق الريفية.

تغادر الإمبراطورية مطلقاً، وكانت تتداول في الداخل، نظراً لأن أغلب التجار والوسطاء والصناع كانوا من الرومان(٧٥).

كذلك يجب ملاحظة حجم الاقتصاد الروماني الذي قدر فيه الناتج المحلي الروماني GDP للإمبراطورية من حوالي ٩ إلى ١٣ بليون سيسترز سنوياً خلال القرن الثاني الميلادي(٧٦). ولكن الدراسات الحديثة عن الاقتصاد الروماني تضاعف هذه التقديرات، وتضع الناتج المحلي الروماني خلال القرن الثاني الميلادي عند حوالي ٢٠ بليون سيسترز على أقل تقدير(٧٧).

وهناك جانب مهم وهو مقارنة حجم التجارة العربية بالثروات الفردية في الإمبراطورية. وتوضح الأمثلة التالية أن كميات الأموال المتداولة في الإمبراطورية الرومانية تعد ضخمة مقارنة بالأموال المنفقة على البخور. فنجد الإمبراطور تيبريوس (٤٢ ق.م- ٣٧م) يقدم قروضاً بمبلغ ١٠٠ مليون سيسترز لتجنب الأزمة المالية التي حدثت عام ٣٣م(٧٨). وقدر المبلغ الذي حصل عليه ماركوس أنطونيوس بعد وفاة يوليوس قيصر عام ٤٤ ق.م بحوالي ٧٠٠ مليون سيسترز(٧٩). وبلغ حجم ثروة سينيكا حوالي ٣٠٠ مليون سيسترز(٨٠). كما يذكر شيشرون شراء المدعو البانيوس C. Albanius ملكية بمبلغ ١١,٥ مليون سيسترز، وقدرت ملكية القائد الروماني إيمليوس سكاوريس في مقاطعة Tusculum في إيطاليا بمبلغ ٣٠ مليون سيسترز، واشترى كلاديوس منزل إيمليوس سكاوريس في مقاطعة Palatine بمبلغ ١٤,٥ مليون سيسترز(٨١). كما يشير الكتاب

---

(٧٥) Young, *Rome's Eastern Trade*, 204

(٧٦) Keith Hopkins, "Taxes and Trade in the Roman Empire (200 B.C.-A.D. 400)," JRS 70, (1980), 117-120.

(٧٧) حول التقديرات والأدلة التي بنيت عليه، أنظر Walter Scheidel and Steven J. Friesen, "The Size of the Economy and the Distribution of Income in the Roman Empire", Version 2.0, *Princeton-Stanford Working Papers in Classics*, Jan. 2009, http://www.princeton.edu/~pswpc/pdfs/scheidel/010901.pdf, 13.

(٧٨) Harris, "A Revisionist View of Roman Money", 12.

(٧٩) I. Shatzman, Senatorial Wealth and Roman Politics, Brussels 1975, 299.

(٨٠) Groom, *Frankincense and Myrrh*, 157.

(٨١) Shatzman, Senatorial Wealth and Roman Politics, 289.

الرومان إلى مشاركة أفراد الطبقة العليا في التجارة، خاصة تجارة القمح والنبيذ في روم والمدن الإيطالية، التي أصبحت أحد مصادر ثراء أفراد الطبقة[٨٢].

المجتمع الروماني والتجارة الشرقية:

إن الاعتقاد السائد لدي الكتاب الرومان، مثل ليفي[٨٣]، وديو كاسيوس[٨٤]، وبليني، يقوم على نظرية أن فساد المجتمع الروماني ظهر نتيجة التأثيرات الأسيوية. ويرتبط ظهور هذه الانتقادات مع الثروات الطائلة التي حصل عليها الرومان، وتغير أنماط المعيشة لدى المنتفعين من التوسع الروماني، من القادة والولاة خلال القرن الثاني قبل الميلاد، خاصة بعد انتصار الرومان في الحرب على كورنث وقرطاجة عام ١٤٦ ق.م، وتمكن روما من وضع يدها علي ثروات الشرق الأدنى، وحصولها على إتاوات ضخمة من ممالك، مثل قرطاجة ومقدونيا وسلوقيا والبطالمة، أو من غنائم الحرب وتدمير المدن، مثل قرطاجة وسيراكيوس وكورينثا[٨٥]. كما أن المدن التي سلمت من التدمير الروماني أجبرت على دفع ضرائب استنزفت مدخرات سكان المدن، كما تنافس القادة الرومان في الحصول على التعويضات من حروبهم التي خاضوها وخاصة في الشرق[٨٦].

ونتيجة لهذا الثراء بدأ الإنفاق غير الضروري، حسب الروايات الكلاسيكية الرومانية، ما

---

(٨٢) D'Arms, Commerce and Social Standing in Ancient Rome, 35-39.

(٨٣) Litus Livius (٥٩ ق.م- ١٧م) والشهير بليفي، مؤرخ روماني كبير عاش في روما وكان على علاقة بأسرة أغسطس وحظي بعنايتهم. أشتهر بكتاب تاريخ روما، الذي أرخ لمدينة روما منذ تأسيسها وحتى سنة ٩م في حوالي ١٢٠ مجلد، أنظر Boia, Great Historians from Antiquity to 1800, 324-325.

(٨٤) كاسيوس ديو كوكيانوس (حوالي ١٦٣/١٦٤-٢٣٥م) Cassius Dio Cocceianus ، الشهير باسم ديو كاسيوس مؤرخ روماني من أصل إغريقي، ولد في مدينة نيقية في آسيا الصغرى، وتقلد العديد من المناصب الإدارية الرومانية، له العديد من المؤلفات وخاصة كتابه المشهور *تاريخ روم*. أنظر Boia, Great Historians from Antiquity to 1800, 317-318.

(٨٥) هناك اختلاف كبير بين الباحثين حول أسباب التوسع الروماني، وهل يعود ذلك لأسباب دفاعية أم توسعية، أنظر J. North, "The development of Roman Imperialism", *JRS,* 71 (1981), 1-9.

(٨٦) Howgego, "The Supply and Use of Money in Roman World 200 BC-AD 300", 5-6.

دفع المشرعين إلى إصدار قوانين تمنع استخدام العطور الشرقية عام ١٨٨-١٨٩ ق.م[٨٧]. ومن ثمَّ فإن أرقام بليني لا تمثل إحصائيات تجارية دقيقة، بقدر ما تمثل وجهة النظر الفلسفية التي تنتقد درجة الإسراف والتبذير الذي أصبح عليه المجتمع الروماني[٨٨].

ويظهر هذا التصور بوضوح في نص ديو كاسيوس كان الرومان، بعد تجربة المنتجات الشرقية الفاخرة وحصولهم على الغنائم بوفرة، وحب السيطرة الذي يتأتى مع القوة، يستمتعون بالكثير من الوقت مع ممتلكات المهزومين. وبعد فترة قصيرة بدأ (الرومان) في التنافس على المظاهر مثلهم (الآسيويين). وخلال وقت قصير تخلوا عن تقاليد أجدادهم، وهكذا بدأت المشكلة وتملكت المدينة"[٨٩].

وفي نص آخر يذكر ليفي أن الاهتمام بالبضائع الأجنبية الفاخرة والكماليات دخل على روم بواسطة الجيوش الآسيوية العاملة عند الرومان " luxuriae enim peregrinae origo ab exercitu Asiatico invecta in urbem est[٩٠]". التي تمثلت في شراء البضائع والمنتجات الشرقية وكذلك الفرق الاستعراضية والاحتفالات وغيرها من مظاهر اللهو التي شهدتها روم لاحقاً.

إن اتهام الكتاب الكلاسيكيين للشرقيين باستنزاف الخزينة الرومانية من النقود وتحويلها إلى الشرق من خلال شراء البضائع لا يختلف في مجمله عن اتهامهم لهم بالتخلف. ونختم هذه النصوص بنص بليني الذي يظهر النقد القوي لهذه التجارة التي أسهمت في فساد المجتمع الروماني، حيث يقول تعرف الجزيرة العربية "بالسعيدة"، دولة باسم خطأ ومعنى غير صحيح،

---

(٨٧) Brun, "The Production of Perfumes in Antiquity", 290.

(٨٨) Young, *Rome's Eastern Trade*, 205-2207 , Howgego, "The Supply and use of Money in Roman World 200 BC-AD 300", 6.

(٨٩) *Cass. Dio, frag. 64.*

(٩٠) Litus Livius, *The History of Rome,* trans. Evan T. Sage, Book 39 .6.7. http://www.perseus.tufts.edu/hopper/text?doc=Perseus%3Atext%3A1999.02.0166 %3Abook%3D39%3Achapter%3D6.15/3/2011

لأن الاسم يقترح أن سعادتها قد جاءت من الآلهة، ولكنه في الحقيقة يرتبط بقوى الظلام. وفي الحقيقة يعود حظ الجزيرة العربية إلى حب الإنسان إلى الترف حتى عند الموت، لأنهم عندما يحرقون البخور على الميت كانوا في الواقع يحرقون مواد وجدت في الأصل من أجل الآلهة، فمن المعروف أن الجزيرة لا تنتج في سنة واحدة كمية ضخمة من البخور تعادل ما أحرقه الإمبراطور نيرون في يوم واحد في جنازة زوجته بوبيا. وعندما نجمع العدد الكبير من الجنائز المحتفل بها سنويا في العالم، والبخور، ...، الذي يجمع في أكوام لتكريم الأجساد الميتة. وعلى الأقل فإن الهند والصين والجزيرة العربية تحصل على حوالي مائة مليون سيسترز في السنة، وهو المبلغ الذي تتكلفه نساؤنا وينفق على الكماليات، التي يذهب جزء منها، ...، إلى الآلهة وإلى قوى العالم السفلي[٩١].

إن الدارسة المتأنية لهذه النصوص توضح جانباً مهماً بدأ الباحثون بالتركيز عليه، وهو أنها تعكس حالة الفساد الذي استشرى في المجتمع الروماني، وتخليهم عن عادات وتقاليد أجدادهم. كما تكالبت عوامل عديدة أدت إلى انتقاد ظاهرة البذخ والإسراف في المجتمع الروماني، مثل ربط ذلك بالنظرة الرومانية التقليدية للتجارة التي تقلل من مكانة العاملين في هذا المجال، نظرا لما يدخل فيه من عدم الصدق والخداع[٩٢].

كان الاهتمام بتجارة البخور العامل المشترك بين ممالك الجزيرة العربية والإمبراطورية الرومانية بهدف تأمين تدفق هذه السلع الضرورية دينياً ودنيوياً، التي لا غنى للناس عن استخدامها في المعابد والعلاج، ولا غني للحكومات عن الدخل الضريبي المتحقق من ورائها. وأوضحت الدراسة وجود تناقض بين ما سطره الكتاب الكلاسيكيون وواقع تجارة الجزيرة العربية، التي تفتقد إلى الشواهد الأدبية أو الأثرية لتأكيد ادعاءاتهم بالثراء الأسطوري للجزيرة العربية، أو استنزاف الخزانة الرومانية. فقد اقتصر القسم الأكبر من صادرات الجزيرة العربية الرئيسة على سلعتين هما اللبان والمر، وكانتا تباعان بأقل الأسعار في الإمبراطورية الرومانية،

---

(٩١) *Pliny*, 12.41.83-84.

(٩٢) D'Arms, *Commerce and Social Standing in Ancient Rome,* 20-23, 43-45, 152-153.

مقارنة بالسلع الشرقية الأخرى، حسب رواية بليني. وربما نتيجة تدني أسعار هذه البضائع لم يهتم الرومان بتحصيل ضرائب عليها، مثل اهتمامهم بتحصيل الضرائب على الواردات الشرقية من الهند والصين وأفريقيا.

إن الاستعراض الدقيق لكتابات المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين يوضح أن معلوماتهم عن تجارة الجزيرة لا تختلف كثيراً عن معرفتهم بجغرافيتها وطبيعتها، التي شابها الغموض والأخطاء والمعلومات المبالغ فيها حول المخاطر والصعوبات، خاصة خلال فترة ما قبل الميلاد. على الرغم من ذلك نجد أن الغالبية العظمي من هؤلاء الكتاب يتحدثون عن الثراء الفاحش لسكان الجزيرة العربية، الذي يعود في نظرهم إلى الكسب المحقق من تجارة البخور والمواد العطرية، سواء كانت من بيع منتجات الجزيرة العربية، أو من خلال عملهم وسطاء في نقل المنتجات الأفريقية، والهندية، والصينية إلى مناطق الاستهلاك في الشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط.

وتشير الشواهد الأدبية والأثرية إلى أن جزءاً من التجارة الشرقية كان يعتمد المقايضة ببضائع رومانية، خاصة الملابس والخمور والصناعات المعدنية. كذلك فإن المبالغ التي ذكرها بليني هي أسعار التجزئة داخل الإمبراطورية، وهي لا تعكس القيمة الحقيقية للتجارة الشرقية. كما أن جزءاً كبيراً من هذه الأموال لم يغادر الأراضي الرومانية، وكان يتداول بين التجار والصناع والوسطاء والمشتغلين في النقل والخدمات الأخرى، مثل إسهامها في قيام صناعات عطرية مزدهرة داخل المدن الإغريقية والرومانية.

وأخيراً فإن الجزء المتبقي، الذي حصل عليه التجار، كان يجب أن يمر بخمس وستين مرحلة حسب تقديرات بليني، هذا عدا الأموال التي تنفق داخل أراضي اللبان، ما يجعل المبالغ المتبقية لا تمثل موارد مالية ضخمة تعكس النموذج الكلاسيكي. كما توضح الدراسة ارتباط النظرة الكلاسيكية لتجارة الجزيرة العربية والتجارة الشرقية بتصورات فلسفية عن المجتمع الروماني والفساد المتغلغل فيه بعد سيطرتهم على ثروات الشعوب الأخرى. إن مقارنة الاقتصاد الروماني

بالأموال المنفقة على اقتناء الحاجات الضرورية لهذا المجتمع من الشرق تدل على عدم استنزاف التجارة الشرقية للرومان. كذلك فإن أرقام بليني لا تمثل أرقاما ضخمة مقارنة بالثروات الفردية أو الناتج المحلي الروماني. إن أقرب مثال يمكن مقارنته هو وضع النفط اليوم؛ فهل يمكن مقارنة ميزانيات النفط بالميزانيات الغربية والعالمية؟ وهل استفاد العرب من النفط الخام، أم صدروه مثل أجدادهم ليباع لهم مرة أخري بأضعاف ثمنه مائة مرة؟!.

أصحاب الأيكة وتجارة البحر الأحمر

عبدالرحمن الطيب الأنصاري

بموت الإسكندر سنة ٣٢٣ ق. م ورث بطليموس الأول ملك مصر، ورأي في سيطرة الأنباط على الجزء الشمالي الشرقي من البحر الأحمر تهديدًا للنفوذ البطلمي، وبدأ خليفته بطليموس الثاني بتحصين مدينة هيرونوبوليس الواقعة على خليج السويس، وبدأ حركة كشوف منظمة لموانئ البحر الأحمر.

وتمكن بطليموس الثالث من اجتياح سوريا والوصول إلى نهر الفرات، وزادت السيطرة البطلمية على البحر الأحمر. وشهدت بداية القرن الثاني قبل الميلاد بداية تدهور البطالمة وضعفهم وتزايد نفوذ الرومان في مصر تمهيداً للاستيلاء عليها. وبعد استيلاء الرومان على مصر نزلت الحملة الرومانية في ميناء لوكي كومي بقيادة اليوس- جالوس سنة ٢٥-٢٤ق.م، ووصلت إلى مريابا (مأرب) لكنها عادت أدراجها دون أن تحقق أهدافها.

ويبدو أن أصحاب الأيكة قد ارتبط اسمهم بأحد موانئ البحر الأحمر التي بناها الرومان ذلك لأن القرآن الكريم أشار في آيات شتى إلى الكيل والميزان وأنهم يبخسون الناس أشياءهم ما يدل على أنهم مارسوا التجارة، فما هو أقرب الموانئ التي تعاملوا معها وارتبط اسمهم به؟

إن دراسة دور الموانئ العربية في تجارة البحر الأحمر خلال العصر اليوناني الروماني في ضوء ما جاء في القرآن الكريم عن أصحاب الأيكة يؤيد فرضية ارتباط اسم ميناء (لوكي كومي) الذي كان أشهر موانئ مملكة الأنباط باسم الأيكة الذي ورد في القرآن الكريم في عدة آيات وهي:

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص١٤٥-١٥٠

- ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾[١].
- ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢].
- ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُوْلَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾[٣].
- ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾[٤].

أرسل الله تعالى نبيه شعيباً عليه السلام إلى أصحاب الأيكة، وهم مدين. قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ(١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧)﴾[٦]، قال ابن كثير: (أصحاب الأيكة هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل في الآية الثانية (سورة الشعراء) أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي: شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها، فلهذا لما قال كَذّب أصحاب الأيكة المرسلين لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب إنما قال: "إذ قال لهم شعيب" فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه. وإن كان أخاهم نسباً، ومن الناس من لم يفطن لهذه الكنية فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيباً عليه السلام بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال ثلاث أمم... والصحيح أنها أمة واحدة)[٧].

قال القرطبي: (الأيك الشجر الملتف الكثير، الواحدة أيكة. ومن قرأ: "أصحاب الأيكة" فهي الغيضة. ومن قرأ: "ليكة" فهو اسم القرية. ويقال: هما مِثل بكة ومكة؛ قاله الجوهري. وقال النحاس: وقرأ أبو جعفر ونافع: "كذب أصحاب ليكة المرسلين" وكذا قرأ: في "ص". وأما

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٧٨.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٧٦.
(٣) سورة ص، الآية: ١٣.
(٤) سورة ق، الآية: ١٤.
(٥) سورة هود، الآية: ٨٤.
(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٧٦-١٧٧.
(٧) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، *تفسير ابن كثير*، ط١، (القاهرة: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

ما حكاه أبو عبيد من أن "ليكة" هِي اسم القرية التي كانوا فيها وأن "الأيكة" اسم البلد فشيء لا يثبت ولا يعْرف من قاله فيثبت علمه، ولو عرِف من قاله لكان فيه نظر لأن أهل العلم جمِيعًا من أهل التفسير والعلم بِكلامِ العرب على خلافه. وروى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة قال: أرسل شعيب عليه السلام إلى أمتين: إلى قومه من أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة، وقال: والأيْكة غيضة من شجر ملتف)[٨].

تتحدث المصادر التاريخية عن الكثير من الموانئ التي كانت موجودة على هذا الطريق الساحلي، وتشير الأدلة الأثرية إلى دورها الحيوي في تجارة الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام.

وتشير السجلات التاريخية إلى ميناء نبطي على الساحل الشمالي الغربي للجزيرة العربية يدعى باللغة الإغريقية (لوكي – كومي – Leuke Kome – القرية البيضاء). ويمتد من هذا الميناء طريق إلى الرقيم (البتراء) عاصمة الأنباط. واختلف الدارسون في التحديد الدقيق لموقع هذا الميناء، فبعضهم يرى أنه يقع قرب ينبع، وبعضهم يرى أنه يقع شمال أملج في موقع مدينة الحوراء الأثرية .. بينما يرى البعض الآخر أنه يقع بالقرب من عينونا؛ وهذا الرأي الأخير يرحجه اكتشاف ميناء أكرا كومي جنوب مدينة الوجه، وهو ميناء نبطي آخر كان معاصرًا لميناء لوكي كومي واستخدم ميناء لمنطقة الحجر[٩].

فإذا كان أصحاب الأيكة هم أهل مدين، أو هم قوم عاشوا في الركن الشمالي الغربي من الجزيرة العربية، وأنهم وطبقًا لإحدى القراءات كان يسكنون قرية أسمها (ليكة) فإننا نفترض أن هذه القرية هي (لويكي كومي)، وإن هذا التحريف من (ليكة) إلى (لوكي كومي) جاء على أيدي اليونان والرومان. ولا يستبعد أن الله عز وجل قد وضع القرية (ليكة/ الأيكة) في صيغة عربية لتسهيل قراءتها في الآيات القرآنية.

---

(٨) القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن*، ط٣، (القاهرة: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

(٩) غبان، علي إبراهيم، *الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة*، مدخل عام، ط١، (الرياض: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ٣٢-٣٣، ٢٥-٢٥٣.

وتبقى هذه الفرضية قائمة على أساس أن (ليكة) اسم للقرية على الرغم من غرابته وإجماع أغلب المفسرين على أن (الأيكة) هي الغيضة من الشجر إلا أن وجود ميناء باسم (لوكي كومي) يدعم هذه الفرضية من ناحية أخرى كما يدعمها النشاط الاقتصادي الواسع لأهل مدين، وقد أشار القرآن الكريم إلى معرفتهم للمكاييل والموازين: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[١١]، وتدل هذه الآيات على استخدام أهل مدين المكاييل والموازين وقد نهاهم الله سبحانه وتعالى عن الغش وبخس حقوق الناس في البيع والشراء والالتزام بالأمانة[١٢].

وعلى الرغم من الضغط المتزايد على مملكة الأنباط، ولا سيما في الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد إلى منتصف القرن الأول الميلادي؛ إلا أنهم تمكنوا من تطوير اقتصادهم وزراعتهم عن طريق التوسع في استخدام طرق الري، ويرجع ذلك جزئيًا إلى تدهور الطرق التجارية المتجهة صوب الجنوب[١٣]. وحاول البطالمة في مصر بسط نفوذهم على منطقة شمال البحر الأحمر؛ لتحويل حركة التجارة والنقل البحري من موانئ الجزيرة العربية إلى الموانئ المصرية؛ إلا أنهم فشلوا في تحقيق ذلك الهدف، وحاول بطليموس الثاني تحويل طرق التجارة البرية المارة عبر أراضي مملكة الأنباط إلى طريق يبدأ من جنوب الجزيرة العربية. ومنها على البحر الأحمر فخليج

---

(١٠) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(١١) سورة هود، الآيتان: ٨٤ – ٨٥.

(١٢) سلامة، عواطف أديب، *أهل مدين دراسة للخصائص والعلاقات ١٣٥٠ – ١١٠٠ ق.م*، (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ٢٨٣.

(١٣) هيلي، جون، *الأنباط ومدائن صالح* ١٣٥-١٤٤، أطلال، العدد العاشر، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ١٣٦.

السويس، ثم بنى أسطولاً من السفن ذات الطوابق الأربعة. وشرع في تنفيذ حركة كشوف منظمة في مواني البحر الأحمر من خليج العقبة شمالاً إلى باب المندب جنوبًا. وأثارت هذه التحركات الأنباط الذين تصدوا لسفن البطالمة في البحر الأحمر، ونشبت بين الطرفين معركة بحرية سنة ٢٧٨- ٢٧٧ ق.م تمكن خلالها البطالمة من تدمير الأسطول النبطي. وفي عهد بطليموس الثالث، أحكم البطالمة سيطرتهم على البحر الأحمر. وظل الصراع بين الأنباط والبطالمة مستمرًا حتى نهاية عصر البطالمة في مصر. فعندما كانت الملكة كيلوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة تستعد للهروب من مصر أمام زحف الرومان، أقدم الأنباط الذين تحالفوا مع الرومان على إحراق الأسطول البطلمي في ميناء كليوباترس بالقرب من السويس[١٤].

وفي الوقت الذي اتسمت فيه العلاقات النبطية البطلمية بالتنازع والتناحر، فقد ارتبط البطالمة بعلاقات ودية مع بعض الممالك العربية مثل: مملكة دادان ولحيان التي استطاع البطالمة بالتعاون معها تحويل طريق التجارة من أراضيها إلى البحر الأحمر لتنتقل من ميناء أمبيلوني بالقرب من الوجه إلى الميناء البطلمي ميوس هرموس الواقع على ساحل البحر الأحمر الشرقي حتى لا يمر عبر أراضي مملكة الأنباط، ومن الدلائل التي تشير إلى العلاقات الوطيدة بين مملكة معين والبطالمة، النقش الذي عثر عليه بالجيزة، وكان يحتوي على شاهد لقبر التاجر المعيني زيد إل، وهو مؤرخ في سنة ٢٦٤ ق.م في عهد الملك بطليموس الثاني، وكان زيد إل يقوم بنقل البخور والطيوب من جنوب الجزيرة العربية إلى مصر؛ وإمعانًا في الاحترام والتقدير أطلق المصريون على زيد إل لقب (الكاهن المطهر)[١٥].

وبعد أن ورث الرومان النفوذ البطلمي في الشرق، حاولوا السيطرة على الطرق البرية والبحرية في الجزيرة العربية، فأرسل حاكمهم في مصر جيشًا عبر البحر الأحمر بقيادة إليوس -جالوس الذي نزل في ميناء لوكي- كومي سنة (٢٤-٢٥ ق.م) ثم سار عبر الطريق البري للاستيلاء على الموانئ الواقعة على امتداد ساحل الجزيرة العربية الغربي القريب من اليمن، ولكن

---

(١٤) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب وآخرون، *الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية*، (الرياض: مؤسسة التراث، ١٤٢٧هـ)، ٧٦.

(١٥) الأنصاري، *الحضارة العربية والإسلامية*، ٧٧.

هذه الحملة العسكرية آلت إلى الفشل؛ بسبب مقاومة العرب لها. وتفشي الأمراض في صفوف الجيش، فضلاً عن حر الصحراء القائظ، والعطش الذي حاق بالجنود، ما اضطر قائد الحملة وفلول جيشه في نهاية المطاف إلى أن يعودوا أدراجهم إلى مصر[١٦].

واستمر نفوذ الرومان على ميناء لوكي- كومي لفترة ليست بالقصيرة؛ خاصة بعد أن ضموا الرقيم (البتراء) إلى نفوذهم، وأصبحت مملكة الأنباط ولاية رومانية بعد سنة ١٠٦م، وأنشأوا إدارة لجباية الضرائب من السفن والتجارة؛ فكانوا يأخذون ربع أثمان السلع الواردة إلى الميناء[١٧].

وفي عهد الدولة البيزنطية استمرت الموانئ الشمالية للحجاز تشارك في حركة النقل البحري بين الحجاز ومصر. وتوجد اليوم على امتداد ساحل الحجاز مواقع أثرية ترجع إلى العصور: النبطية، والرومانية، والبيزنطية، ووجدت على سطوحها الكثير من الكسر الفخارية والزجاجية والقطع المعدنية وبعض المسكوكات وغيرها من المواد التي تنبئ عن أوضاع اقتصادية مزدهرة خلال تلك الحقب[١٨].

وقبيل ظهور الإسلام اختفت كل مظاهر التجارة البحرية بين موانئ الحجاز وموانئ البحر الأحمر الأخرى؛ بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية في تلك الحقبة. وعلى الرغم من صعوبة الأوضاع، كان سكان مكة ويثرب يستخدمون في بعض الأحيان الموانئ القريبة منهم للتصدير والاستيراد، فمثلاً: استخدم أهل مكة ميناء الشعيبة في تجارتهم مع شرق أفريقية وخاصة الحبشة، في حين استخدم أهل يثرب ميناء الجار (البريكة) الذي يقع بالقرب من ميناء ينبع[١٩].

---

(١٦) غبان، *الآثار الإسلامية*، ١٤٤.

(١٧) الأنصاري، *الحضارة العربية والإسلامية*، ٧٨.

(١٨) الأنصاري، *الحضارة العربية والإسلامية*، ٧٨.

(١٩) غبان، *الآثار الإسلامية*، ١٤٥.

الذهب والفضة في العربية الجنوبية في ضوء المصادر الكلاسيكية

رضا عبدالجواد كمال رسلان

قدمت المصادر الكلاسيكية الخاصة بالكتاب اليونان والرومان، بعض المعلومات المتنوعة في شتى مناحي الحضارة العربية القديمة بصفة عامة، وجنوب الجزيرة بصفة خاصة، على الرغم مما يؤخذ على تلك الكتابات من نقد بسبب عدم دقة ما كتبوه في بعض الأحيان، ومزجهم أحياناً بين التاريخ والأسطورة، دون التقيد بمنهجية البحث التاريخي، وإغفالهم الكثير من المعلومات في نواحي عديدة، لاسيما التميز الزراعي والنشاط السكاني المتنوع لأهل العربية الجنوبية، واعتمادهم الرواية والسمع وتعصبهم لبني جلدتهم والرومان بصفة خاصة، أضف إلى ذلك عامل اختلاف اللغة وما يحيط بها من لبس وغموض على الأجنبي، وعلى الرغم من ذلك فقد أمدّتنا بكثير من المعلومات بخصوص الحضارة في العربية الجنوبية في بعض النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية[1].

---

(1) من الدراسات المتعلقة بالمصادر اليونانية والرومانية عن العربية الجنوبية ونقدها راجع: أحمد صالح العبادي، اليمن في المصادر القديمة اليونانية والرومانية ٤٨٥ ق.م - ١٠٠م، (صنعاء: إصدارات وزارة الثقافية والسياحة، ٢٠٠٤م)، ١٧-٣٣ ؛ مها عبدالعزيز عبدالرحمن البديع، الجزيرة العربية في كتابات سترابون وبلينيوس الأكبر في القرن الأول قبل الميلاد ــ القرن الأول الميلادي، دراسة مقارنة، دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب للبنات، الدمام، ٢٠٠٢م ؛ خالد عبدالملك نعمان الحميري، سترابو واليمن (٦٣ ق.م - ٢٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩م ؛ لطفي عبدالوهاب يحيى، "الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية" دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، (جامعة الرياض، ١٩٧٧م)، ١/٥٥-٧١ ؛ عبدالله حسن الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم (١) "محاولات تأريخ كتاب (دليل البحر الإريثري)"، (صنعاء: مكتبة دار الآفاق، ١٩٩٩م)، ٢٠٧ - ٢٢٨.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص١٥١-١٦٧

ويعالج البحث موضوعاً دقيقاً داخل بطون تلك المصادر الكلاسيكية المتناثرة، وهو موضوع معدني الذهب والفضة في ضوء الكتابات اليونانية واللاتينية بالعربية الجنوبية، وهي إشارات قليلة بل نادرة وهو الأمر الذي أدى إلى ضرورة الاستفادة من بعض المصادر القديمة، كالتوراة والنصوص الآشورية في مقدمة الدراسة كي تسهم في إثراء المعرفة بخصوص هذا الموضوع. ومن الجدير بالملاحظة أن المصادر الكلاسيكية وبعض الاكتشافات الأثرية قد أكدتا عدم اقتصار وجود معدني الذهب والفضة في العربية الجنوبية، بل وجدا أيضاً ببعض المناطق الشمالية والشرقية بالجزيرة العربية[٢].

وقد وجدت بعض الثروات الطبيعية الأخرى، التي لن يتعرض لها الباحث من المعادن والأحجار الكريمة في العربية الجنوبية في حضارتها القديمة، بل ويمكن وصفها بأنها ليست قليلة لوجودها في باطن أرضها بصورة معقولة[٣]، مثل الجزع، العقيق، الزبرجد، الجمشد، والعقيق الأبيض[٤]، أضف إلى ذلك وجود بعض المعادن الأخرى مثل الرصاص والنحاس والحديد[٥]. وقد أكدت المصادر الإسلامية، والهمداني خاصة توافر تلك المعادن في العصور الإسلامية[٦].

---

(٢) من الإشارات الكلاسيكية:

- دوباي الواقعة شمال شرق مكة. Diodorus,111,47, 5-6
- ليتوس ميمايوم بشرق الجزيرة العربية .Plinius, H. N.,150
- الجرهاء شمال شرق الجزيرة Strabo,16.4.19

كما أكدت الاكتشافات الأثرية أيضاً على وجود معدني الذهب والفضة بعدة مناطق لم تشر إليها المصادر الكلاسيكية مثل نجران، والفاو، وثاج، وعين جاوان، ومهد الذهب شمال المدينة. وللمزيد راجع: طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية، (الهيئة العامة للسياحة والآثار، ٢٠١٠م)، حيث يشتمل على عدة مقالات لتلك المناطق السالفة الذكر.

(٣) Grohmann, A.: Sudarabien als wirtschafts Geble. 2. Bde, Schriften der philosophischen Fakultat der Deutschen Universitat in prag. Band 7 und 13; Brunn-Prag-leipzig-wien1930 und, 1933, 164

(٤) عن الأحجار الكريمة بالعربية الجنوبية راجع، Artmdioros. 52

(٥) Diod.v.45.4 ، يتوافر وجود النحاس وكذا الحديد بسوقطرة طبقاً لكتابات ديودور الصقلي. ولمعرفة كافة التفاصيل عن المعادن الأخرى راجع Grohmann, op. cit, 164-180

(٦) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة)، الطبعة الأولى، من التراث اليمني الإسلامي، تحقيق: محمد محمد الشعيبي، ١٩٨٢م؛ =

الذهب والفضة في المصادر القديمة في الجزيرة العربية:

تعد التوراة من أقدم المصادر القديمة التي أشارت إلى توافر الذهب في الجزيرة العربية بصفة عامة، حيث يشير سفر الملوك(٧)، إلى وجود الذهب بمنطقة أوفير التي يميل معظم العلماء إلى تحديد موقعها الجغرافي على الشاطئ الشرقي لشبه جزيرة العرب، وذلك اعتماداً على ما جاء في التوراة من أن أوفير هو أحد أبناء يقطان (أي قحطان، والتوراة تمزج بين أسماء الأشخاص والأماكن)، وقد ذكر أن موطن اليقطانيين هو ما بين من ميشا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق(٨). وحيث إن ميشا هي في أغلب الظن ميسان عند الطرف الشمالي للخليج العربي، وأن سفار هي ظفار، فتكون الإشارة إلى شبه الجزيرة العربية. ويدعم البعض هذه الفرضية(٩) في ضوء ما ذكره الهمداني أيضاً عن معدن (منجم) من معادن اليمامة اسمه "حفير" ويجد في هذا الاسم اقتراباً من أوفير. ورغم أن اليمامة بعيدة عن الساحل إلا أن البعض يعتقد أن ذهب الحفير كان ينقل إلى الساحل لبيعه في أحد الموانئ، وأن ملاحي سليمان اشتروه من هناك، ولما كان معروفاً بذهب حفير، فقد ذكرت التوراة من أوفير التي يرى البعض أنها حفير(١٠).

كان الذهب ضمن هدايا ملكة سبأ إلى النبي سليمان عليه السلام، وبغض النظر عن تحديد الموقع الجغرافي الذي يقع خارج إطار البحث، فهي إشارة إلى وجود الذهب في الجزيرة العربية

D. M. Dunlob, Sources of Gold and silver in Islam according to Al-Hamdani (10Th = century A. D) *Studia Islamica*, 8 (1957) 29-49 ; Gene W. Heck, Gold Mining in Arabia the Rise of the Islamic- -State, *Journal of the Economic and Social History of the orient*, Vol. 42, No. 3 (1999), 364-395

(٧) (٩ : ٢٦-٢٨)

(٨) سفر التكوين إصحاح ١٠ : ٢٦- وما بعدها.

(٩) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، (بيروت: بغداد، ١٩٧٦م)، ١/ ٦٣٩ - ٦٤٠.

(١٠) لطفي عبدالوهاب يحيى، *العرب في العصور القديمة مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، هامش ٣٣٦. توجد آراء مستفيضة حول هذا الموضوع: - جورج فضل حوراني، *العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة*، وأوائل العصور الوسطى، ترجمة: السيد يعقوب بكر، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت)، ١١٤-١١٦ ؛ R. G. Hoyland, Arabia and the Arabs From the Bronze Age to the Coming of Islam, London and New Youk, First stedition 2001, 101-112.

بصفة عامة، وقد يكون من المحتمل أن ملكة سبأ كانت تحكم العربية الجنوبية، وهو الرأي الذي يميل إليه بعض الدارسين[١١].

هناك نقش للملك تجلات بلايسر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م) يذكر فيه أن أهل مساء، وأهل تيماء، والسبئيين، وأهل عيفاء، وأهل بدنا، وأهل خطي، ومناطق قبيلة (أدب إل)، دفعوا له إتاوة تمثلت بكميات غير محددة من الذهب والفضة والجمال والنوق، وأنواع مختلفة من المواد العطرية[١٢].

يوجد نقش آخر للملك الأشوري سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م)، الذي سعى كسلفه إلى إحكام سيطرته على تجارة المنطقة، وتمكن في سنة (٧٢٠ ق.م) من احتلال غزة، التي كانت آنذاك من أهم المراكز التجارية في الشرق الأدنى القديم، حيث ينتهي فيها طريق البخور القادم من أقصى جنوب الجزيرة العربية، ويذكر النص أنه تسلم إتاوة قوامها الذهب والفضة والأحجار الكريمة، والعاج والبذور وأصناف متعددة من الطيب والخيول والجمال من فرعون مصر ومن شمسي ملكة بلاد العرب، ومن (يثع أمر) ملك سبأ[١٣].

تسلم (سنحاريب) (سنحريب) (٧٠٥-٦٨١ ق.م): هدايا من (كرب إيل) (كريبي إيلو)، ملك سبأ، وكان من جملة هذه الهدايا أحجار كريمة، وأنواع من أفخر الطيب ذات الرائحة الزكية الطيبة، وفضة وذهب[١٤].

---

(١١) لمعرفة المزيد عن ملكة سبأ راجع، هند محمد التركي، الملكات العربيات قبل الإسلام دراسة في التاريخ السياسي، طبعة أولى مؤسسة السديري الخيرية، ٢٠٠٨، ٦٩- ٧٦ ؛ عبدالله حسن، الشيبة، *دراسات في تاريخ اليمن القديم(١)*، "قصة ملكة سبأ بين الأسطورة والتاريخ"، (صنعاء: مكتبة دار الآفاق، ١٩٩٩م)، ٢٨٥ - ٣٤٤.

(١٢) سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، *حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية*، دراسة في تاريخ العرب القديم، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثامن، ٢٠٠٠م، ١٩.

(١٣) سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، *حملة الملك البابلي*، ٢٠؛ يرى جواد علي أن هذه الهدايا لا تمثل خضوعاً بل صداقة بين الملك نابونيد والعرب. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ٢/٢٨٧.

(١٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ١/٥٨٩.

دفع (أب يثع) جزية إلى أسرحدون (٦٨١- ٦٦٩ق.م) تتألف من ذهب وأحجار كريمة وجمال وحمير[١٥].

مسميات الذهب والفضة في المصادر الكلاسيكية:

أطلق الكلاسيكيون نفس الكلمة اليونانية المعروفة في المصادر الكلاسيكية بصفة عامة على المعادن في إشاراتهم عند الحديث عن التعدين في العربية الجنوبية وهي كلمة Metallon وهو الاسم الذي اشتقت منه الكلمة اللاتينية Metallum المعبرة عن المعادن في الكتابات اللاتينية. وأصبح علماء المعادن يطلقون عليه الكلمة المشتقة من هاتين الكلمتين اليونانية واللاتينية وهي Metallurgy[١٦]. وأما بخصوص الذهب فقد أطلقت عليه الكلمة اليونانية Chrisos بينما عرفت الفضة بمصطلح argeros وأما في المصادر اللاتينية فقد أطلق على الذهب لفظ (aurus) بينما الفضة عرفت باسم (argentum)[١٧].

أما أهل العربية الجنوبية فقد أطلقوا على الذهب الصرف في النقوش اليمنية القديمة كلمة "ط ي ب م" (اسم أو صفة) أي ذهب خالص، ذهب طيب، وفي اللغة الطيب من كل شيء: - أفضله وأحسنه، وأما الفضة فقد أطلق عليها لفظ "ص ر ف ن"، (اسم)، فضه. وأما المصادر الإسلامية، فقد استخدمت العديد من الألفاظ أسماء للذهب في حالاته المختلفة مثل "التبر"، و"العسجد"، و"السحالة"، و"الإبريز"، و"العقيان"، وهذا التعدد في الأسماء كذلك نجده في الفضة التي كانت تعرف كذلك باسم "اللجين"، و "الصريف"، و"الرضراض"، و"الوذيلة"[١٨].

---

[١٥] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ،١/ ٦٠١.

[١٦] R. Halleux, Le probleeme des metaux dans la science antique, Paris, 1974 ؛جورج سارتون، *تاريخ العلم*، ترجمة: عبدالحليم منتصر، دار المعارف، ٢٨٩/٣ - ٣٠٢

[١٧] انظر أعلاه للإشارات الكلاسيكية للمؤرخين الإغريق والرومان.

[١٨] يحيى، *العرب في العصور القديمة*، ٣٣٣ - ٣٤٠ ، حاشية ٦٦.

تطور الإشارات الكلاسيكية بخصوص معدني الذهب والفضة في العصرين الهلينستي والروماني:

لم يتعرض هيرودوتس[١٩] في حديثه عن خيرات العربية الجنوبية لمعدني الذهب والفضة، كما أن ثيوفراستوس[٢٠] لم يذكر أيضاً المعادن إطلاقاً رغم حديثه المستفيض عن خيرات الجزيرة العربية وخاصة النباتات، وهو ما يلاحظ أيضاً في كتابات أريانوس[٢١] وبلوتارخوس[٢٢]. المرتبطة بدوافع الإسكندر الأكبر للسيطرة على بلاد العرب، فقد ركزت على الدافع الاقتصادي وتحديداً البخور واللبان دون التعرض إطلاقاً لمعدني الذهب والفضة، بوصفهما دافعاً رئيساً أو ثانوياً للاستيلاء على بلاد العرب. ويمكن تفسير أسباب التركيز فقط على الطيوب والبخور وإغفال معدني الذهب والفضة بل المعادن بصفة عامة منذ عصر هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد حتى عصر الإسكندر الأكبر، أي بداية القرن الرابع قبل الميلاد بسبب أهمية اللبان الدينية والدنيوية[٢٣] في العالم القديم، واحتكار العربية الجنوبية لتلك المنتجات، وذلك على عكس

---

(١٩) وردت فقرات هيرودوتس ضمن الكتاب الثالث مليئة بالمعلومات حول البخور (اللبان)، والمر، والقرفة، واللادن، والمستكة. وأشار إلى بعض الحيوانات الموجودة أيضاً كالأفاعي والأرانب واللبوءة وكيفية جمع المواد العطرية، والأسطورة حول الأفاعي المقدسة، ولا يوجد أي إشارة للمعادن. راجع: Herodotus, 111, 107-113.

(٢٠) أورد ثيوفراستوس في الفصل الرابع من الكتاب التاسع معلومات حول النباتات دون إشارة للمعادن راجع: Theophrastus, Enquiry into Plants, 4, 2-4.

(٢١) يذكر أريانوس "إن رفاهية تلك البلاد (بلاد العرب) كانت حافزاً للإسكندر لغزو هذه البلاد إذ سمع بأن القرفة تنمو في واحاتها وأن المر والبخور تأتي من أشجارها وتجمع القرفة من أغصانها كما تنمو في مروجها طيوب النردين العطرية"، ولم يشر للمعادن. راجع: Arrianos, Anabesis, v11, 20, 2، للمزيد راجع سلوى نصر، الإسكندر الأكبر وبلاد العرب، ضوء جانبي من خلال فكره السياسي والديني"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٤٢، ١٩٩٤/١٩٩٥م، ٣٦٣ - ٤٠٠.

(٢٢) يؤكد بلوتارخوس معرفة الإسكندر الحقيقية بأهمية بلاد العرب الاقتصادية، وخاصة البخور والمر، نظراً لاستخدامها الدينية في الطقوس الدينية، وكذلك في الولائم والاحتفالات، والأغراض الطبية، ويذكر أنه عندما استولى على غزة قام بإرسال ما يساوي ٥٠٠ تالنت من البخور ومائة من المر إلى معلمه ليونيداس وقال له في رسالته، في "ذكرى أمل الطفولة" راجع: Plutarchus, Alexander, xxv, 6-8.

(٢٣) توجد دراسة مستفيضة تلخص ذلك العمل للألماني مولر قد نشرها ولخصها بالعربية، يوسف محمد عبدالله في كتابه أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات، ط٢، (بيروت: ١٩٩٠م)، ٢١٧-٢٢٦؛ =

المعادن، يضاف إلى ذلك عدم وفرة المعلومات حول منتجات الجزيرة العربية كافة بصفة عامة، لأنه لم يكن هناك اتصال تجاري مباشر إلا في العصرين الهللينستي والروماني. ولكن مرحلة جديدة تبدأ من حيث تطور الكتابات الكلاسيكية في العصرين الهللينستي والروماني، نتيجة للاتصال بمنطقة الشرق القديم، والتطور العلمي لثقافة العصر الهللينستي الذي قامت فيه مكتبة الإسكندرية بعلمائها الرابضين في الموسيون بدور بارز، وهو الأمر الذي أسهم في تقدم علوم الفلك والجغرافيا والطب[٢٤]، وكانت المعادن بالجزيرة العربية بصفة عامة، ضمن الاهتمام حتى ولو كان ضئيلاً، ولكنه في النهاية يعطي مؤشراً عن التطور المعرفي للكتاب الكلاسيكيين في الجزيرة العربية، وتساعد بصورة أخرى على التوصل إلى بعض المعلومات عن معدني الذهب والفضة، بل امتد الأثر في كتاباتهم أوسع ليشمل أيضاً تسليط الأضواء على المعادن الأخرى، والأحجار الكريمة.

عدم رسم صورة واضحة عن أحوال عمال المعادن:

لم تمدنا المصادر الكلاسيكية بحال عمال معادن العربية الجنوبية وأجورهم، وللأسف لم تشر كذلك النقوش اليمنية القديمة إلى ذلك، فهل كانت مثل الصورة التي رسمها أجاثارخيديس[٢٥] لعمال الذهب بمصر؟ أو عمال جمع اللبان في الساخاليتيس الواقعة شمال

=مصطفى كمال عبدالعليم "تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، (الرياض: ١٩٨٠م) ٢/ ٢٠١- ٢١٣؛ صالح ناصر العمري، *طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه*، (صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٤م).

(٢٤) عن مكتبة الإسكندرية ونشاطها العلمي راجع: مصطفى العبادي، مكتبة *الإسكندرية القديمة سيرتها ومصيرها*، (اليونسكو: ١٩٩٢م)، ٩٧ - ١٣١.

(٢٥) Agatharchides, v.24-28، يؤكد أجاثار خيدس أن إنتاج الذهب بمصر يتطلب عملاً شاقاً للغاية حيث مات عدد كبير من العمال في المناجم، كما يذكر أيضاً أن ملوك مصر كانوا يجمعون الناس الذين أدينوا في الجرائم وأسرى الحرب، بالإضافة إلى من تعرضوا لاتهامات غير عادلة، ووضعوا في السجون ويعمل الجميع في المناجم دون راحة، واصلين الليل بالنهار، مقيدين بالأغلال حتى لا يفكر أحدهم في الهروب، وقد عين عليهم حراس من الجنود المرتزقة الذين يتحدثون لغات غير مفهومة وذلك حتى لا تكون لغة حوار بين السجناء وهؤلاء الحراس.

حضرموت بالعربية الجنوبية؟ كلتا الصورتين قد أشارت إليهما المصادر الكلاسيكية بوضوح حيث تعطي صورة بشعة لحياة المجرمين والأسرى بمصر الذين كانوا يعملون في تلك المهنة الخاصة باستخراج الذهب، ووجدنا أيضاً كتاب الطواف[٢٦] يشير إلى سوء المعاملة والسخرة لجامعي لبان السخاليتيس وأنهم كانوا من المجرمين.

مصادر الذهب والفضة:

يمكن تقسيم مصادر الذهب والفضة في ضوء المصادر الكلاسيكية إلى مصدرين.

مصدر خارجي:

عائد الذهب والفضة من خلال تجارة العربية الجنوبية.

مصدر محلي:

المعادن الموجودة في باطن أراضيها المحلية من حديد ونحاس وزنك وفضة وذهب. وسوف نتناول وذلك بالتفصيل على النحو التالي:

المصدر الأول:

تشير كتابات المصادر الكلاسيكية بوضوح إلى تدفق الذهب والفضة إلى أهالي العربية الجنوبية من خلال التجارة نتيجة أسلوب المقايضة الذي كان يعود على أهل اليمن بالذهب مقابل اللبان والبخور ولن نركز على التجارة[٢٧]؛ لأنها خارج نطاق البحث بل سنتناول فقط النقاط التي تؤكد توافر الذهب والفضة من خلال التجارة، على النحو التالي:

- يقتبس ديودورس الصقلي من أجاثارخيدس فقرة مطولة عن ثراء السبئيين، وحصولهم

---

(٢٦) Periplus, 29 ، يشير مؤلف الطواف في الفقرة ٢٩ إلى أن البخور يجمع عن طريق عبيد الملك، وأولئك الذين أرسلوا لأداء الخدمة عقاباً لهم وهذه المناطق كانت قاتله للعاملين الذين قد يموتون بسبب نقص الطعام.

(٢٧) لمعرفة المزيد من التفاصيل بخصوص تجارة العربية الجنوبية انظر: محمد السيد عبدالغني، *شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة*، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م)، ١٢٧- ٢١٥.

على معدني الذهب والفضة: "هذا الشعب لا يتفوق كثيراً على العرب المجاورين فحسب، وإنما على جميع البشر الآخرين في الثروات، والأشياء الثمينة كافة. ذلك أنهم عندما كانوا يستوردون شيئاً من السلع التجارية فإنهم يحصلون منها على كميات كبيرة مقابل دفع وزن يسير مما لديهم، وأقصد أنه يبادلون الفضة مقابل ما يأتيهم ومن ثم، كما ذكر الجميع بسبب إستراتيجية موقعهم بالنسبة للتجارة، كانت ترد إليهم كميات الفضة، ولديهم مشغولات من كل الأنواع، وأوزان من الذهب والفضة، وفرش مطرزه بالفضة، وأثاثات أخرى منتقاه يفوق جمالها أبهى القصور التي تزدان بالأعمدة الكثيرة المذهبة. وبعضها يزدان بزخارف فضية على رؤوس الأعمدة. أما المصاطب والبوابات فتظهر عليها صفائح كثيفة من الذهب، والأحجار الثمينة، ويتلو ذلك مقتطفات تحمل أشياء عجيبة تزين المعابد كلها تارة بالفضة والذهب، وتارة بالعاج، والأحجار المختلفة، وأشياء أخرى ثمينة لا تقدر بثمن والأشياء الأخرى الثمينة ظلت عندهم باقية لا يعترضها تلف ولا كسر"[٢٨].

– وأما سترابون، فقد تعرض للعربية الجنوبية عند وصفه، لسير حملة أيلوس جالوس لغزو العربية الجنوبية في الفقرة التالية:

"لقد أرسل (أيليوس جالوس) من قبل أغسطس ليستكشف القبائل والأماكن– ليست فقط الواقعة في بلاد العرب بل وكذلك الخاصة بالغثيوبيين –لان قيصر رأى أن بلاد التروجولوديت المتاخمة لمصر مجاورة وقريبة من هؤلاء (العرب)، وأن الخليج العربي (المقصود البحر الأحمر) الذي يفصل التروجوديتين عن العرب يضيق جداً (في هذه المنطقة التي هي مضيق باب المندب) في صفه أو أن يخضعهم بالقوة. وهنالك اعتبار آخر ألا وهو ما سمعه من تقارير على مدى كل العصور عن ثرائهم الفاحش وعن بيعهم الطيوب والأحجار الكريمة الثمينة مقابل الفضة والذهب ولا ينفقون شيئاً مما يحصلون عليه مع الغرباء. لذلك فقد كان (أغسطس) يأمل في أن يتعامل مع أصدقاء أثرياء أو يصبح سيداً على (يحكم) أعداء أثرياء[٢٩]".

---

(٢٨) Diodorus, III, 47, 5-6

(٢٩) Strabo, XVI, 4-22.

وأما المؤرخ الروماني بلنيوس الأكبر فقد أورد إشارة عن مدفوعات روما السنوية الخاصة باستيرادهم بعض المنتجات من الهند والصين وبلاد العرب في الفقرة التالية: "وتدفع إمبراطوريتنا (الإمبراطورية الرومانية) كل عام للهند والصين وبلاد العرب على أقل تقدير مبلغ مائة مليون سيستركيس (عمله نقدية رومانية) ثمناً لهذه المنتجات، ذلك مجموع ما يكلفنا ترفنا ونساؤنا"[٣٠].

ومن الطبيعي أن يتدفق على العربية الجنوبية جزء من هذه الثروة، ويشير أيضاً في نفس الصدد إلى رفاهية العرب التي تحققت من وراء بذخ البشر حتى في وفياتهم، إذ يحرقون للموتى بخوراً كان من المألوف إحراقه على معابد الآلهة. ويصف العرب في موضع آخر أنهم أكثر الأمم ثراء في العالم لأنهم يكنزون ثروات هائلة يحصلون عليها من الرومان والبارثيين، لأنهم يبيعون لهم ما يحصلون عليه من وراء البحار أو من غاباتهم، ولا يشترون شيئاً في المقابل، ويصف السبئيين أيضاً بأنهم أغني الشعوب بالغابات وأرضهم الغنية بمعدن الذهب والفضة[٣١].

ويذكر كتاب الطواف حول البحر الإيريثري للمؤلف المجهول الذي كان على الأرجح أحد التجار الملاحين من مصر الرومانية، والمؤرّخ بحوالي منتصف القرن الأول الميلادي في عهد كلوديوس أو نيرون ما يلي: "وصول سلعٍ عديدة من مصر ومناطق أخرى من الإمبراطورية الرومانية من أقمشة وسلع غالية الثمن للحكام والقصور في المناطق العربية مثل الخيول، ودواب الحمل والمنقولات الذهبية والفضية[٣٢]".

كما أنه يفترض أن الذهب قد حصلوا عليه أيضاً من خلال الغرامة المفروضة على التجار الأجانب المخالفين للقانون وخاصة بقتبان، حيث خصص القانون القتباني للتجار الأجانب مكاناً لممارسة البيع (حانوت) في سوق شمر، وبدونه لا يحق لهم مزاولة التجارة، كما لا يحق لهم أيضاً البيع في الريف القتباني، ومن يخالف ذلك يدفع خمسين قطعة ذهبية على سبيل الغرامة.

---

(٣٠) Plinius (H. N. 12.41.82)

(٣١) Plinius, N. H. 6.32162: in universum gentes ditissimae, ut apud quas meximae opes Romanarum parthorumqe suslsidant, vendentibus quae e mari aut silvis capiunt, nihil invicem redimentibus.

(٣٢) Perlipus, De Mari Erythraeo, 24

أضف إلى ذلك حصول أهل العربية الجنوبية على الذهب من بلاد الهند، وأيضاً من الساحل الإفريقي الشرقي الذي يوجد به مناجم سفالة الزنج، والتي أكد الكتاب والجغرافيون المسلمون على صفاء الذهب المستخرج منها، كما أشار إليها مؤلف كتاب الطواف، حيث ذكر أن جزءاً كبيراً من الساحل الإفريقي ومناطقه الداخلية وهي المنطقة التي أسماها أزانيا "دار السلام"؛ كانت تابعة لحكم زعيم أرض المعافر "كليب"، الذي كان بدوره أحد أتباع شرحبئيل ملك السبئيين والحميريين. كما ذكر أن أرض أزانيا الأفريقية هذه كانت تابعة لزعيم المعافر بمقتضى حق قديم، وأن التجار العرب من ميناء موزع، كان لهم حق السيطرة عليها بمقتضى منحة ملكية، وكانوا يجبون منها الضرائب، ويرسلون إليها سفنهم المحملة بالملاحين، أي أن علاقات الساحل الشرقي لأفريقيا مع الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية كانت قديمة ووثيقة، ولذا لم يكن من المستغرب أن تذهب كثير من سلع هذه المناطق الافريقية المحلية منها والمستوردة القادمة من الشرق عبر الهند إلى الموانئ الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة العربية وأهمها الذهب[٣٣].

المصدر الثاني:

ويقصد بهذا المصدر هو استغلال أهل العربية الجنوبية لمناجمهم من الذهب والفضة حيث توجد إشارات أثرية عن وجود معدني الذهب والفضة والأحجار الكريمة ببعض مقابر العربية الجنوبية في العصر الحديدي أي منذ الألف الأولى قبل الميلاد، وخاصة في مدينة صرواح[٣٤]، ويلاحظ أنها إشارات أقدم من الفترة الزمنية التي أشير إليها عن مصادر الذهب والفضة في المصادر الأشورية والتوراة. وأما بخصوص المصادر الكلاسيكية التي تشير إلى مناجم الذهب والفضة فهي على النحو التالي تعد إشارة ديودورس[٣٥] نقلاً عن أجاثارخيدس هي الأكثر وضوحاً لوجود الذهب الخام بمعين التي يتوافر لديها الذهب المتحجر الذي لا يحتاج إلى صهره

---

(٣٣) حمد محمد بن صراي، *العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوبي شرق آسيا من القرن ٣ ق.م إلى القرن ٧م*، (الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار العشرون، ٢٠٠٦م)، ٤٠.

(٣٤) Wong, D. P., Stamp Seals of the Ancient Yamen, unp, Ph. D. Thesis, University of California,1999, 35-41

(٣٥) Diodorus, 11, 50

ثانياً بالنار كما هو الحال في الشعوب الأخرى، يعثر عليه على هيئة كتل صلبة بحجم حبة الكستناء، وهو ذو لون أحمر ناري بالغ التألق، بحيث يسهل تشكيله بواسطة صناع مهرة، ويطعم بالأحجار الكريمة، ليصنع منه أكثر الحلي جمالاً، وهو ما يتفق عليه أيضاً أرتميدوروس[٣٦]. ويشير ديودوروس أيضاً إلى جزيرة سوقطرة[٣٧] بأنها كانت غنية بالمعادن بصفة عامة من ذهب وفضة ونحاس وحديد. وأما سترابون[٣٨]، فقد أشار إلى أهل سبأ وغناها بالذهب والفضة دون تحديد لتلك المناطق، ونعلم أن الحضارة السبئية قد امتدت على معظم الأراضي اليمنية في تاريخها القديم، ولهذا لا نعلم على وجه التحديد ما هي المناطق التي يقصدها سترابون ولكنها على أية حال تقع في العربية الجنوبية.

ونختتم تلك الإشارات الكلاسيكية بإشارتين لا تحدد المناطق التي يوجد بها معدنا الذهب والفضة، ولكنهما تؤكدان وجود الذهب بالعربية الجنوبية، وأما بخصوص الإشارة الأولى فهي للشاعر ديونيسيوس Dionysius[٣٩] الذي عاش في القرن الأول الميلادي بينما الإشارة الثانية، فهي للشاعر بريسكاني Prisciani[٤٠] الذي عاش في القرن السابع الميلادي، وفيما يلي ترجمة لتلك الأبيات الشعرية لكل شاعر منهما على حدة:

أولاً: أبيات الشاعر ديونيسيوس: (٩٦٩ - ٩٢٣)، وقع الاختيار على الأبيات الشعرية المرتبطة بالذهب.

- ومن ثم ، وحتى يومنا هذا ، توجد حقول مثمرة بالبخور.
- وجبال متميزة بالذهب، وأنها تفيض بالعطور.
- أما السكان أنفسهم فهم يمتازون بأنهم شعب مُنعّم.
- يرفلون في المشغولات الذهبية والثياب الناعمة.

---

(٣٦) Artemidoros,18

(٣٧) Diodorus, v, 41

(٣٨) Strabo, 16. xv1. 4.22

(٣٩) الشيبة، *ترجمات يمانية*، ط١، (صنعاء: دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٩م)، ٨٧.

(٤٠) نفسه، ص ١٠٠.

ثانياً: أبيات الشاعر برسكاني: (٨٧٩ - ٨٦٥) ووقع الاختيار على الأبيات الشعرية المرتبطة بالذهب.

١. وذلك أن الأرض الغنية تقدم الغذاء لشعوب سعيدة
٢. تظهر العطور ذات العبير الرائع من الزهور المتنوعة
٣. لأن اللبان والمر يزدهران مع البخور الرائع
٤. وكذا شجرة السنط طيبة الرائحة
٥. والقرفة التي يفوح عبيرها في الفضاء ليدخل الأنوف
٦. والأرض الخصبة تنتج هذا، وهناك مناجم الذهب
٧. وهؤلاء الناس يرتدون الثياب الموشاة بالذهب
٨. يخدمهم عبيدهم وأولادهم ينعمون
٩. وهم يسرفون ويستخدمون الذهب بشكل يثير غضب الصدور

استخدامات الذهب والفضة في ضوء المصادر الكلاسيكية:

قدمت المصادر الكلاسيكية بعض الإشارات الخاصة باستخدامات معدني الذهب والفضة، ولكنها قد أغفلت في الوقت نفسه، بعض الاستخدامات الأخرى في حياتهم اليومية، وأبرز استخدامات معدني الذهب والفضة في ضوء الكتابات اليونانية واللاتينية يمكن أن نجملها فيما يلي:

- صناعة الأساور والقلادات النسائية من الذهب التي كانت توضع حول العنق أو المعصم[٤١].
- كؤوس للشراب مصنوعة من الذهب والفضة[٤٢].
- أسرة وموائد مصنوعة من الذهب والفضة[٤٣].

---

(٤١) Artimidorus, 18
(٤٢) Diodorus, 111. 47
(٤٣) loc.cit

- ترصيع الأسقف والأعمدة والبوابات لبعض القصور بالذهب والفضة[٤٤].

وقد أكدت الاكتشافات الأثرية (انظر الأشكال الملحقة) معظم تلك الإشارات حيث عثر على الأساور والقلادات الذهبية والفضية[٤٥]، كما أن كنيسة القليس بصنعاء كانت أسقفها وبواباتها مرصعة بالذهب والفضة[٤٦].

وأشارت أيضاً النقوش اليمنية القديمة إلى وجود تماثيل[٤٧] مصنوعة من الذهب والفضة بالإضافة إلى استخدامات الذهب والفضة في صناعة ما يلي :-

- المغارف الفضية[٤٨].
- الأختام الذهبية والفضية[٤٩].
- الخواتم والأقراط والعقود الذهبية والفضية[٥٠].
- العملات الذهبية والفضية[٥١].

---

(٤٤) loc.cit

(٤٥) أدولف جرومان، *"الناحية الأثرية لبلاد العرب الجنوبية"*، *التاريخ العربي القديم*، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ت)، ١٥١-١٥٣.

(٤٦) يوسف عبدالله، المرجع السابق، ١١٣.

(٤٧) نقش شرف الدين ١/٤٠ : "صادق ذاكر أو ذكار ملك حضرموت بن إل شرح، تقدم تقرباً للآلهه "سين" هذا القربان من الذهب الذي يزن ألف وزنة من الذهب الخالص الذي يليق بالإله سين. انظر: أحمد شرف الدين، *تاريخ اليمن الثقافي*، ٩٤/٣ - ٩٥ ؛ يتقرب إلى الإله المقه، ثهوان، بعل، أوام، بصنمين اثنين من الفضة وهذان الصنمان هما من ماله الذي اغتنمه من مدينة شبوة، مطهر الإرياني، نقوش مسندية وتعليقات، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٩٠م)، ١١٢ - ١١٥.

(٤٨) J.F. Breton, R. Adouin, important decouverete des archaeologiques Française, Wadi Dura, Rapport, 1985, 1-19

(٤٩) Turner, .G., South Arabian Gold Jeweler, *Iraq*, 35, (1973), 127-139

(٥٠) صلاح سلطان الحسيني، طرق الدفن والأثاث الجنائزي في اليمن قبل الإسلام، موقع الحصمة - شقرة درساة تطبيقية. رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب ، جامعة عدن، ٢٠٠٨، ١١٦- ١٢٣.

(٥١) A. K. Irvine, "Some Notes on Old South Arabian Monetary Terminology", *Journal of the Royal Asiatic society of Great Britain and Ireland*, 1\2 (1964), 18-36; G. F. Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotomia and Persia,=

ونختتم الدراسة بأن المصادر الكلاسيكية قد أشارت إلى أن أهل العربية الجنوبية رغم حصولهم على الذهب والفضة من عائد التجارة عن طريق المقايضة، ووجود بعض المناجم لديهم أيضاً، كانوا لا يقدرون قيمة الذهب، ولا يعرفون كيفية تصنيعه، ولهذا كانوا يبيعونه بثمن بخس، فقلد أشار سترابون(٥٢) إلى أن ثلاث وزنات(٥٣) من الذهب كانت تعادل وزن واحدة من البرونز (أو النحاس الأصفر)، ووزنتين من الذهب كانت تعادل وزنة واحدة من الفضة. ونجد ديودورس الصقلي أيضاً يذكر في هذا الصدد بأنهم كانوا يستبدلون وزنة واحدة من الذهب بثلاث وزنات من البرونز (النحاس الأصفر)، بينما وزنة واحدة من الحديد كانت تعادل وزنتين من الذهب. وهكذا نرى في ضوء المصادر الكلاسيكية ترتيب المعادن من حيث القيمة على النحو التالي:

- معدن البرونز في المرتبة الأولى
- معدن الفضة والحديد في المرتبة الثانية
- معدن الذهب في المرتبة الثالثة

ويبدو من العرض السابق أن المصادر الكلاسيكية قد أرجعت أسباب عدم تفوق الذهب في قيمته على البرونز والفضة والحديد للأسباب التالية:

- توافر الذهب نتيجة للمقايضة والتدفق التجاري من تجارة اللبان والبخور والمر العالمية كما أشرنا سابقاً.
- جهل السكان بصناعة الذهب الخام.

=British Museum, London, 1922, xliv-ixxxiv; G.W. Heek, Gold Mining in Arabia and the Rise of the Islamic State, *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, 42,3 (1999), 364 – 395; S. C. H. Munro – hay, the Coinanage of Shabwa (Hadhramawt), and the Other Ancient South Arabian Coinage in the Nationaol Museum. Adan, Syria, 68. 1-4 (1997), 393-418.

(٥٢) Strabo, xv1,4,18

(٥٣) Diodorus,111, 45

- أهمية المواد الخام في حياتهم اليومية وخاصة البرونز الذي كان له أهمية دينية كبيرة في صناعة التماثيل المقدمة قرابين للآلهة.

ولكن هذا الرأي في حاجة إلى مراجعة خصوصاً إذا علمنا أن معدن الحديد كان متوافراً بالعربية الجنوبية، وأن دارسي النقوش اليمنية القديمة[٥٤] أشاروا إلى أن كلمة أ ص ل ع م (أسم جمع) تعني شاقلات، وأن الشاقلة وزن يعادل ١٣٠ قمحة من الذهب، أو ٢٢٤ من الفضة أو ٤٥٠ من النحاس، وهذا يعني أن الذهب كان يأتي في الترتيب الأول ثم الفضة ثم النحاس، وربما يأتي الحديد بعد الفضة. كما أن النحاس[٥٥] يسهل الحصول عليه من شرق الجزيرة العربية من ماجان. إذن نستطيع أن نقرر أن ما ذكره الكتاب الإغريق والرومان حول الذهب والفضة، قد أكدته النقوش اليمنية القديمة والاكتشافات الأثرية وثبت أنهم قد استخدموه في حياتهم اليومية.

ومن خلال ما عُرض آنفاً أمكن الوصول إلى بعض النتائج:

أولاً: أن الذهب والفضة في العربية الجنوبية كان يستخدم في الحياة اليومية منذ القرن العاشر قبل الميلاد.

ثانياً: كانت بداية الإشارات الكلاسيكية لمعدني الذهب والفضة في العربية الجنوبية في العصرين الهللينستي والروماني.

ثالثاً: حصلت العربية الجنوبية على معدني الذهب والفضة من مصدرين أحدهما خارجي عن طريق التجارة، والآخر محلي عن طريق المناجم.

رابعاً: وفرة الذهب واستخدامه في الحياة اليومية زينة للنساء، وعملة نقدية، ولتزيين الأسقف والبوابات والأعمدة للمباني المهمة.

---

(٥٤) شرف الدين، المرجع السابق، ٢٨ وما بعدها.

(٥٥) عن النحاس في ماجان: توجد دراسات مستفيضة حول النحاس في ماجان راجع، بدرية عبدالله الهزاني، اقتصاد ماجان وتأثراته، على صلاتها وثقافتها (٢٥٠٠- ١٩٥٠ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.

الأشكال الملحقة:

شكل (١)، صلاح الحسيني، المرجع السابق، ص ٢٣٢



شكل (٢)، صلاح الحسيني، المرجع السابق، ص ٢٣٢



شكل (٣)، صلاح الحسيني، المرجع السابق، ص ٢٣٢

النخلة في الجزيرة العربية من خلال المصادر العربية والكلاسيكية قبل الإسلام

دراسة حضارية

فتحية حسين عقاب

أولاً: نظرة تاريخية:

١. بداية الانتشار للنخلة:

تعود معرفة تاريخ جذور شجرة نخيل التمر phoenix dactilyfera من خلال الشواهد التاريخية والأثرية في الجزيرة العربية والمناطق ذات العلاقة إلى ما قبل التاريخ، حيث كشف علم الجيولوجيا عن نماذج متحجرة من النخيل في أمريكا الشمالية وشمال أوربا يرجع تاريخها إلى العصر الإيوسيني، وكذلك وجدت نماذج أخرى من هذه المتحجرات في الهند، غير أنه من الصعب تحديد نوع النخل الذي تنتسب إليه هذه المتحجرات، أو الجزم بأن القارتين أمريكا وأوربا كانتا موطنا للنخل لعدم توافر دراسة مماثلة لها في آسيا[١]، ولا يزال هناك خلاف كبير بين أراء المؤرخين حول مكان نشأة النخيل، حيث يرى بعض الباحثين ومنهم بيكاري أن شمال غرب الهند وشواطئ الخليج العربي كانت الموطن الأول لنخيل التمر[٢] ومما يدعم هذا الرأي الظروف الجغرافية للمنطقة التي تتوافق مع ما يلائم نمو النخيل، وكذلك ما تذكره المصادر السومرية عن

---

(١) Paul Popenoe, "The Date-Palm in Antiquity" in *The Scientific Monthly*, vol.19, No.3 (sep., 1924), 313-325, by: American Association for the Advancement of Science, 313.

(٢) Popenoe, "The Date-Palm, 314.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص١٦٩-١٩٠

نخلة دلمون "باعتبارها معياراً للتفوق والامتياز، فقيل" أن الملك عزيز مثل نخلة دلمون"، وتقول التراتيل السومرية: "قبل ظهور دلمون وجدت هناك نخلة" في إشارة لقدم النخل في منطقة الخليج العربي(٣)، ويذكر رأي أخر أن الشواطئ الشرقية للمحيط الهندي تعد الموطن الأول لنخيل التمر، ثم انتشر غرباً إلى الخليج العربي ووادي النيل والبحر المتوسط، في قبرص وصقلية وكريت(٤)، حيث يرى العالم النباتي دي كاندول De Candolle أن نخل التمر نشأ منذ عصور ما قبل التاريخ في المنطقة شبه الجافة التي تمتد من السنغال إلى حوض الإندوز Indus (اليوم الباكستان) فيما بين خطي عرض ١٥، ٣٠ شمال خط الاستواء ومنها انتشرت إلى الهند ثم إلى الشرق الأقصى. ودلت الحفريات الأثرية على وجود أشجار النخيل في السند منذ حوالي ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد(٥)، فالسجلات التاريخية تميل إلى وصف ثمار هذه الشجرة من دون تحديد فيما إذا كانت من نبتة محسنة أو من نبتة برية، وكذلك من الصعب تحديد بذور شجرة نخيل التمر أو أجزاء أخرى منها أنها من نبات مُحسّن أو بري من خلال الشواهد الأثرية، بَيْدَ أن المصادر تفترض أن نخيل التمر في وادي دجلة والفرات من نبات مُحَسَّن متماشية مع تطور الزراعة في المرحلة المبكرة حيث إن ممارسة الزراعة كانت عبر ٥٠٠٠ آلاف عام(٦).

ومن المحتمل أن نخيل التمر تكاثر في وادي الأندوز هجيناً طبيعياً من نخيل السكر phoenix

---

(٣) قصي منصور التركي، *التجارة البحرية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل ميلاد السيد المسيح*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، (٢٠٠٤م)، ٣٥١.

(٤) عبدالجبار البكر، *نخلة التمر، ماضيها وحاضرها والجديد في زراعتها وصناعتها وتجارتها*، (الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢م)، ٤؛ Zohra CHeērif, " *Le palmier dattier et son image dans l'iconographie carthainoise*, in : *Le Sahara et l'homme un savoir pour un savoir faire*, Actes du colloque organisé á douz du 27 au 29 Décembre, 2003, 68,

(٥) فتحي حسين علي، *نخلة التمر شجرة الحياة، بين الماضي والحاضر والمستقبل*، (الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ٣٦/١.

(٦) G. Sanderson, *Natural History of the Date Palm Phoenix Dactylifera*. Emirates Natural History Group Patron: H.E. Sheikh Nahyan bin Al Nahyan, United States of America, 2001, 3; M. Nesbitt, Archaeobotanical Evidence for Early Dilmun Diet at Sax, Bahrain. *Arabian archaeology and epigraphy*, 1993, vol. 4, no. 1, 30-31.

sylyestris حيث إنها كانت ثماراً برية ذات قيمة، وجرى عليها تحسين في مرحلة مبكرة تعود إلى الألف السادس قبل الميلاد[٧].

وقد عُثِرَ على بذور تمر النخيل في مناطق المستوطنات البشرية التي تعود لفترة حوالي ٥٠٠٠ ق.م. فكان أقدمهما تلك التي في جزيرة دَلْما وهي جزء من جزر "أبو ظبي". بذرتان وُجِدَتا عام ١٩٩٨، أقدمهما تعود إلى ٥١١٠ ق.م. والأخرى إلى ٤٦٧٠ ق.م. وحيث أن لا شواهد لتطوير نخيل التمر في المنطقة في تلك الفترة، فإنه من المحتمل أن البذور جاءت مع التجار[٨].

إلا أن الشاهد الأقدم على نخيل التمر المحسن يعود لفترة إريدو[٩] Eridu في جنوب العراق، وكذلك عُثر على نوى التمر في الألف الثالثة قبل الميلاد في مقبرة ملكية في أور Ur إلا أن أصولها غير معروفة[١٠]، وفي نفس الفترة (الألف الثالثة قبل الميلاد) أيضاً عثر على نوى التمر في مستوطنات عمان[١١].

النصوص التي نُقِشَت على الأختام والتي تعود إلى منتصف الفترة السومرية (٢٥٠٠ ق.م.) تُوّثق استخدام التمر في بلاد ما بين النهرين[١٢]، ومِن ثَمَّ دلائل أخرى من عصر فجر السلالات (٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق.م.) تؤكد وجود شجر النخيل من خلال استخدام العلامة المسمارية التي تُعَبِّر عن النخل. ووجد في إحدى الوثائق من عهد الملك شوسن من سلالة أور الثالثة (١٩٧٨-١٩٧٠ ق.م.) إشارة إلى بستان نخيل كان وَقْفاً على أحد المعابد، وفيه يقسم البستان إلى ثمانية أقسام حسب عمر النخل وإنتاجه[١٣].

---

(٧) Sanderson, *Natural History*, 2.

(٨) Sanderson, *Natural History*, 2 .

(٩) تقع على مسافة ١٢ ميلاً جنوب أور، وتعد من مدن ما قبل الطوفان، إذ تعود بداية نشأتها إلى أوائل الألف الرابع قبل الميلاد (البكر، نخلة التمر، ٦).

(١٠) Sanderson, G., *Natural History*,3.

(١١) نورة النعيم، *الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي*، (الرياض: دار الشواف للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م)، ١٣٤؛ التركي، *التجارة البحرية*، ٣٥٢.

(١٢) Nesbiit, *Archaeobotanical Evidence*, 31.

(١٣) البكر، *نخلة التمر*، ٦.

٢. الألفاظ الدالة على النخيل والتمر:

جاءت الشواهد في النصوص المختلفة من المنطقة السامية لتؤكد وجود النخيل في المنطقة. فالكلمتان السومريتان اللتان تقابلان تمر هما zulum ونخيل التمر هي gishimmar إذ تنتمي هاتان إلى مجموعةٍ كلماتٍ تعد غير سومرية أي "دخيلة/ مُستَعارة" من لغة ما قبل السومرية -pre Sumerian فكانت مرافقة لسكان قبل السومريين الأصليين. ما يدل على أن التمر كان معروفاً قبل السومريين، أو من المحتمل أنه نبات فطري/ طبيعي في المنطقة[١٤].

وهناك عدة ألفاظ تدل على التمر/ النخيل شاع استخدامها تعود إلى حوالي ٢٥٠٠ ق.م. مثل: suluppu "يقطع، ينضج، بلح، تمر"[١٥]، و uhinnu "تمر جاف/ الحشف[١٦]، تمر ناضج، طازج[١٧]". واستخدمت النصوص البابلية القديمة عبارة asnû إشارة منها لنخيل التمر الدلموني[١٨]، وهي من ضمن الأشياء التي خصصت للمعبد[١٩]. وما يطلقه زُرّاع النخيل في عِراق العصر الحديث لفظة "التال"[٢٠] وهي من أصل لفظة tiālum "شجرة" الأكادية[٢١]. وفي العبرية الحديثة deqel "نخيل التمر، تمر"، وفي الآرامية d`iqlā[٢٢]، وهي تقابل الكلمة العربية الدَّقَل

---

(١٤) Sanderson, G., *Natural History*, 3.

(١٥) CAD, *The Assyrian Dictionary of The Oriental Institute of The University of Chicago*, 1984, vol. 15: 393

(١٦) J. Postgate, "Notes on the Fruit in the Cuneiform Sources", *Bulleton Sumerian Agricuture*, 3,115; Nesbiit, Archaeobotanical Evidence , 31.

(١٧) AHV: Von Soden. *Akkadisches Handwörterbuch*. (Wiesbaden 1958 ff.),1404.

(١٨) CAD, *The Assyrian Dictionary*, 1(II), 338.

(١٩) Nesbiit, Archaeobotanical Evidence , 31.

(٢٠) البكر، *نخلة التمر*، ٩.

(٢١) I. Gelb, *Glossary of Akkadian*. The University of Chicago Press, Chicago, 1957, 292.

(٢٢) (BDB) F. Brown.; S. Driver, R.; C. A. Briggs, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament,* Oxford, The Clarendon Press, 1972, 200.

"أردأ أنواع التمر"[٢٣]. وفي العربية الجنوبية ن خ ل "نخل، نخيل"[٢٤]. ووردت اللفظة ش ش في النقوش الثمودية لتشير إلى النخل[٢٥]، وهي تقابل الكلمة العربية شيش "نخيل عقيم، بلا ثمار، أو نخيل رديء"[٢٦]، بالإضافة إلى ألفاظ المشتقة من الحروف الصامتة ت م ر في كل من العربية والعبرية والحبشية[٢٧]. يشير بليني إلى أن شجرة نخيل التمر التي تنمو في مصر تسمى adipsos[٢٨]، ومن أسمائه بنرت benert و bener[٢٩]. فالنخل هو شجر التمر ومفردها نخلة وسميت باللينة و"الجمارة" و "الطيبة" و"الضامنة"و "السعفة" مجازاً باسم أشهر أغصانها وأبرزها[٣٠]، ومن أسمائها عند العرب غير تلك الشائعة أيضاً: البُهْزُرَة "النخلة الطويلة أو التي تنالها بيدك"[٣١] والبَهْوزة "النخل كثير الحمل" والعَشَّة "النخلة الصغيرة" والبُصاق "جنس من خيار النخل" والعسيب "جزء من النخلة" والسَّكِير "صغار النخل"[٣٢].

---

(٢٣) نشوان الحميري، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تحقيق حسين العمري ومطهر الإرياني ويوسف عبدالله (دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م)، ٢١٢٥.

(٢٤) ألفرد بستون، جاك ريكمانز، محمود الغول، والتر مولر، *المعجم السبئي*، (مكتبة بيروت، بيروت ودار نشر بيترز، لوفان الجديدة، ١٩٨٣م)، ٩٤.

(٢٥) Van den Branden, *Les text thamoudeens de Philpy* I. II. Bibliothqu du muséon vols 39, 41. Louain. (BP I), 210 ad in BP 1.

(٢٦) جمال الدين محمد ابن منظور، *لسان العرب*، تحرير إمام عبدالوهاب ومحمد العبيدي، (دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التراث العربي)، ٢٥٦/٧.

(٢٧) BDB 1071; W. Leslau, *Comparative Dictionary of Ge<ez* (*Classical Ethiopic*), Wiesbaden, 1987, 576.

(٢٨) Pliny, *Natural History*. Cambridge, Massachusetts. Harvard University Press, London, 1945, William Heinemann LDT. Translated by H. Rackham, M. A. Fellow of Christ`s College, Cambridge. (1986), XLVII.

(٢٩) عبداللطيف واكد، *النخيل* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣م)، ٤٩.

(٣٠) عبدالمالك يونس عبدالرحمن، "النخلة في حضارة وادي الرافدين"، *آداب الرافدين*، العدد ١٥، أيلول، ١٩٨٢م، ٢٨٢.

(٣١) محمد الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، *التاج العروس*، دار الفكر، بهزر.

(٣٢) للمزيد عن أسماء النخيل في اللغة العربية أنظر: الصعيدي أنظر: عبدالفتاح موسى الصعيدي، *الإفصاح في فقه اللغة*، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٩م)، أنور أبو سويلم، "النخلة في الشعر الجاهلي" *مؤتة*=

٣ . الأهمية الدينية للنخلة:

نظر العرب للنخلة نظرة تقديس؛ إذ عدوها رمزاً من رموز ألهتهم، حيث اتخذت رمزاً للشمس[٣٣]، متأثرين في ذلك بما هو كائن في الحضارات السابقة أو المعاصرة من تقديس وتبجيل، إذ أطلق عليها شجرة الحياة[٣٤]، ونستوحي ذلك من تسمية لعصير التمر "نوع من الخمور" بشراب الحياة" لدى قدماء المصريين[٣٥]. ومن خلال ما عُثِر عليه من رسومات لشجرة النخيل في قصور ومعابد بلاد ما بين النهرين/ في بابل فقد زينت معابدها من الداخل برسومات هذه الشجرة وفي مداخل المدن. ومن المظاهر الدينية لها كان إله النخيل عندهم ممثلا بامرأة بأجنحة من سعف النخيل[٣٦]؛ ووجد في قصر آشور نصربال في نمرود "القرن التاسع قبل الميلاد" شجرة نخيل -وعلى جانبيها كائنات أسطورية تجمع سائلاً من الشجرة يستخدم بمسحة دينية لإدامة حكم الملك-. واتخذها البابليون رمزاً مقدساً لعلاقتها بالشمس شموخاً. كما اتخذها قدماء المصريين رمزاً مقدساً في أعيادهم، وامتد هذا التقديس لشجرة النخيل في الممارسات الدينية عند النصارى[٣٧]، وعرف هذا العيد "بأحد الخوص" عند المصريين أو "أحد الشعانين" في بلاد الشام. ولم تُقتصر اللقى التي رُسم عليها شجرة النخيل في القصور، بل تعداه إلى العثور مثل هذا على الأختام التي تعود لفترات تاريخية مختلفة من حكم بلاد الرافدين مثل سومر. وقد ظهر المشهد على الختم بإيحاء

=*مؤتة للبحوث والدراسات*، المجلد السادس، عدد ٢، (الأردن: جامعة مؤتة، ١٩٩١م)، ١١٦.

(٣٣) فاطمة علي باخشوين، *الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت*، (الرياض: ٢٠٠٣م)، ٣٤٧؛ إبراهيم البرهمي، الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ٢٠٠٠م)، ١٣٤ .

(٣٤) حميد بن إبراهيم المزروع، "نقش تأسيسي للملك السبئي كرب إل وتار يهنك" *الدارة*، السنة الثلاثون - العدد الأول ١٤٢٥هـ، ١١٩-١٢٣ .

(٣٥) واكد، *النخيل*، ٤٩.

(٣٦) البكر، *نخلة التمر*، ٩.

(٣٧) الزيتونة وهو أحد أعياد الأقباط، وهو عيد الشعانين، وفيه التسبيح في الأحد السابع من صومهم، وكانوا يخرجون بسعف النخل من الكنيسة، وكان الناس يسبحون بين يديه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وفي عيد الغطاس وهو أحد أعياد الأقباط يتهادون بالدقيق واللبن والتمر ويُسمَّى هذا اليوم بالنجم، وهما من الأعياد الكبيرة، محمود شكري الألوسي، *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*، تحقيق: محمد بهجت الأثري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣١٤هـ)، ١/ ٢٥٧-٢٨٥.

أسطوري تؤكد النمط الديني لهذه الشجرة[٣٨].

ومن مظاهر تقديس شجرة النخيل اللوحات التي تعود للفترة السومرية عليها هذه الشجرة وبجوارها نساء تحمل كل منهن عذقاً بيد وتعطي باليد الأخرى عذقاً لامرأة أخرى (شكل ١).



(شكل ١) لوحة تمثل تصور عملية قطاف النخلة

كما يظهر ختم اسطواني سومري فيه قطف طلع النخلة الذكر وبمباركة من إله القمر، وهي أحد الرموز المقدسة في آشور "المحراث، الثور، الشجرة المقدسة، شجرة النخيل". وقد عُثر رسمها على تاج يعود إلى فترة حكم أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م)[٣٩]. ومن الدلائل الدينية أيضاً لنخيل التمر استخدام جذوعه في بناء معبد القمر في أور Ur بُني ما بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ سنة مضت.

ومن منطوق ذلك نجد في الحوليات الآشورية إشارة لشجرة الحياة ما نصه، أن الملك سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م.) "ملك العالم- ملك آشور وبقوة الجبال حيث لا وجود لوفرة شجرة الحياة ولا .... (ولكن) نمو جذوع e`ari،القوة، ثبات الريح لا يؤخر التقدم؛ في المكان الذي أقمت مخيمي لا أحد يقيم. وفوق الجبال أنا وجيشي ناضلنا ونجحنا"[٤٠]. كما جعلها

---

(٣٨) واكد، *النخيل*، ٥٠؛ ميرنا مصطفى، "رمزية النخلة في الفترات القديمة"، *مجلة الهاشمية*، العدد الأول، ٢٠٠٦م، ٦٤-٧٣.

(٣٩) البكر، *نخلة التمر*، ٦-٧؛ مصطفى، *رمزية النخلة*، ٦٥.

(٤٠) Daniel David Luckenbill, 1927. *Ancient Records of Assyria and Babylonia: Historical Records of Assyria from Sargon to the End*, The University of Chicago. (Greenwood Press, New York, 1968), no. 484.

الفينيقيون رمزاً لآلهة الإخصاب عشتروت[٤١].

ولم تَخْلُ النقوش العربية الجنوبية من هذا الفهم الأسطوري لهذه الشجرة، ففي أحد النقوش المعينية نجد أن الإله عثتر يهرق[٤٢] تعهد برعاية النخيل: [... تعهد الإله عثتر يهرق نخيل ذ ء ب ذو يدع...][٤٣] وفي نقش معيني آخر يتحدث عن استصلاح شجر النخيل كان في يوم ذي قُدسية وهو يوم حج "احتفال بعيد"[٤٤].

ويشير سميث في كتابه الموسوعي -إما نقلاً من سواه أو مما يستنتجه- إلى مناط تقديس الوثنيين في الجزيرة العربية للنخلة. فكانت الينابيع ذات النخيل محل تقديس عند عرب الجنوب، فكانوا يرون أنها تهب الحياة والصحة، وكان حجاجها يرجعون من حجهم وبصحبتهم بعض هذه المياه[٤٥]. وفي أيام العرب اتخذها المحاربون رمزاً مقدساً وعلامة لإيقاف القتال عند حلول موسم الحج أو الأسواق[٤٦].

وكانت النخلةُ شجرةً مقدسةً عند أهل نجران، وكانوا على دين العرب من الوثنية – فجاء في ثنايا قصة الرجل الورع الذي على دين عيسى -عليه السلام- فيمون والرجل صالح الذي أوردها ابن هشام -أن أهل نجران كانوا يعبدون نخلة طويلة، ويعكفون عندها، ويجعلون لها عيداً كل عام، ومن أمر العيد أن يزينوها بالأشرطة المعدنية[٤٧]، ويعلقوا عليها كل ثوب حسن وحلي

---

(٤١) شوقي عبدالحكيم، *مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية*، (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٨م)، ٥٩.

(٤٢) وُسم هذا الإله بأنه إله السقس/ الري ومانح الماء والحياة في حضارة جنوب الجزيرة العربية (انظر: صدقة، إبراهيم، *آلهة سبأ كما ترد في نقوش محرم بلقيس*، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٩٤م، ٣٨.

(٤٣) RES 3326/ 1-5= M 305.

(٤٤) RES 2952.

(٤٥) روبتسن سميث، *محاضرات في ديانة الساميين*، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧م)، ١٩٣-١٩٤.

(٤٦) حمد صراي، *عُمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي*، (مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ١١٥.

(٤٧) عبدالرحمن، "النخلة في حضارة وادي الرافدين"، ٢٨٠.

النساء[٤٨]، ومن مظاهر تقديس العرب للنخلة ومكانتها أيضاً أن هناك قبيلة عربية اسمها جهينة عاشت قبل ظهور الإسلام عملت من التمر هيكلاً اتخذته إلهاً وعبدته، وحينما حل القحط والجفاف في ديارها وانتشرت بينهم المجاعة، اضطرت أن تجعل من إلهها طعاماً[٤٩] فقال الشاعر فيهم:

أكلت جهينة ربها   زمن التقحم والمجاعة

ويقارن سمث شجرة نخيل نجران بتلك التي في مكة التي تُسمى ذات أنواط[٥٠]، إذ كان أهل مكة يحجون إليها سنوياً ويعلقون عليها أسلحتهم وملابسهم وبيض النعام وسواه من القرابين، ويحاول سميث أن يربط بين شجرة النخيل التي كان يعتقد أنها مقر الإلهة العُزى وتلك التي ورد ذكرها في سورة الفتح – ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٥١]– والتي اجتثها " أي الشجرة الواردة في سورة الفتح" الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خوفاً من أن تُعبد كاللات[٥٢] والعُزى[٥٣].

وكانت العزى من آلهة العرب وأول من اتخذها إلهة ظالم بن أسعد، وكانت بواد من نخلة الشامية عن يمين المُصْعِد إلى العراق من مكة، فبنى عليها بيتاً وكانوا يسمعون به صوتاً وكانت أعظم الأصنام عند قريش. وكان سدنتها من بني شيبان من بني سُليم وآخر سدنتها دبية بن حرمس السلمي. وبقيت تُعْبَد حتى بعث سيدنا محمد ﷺ خالد بن الوليد يوم الفتح إليها ببطن نخلة فأعضدها وقتل دبيّة. وجاء فيما يروى عن ابن عباس ﷺ في وصفها "أي العزى" كانت شيطانة

---

(٤٨) ابن هشام، *السيرة النبوية*، ١/٣٣؛ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، *معجم البلدان*، (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٩٨٤م)، ٥/٢٦٦.

(٤٩) عماد محمد الحفيظ، *نخلة التمر في التراث العربي*، (مصر: الدار الدولية للاستثمارات، ٢٠٠٤م)، ٤٠.

(٥٠) الشجرة التي يعلق عليها القرابين، وهذا من أصل معنى ناط الشيء بمعنى "عَلَّقَه" (الحميري، *شمس العلوم*: ٦٨٠٠).

(٥١) سورة الفتح آية ١٨.

(٥٢) وكانت على هيئة صخرة مربعة بالطائف وكان يهودي يَلِتُّ عندها السويق، وكان سدنتها من ثقيف وبنوا عليها بناء وكانت قريش والعرب تعظمها (الألوسي، بلوغ الإرب، ٢/ ٢٠٣).

(٥٣) سميث، *محاضرات*، ١٩٣-١٩٤.

تأتي ثلاثة سُمرات[٥٤] ببطن نخلة، فعضد خالد الأولى والثانية فوجدها في الثالثة، فإذا هي بخنّاسة نافشة الشعر، واضعة ثدييها على عاتقها، تصرف بأنيابها، وخلفها دبيّة السلمي، ضربها خالد ففلق رأسها، ثم قطع الشجرة "النخلة" وقتل دبيّة[٥٥]. ومن مظاهر تقديس الشجر بعامة لدى العرب في الجاهلية تسمية آلهتهم بأسماء النبات، فالخلصة "أحد آلهة العرب قبل الإسلام" فيما فسرها الألوسي: فمعناه في اللغة "نبات طيب الريح يتعلق بالشجر وله حب كعنب الثعلب"[٥٦].

ونشير في هذا المقام لتكتمل الصورة حيال شجرة النخيل في المنحى الأسطوري إلى أحد أعياد اليهود، كما يشير إليه الألوسي في كتابه. ومن أعياد اليهود عيد المظال[٥٧]، ومدته ثمانية أيام يبدأ من الخامس عشر من تشرين، والعرابا وهو اليوم الأخير من هذا العيد، وهو يوم حجهم إذ يجلسون في عيدهم تحت ظلال جريد النخل وأغصان الزيتون. والظلال عبارة عن طارمة[٥٨] من قصب وسقفها من الجريد الأخضر وسعفه، إذ يترك داخلها أسفار التوراة. ومكانها في أعلى الدار، وتعمل على مراحل، ويستمر العمل ثمانية أيام: اليوم الأول يعمل الواحد فيه قبضة مرسين فيها ثلاثة عيدان في كل عود ثلاثة أغصان بعضها فوق بعض، وفي كل غصن أوراق ثلاث وفي وسطها قلب من سعف النخل مستقيم طوله ثلاثة قبضات[٥٩].

وفي القران الكريم ذكر النخل ستاً وعشرين مرة، كان منها ست عشرة مرة عن فوائدها، منها الآية الكريمة ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ. رِزْقاً لِّلْعِبَادِ﴾، وسيدنا محمد ﷺ الذي عاش في

---

(٥٤) شجر صغار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس وليس في العضاه شيء أجود خشباً من السُمر ينقل إلى القرى فتغمى بها البيوت، والواحد منها سمرة (الألوسي، *بلوغ الأرب*، ٢/ ٢٠٤-٢٠٥)؛ انظر، هشام بن محمد ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، ١٩١٤، *كتاب الأصنام*، تحقيق: أحمد زكي، الطبعة ٣، ٤٤، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٥م)، ١٠١، ١٠٢.

(٥٥) الألوسي ١٣١٤، *بلوغ الأرب*، ٢/ ٢٠٣.

(٥٦) الألوسي ١٣١٤، *بلوغ الأرب*، ٢/ ٢٠٧.

(٥٧) العهد القديم، نحميا، ١٥/٨.

(٥٨) الطارمة "بيت من خشب كالقبة، وهي لفظة دخيلة (الحميري، *شمس العلوم*، ٤٠٩٠)

(٥٩) الألوسي ١٣١٤، *بلوغ الأرب*، ٣٦١/١-٣٦٢.

ثقافة تحترم التمر، يظهر لنا من أحاديثه الكثيرة مدى الاهتمام والتقدير للنخلة ما يؤكد أن هذه الشجرة في التراث الإسلامي تُعد شجرة الحياة[٦٠].

الأهمية الاقتصادية:

كانت دلمون هي أكثر المناطق شهرة لإنتاج التمور وتصديرها، حيث تحتل قوائم الواردات من ساحل الشرقي للجزيرة العربية الصدارة في الكتابات السومرية والبابلية والآشورية والكلدانية[٦١]، كما ذكر مؤلف كتاب الطواف في فقرة ٣٦ أن عمانا كانت تصدر التمور وخمورها[٦٢].

وأسفر التنقيب الأثري الذي قامت به البعثة الدانمركية في مواقع قلعة البحرين ١٩٥٣عن قصرين احتوى أحدهما مخزناً للتمور أرجعت تاريخه إلى ١١٨٠ ق.م أي يعود لفترة الحكم الكاشي، ومما يدعم هذا الرأي ما أشارت إليه وثيقة من الوثائق المسمارية التي عثر عليها في مدينة نفر في بلاد الرافدين، مؤرخة في السنة الخامسة من حكم الملك بورنابورياش الثاني Burnaburiash11 الذي حكم خلال الفترة (١٣٥٩-١٣٣٣ق.م) تذكر أن دلمون كانت تصدر أجود أنواع التمور التي كانت محل تقدير في بابل[٦٣] ومن أشهر ما يُذكر من الاتِّجار بالتمور أو سواها هو رحلة ملكة سبأ إلى فلسطين في الألف الأول قبل الميلاد، إذ أخذت معها من ضمن الهدايا إلى النبي سليمان عليه السلام تمراً. وكان هذا وقت ما كان ميناء عدن مفتوحاً لتجارة الحرير والبضائع الأخرى من الشرق الأدنى[٦٤].

كانت تجارة التمر على نطاق واسع في ذلك الزمن وكانت تُنقل البضائع على ظهور قوافل الجمال متجهة إلى البتراء وإلى ميناء غزة على البحر المتوسط وعبر الرَّبْع الخالي إلى الخليج العربي

(٦٠) Sanderson, *Natural History*, 3.

(٦١) النعيم، *الوضع الاقتصادي* ، ١٣٥.

(٦٢) صراي، *عُمان*، ١٨٧.

(٦٣) عبدالعزيز علي صويلح، *التسلسل الحضاري لملكة البحرين، على ضوء نتائج التنقيبات الأثرية بين ١٨٧٩-٢٠٠٠* ، (مملكة البحرين، وزارة الثقافة والتراث الوطني)، ٨٩.

(٦٤) Sanderson, *Natural History*, 3.

في البحرين. وهناك شواهد لوجود مستعمرات على طول طريق البخور، وكانت هذه المستعمرات تزرع محاصيل مختلفة، ومنها التمر لكي يتزود منه المسافرون. فبهذا الخصوص نشير إلى أن سكان سار هم أول العرب الذين سكنوا منطقة ظفار منذ بداية ٥٠٠٠ ق.م. وكانوا قد حَسَّنوا من نخيل التمر، وهذا ما تُظْهره رسومات نخيل البلح الأثرية من فترة العصر الحجري التي وجدت بالقرب من صلالة اليوم. وكانت سار مسيطرة على صناعة البخور في ظفار[٦٥].

النخلة من خلال الرسومات الصخرية:

تعد الرسومات الصخرية من أكثر المصادر التاريخية تأصيلاً وقدماً في التاريخ الحضاري الإنساني، لأن معظمها يعود لفترة ما قبل التاريخ، كما أنها أحد الفنون التي تسهم في بناء الجدار التاريخي لتطور المجتمعات الإنسانية، وهي شاهد أساس يعكس لنا الموروث الإنساني من معتقدات سائدة وفلسفة واقتصاد وفنون وغيرها من جوانب الحياة اليومية المختلفة.

وقد وجدت رسومات للنخلة على الصخور وجدران المعابد في مواقع متفرقة من الجزيرة العربية، تؤكد مدى تغلغل النخلة في حياة الإنسان العربي منذ امتهانه حرفة الزراعة واستقراره في عصور ما قبل التاريخ، وهذه الرسوم تختلف في جودتها وإتقانها من مكان لآخر، حسب ظروف المجتمع الذي وجدت فيه ومستوى الفنان ومدى قدرته على نقل ما شاهده من صور للنخيل في بيئته، جاء بعضها لأغراض دينية حيث صورت على مظاهر الطبيعة كجبل ياطب في حائل في وسط شمال الجزيرة العربية أو في منطقة العلا بشمال غرب الجزيرة العربية في طيب قرب موقع مذاخيل، ففي هذين الشكلين رسمت النخيل بشكل تجريدي متباين و بخطوط عودية متفرعة[٦٦] أو على جدران المعابد لمعبد تدمر في شمال الجزيرة العربية أو معبد بلقيس في جنوب الجزيرة العربية .

---

(٦٥) Sanderson, *Natural History*, 3.

(٦٦) نداء عبدالرحمن الجلال، *جماليات الرسوم الصخرية في المملكة العربية السعودية*، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ١١٩.



(شكل ٢) رسومات للنخلة على جبل ياطب ترجع إلى عصر البرونزي

ثانياً: النخلة من خلال النقوش والأختام والعملات:

١. **النقوش العربية**: من أهم المصادر العربية التي تعكس أهمية النخلة في الجزيرة العربية، وجود الكثير من النقوش المكتوبة بخط المسند التي تذكر النخلة، ومن الغريب أننا لا نجد في النقوش النبطية المكتشفة حتى الآن كلمة نخلة، رغم استقرار الأنباط في مدن شمال غرب الجزيرة العربية التي يوجد فيها النخيل بكثافة لا يمكن تجاهلها، وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا النخلة أو زراعتها، خاصة وأن معظم النقوش التي يرد فيها كلمة النخل أو النخيل كان يقصد بها المزرعة، ويعقبها طلب الحماية لها من الآلهة عثتر وألمقة وذات حميم وذات بعدن وغيرها، مثل ما ورد في النقوش التالية:

4195bis; Ja541, 821; GL1725; RES 3902, 3911, 4326, R 4907, 4774, 5. 3915; M172, MǒM168, 3641; CSA11,



(شكل ٣) نقش سبئي مزين برسم النخلة

٢. الأختام:

عُثِر في الكويت – فيلكا ف٦ (Kuwait-Failaka F6) على ختم مصنوع من حجر الصابوني من الفترة البابلية القديمة، تُري زوجين من الآلهة يقابل أحدهم الآخر، وزوجين عاريين يقفان بجانب شجرة نخيل(٦٧). كما عثر على ختم آخر من الفترة الكوشية، وُجِدَت في فيلكا- الكويت ف٣، وهي مصنوعة من الزجاج الأبيض المائل إلى الاصفرار، وصناعتها رديئة، يُشاهد عليها شجرة نخيل ذات الأسلوب المعتاد في الرسم، وذكر واقف، وزوجان من الظباء جديان "راكعان"، ونقش مسماري مكون من خمسة أعمدة(٦٨). كذلك اكتشف في فيلكا- الكويت ف ٣ على ختم من فترة غير معروفة، مصنوعة من العقيق، يظهر عليها خطوط أفقية وبلح(٦٩).

---

(٦٧) D. Potts, Cylinder Seals and their Use in the Arabian Peninsula, *Arabian Archaeology and Epigraphy*, 2010, vol. 21, No. 1, 24.

(٦٨) Potts , Cylinder Seals**.**, 30.

(٦٩) Potts , Cylinder Seals**.**, 34.

ومن الفترة المتانية[٧٠]، عُثِر في حمد– البحرين في غرفة رقم ٢٧، على لوحة مصنوعة من الخزف المُزَجَج، تُري شخصين بدائيين anthropomorphs واقفان بجانب شجرة النخيل، وثالث رافعاً ذراعيه ويديه، وعلى يمين اللوحة الغزال وطائر[٧١].

وعثر على مجموعة من الأختام الدلمونية في البحرين تحمل صورًا للنخلة. فقد عُثر في مبنى رقم ٢١٠ منطقة ٢٠٧، على ختم يظهر عليه حيوانان ذكوريان ذوا قرون، وأعناق مطوقة على جانبي شجرة نخيل، الحيوان الذي على يسار الختم ينظر إلى الشجرة من فوق كتفه، ويوجد عقرب تحت الشجرة[٧٢]. تظهر شجرة النخيل في منتصف أحد الأختام، الذي وُجِدَ في مبنى رقم ٢٠٧ منطقة ٢٧٢، وعلى يمين الشجرة يظهر شكل ذكوري عارٍ يُقابل النخلة وإحدى ذراعيه تمتد لتمسك بها. ويقف على يسار النخلة حيوان ذَكَرٌ ذو قرون متوجه إلى يسار ناظر إلى النخلة بعد لَيِّ عنقه إلى الخلف[٧٣].

وتظهر شجرة النخيل في منتصف ختم ذي ثلاثة فروع وثلاثة جذور ظاهرة، وعلى جانبي النخلة يوجد حيوانان ينظران إلى الجانب الآخر من النخلة إلا أن رأسيهما ملتفان باتجاه بعضها البعض، وعلى ظهر كل منهما شكل هلال. وقد عُثِر عليه في مبنى ٥٥ منطقة ٨١[٧٤]. ويمثل الختم الذي عثر عليه في مبنى ٦٣ منطقة ٣٠٦ الأختام في بعض ما عليه إلا أنه يوجد شكل شبه قرد يلمس سعفة النخيل[٧٥].

---

(٧٠) ميتاني، مملكة حورية بين القرن ١٥-١٤ ق.م. في شمال الهلال الخصيب في سوريا وتمتد في بعض الأحيان إلى الموصل وإلى حلب غرباً واللاذقية وحمص. وكان مركز المملكة منابع الخابور. ولغة هذه المملكة هي خليط من الحورية والأكادية والأمورية والآرامية.

(٧١) Potts , Cylinder Seals., 28.

(٧٢) H. Crawford, *Early Dilmun Seals from Bahrain-Art and Commerce in Bronze Age Bahrain*. Archaeology International. London-Bahrain Expedition: Ministry of Cabinet Affairs and Information, State of Bahrain Institute of Archaeology, University College London. 1999, 53

(٧٣) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 54.

(٧٤) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 55.

(٧٥) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 68

وهناك نموذج آخر من الأختام، وجد في مبنى ٦٠ منطقة ٣٧٢- تظهر عليه زخرفة عادية، وهي خط مستقيم أفقي في منتصف الختم، وعلى طرفيه سعفتا نخيل، وفوق الخط وفي المنتصف قاعدة يعلوها هلال وبداخلها دائرة في المركز أو نجمة[٧٦]. ونوع آخر يظهر عليه رسم حليه "زخرفة" أو ما يشبه الشمس[٧٧].

٣. العملات:

تضمنت وجه العملات [التي تحمل اسم تيترادراخمة Tetradrachms τετράδραχμον[٧٨] والنوع الثاني الدراخمة ,δραχμή والجمع منها δραχμές أو δραχμα[٧٩]، أما الثالث فهو أوبولس Obols Όβολός والجمع "oboloí" Όβολοί[٨٠]] رأس هيركلس Heracles مرتدياً جلدَ أسد نيميان Nemean lion[٨١].

بينما ظهر العملة فتضمنت صورة ذراعها الأيمن ممتدة ساندة هيئة فرس[٨٢] horse protome، والذراع الأيسر مُلْتَفَّة حول صولجان، وشجرة النخيل أمام ركبتيه، ويظهر من الجهة اليمنى نقشٌ آراميٌ لحروف خمسة تمثل لقباً legend وهي: الألف والباء والياء والألف واللام لاسم أبي إل[٨٣] Abi`el ومُدَلَّى بجانبه رمزُ monogram مرساة على تيترادراخمة. وهذه

---

(٧٦) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 68

(٧٧) Crawford, *Early Dilmun Seals*, 69.

(٧٨) وهي نوع من العملات اليونانية القديمة الفضية والشائعة منذ ٥١٠-٣٨ ق.م، وهي تعادل أربعة دراخمات وهي العملة المستخدمة لدى الإغريق.

(٧٩) وهي العملة المستخدمة لدى الإغريق.

(٨٠) وهي عملة إغريقية من الفضة وتعادل ستة دراخمات.

(٨١) وهو حيوان ضخم متوحش في الأسطورة الإغريقية- يقطن مدينة تدعى نيميان *Nemean*.

(٨٢) *protome* في اليونانية *προτομή* "منظر، صورة، شكل" يستخدم كحلية.

(٨٣) الاسم "أبي إل" كان قد كُتب بحروف آرامية في الدور ومليحة على المئات من العملات التي اتخذت نموذج العملات الاسكندر الكبير. وقد اتخذ الاسم "أبي إل" مكان اسم الإسكندر الكبير، وأحيانا مرافقاً له اسم أبيه والذي من المحتمل أن يكون "بجلن أو تيم أو تيم إل". يبدو نحن أمام عدد من أسماء الملوك تحمل هذا الاسم الذين حكموا جنوب شرق الجزيرة العربية. أما والحالة التي في المجموعة التي ندرسها - أي التي من مليحة/ الإمارات العربية يبدو أن هناك اقتراح بوجود تمثال تاريخي يُسَمَّى أبو إل كان يمكث في الغالب في مليحة.

العملات قادمة من مليحة –الإمارات العربية[٨٤].

تُعَد العملات التي تحمل رقم ٢٧٩ أكثر العملات جمالا ودقة فنية في التنفيذ من بين مجموعة العملات شرق الجزيرة العربية، والتي تحمل الأشكال مثل الصورة وشجرة النخيل التي ظهرت على العملةِ "تيترادراخم" المصنوعة من الفضة. وهناك نوع آخر من الدراخما المصنوع من الفضة أكثر الأنماط المعروفة في هذه المجموعة. فتنفيذ تشكيل سَعَف النخلة ورسم جذع شجرة النخيل لا يوجد لها مثيل من بين العملات المعروفة في شرق الجزيرة العربية. كما تظهر شجرة النخيل على عملة أوبولس مصنوعة من الفضة، فهي كبيرة الحجم تشبه نبتة كبيرة موضوعة في وعاء [٨٥].

وعثر في عمانا (الدور) في أمارة أم القوين على مسكوكة نقش على وجهها رأس المعبود هرقل، وعلى ظهرها المعبود زيوس جالساً على عرشه وأمامه نخلة وحرفا HE[٨٦].

ثالثاً: النخلة عند الكتاب الكلاسيكيين:

حظيت نخلة الجزيرة العربية باهتمام الكلاسيكيين عند حديثهم عن أحوال الجزيرة العربية، ما يؤكد وجودها بكثرة في الجزيرة العربية، فتحدثوا عن منافعها الاقتصادية وجودة ثمارها ويعد العالم النباتي ثيوفراستوس Theophrastus" (٢٨٧ – ٣٧٢ ق . م) أول من عرف النخلة في التقسيم العلمي للنبات، وأطال الحديث عن زراعتها وتلقيحها وأنواع تمرها[٨٧]. فأشار إلى تنوعها: بعضها مثمر وبالمقابل هناك غير المثمر، ومن النوع الثاني عمل البابليون الخبز وصنع بعض أنواع الأثاث، فالمثمر منه ذكوري ومنه أنثوي، وبعضها ذو نوى والآخر من غيره[٨٨].

---

(٨٤) Potts, D., *The Pre-Islamic Coinage of Eastern Arabia*. The Carsten Niebuhr Institute of Ancient Near Eastern Studies. CNI Publications 16. Museum Tusclanum Press, University of Copenhagen,1994, 58-59.

(٨٥) Potts, *The Pre-Islamic Coinage of Eastern Arabia*, 58, 59, 70.

(٨٦) يوسف، فرج الله، "تنوع الخطوط على المسكوكات العربية قبل الإسلام" *أدوماتو*، العدد ٢١، ٢٠١٠.

(٨٧) Theophrastus, *De Causis Plantarum*, trans. by B. Einarsson and G. K. K. Link, London, 1980, 2, 4, 3f.

(٨٨) Theophrastus 1916. *Enquiry into Palnts and Minor Works on Odours and Causis* =

ويذكر ديودور الصقلي (٨٠-٣٠ ق.م) بعض مناطق زراعتها خاصة في شمال غرب بلاد العرب[٨٩]، كما يذكر ألوان ثمارها المختلفة: الأصفر والأحمر، والمائل إلى السواد، وربما قصد التمر بعد جفافه.

وتحدث استرابون (٦٤-١٩م)[٩٠] عن النخلة وفوائد التمر بوصفه مصدراً للخبز والخمر والخل والدبس، وذكر الاستعمالات المتعددة التي تدخل في استخدامها، مثل صناعة بعض المواد المنسوجة، واستخدامها مصدراً للطاقة حيث كان صُنَّاع الفضة يستخدمون نوى ثمرها بدلاً عن الفحم النباتي، كما يستخدمه المزارعون طعاماً للثيران والخراف المعدة للتسمين، ويشير إلى أغنية فارسية تعدد ٣٦٠ استخداماً لشجرة النخيل، ويذكر أيضاً وفرة وجودها في شمال غرب الجزيرة العربية ووفرة إنتاجها بالرغم من قلة مصادر المياه فيها[٩١]. أما صاحب" كتاب الطواف" فقد أشار إلى أن التمور كانت أحدى صادرات ميناء عمانا (صحار) أحد موانئ شرق الجزيرة العربية[٩٢].
وأجْمَلَ بليني (٢٣/٢٤-٧٩م)[٩٣] في وصف أنواع النخيل: فمنها ما لا يزيد حجمه عن الشجيرات العادية، وذكر أنها في بعض المناطق تكون عقيمة وبعضها الآخر تحمل ثماراً، ويصف شكلها فيذكر أن لها صفوفاً متلاحقة من العقد والدوائر في لحائها الأمر الذي يسهل تسلقها، وأن كل أوراقها وثمارها تكون في قمتها، على عكس باقي الأشجار التي توجد ثمارها داخل الأوراق، ويمتاز سعف النخيل بوجود حواف حادة له أشبه بالسكين على جوانبه، ويستخدم في صنع الحبال، والسلاسل المجدولة بأنواعها وأشكالها والفرش (الحُصر)، والمظلات الواقية من الشمس، كما يمكن استخدام النخلات بسعفها على هيئة قبة بدلاً من الجص لطلاء جدران المنازل

=*Weather Signs*, trans. Sir Arthur Hort, Cambridge, 1961, 139; Theophrastus. *De Plantarum* 2, 4, 3f.

(٨٩) Diodorus of Sicily, *The Library of History*, trans. C. Bradford, London, 1963, 2, 34.

(٩٠) Strabo, *Geography*, trans, H. L Jones, London, 1989, 16, 1. 14.

(٩١) Strabo, 4. 16, 18.

(٩٢) صراي، عمان، ١٨٧.

(٩٣) Pliny, *Natural History*, trans. W.H.S. Jones, London, 1992, 12, 23.

والسقف لمنع الترسيب والترشيح[٩٤].

وقد عد بليني التمور المورد الرئيس للسكان المحليين (العرب) في إمدادهم على حد قوله بالخمور[٩٥] التي كانوا يصنعونها من التمر كما يفعل سكان الهند[٩٦]، كما أن بعضهم الآخر يستفيد منها في إنتاج الخبز، بينما يعتمدها قطاع كبير من السكان علفاً للماشية[٩٧]. وجاء بليني على ذكر اختلافها في حَمْل الثمار واختلاف ألوانها، واختلافها في الشكل والحجم. وذكر أفضلها وهو نوع يُسمى "التمر الملكي" وهو نادر التكاثر، وذكر معلومات أخرى ليس مكانها هذا البحث. ويشير أيضاً إلى أن ثمار نخيل التمر التي تنمو في مصر كان يُستخدم في صناعة العطور بنفس طريقة نبات behen-nut، وهو ذو لون أخضر وبرائحة السفرجل وبلا نواة في داخله. وكان يجمع في فصل الخريف قُبَيْل نضجه. وإذا تُركت ثماره مدة طويلة على الشجر يُسمى جوز- النخيل palm-nut ويتحول ليكون أسود اللون، وله خاصية تجعل من يتناوله في حالة سكر أو لا وعي[٩٨].

رابعاً: النخلة في الشعر الجاهلي:

أثارت النخلة وجدان الشاعر في العصر الجاهلي وخياله،بشموخها وتعاليها وصلابتها وغزارة سعفها وحلاوة ثمرها، فأثرت في جوانب عدة من وجدانه وعكست معتقده وقيمه ومبادئه،ونوع ثروته، فكانت قصائده تؤكد رمزية هذه الشجرة ومعنى الحياة والخصب الذي ألبسها ثوباً شعائرياً طقسياً متوارثاً، وما تقديسها من قِبَل أهل نجران إلا وجهاً دالاً على تقديس الجزيرة لها، وبخاصة أنه اتخذ ثمارها صنماً يعبد. واهتمام الشاعر الجاهلي في وصفها وإظهار جمالها بأسلوب بلاغي ما هو إلا منحى يبرز أهميتها للمجتمع الجاهلي، ومظهرا للتقديس وتوضيح المعتقد في النفوس، فنجد النخلة ترتبط بصورة المرأة الحسناء وترمز إلى الأنوثة والحمل

---

(٩٤) Pliny, *Natural History*, 13,7.

(٩٥) Pliny, 13, 6.

(٩٦) Pliny, 6, 32.

(٩٧) Pliny, 6,13, 6.

(٩٨) Pliny, *Natural History*, Trans. H. Rackham, Cambridge, 1986, XLVII.

والإخصاب الجنسي، فكانت نخلة نجران ملجأ للنساء العاقرات يعلقن ثيابهن وحليهن على سعفها، كما تظهر في القصيدة العربية في مواضع أخرى منها وصف الظعائن، والإبل والخيل والحرب، وفي مواضع أخرى أقل من الأولى وهي المديح والفخر والهجاء والرثاء[٩٩]، وكان الشاعر يخص بشعره النخل الباسق العالي المحمل بالثمر.

قال أمرؤ القيس[١٠٠]:

أو مـــا تَـــرَى أظعانهـــن بواكـــراً   كالنخـل من شَوْكَان حين صِـرَامِ

وقال عبيد بن الأبرص:

كـــأن أَظْعْانهـــنً النَخـــل موسقـــة   سُودٌ ذاوئبهـــا بالحْمـــلِ مَكمُومَـةْ

ويفخر الشاعر بأنه " حامي النخلة " مثلما هو" حامي الظعينة " فيقول أمرؤا لقيس[١٠١]:

حَمْتُهُ بنـو الرَّبْـداء مـن آل يَامِـــن   بأسْيافِهـــم حتَّى أُقِـــرَّ وأُوقِـرَا

وبعد الحديث عن الظعائن ورحيل المرأة يأتي ذكر مزارع النخل وبساتينه المشهورة في أرض الجزيرة العربية، مثل يثرب وبيسان وهجر وخيبر ومزارع ترجع إلى أفراد ميسورين في الجزيرة العربية مثل حاتم الطائي، وملهم.

يقول بشر بن أبي خازم الأسدي :

والَمانِح المِائــة الهجَـــانِ بأَسْرِهَـــا   تُزجَى مطافلُها كجَنَةِ يَثْربِ

كما ارتبط ذكر النخلة بالناقة والفرس، وتماثلت المفردات بينهما، فقد سمت العرب النخلة بأسماء مشابه لأسماء الناقة والفرس، بل سمت بناتها بأسماء النخلة في إشارة إلى الخصوبة والبركة والنفع وتجدد الحياة[١٠٢]، ويبدو لنا ولع العرب بالنخلة في فخر الشاعر بدفاعه عنها،

---

(٩٩) محمد موسى على العبسي، *النخيل في الشعر الجاهلي*، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢.

(١٠٠) *ديوان امرؤ القيس*، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي، ط٢، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤م)، ١.

(١٠١) *ديوان امرؤ القيس*، ٩٣.

(١٠٢) أبوسويلم، "النخلة في الشعر الجاهلي"، *مؤتة للبحوث والدراسات*، جامعة مؤتة، المجلد السادس، العدد الثاني، (الأردن: ١٩٩١م)، ١١١.

وبأنه "حامي النخل"، فهي أحدى مصادر ثروته التي تمثلت في النعم والنخل، فتمنحه القوة والمنعة والثراء فيقول أبو دؤاد الإيادي:

بعدمـا كان سـرب قومي حيناً لهم النخل كلها والبحار[١٠٣].

نتائج البحث:

استعرض البحث الفترة الزمنية التي يعتقد العلماء والمختصون في هذا المجال أن بداية زراعة النخلة تعود إليها، وهي حوالي ٥٠٠٠ عام ق.م في منطقة الأندوز. وأن كثرة الأسماء المتعلقة بها في مختلف الفترات التاريخية ومختلف المناطق الجغرافية ينبئ عن انتشارها في مختلف الفترات التاريخية والمناطق الجغرافية.

وبقدر ما كان للنخلة من تأثير على حياة الإنسان على الصعيد الجمالي أو الديني، فقد خَلَّد رسمها في عدد من الأماكن التي تحظى بقدسية عالية مثل المعابد، أو بأهمية بالغة مثل القصور، وحتى جاء تخليدها على الأختام التي جاء استعمالها في الصعيد التجاري رمزية مباركة، كما جاء رسمها على النقود لذات الغرض. ولشدة الاهتمام وتأثيرها سُمِّيَت بشجرة الحياة.

وكان لسكان منطقة الجزيرة العربية نظرة عميقة ذات دلالة لهذه الشجرة، إذ أوردت النقوش المعينية النخيل بِسِمَة دينية فتعهدها الإله عثتر بالعناية، وجاء استصلاح النخيل في موسم ذي قدسية. وأن مياه منطقة النخيل لها لمسة سحرية في الاستشفاء. واتخذ أهل نجران منها معبوداً جعلوا منه مزاراً يحجون إليه. واتخذت منها الإلهة العزى سكناً. واستمر الفكر الأسطوري لقدسية هذه الشجرة عبر جميع الفترات السابقة، واستمرت مظاهر تقديسها في الممارسات اليهودية والنصرانية حتى يومنا هذا.

واهتم الكتاب الكلاسيكيون بالنخلة وركزوا على القيمة الاقتصادية لها، فلم نجد في كتاباتهم هالة التقديس الديني التي تضمنتها المصادر الأخرى، وجاءت كتاباتهم بأسلوب تقريري

---

[١٠٣] أبو سويلم، *النخلة في الشعر*، ١٢٤.

عن أساليب التقنية الزراعية وأنواع النخيل وأسمائها وألوانها وأشكالها، وأماكن وجودها، ووصفوا أهلها أنهم أصحاب غنى وثراء،في حين لم يرد هذا التفصيل من الوصف في النقوش العربية.

أما أهميتها القصوى فتظهر لنا في ديوان العرب وهو "الشعر الجاهلي" إذ نجد فيه الكثير من القصائد التي أكدت ولع العرب بها،و فكانت أحد النوعين لمصادر الثروة وهما (الأنعام، والنخيل)، ورمزاً من رموز العبادة، وعنصراً ملهماً للوجدان، ومن ثم كانت جزءاً من الحياة اليومية في حياة الإنسان العربي.

أرشيف نيكانور وأهميته التجارية في القرن الأول الميلادي
دراسة تحليلية

نهى عبدالعال سالم

مقدمة:

تعد أوراق البردي والشقافات (الأوستراكا) من المصادر التاريخية المهمة التي تلقي بالكثير من الضوء على مناحي الحياة كافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية وما إلى ذلك. وقد يختلف ما دون عليها من معلومات أو يتفق مع ما ورد لدى المؤرخين أو الرحالة والجغرافيين في ذات الفترات. وظهور المزيد من الاكتشافات الأثرية لها يعني لدى المتخصصين مزيداً من الضوء حول بعض مجريات الأمور في الفترات محل الاكتشاف.

وبالنسبة لأرشيف نيكانور، فإن الدراسة التي قام بها الكسندر فَكْس Alexander Fuks[1] في عام ١٩٥١م، والتي تعد من أوائل الدراسات التي أُجريت حول أحد السجلات المهمة المعروف باسم "أرشيف نيكانور"، والذي كان يتكون آنذاك من خمس وستين قطعة أوستراكا تتناول معاملات أحد أفراد أسرة تمتلك ما يشبه شركة شحن بالمصطلح الحديث لنقل البضائع والأغراض من مدينة قِفْط[2] Κόπτος الواقعة على نهر النيل إلى مينائي ميوس

(١) A. FUKS, "Notes on the Archive of Nicanor", *JJP* 5, 1951, 207-16 = Social Conflict in Ancient Greece, Leiden, 1986, 312-321.

(٢) قفط: مدينة قديمة على الجانب الأيمن من نهر النيل وهى تمثل مدينة قفط حاليا وتبعد حوالي ٤٣كم شمال مدينة الأقصر حالياً، وكان لهذه المدينة أهمية كبيرة في العصر الهللينستى حيث كانت المحطة الرئيسة للقوافل المتجهة إلى موانئ البحر الإريتري. وقد دمرت في عهد ديوقلديانوس عام ٢٩٣/٢٩٤م. لمزيد من=

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص١٩١-٢١١

هورموس[٣]. Μυὸς Ὅρμος وبيرنيقي Βερνίκη[٤]. في تلك الفترة، على نحو سواء، تلك الدراسة تبعد بسنوات كثيرة عما أشار إليه كولين[٥] عند حديثه عن النقل في دراسته التي نشرها

=المعلومات انظر: MOHAMED ABD EL GHANI, "Coptos and its Role in the Eastern Trade of the Roman Empire", in: *L'egitto in Italia: Dall'antichita al Medioevo, Atti del III Congresso internaztionale Italo- Egiziano, Roma: Consiglio Nazionale Delle Ricerche, 1995, Rome, 1998, 3-14. A. Dihle, Die entdeckungsgeschichtlichen Voraussetzungen des Indienhandels der römischen Kaiserzeit, ANRW* : Geschichte und Kultur Roms im Spiegel der neueren Forschung, vol. II. New York, 1980, 546-580.

(٣) ميوس هورموس: ترجع نشأة هذا الميناء الى بطلميوس الثانى فيلادلفوس، فقد أنشأه ليكون الميناء الرئيس للتجارة بين مصر والهند ويعتقد طبقاً للكشوفات الأثرية أنه كان يقع مكان قصير القديم ٨ كم جنوب مدينة القصير حالياً، لمزيد من المعلومات انظر: ADAMS COLIN, *Land Transport in Roman Egypt*, A Study of Economics and Administration in a Roman Province, Oxford, 2007, 36, n. 84; A. BULOW-JACOBSEN, H. CUVIGNY, and J. L. FOURNET, "The Identification of Myos Hormos: New Papyrological Evidence", *BIFAO* 94, 1995, 27-42.; ed. WILLIAM SMITH, *Dictionary of Greek and Roman Geography*, Boston, 1854, vol. I, s. v. Myos Hormos

(٤) بيرنيقي: يعد ميناء بيرنيقي أحد أهم الموانئ على البحر الإريتري، وقد تم إنشئ هذا الميناء حوالي عام ٢٧٥ ق.م. أنشأه بطلميوس الثاني واسماه بيرنيقي تكريماً لأمه التي حمل الميناء اسمها. ولعب ذلك الميناء دورا مهماً في التجارة بين العالم اليوناني الروماني وجنوب الجزيرة العربية والهند فضلا عن كونه نقطة مرور لكثير من البضائع القادمة من نهر النيل والمتجهة شرقا سواءً للجزيرة العربية أم الهند. ويبعد هذا الميناء حوالي ٨٢٥ كم جنوب السويس الحالية وعلى بعد ٢٦٠كم شرق مدينة أسوان. لمزيد من المعلومات عنه انظر: الحسين عبد الله، ميناء برينيقي ونشاطه التجاري في القرن الأول الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، (الكويت: ٢٠٠٩م)؛ S. E. SIDEBOTHAM, *Berenike and the Ancient Maritime Spice Route*, California 2011, 7 ff; IDEM, "Late Roman Berenike", *JARC* 39 (2002) 217 ff.; M. ROSTOVTZEFF, *The Social and Economic History of the Hellenistic World*, Vol. I, Oxford 1940, 384; G. W. MURRAY and E. H. WARMINGTON, "Trogodytica: The Red Sea Littoral in Ptolemaic Times", *GJ*. Vol. 133, No. 1, Mar. 1967, 28.

(٥) ADAMS, *Land Transport in Roman Egypt,* 221.

عام ٢٠٠٧م وأشار فيها إلى أن أرشيف نيكانور مكون من حوالى ثمان وثمانين قطعة اوستراكا، وأيضاً ماك لافلين فى دراسة حديثة صدرت له عام ٢٠١٠م[٦] حيث يشير إلى أن ذلك الأرشيف مكون من ثمان وثمانين قطعة أوستراكا؛ ما يعني أنه حدث مزيد من الاكتشافات الأثرية، وهو ما يؤدي إلى مزيد من المعلومات المهمة حول هذا الأرشيف وأهميته في إلقاء الضوء حول تاريخ النقل والتجارة في مصر في مستهل العصر الروماني، لاسيما بين موانئ نهر النيل ونظائرها على البحر الأحمر[٧]. وهذا ما يمكن اعتباره سببًا مشروعاً لإعداد هذه الدراسة لبيان قيمة هذا الأرشيف التاريخية وأهميته التجارية بالنسبة لموانئ نهر النيل والبحر الأحمر (البحر الإريتري) المصرية لاسيما في القرن الأول الميلادي، استناداً إلى المصادر التاريخية والبردية والأوستراكا.

وهذا الأرشيف يلقي الضوء أيضاً على الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية بين مدن نهر النيل وبين موانئ البحر الأحمر (البحر الإريتري). فأدامز كولين ADAMS COLIN، استناداً إلى بليني، يشير في دراسته عن النقل[٨] إلى أن الأخير لم يشر للطريق من قفط إلى ميوس هورموس مثلما أشار لذلك الطريق المؤدي من قفط إلى بيرنيقي[٩]. ما قد يؤدي إلى الاعتقاد بأن الطريق الأخير كان الطريق الرئيس من نهر النيل إلى البحر الأحمر (البحر الإريتري) في ذلك الوقت. في حين أن سترابون يشير إلى أن بيرنيقي لم تكن من الموانئ اليسير الوصول إليها فى أوائل العصر الروماني؛ وفي المقابل يكرر ذكره لميناء ميوس هورموس عدة مرات عند الحديث عن التجارة الشرقية ما قد يؤدي بدوره إلى الاعتقاد بأن ميوس هورموس كانت الميناء المصري الرئيس على البحر الأحمر (البحر الاريتري) في تجارة مصر مع الشرق، لاسيما وأن هناك إشارات محدودة لميناء ميوس هورموس لدى الرحالة اليوناني المجهول في مؤلفه عن البحر

---

(٦) R. MCLAUGHLIN, *Rome and the Distant East: Trade Routes to the Ancient Lands of Arabia*, London, 2010, 16.

(٧) لتتبع أحدث وثائق هذا الأرشيف والتي بلغت حتى الآن تسعين وثيقة، راجع الموقع الأكاديمي التالي: http://www.trismegistos.org/arch/detail.php?tm=154&i=2

(٨) ADAMS, *Land Transport in Roman Egypt.*, 39-40.

(٩) H. PARKINS and C. SMITH, *Trade, Traders and the Ancient City*, New York, 1988, 176.

الإريتري[١٠]، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن الكشوف الأثرية التي قام بها عدد من العلماء[١١] أماطت اللثام عن عدد من الوثائق فضلاً عن المواقع الأثرية، والتي أمدت الباحثين بالكثير من المعلومات عن تلك المناطق، التي قد تؤيد أو تغير ما سبق اعتقاده، حيث يكشف لنا أرشيف نيكانور عن أهمية كل من ميناء ميوس هورموس وبيرنيقى على حد سواء وذلك فى ضوء الوثائق التى تشير إلى عمليات نقل قامت بها شركة نيكانور إلى كلا الميناءين على حد سواء.

أولاً: تحليل محتويات أرشيف نيكانور:

يجدر بنا في البداية أن نتعرف محتويات أرشيف نيكانور، نحللها تحليلاً علمياً، لما له من أهمية وثيقة الصلة بموضوع الدراسة.

يتكون أغلب هذا الأرشيف من إيصالات تسليم بضائع غالبًا ما كانت موجهة إلى الشخص الأكثر ذيوعًا في تلك الوثائق والذي نسب إليه الأرشيف، أي نيكانور؛ فهو يعد أكثر أفراد هذه الأسرة نشاطاً، ويدل على ذلك كثرة ما وجهت إليه تلك الإيصالات. وهذه الإيصالات جميعاً كتبت باللغة اليونانية، وتوضح نشاط تلك الأسرة (آل نيكانور) الذي امتد لما يقرب من ستين عاماً (٦ ق.م.– ٦٢م). فقد امتلك أفراد تلك الأسرة قافلة تتكون من قرابة ثلاثين رأساً من الإبل[١٢] أخذت على عاتقها النقل من قفط الواقعة على نهر النيل إلى أحد مينائي البحر

---

(١٠) *The Periplus Maris Erithraei*, ed. L. CASSON, Princeton, 1989.

(١١) SIDEBOTHAM, *Berenike*.

(١٢) A. BOWMAN and A. WILSON, *Quantifying the Roman Economy: Method and Problems*, Oxford, 2009, 192؛ كان الجمل من الحيوانات شائعة الاستخدام وسيلة نقل برية على نحو كبير في منطقة الشرق الأدنى وشمال إفريقيا، ومنها مصر بطبيعة الحال، في العصر الروماني وقبل الفتح العربي لمصر. وقد كان الجمل والحمار من الحيوانات المستخدمة في مصر بصفة خاصة في النقل بالعربات. ويفترض بعض المؤرخين أن تربية الإبل كانت تتم في المقام الأول في الصحراء الشرقية، أي شرقي إقليم طيبة، لأغراض تجارية بحتة سرعان ما شملت أغراضاً عسكرية أيضا إلى جانبها، ومن هناك انتشر نحو الجنوب. جدير بالذكر أن استخدام الجمل في مصر يعود إلى منتصف القرن الثالث ق.م. حيث ورد ذكره في إحدى برديات أرشيف زينون، وربما قبل ذلك التاريخ أيضا. لمزيد من المعلومات عن الجمال ودورها في النقل والتجارة في مصر في العصر الروماني انظر *P. Lond.*, VII, 2179; *P. Cair. Zen.*, V,=

الإريتري، إما ميوس هورموس أو بيرنيقي وبالعكس. وكانت قفط مقرًا لشركة النقل الخاصة بهم حيث إن الإيصالات كانت توقع في الميناء لتفيد أن البضائع قد وصلت سالمة من خلال الوكلاء، وتسلم هذه الوثائق في قفط، المقر الرئيس للشركة، لتسلم ثمن تكاليف النقل[١٣].

وهنا لابد لنا أن نقف قليلاً أمام تلك الإيصالات لدراسة صيغها لما يمثله من أهمية في الموضوع. فبدراسة تلك الصيغ نجد أنها جرت على نحو يكاد يكون متشابهًا؛ حيث كانت الخطوط العامة للإيصالات التي استخدمتها شركة نيكانور على النحو التالي:

- الصيغة الافتتاحية: وهي من الطرف المتعاقد (الوكيل لأعمال التاجر) ويأتي في حالة الفاعل أو أحياناً تعبير (δεῖνος) διὰ عن طريق (فلان) وهنا تشير إلى الموظف الذي قام بالاستلام، إلى نيكانور Νικάνορι (أو أحد أفراد الأسرة) ويكون في حالة القابل. وقد وصف نيكانور في إحدى الوثائق بأنه راعي إبل (καμη(λοτρόφῳ[١٤].
- ثم يليها التحية χαίρειν .
- يلي ذلك موضوع الإيصال وهو إفادة بالحصول على البضاعة المنقولة، وتتكون من صيغة الاستلام المشهورة وهي حصلت أو تسلمت منك (أو منكم) ἔχω παρὰ σοῦ (ὑμῶν)

وهناك عدد من الأفعال (أو الأزمنة) التي نجدها في الإيصالات للإشارة إلى التسلم وهى: ἀπέχω أو παρέλαβον أو[١٥] παρειλήφαμεν أو ἔλαβον

=59835; R. S. BAGNALL, "The Camel, the Wagon and the Donkey in Later Roman Egypt", *BASP* 22, 1985, 1-6; ADAMS, *Land Transport in Roman Egypt*, 111.

(١٣) FUKS, *Notes on the Archive of Nicanor*, 313

(١٤) *O. Petr*. 225, (Coptos, 19A. D.), 2; Αὖλος Γαβείνιος Ἀγαθόπους Νικάνορι Πανῆτος καμη(λοτρόφῳ). وعلى ما يبدو أن نيكانور قبل أن يمتلك تلك الشركة للنقل كان في بادئ الأمر مسؤولاً عن تغذية الجمال ورعايتها فظلت تلك الصفة في الأذهان ما دعا إلى تلقيبه بها كما حدث في هذه الوثيقة.

(١٥) *O. Petr*. 276 (Myos Hormos, 50 A.D.) 2. جدير بالذكر أن كاتب ذلك الإيصال مال إلى استخدام الفعل في زمن الماضي التام للفعل παραλαμβάνω وهو ما لم يكن شائعا في كتابة الإيصالات.

وقد يكتب في صيغة إقرار ὁμολογῶ ἔχειν[١٦].

- ويعقب ذلك الإشارة إلى مكان تسلم الشحنة سواءً ἐπὶ Βερενείκης أو ἐπὶ Μυὸς Ὅρμου

وتحدثنا الوثائق في بعض الأحيان عن كل من الجهة التي تم منها الشحن ومكان الاستلام فعلى سبيل المثال قد نجد[١٧] ἐπὶ Βερενείκης ἃ ὑμῖν ἐπέθηκα ἐπὶ Κόπτου.

- ثم نوع وكمية تلك البضاعة
- ثم يوضح أن عملية الشحن هذه تمت لحساب (فلان) ويذكر اسم التاجر (εἰς τὸν λόγον δεῖνος).
- وفي الختام يكتب التاريخ والسنة (ἔτους). ثم يليها الشهر μηνὸς واليوم.

جدير بالذكر أنه في بعض الوثائق قد نجد إشارة إلى من قام بكتابة الإيصال نيابة عن الشخص المسؤول وذلك ربما لعدم إلمامه بالقراءة والكتابة أو ربما باللغة اليونانية التي كتبت بها تلك الإيصالات، ولا تخبرنا الوثائق بأبعد من ذلك[١٨].

ففي إحدى الوثائق نجد أن كرونيوس بن هرميوس قد كتب نيابة عن سيدة تدعى ايزيدورا بنت مينودروس Ἰσιδώρα Μηνοδώρου (ظهرت وكيلة لأحد التجار في ميناء ميوس هورموس).

Κρόνιος Ἑρμίου ἔγραψα ὑπὲρ αὐ[τ]-ῆς.[١٩].

بينما كتب آخر عنها ويدعى اثيانيوس بن كابا (؟) موضحًا أنها لا تعرف الكتابة

Ἀθή[ν]αιος Καπα ( )

---

(١٦) *O. Petr*. 297 (Berenice, 41-50 A.D.) 2

(١٧) *O. Petr*. 224 (Berenice, 6 A.D.)

(١٨) لمزيد من المعلومات عن أولئك الذين يجهلون القراءة والكتابة انظر : C. YOUTIE, "Ὑπογραφεύς: the Social Impact of illiteracy in Graeco-Roman Egypt", *ZPE* 17, 1975, 201-221; IDEM, Because they do not know letters, *ZPE* 19, 1975, 101-108.

(١٩) *O. Petr*. 244, 5-6 (Myos Hormos, 36 A. D.).

ἔγραψα ὑπὲρ αὐτῆς διὰ τὸ μὴ εἰδέναι
α[ὐτὴν γ]ράμματα.[٢٠]

وقد يعهد البعض إلى أشخاص آخرين للكتابة نيابة عنهم بدلاً من الوقوع في عدد من الأخطاء الكتابية مثلما نرى في عدد من الوثائق الأخرى. فنجد أن الكاتب وقع في أخطاء قد تكون نحوية، مثل أن يأتي بالمضاف إليه للتعبير عن حالة القابل[٢١]، أو الفاعل بدلاً من القابل[٢٢]؛ بينما في أحيان أخرى نجد أنه قد يضاف حرف ι دون ضرورة لغوية، فنجد كلمة ἔχωι قد كتبت بدلاً عن ἔχω أو ἀπεχωι بدلاً عن ἀπέχω [٢٣] وهذه الحالة كثيرة التكرار في وثائق ذلك الأرشيف ما يسترعى الانتباه بأنه ليس خطأً فرديًا بل قد تكون ظاهرة لغوية.

وقد تكون بعض الأخطاء الكتابية قد وقعت نتيجة للتأثيرات الصوتية مثل كلمة αιχω بدلاً من[٢٤] ἔχω حيث إن التبادل الصوتي بين αι و ε كان شائعاً فى تلك الفترة[٢٥]. فضلاً عن ظاهرة لغوية أخرى عرفت ب اليوتاسيزم iotacism وهى عبارة عن تبادل صوتى لبعض أحرف العلة، سواء المفردة أو المزدوجة والتى تعطى نفس الصوت لحرف اليوتا "ι"[٢٦].

وهناك عدد أخر من الملاحظات على اللغة التى كتبت بها تلك الوثائق، وهى بكل يقين تلقي الضوء على فترة من الفترات المهمة في تاريخ تطور اللغة، وكذلك على ثقافة وتعليم طبقة من طبقات الشعب آنذاك. ففي وثيقة أخرى نجد أن الكاتب نهج نهجاً لم يكن متبوعًا في إيصالات التسليم والتسلم وإنما أشبه بالعقود والكتابات الرسمية، فقد ذيل الإيصال كلا الموظفين اللذين

---

(٢٠) *O. Bruess Berl*. 7, 4-5 (Coptos, 41 A.D.)

(٢١) *O. Petr*. 234, (Coptos, 30 A.D.)

(٢٢) *O. Petr*. 230, 1 (Berenice, 28 A.D.)

(٢٣) على سبيل المثال لا الحصر انظر: *O.Petr*. 233 (Myos Hormos, 29 A.D.); 248 (Myos Hormos, 26-7 A.D.); 249 (Coptos, b25 A.D.)

(٢٤) *O. Petr*. 268, (Berenike, 44 A.D.); *O. Petr*. 270 (Berenike, 44 A.D.).

(٢٥) T. GIGNAC, *A Grammar of the Greek Papyri of the Roman and Byzantine Periods,* vol. I, Milano, 1975, 249 ff.

(٢٦) GIGNAC, *A Grammar*, vol. I, 189; *O. Petr*. 280, (Berenike, 53) ἰς for εἰς

تسلما الشحنة بالتوقيع على صحة ما جاء بالإيصال.

Δίδυμος Τιβερίου Κλαυδίου Θεọδῴρọ(υ)

σεσημείωμαι ὡς πρọ́(κειται).[٢٧]

Ἑρμῆς Τιβερίου Κλαυδίου

Ἀγαθοκλέους σεσημείωμαι ὡς πρọ́(κειται).[٢٨].

لقد ساعدت صيغ تلك الإيصالات ليس فقط في الكشف عن مثل ذلك النشاط من النقل البري فحسب، بل أتاحت الفرصة لمعرفة نوعية البضائع المنقولة وكمياتها فضلاً عن إلقاء المزيد من المعلومات حول أسماء الوكلاء والتجار الذين تعاملوا مع شركة نيكانور ووردت أسماؤهم في الإيصالات.

ثانياً: القائمون على التجارة والنقل في أرشيف نيكانور:

أقام نيكانور بن بانيس Νικάνωρ Πανῆτος شراكة بينه وبين أحد الأشخاص ويدعى بيتيازميفيس[٢٩] Πετεασμῆφις ثم بدأ ذكر اسم الأخير يتلاشى من الوثائق. بينما أخذ اسم نيكانور في السطوع متعهداً للنقل هو وأفراد أسرته، حيث نراه يظهر في الوثائق هو وأخوه فيلوستراتوس Φιλοστράτως وأخ ثالث لهما يدعى أبوللوس Ἀπολλῶς فضلاً عن اثنين من أبناء نيكانور هما بتياربوقراتيس Πετεαρποχράτης وميريسيس Μιρῆσις حيث تولوا الإشراف على شركة للنقل كما سبقت الإشارة إليه، حسبما ورد في الوثائق. وهذا ربما يشير إلى انتهاء الشراكة بين نيكانور وبيتيازميفيس، أو إلى توسع نشاط شركة نيكانور بما غطى على نشاط بيتيازميفيس، أو ربما يكون بسبب وفاة الأخير أو لسبب آخر.

وجدير بالملاحظة أنه ليس من اليسير التكهن هل هؤلاء الأفراد من أصل إغريقي أم

---

(٢٧) *O. Petr*. 276, (Myos Hormos, 50 A.D.) 7-8

(٢٨) *O. Petr*. 276, (Myos Hormos, 50 A.D.) 9-10.

(٢٩) *O. Petr*. 223 (Myos Hormos, 6 A.D.); 224 (Berenice, 6 A.D.)

مصري ؛ فإسم الأب بانيس هو اسم مصري في حين أن أسماء أبنائه إغريقية ، ثم يأتي الجيل الثالث ليحمل أحدهم ، وهو بيتيحاربوقراتيس ، إسماً ممتزجاً بين المصرية واليونانية[٣٠].

وقد ساعدت صيغ إيصالات هذا الأرشيف في الكشف عن نشاط النقل البري لهذه الشركة ما بين موانئ نهر النيل وموانئ البحر الإريتري ، وأتاحت الفرصة لمعرفة نوعية البضائع المنقولة وكمياتها فضلاً عن إلقاء المزيد من المعلومات حول أسماء الوكلاء والتجار الذين تعاملوا مع شركة نيكانور ووردت أسماؤهم في الإيصالات ، ولعل أشهرهم هو ماركوس بن يوليوس الإسكندر[٣١] Μάρκος Ἰουλίου Ἀλεξάνδρου ، وهو أخ لوالي مصر تيبيريوس بن يوليوس الاسكندر Τβιερίος Ἰουλίου Ἀλεξάνδρου[٣٢]. ويظهر من خلال الوثائق أن نشاطه قد امتد في الفترة من ٣٧م وحتى ٤٤م تقريباً. وهي ذات الفترة التي كان أخوه تيبريوس يشغل منصب مدير إقليم طيبة (إبيستراتيجوس) ἐπιστράτηγος قبل توليه منصب والي مصر ἐπάρχος Αἰγύπτου[٣٣]. وقد تنوع نشاطه التجاري فيما بين مينائي ميوس هورموس[٣٤] وبيرنيقي[٣٥] كما تنوعت البضائع المنقولة لصالحه ما بين جلود[٣٦] διφθέρα وأخشاب الزيزفون φιλυρίναι[٣٧] والحبال[٣٨] σχοινία فضلاً عن السلع الغذائية الأساسية وعلى رأسها بطبيعة

---

(٣٠) FUKS, *Notes on the Archive of Nicanor*, 312.

(٣١) *O. Petr.* 266 (43 A.D.); 267 (43 A.D.); 268 (44 A.D.); 271 (43/44 A.D.).

(٣٢) ADAMS, *Land Transport in Roman Egypt*, 223; SIDEBOTHAM, *Roman Economic Policy in Erythra Thalassa, 30 B.C.- A.D. 217*, Leiden, 1986, 84. كان تيبيريوس يوليوس الإسكندر والي مصر أثناء حكم الإمبراطور نيرون والأسرة الفلافية ، ويقال إنه حفيد المؤرخ فيلون. لمزيد من المعلومات انظر : SIDEBOTHAM, *Berenike*, 7

(٣٣) ADAMS, *Land Transport in Roman Egypt*, 224.

(٣٤) *O. Petr*. 266 (Myos Hormos, 43 A.D.); *O. Petr*. 271 (Myos Hormos, 43-44 A.D.); *O. Petr*. 282 (Myos Hormos, 43 A.D.).

(٣٥) *O. Petr*. 252 (Berenice, 37 A.D.); *O. Petr*. 267, Berenice, 43 A. D.).

(٣٦) *O. Petr*. 252 (Berenice, 37 A.D.).

(٣٧) *O. Petr*. 267, Berenice, 43 A.D.).

(٣٨) *O. Petr*. 282 (Myos Hormos, 43 A.D.).

الحال القمح πῦρός[٣٩].

وقد وردت أسماء أخرى أيضاً مثل ديماس Δυμᾶς وهو عبد إمبراطوري ظهر اسمه في عدد من الوثائق[٤٠] التي تفيد استلامه كميات من الشعير κριθῆ[٤١]، بينما تفيد وثيقة أخرى باستلامه أيضًا كمية أخرى من الشعير. ولكن اللافت للنظر في تلك الوثيقة[٤٢]، أنها موقعة من قائد الحاميات الرومانية الذي يشغل منصب قائد المائة[٤٣] ἑκατοντάρχης، ما أدى للاعتقاد أن شركة نيكانور كان لها دور ما في الإمدادات الغذائية التي كانت تقدم للحاميات العسكرية الرومانية في الصحراء الشرقية[٤٤]، وهي الحاميات التي لها تاريخ طويل بالمنطقة منذ عهد أغسطس[٤٥]. وقد بلغ اهتمام اكتافيانوس بمنطقة موانئ ومناجم البحر الإريتري أنه وضعها تحت

---

(٣٩) *O. Petr*. 266 (Myos Hormos, 43 A.D.); *O. Petr*. 271 (Myos Hormos, 43-44 A.D.)

(٤٠) *O. Petr*. 280; 285; 288.

(٤١) *O. Petr*. 280 (Berenice, 52 A.D.). استلم ستة اردبات من الشعير.

(٤٢) *O. Petr*. 285, (Berenice, 53 A.D.). Γάῖος Ἑρέννιος (ἑκατοντάρχης) σ[εσημείωμαι.]

(٤٣) هو قائد في الجيش الروماني رفيع المستوى ولقبه مركب من الكلمتين اليونانيتين εκατον بمعنى مائة و αρχης بمعنى قائد وهو ما يقابل في اللاتينية كلمة Centurion . وجدير بالذكر أن أغسطس قد خصص لمنطقة بيرنيقي ضابطا يحمل لقب قائد بيرنيقي Praefectus Berenices وكان يشرف على إدارة المنطقة ويشرف على المحاجر والمناجم بمساعدة مشرف procurator وكانت الفرقة العسكرية تتكون نظريا من ٦٠٠٠ جندي ولكن في الحقيقة العدد أقل من ذلك وكل فرقة تنقسم إلى ١٠ كتائب Cohoros بها ٦٠٠ جندي وكل كتيبة تنقسم إلى ٦ سرايا Centuriae وكل سرية Conturia بها مائة جندي وكان قائد المائة Centurion هو قائد لسرية كما يظهر من اسمها تتكون من مائة جندي. وقد ظل الاسم كذلك وإن نقص عدد أفرادها إلى ٩٠ ثم إلى ٧٠. انظر: آمال الروبي، مصر في عصر الرومان، دراسة سياسية واقتصادية اجتماعية في ضوء الوثائق التاريخية، ٣٠ ق م - ٢٨٤م، (القاهرة: ١٩٨٠م)، ٥٧-٥٨. انظر أيضا: R. ALSTON, *Soldier and Society in Roman Egypt: A Social History*, New York, 1995, 87; S. SIDEBOTHAM, M. HENSE, and H. NOUWENS, *The Red Land: Illustrated Archaeology of Egypt's Eastern Desert*, Cairo 2008, 170.

(٤٤) A. COLIN, Supplying the Roman Army: *O. Per.* 245, *ZPE* 109, 1995, 119-124; SIDEBOTHAM, *Roman Economic Policy*, 92; J. LESQUIER, L'armée romaine d'Égypte d'Auguste à Dioclètien, *Mèmo. IFAO,* 41, 1918, 49 f.

(٤٥) من المعروف أن أغسطس وضع بالمعسكر الذي أقامه فى نيقوبوليس Nicopolis فرقة رومانية، وهى الفرقة الثانية والعشرون التي أضيف إلى رقمها فيما بعد اسم ديو طاريانا Legio XXII Deiotariana، =

إمرة ضابط يحمل لقب قائد بيرنيقي Praefectus Berenices أو قائد جبل بيرنيقي Praefectus montis Berenicidis، الذي كان من ضمن مهامه قيادة الحاميات التي وضعت لحراسة المناجم وتأمين الطرق الصحراوية بين النيل والبحر الإريتري[٤٦]. وعلى هذا فإن توقيع قائد عسكري على إيصالات استلام من شركة نيكانور أمر له وجاهته عملياً.

=وعززها بثلاث كتائب من المشاة Cohortes ؛ ثم وضع أوكتافيانوس فرقة رومانية أخرى عند بابليون (مصر القديمة). وكان لابد من وضع فرقة عسكرية أخرى في مركز الثورات المصرية ضد البطالمة، أي في طيبة، مركز عبادة الإله آمون، ومن المرجح أن هذه الفرقة هي فرقة قورينة الثالثة Legio III Cyrenaica التي تشير الوثائق إلى أنه عززها بثلاث كتائب مساعدة رابطت على الحدود النوبية عند سيينى (أسوان). كما قام أغسطس بتوزيع ثلاث كتائب أخرى مساعدة في بقية أنحاء مصر ؛ ومن المرجح أنها رابطت عند مداخل إقليم أرسينوى (الفيوم) Arsinoe، وهرموبوليس الكبرى Hermopolis Magna (الأشمونيين)، التى كانت محطة جمركية مهمة للسلع الواردة من مصر العليا، وقفط Coptes، مثل ميوس هورموس Myos Hormos وبيرنيقي Berenice، ولمنتجات المناجم والمحاجر المنتشرة بالصحراء الشرقية بين النيل والبحر الإريتري. انظر: رأفت عبد الحميد وطارق منصور، *مصر في العصر البيزنطي*، (القاهرة: ٢٠٠٢م)، ٢٢٥ ؛ عبداللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، (القاهرة : ١٩٩٣م)، ٤٣ – ٤٦ ؛ أمال الروبي، *مصر في عصر الرومان*، ٥٥ -٥٧. ولمزيد من الدراسات المهمة عن الجيش الروماني عامة راجع الموقع التالي الذي يحوي مئات الدراسات حول الموضوع: http://www.csun.edu/~hcfll004/armybibl.html

(٤٦) كانت قفط نقطة تجمع وتوزيع هامة للبضائع الآتية من موانى البحر الإريتري، وكذلك منتجات المناجم والمحاجر العديدة بجبال صحراء مصر الشرقية بين النيل والبحر الإريتري، و يذكر "سترابو" أنه بعد اكتشاف الرياح الموسمية بدأت "قفط" تحل محل "ادفو" (أبوللونوبوليس) مركزاً تجارياً تجمعت فيه كل البضائع الهندية والعربية والإثيوبية، وكانت تتمركز فيها فرقة عسكرية رومانية. وعلى أية حال فالمصادر التاريخية تشير إلى مرابطة الوحدات العسكرية الرومانية منذ بداية القرن الأول الميلادي بالقرب من المحاجر الشرقية مثل وادي الحمامات ومونس كلاوديانوس، وأن هذه الكتائب العسكرية ظلت موجودة بها منذ القرن الأول الميلادي وحتى عهد الإمبراطور " الإسكندر سيفيروس" (٢٢٢-٢٣٥م) ؛ كما تشير النقوش اليونانية واللاتينية التي ترجع إلي نهاية حكم أغسطس وبداية حكم تيبيريوس إلي وجود كتيبة الاترورين الثالثة في وادي أم ويكالة وظلت هذه الوثائق تشير إلي وجود هذه الكتيبة خلال الفترة من (١٥٠– ١٥٣م)، بالإضافة إلى كتيبة "الفلوريين" وكتيبة "تراقيا موريتانا" التي كانتا تعسكران خلال بداية القرن الأول الميلادي بالقرب من منطقة أم ويكالة. انظر عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، ص ٤٥ – ٤٦ ؛ H. BARNARD, J. A. HARRELL, R. S. TOMBER, and S. E. SIDEBOTHAM, "The Roman Quarry and Installations in Wadi Umm Wikala and Wadi Semna", *JEA* 87 2001, 140.

على أية حال، تؤكد إحدى وثائق ذلك الأرشيف[٤٧] المنسوبة إلى أبوللوس هايدريوما ἐν Ἀπόλλω(νος) Ὑδρεύμ(ατι)[٤٨]، التي تعد المحطة الخامسة في الطريق بين قفط وبيرنيقي، التعاملات الحكومية مع شركة نيكانور للنقل عبر الصحراء الشرقية، وهذه الوثيقة عبارة عن إيصال من جايوس Γάιος يفيد استلامه شحنة من القمح العام πυρο[ῦ δημοσίου γόμον من فيلوستراتوس[٤٩] عن طريق موظفه كاستور δι(ὰ) Κάστορος. وعبارة "شحنة قمح عام" هنا توضح أنه ليس نقلاً لبضائع شخصية، ولكن تبدو وكأنها مخصص رسمي من قبل الحكومة الرومانية[٥٠].

كما نجد عنصرًا نسائيًا يلعب دورًا في وثائق هذا الأرشيف ألا وهي ايزيدورا بنت مينودوروس[٥١]. حيث ظهرت وكيلة لأحد التجار ويدعى جايوس ابن نوربانوس Γαίος Νορβανοῦ وقد جاء ذكرها ثلاث مرات. فقد ذكرت في إيصالين أحدهما إيصال بالاستلام موجه إلى أبوللوس بن بانيس أخو نيكانور بشأن استلام كمية من العقاقير[٥٢]، بينما الآخر موجه

---

[٤٧] *O. Petr*. 245; ADAMS, Supplying the Roman Army, 121.

[٤٨] هايدريوما كلمة يونانية تعنى بئر ماء أو صهريج، وهى إشارة إلى أن هذا المكان هو احد المحطات التي أنشأها الرومان للمسافرين للتزود بالمياه وهى تبعد حوالي ١٨٤ ميلا رومانيا عن قفط، كما ورد عن بلينى الأكبر. لمزيد من المعلومات انظر: Pliny the Elder, *The Natural History*, ed. J. BOSTOCK and H. T. RILEY, Vol. II, London 1855, 64; Cf. also Pliny the Elder, *The Natural History*, ed. and Eng. trans. H. RACKHAM and W. H. S. JONES, Vol. II, Cambridge Mass., Harvard University Press, 1947, 417; ADAMS, *Land Transport in Roman Egypt*, 37-38; SIDEBOTHAM, *Berenike*, 108.

[٤٩] كان أخاً لنيكانور ولعب دورا في إدارة شركتهم خاصة في الفترة من ٢٦ م- وحتى ٣٣م فلا نجد له إشارة في الوثائق عدا تلك الفترة.

[٥٠] *O. Per*. 245; ADAMS, *Supplying the Roman Army*, 121.

[٥١] M. G. RASCHKE , New Studies in Roman Commerce with the East, ANRW, Geschichte und Kultur Roms im Spiegel der Neueren Forschung, Part. 2, New York, 1980, 847

[٥٢] *O. Petr,* 244(Myos Hormos, 36 A.D.).

إلى بيتحاربوقراطيس بن نيكانور[٥٣]، وهو أيضاً إيصال باستلام كمية من العقاقير؛ بينما في المرة الثالثة نفتقر إلى اسم التاجر الذي تعمل وكيلة له وفي هذه المرة نجد الإيصال بشأن استلام ثلاثة أردبات من القمح λόγον πυροῦ ἀρτάβας τρεῖς[٥٤].

ولم يكن ذلك مستغرباً على المرأة أن تلعب دوراً في النشاط التجاري[٥٥]، فعلى سبيل المثال نجد في أحد النقوش أن كلا من إيليا ايزيدورا وإيليا أوليمبياس قد وصفتا بأنهما ذواتا مقام رفيع وتاجرات في البحر الإريتري[٥٦].

كذلك تجدر الإشارة في ذلك الأرشيف إلى عدد من المواطنين الرومان الذين كان لهم نشاطُ ملحوظُ في التجارة في ميوس هورموس وهم: تيبيريوس كلاوديوس اجاثوكليس Τιβέριος Κλαύδιος Ἀγαθοκλέους[٥٧] وجايوس يوليوس باكخيلوس Γαΐος Ἰούλιος Βακχύλος[٥٨] فضلاً عن جايوس نوربانوس Γαΐου Νορβανοῦ[٥٩]. ويبدو أن هذا الأخير

---

(٥٣) *O. Petr*. 257 (Myos Hormos, 37-41 A.D.).

(٥٤) *O. Bruss*, 7 , 2-4.

(٥٥) G. K. YOUNG, *Rome's Eastern Trade: International Commerce and Imperial Policy, 31 BC-A.D. 305*, New York 2001, 53. وهناك العديد من الدراسات التي اهتمت بدور المرأة في الحياة الاقتصادية ومنها على سبيل المثال: D. HOBSON, "Women as Property Owners in Roman Egypt", *TAPA* 113, 1983, 311-321; J. SHERIDAN, "Not a Loss for words: The Economic Power of Literate Women in Late Antique Egypt", *TAPA* 128, 1998, 189-203; H. MELAERTS and L. MOOREN, "Le rôle et le statut de la femme en Égypte hellénistique, romaine et byzantine," *Actes du colloque international*, Paris 2002; A. ARIAVA, *Women and Law in Late antiquity*, Oxford, 1996.

(٥٦) *SB* V, 7539= *SEG*, VIII, 703

Αἰλία Ἰσιδώρα καὶ Αἰλί[α]
Ὀλυμπιὰς ματρῶναι
στολᾶται, ναύκληροι κα[ὶ]
[ἔμπο]ροι Ἐρυθραϊκαί,

(٥٧) *O. Petr*. 275, 276.

(٥٨) *O. Petr*. 228, 291.

(٥٩) *O. Petr*. 244, 257.

امتد نشاطه بين قفط وميوس هورموس، وهو ما تؤكده الشواهد الأثرية[٦٠]، فقد اكتشفت أعداد من القوارير amphorae في مدينة قفط منقوشاً عليها الحرف الأول من الاسم يليه اسم نوربانوس C. Norbanu . ويبدو أن هذه القوارير تشير إلى نفس الشخص وأنه مثل نيكانور قد اتخذ من قفط مقراً لنشاطه التجاري[٦١].

ومن الأسماء التي تعدد ذكرها في وثائق هذا الأرشيف أيضا بامينيس ابن بارثينيوس Παμῖνις τοῦ Παρθενίου والذي نرى من خلال الوثائق أنه كان تاجراً نشطاً في كلا الميناءين ميوس هورموس[٦٢] وبيرنيقي[٦٣] وله وكلاء في كل منهما[٦٤].

ثالثاً: البضائع التجارية في ضوء أرشيف نيكانور:

هنا ينبغي أن نفترض أن نقل شركة نيكانور للبضائع قد يكون إما نقل بضائع وسلع جاءت عبر نهر النيل إلى قفط ومنها إلى موانئ البحر الإريتري، أو نقل سلع شرقية جاءت بها السفن من بلاد الصين والهند والحبشة والصومال وبلاد العرب إلى موانئ البحر الإريتري المصرية، ومن هناك تتولى شركات النقل البري نقلها إلى موانئ ومدن مصر الداخلية ومنها إلى الأسواق المحلية أو إلى الإسكندرية؛ حيث كانت تأتي السفن من اليمن محملة بالبخور، وعود الند، والمر، والعطور؛ ومن الحبشة خيار شنبر والبخور وسن الفيل والحيوانات المتوحشة والعبيد، حيث بيعت فتاة حبشية عمرها ١٢ عاماً بـ ٤ صولدات. كما كان استيراد الزمرد من البليمين "البجة" والبخور والتوابل والعبيد أيضاً من الصومال. ومن الهند استوردت مصر التوابل واللؤلؤ والسمسم والعطور والأعشاب الطبية، والفلفل والعاج وخشب الصندل. وذكر الرحالة

---

(٦٠) SIDEBOTHAM, *Roman Economic Policy*, 84, n. 24; J. SCHWARTZ, "L'empire romaine, l'Egypte, et le commerce oriental", *Annales Histoire, Sciences Sociales* 15, 1960, 29-30.

(٦١) SIDEBOTHAM, *Roman Economic Policy*, 84.

(٦٢) *O. Petr*. 228; 229 (Myos Hormos, 26 A.D.).

(٦٣) *O. Petr*. 231 (Berenice, 29 A.D.).

(٦٤) S. SIDEBOTHAM, *Roman Economic Policy*, 84.

كوزموس أن الزمرد كان يأتي أيضاً من هناك، كذلك استورد القطن؛ وتثبت بعض قطع النسيج المشغولة بخيوط القطن التي عُثر عليها في كرانيس أنها أحضرت أصلاً من الهند. ومن سيلان فكان أهم ما حمله التجار منها الأحجار الكريمة كاللؤلؤ وحجر الأمتاست. وأخيراً من الصين الحرير، ولكن في فترة متأخرة من العصر الروماني. ولهذا كانت بيرنيقي وميوس هورموس محطتي مكوس تجارية أيضاً على البحر الإريتري[٦٥].

أما عن البضائع المتبادلة بين موانئ نهر النيل والبحر الإريتري وشحنت عبر قوافل نيكانور، فتحدثنا الوثائق عن أصناف متنوعة ومتباينة في كمياتها؛ فعلى سبيل المثال يشير عدد من الوثائق إلى نقل كميات من الشعير، والقمح[٦٦]، والعقاقير، فضلاً عن الملابس ἱμάτια[٦٧]، والأخشاب[٦٨]، والأصباغ πορφύρα[٦٩]، وأنواع متميزة من النبيذ، إلى جانب بعض المعادن مثل القصدير κασσίτερος [٧٠].

وبالنسبة لنقل القمح فإن الكميات التي جرى نقلها تتراوح ما بين القلة والكثرة بما لا يجزم إذا ما كانت قد نقلت لتلك الموانئ بهدف التصدير أو الاستهلاك المحلى؛ فعلى سبيل المثال نجد في إحدى الوثائق أن الكمية المنقولة لا تتعدى إردباً واحداً[٧١]، ما يعضد الرأي القائل أن عمليات النقل التي كانت تضطلع بها شركة نيكانور لم تكن إلا للاستهلاك المحلى[٧٢]. ونجدها في أحيان أخرى تصل إلى مائة واثنين وثلاثين إردباً[٧٣]؛ حيث يرى روستفزف أن أرشيف نيكانور يقدم

---

(٦٥) زبيده محمد عطا، *الحياة الاقتصادية في مصر في العصر البيزنطي*، (القاهرة: ١٩٩٤م)، ١٨٥-١٨٦.

(٦٦) For example *O. Brux*. (Coptos, 41 A.D.); *O. Petr*. 228 (Myos Hormos, 26 A.D.); *O. Petr*. 230 (Berenice, 28 A.D.).

(٦٧) *O. Petr*. 254 (Berenice, 38 A.D.).

(٦٨) *O. Petr*. 267 (Berenice, 43 A.D.).

(٦٩) *O. Petr*. 264 (Berenice, 42 A.D.).

(٧٠) *O. Bodl*. II, 1968, (Coptos, ?).

(٧١) *O. Petr. 224 (Berenice, 6 A.D.)*.

(٧٢) Young, Rome's Eastern Trade, 64-5.

(٧٣) Adams, *Land Transport ın Roman Egypt*, 224; *O. Petr. 232, 4-5 (Coptos?, 29-30 A.D.)*; πυροῦ ἀρτάβας ἑκατὸν τριάκοντα δύο

صورة من صور التجارة مع الشرق وأن القبلة التي كانت تتوجه إليها تلك البضائع قصد بها الشرق والجزيرة العربية(٧٤)، إلا أن الكثيرين يشككون في كون الهدف من نقل مثل تلك البضائع إلى موانئ البحر الإريتري بهدف الاتجار والتصدير نحو الشرق. فيعتقد أنها كانت للاستهلاك المحلي من قبل السكان وطاقم البحارة الذين يرسون بسفنهم أثناء عمليات الشحن والتفريغ، فضلاً عن إمداد الاستراحات المقامة على الطرق المؤدية إلى الموانئ به، بالإضافة إلى إمدادات الحاميات العسكرية المقامة على طول الطرق هناك(٧٥).

فمن المعروف أنه كان يقع عدد كبير من الاستراحات على طول الطرق المؤدية من موانئ نهر النيل إلى موانئ البحر الأحمر، حيث اهتم الرومان بإنشاء الاستراحات علي الطرق الرئيسة من وادي النيل إلي البحر الأحمر وأهمها الطريق من "قفط" إلى "بيرنيقي" الذي كان يوجد به عشر استراحات مزودة بالمياه، مؤمنة بعيداً عن القراصنة، ومنها "هيدروما تروجودوتيكوم"، التي اكتشف بها آثار مبنيين من المباني الكبيرة التي تستوعب نحو ألفين من المسافرين. ومن المحتمل أنهم كانوا يؤجرون بها غرفاً يستريح فيها المسافرون أثناء انتظارهم شحن بضائعهم في السفن. وعلى ما يبدو، ونظرا لندرة مياه الشرب في بيرنيقي، فإن القائمين علي هذه الاستراحة كانوا يلتزمون بتوفير الحد الأدنى منها للمسافرين. وقد كان يوجد على سبيل المثال سبع استراحات علي الطريق من قفط وكينوبوليس إلي ميناء ميوس هورموس، من أهمها استراحة قنا القديمة علي بعد ٣٦ ميلاً رومانياً من قفط، وهي مزودة بخزان ماء كبير وبئر يليها استراحة "ساقية الطير" علي مسافة ٤٩ ميلاً رومانيًا، وتحتوي علي بئر وخزان ماء(٧٦).

لقد كانت المياه الصالحة للشرب هي المطلب الأول للمسافرين عبر الطريق الصحراوي، لذا فقد وفرت الاستراحات الممتدة علي هذا الطريق هذه المياه سواء من الآبار أو من الخزانات

(٧٤) Review of O. Bodl. I, 21–6., *Gnomon* 7, 1931, 23–26; CASSON, ROSTOVTZEFF, M. *The Periplus Maris Erithraei*, 97.

(٧٥) PARKINS and SMITH, *Trade, Traders*, 176.

(٧٦) G.W. MURRAY and E. H. WARMINGTON, "Trogodytica: The Red Sea Littoral in Ptolemaic Times", *GJ*. Vol .133, No. 1, Mar., 1967, 28 ff.

التي تنقل إليها المياه. وتعد المياه الجوفية هي المصدر الرئيس للمياه في الصحراء الشرقية علي الرغم من ملوحتها. ومن المحتمل أنه كان لكل استراحة بئر كبيرة خاصة بها، يصل قطرها في بعض الأحيان إلي ثلاثين متراً. ومن الأمثلة عليها بقايا الآبار في مونس كلاوديانوس والآبار الموجودة في استراحة دير الأطرش والساقية وغيرهما. ومن أشهر الاستراحات التي قامت نتيجة اكتشاف المياه بموقعها استراحة اللقيطة التي ورد ذكرها عند بليني باسم فينيقون[٧٧].

وفيما يخص نقل النبيذ فبما أنه لا يوجد دليل على زراعات للكروم في الإقليم الواقع به مدينة قفط في القرن الأول الميلادي[٧٨]، فإن هذا يشير بدوره إلى أن مدينة قفط لم تكن أكثر من مرحلة من مراحل نقل النبيذ. ويشير ما اكتشف من سدادات القارورات التي عثر عليها في قفط فضلاً عن الإشارات الواردة في أرشيف نيكانور إلى أنه ربما كان نيكانور يقوم بنقل النبيذ الخاص بنوربانوس السابق ذكره وآخرين إلى موانئ البحر الإريتري، إما للاستهلاك المحلي أو للتصدير إلى الجزيرة العربية وجنوب الهند[٧٩]؛ حيث يذكر موراي Murray أن السلع التي يتاجر فيها بين مصر والهند وبلاد العرب تنقل إلى موانئ البحر الإريتري عن طريق نهر النيل من قفط إلى موانئ البحر الإريتري على ظهور الجمال عبر طرق القوافل[٨٠].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التجارة الشرقية القادمة عبر البحر الإريتري كانت تصل إلي الإسكندرية بطريقين، إما أنها كانت تُحمل في السفن حتى نهاية البحر الإريتري عبر خليج هيرونوبوليس (خليج السويس الآن) ثم تحملها السفن النهرية إلي النيل مجتازة القناة التي عرفت

---

(٧٧) RONALD E., ZITTERKOPF, S. E. SIDEBOTHAM, "Stations and Towers on the Quseir-Nile Road", *JEA* 75, 1989, 163-164.

(٧٨) SIDEBOTHAM, *Roman Economic Policy*, 86, note 38. حيث يذكر نقلاً عن بارازوغلوا أن الأقاليم السبعة (هيبتانوميا) وارسينوى كانتا مناطق صالحة لزراعة الكروم على خلاف إقليم طيبة الواقع به مدينة قفط. انظر: G. M. PARASSOGLOU, "Imperial estates in Roman Egypt", *American Studies in Papyrology*, 18, Toronto, 1978, 44-47.

(٧٩) SIDEBOTHAM, *Roman Economic Policy*, 86.

(٨٠) A. C. JOHNSON, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian. An Economic survey of Ancient Rome*, vol. II, Baltimore, 1936, 381.

باسم قناة تراجان أو نهر تراجان[٨١]، نسبة للإمبراطور الروماني تراجان، التي كانت تربط نهر النيل من ناحية الفرع البيلوزي عبر وادي تميلات Wadi Tumilat وتتجه شرقًا نحو ما يعرف الآن باسم منطقة بحيرة التمساح أعلى مدينة القلزم القديمة التي كانت تقع على خليج هيرونوبوليس[٨٢]؛ وإما أنها كانت تفرغ في أحد الموانئ الجنوبية مثل ليوكوس أو بيرنيقي أو ميوس هورموس أو فيلوتيرا ثم تُحمل علي ظهور الدواب إلي قفط أو كينوبوليس، حيث تشحن في السفن النهرية وتنقل إلي الإسكندرية. ويبدو أن الطريق الثاني كان أوفق من الأول إذ إن بعض

---

(٨١) توجد أربعة نصب تذكارية نصبها الملك الفارسي دارا الأول (٥٢١- ٤٨٦ ق.م.) ليخلد بها ذكر البدء في شق هذه القناة. كما أن هيرودوت الذي زار مصر في منتصف القرن الخامس ق.م. أشار إلى وجود هذه القناة بالفعل، حيث سجل أن الفرعون نخاو الثاني (٦١٠-٥٩٥ ق.م.) هو أول من شرع في حفر قناة تربط بين نهر النيل والبحر الإريتري، غير أنه أقلع عن استكمال المشروع بعد أن مات من أجل تحقيقه ١٢٠,٠٠٠ مصرياً. حيث جاء الملك الفارسي دارا وأكمل حفر القناة، كما أشرنا من قبل. وقد أشار أرسطو إليها أيضا، الذي كتب في منتصف القرن الرابع ق.م. أن سيسوستريس Sesostris شرع في إكمال المشروع، لكنه توقف لاعتقاده بأن منسوب الأرض أدنى من منسوب البحر الإريتري. وجاء بطلميوس فيلادلفيوس (٢٨٥-٢٤٦ ق.م.) ليحتفل بشق القناة عبر وادي تميلات. وفي عام ٥٩ ق.م. عندما زار ديودوروس الصقلي مصر أشار إلى أن وجود قناة صناعية تمتد من النيل إلى البحر الإريتري، أي قناة تراجان. وطبقا لاسترابون فقد أتم هذه القناة البطالمة، وكان عرضها ٤٦ مترا وبعمق يسمح بإبحار السفن الكبار. وكان طولها يقرب من ٣٧,٥ ميلا رومانياً. وقد كتب الفلكي والجغرافي السكندري كلوديوس بطلميوس Ptolemaeus، أو بطليموس في القرن الثاني الميلادي أن قناة تجري من النيل إلى البحر الإريتري "نهر تراجان" ويشير إلى أن في يومه أنها بدأت من مجرى النيل الرئيس فوق مدينة بابليون. لمزيد من التفاصيل عن قناة تراجان راجع: J. P. COOPER, Egypt's Nile-Red Sea Canals: Chronology, Location, Seasonality and Function, in: *Connected Hinterlands: Proceedings of Red Sea Project IV, held at the University of Southampton, September 2008. Society for Arabian Studies Monographs 8,* eds. L. BLUE, J. P. COOPER, R. THOMAS, and J. WHITEWRIGHT, Oxford, 2009, 195 ff.; F. G. MOORE, "Three Canal Projects, Roman and Byzantine", *AJA* 54/2 (Apr.-Jun. 1950), 99-100; C. A. REDMOUNT, "The Wadi Tumilat and the 'Canal of the Pharaohs'", *JNES* 54/2 (Apr. 1995), 127-130.

(٨٢) TAREK M. MUHAMMAD, Clysma in the Literary and Documentary Arab Sources, in: *Proceedings of the International Symposium on the historical relations between Arabia and the Greek and Byzantine Worlds (5th century BC – 10th century A.D.)*, Greek Embassy in Riyadh and King Saud University, Riyadh 6-10 December, 2010.

الدلائل تشير إلي أن القناة التي كانت تربط بين النيل والبحر الإريتري لم تعد صالحة للملاحة قبل نهاية عصر البطالمة[٨٣].

على أية حال، تحدثنا الوثائق عن أنواع مختلفة من النبيذ مثل نبيذ لاديكينوس Λαδικηνὸς[٨٤] حيث نجد كرونيوس بن أندريوس وكيل أعمال شخص يدعى هرمويداس بن ديديموس يقدم إيصال استلام لنيكانور يفيد تسلمه مكيالين من هذا النبيذ؛ وأيضاً ἀμμιναῖος οἶνος[٨٥].

وفي بعض الأحيان نجد في وثيقة واحدة أنواعاً مختلفة من النبيذ شحنت. ففي إحدى الوثائق[٨٦] نجد أن بانيسكوس بن ايزيدوروس يحرر إيصالاً لكل من نيكانور وشريكه بيتازمفيس بأنه قد تسلم في بيرنيقي شحنتين من النبيذ الإيطالي ἀμμιναῖος οἶνος[٨٧] متمثلة في أربع كراميات فضلاً عن نوع آخر أطلق عليه اسم نبيذ بطلمى Πτολεμαϊκὸς οἶνος[٨٨] قد شحنت خمس وعشرون كرامية منه في شحنتين.

ومن المحتمل أن شركة نيكانور اضطلعت بالتجارة الخارجية مع الشرق أيضاً إلا أن ذلك لا يمنع أن تلك القوافل كانت تنقل بضائع لا يمكن تخيل كونها للتصدير، ولكن للاستهلاك المحلى سواء للموانئ المتجهة إليها هذه القوافل أو ربما لطاقم السفن لإعداد الطعام، ومنها على سبيل المثال نباتات عشبية، مثل الشبت ἄνηθον والذي لا يصلح تخزينه لفترات طويلة ونقله عبر البحار وإلا تعرض للذبول.

---

(٨٣) إبراهيم نصحي، *تاريخ مصر في عصر البطالمة*، (القاهرة: ١٩٧٧م)، ٦٣/٣.

(٨٤) *O. Petr*. 289 (Coptos, 60 A.D.); *O. Petr*. 290; *O. Petr*. 241 (Myos Hormos, 35 (Myos Hormos, 62 A.D.). A.D.);

(٨٥) *O. Petr*. 224 (Berenice, 6 A.D.); *O. Petr*. 241 (Myos Hormos, 35 A.D.).

(٨٦) *O. Petr*. 224 , 4 (Berenice, 6 A. D.

(٨٧) ورد ذكر النبيذ الايطالي هذا في عدد من الوثائق منها: *O. Petr*. 240, 6-7 (Berenice, 34 A.D.).

(٨٨) ويتوالى ظهور النبيذ البطلمي في عدد آخر من الوثائق *O. Petr*. 235, 3 (Coptos, 30 A.D.); *O. Petr*. 238, 6 (Berenice, 33 A.D.); *O. Petr*. 242, 7 (Berenice, 35 A.D.); *O. Petr*. 268, 5 (Berenice, 44 A.D.); *O. Petr*. 287, 4 (Berenice, 57 A.D.).

خلاصة القول، أياً كان دور حركة النقل التي قام بها آل نيكانور من وإلى موانئ البحر الإريتري فإنه من الأهمية بمكان تأكيد أهمية تلك الرحلات التي، وإن لم تتجه كلها أو بعضها نحو الجزيرة العربية والهند، إلا أنها لعبت الدور الكبير في إمداد السكان والمقيمين في تلك الموانئ بضرورات الحياة اليومية والتي لا قبل لهم بها في تلك الصحراء التي أحاطت بهم[٨٩].

وهناك بعض النقاط التي قد تثير التساؤل حول عدم نقل شركة نيكانور للبضائع الثمينة؛ فلا سبيل للإجابة القاطعة على هذا التساؤل في ظل عدم وجود دليل أثرى أو وثائق تؤكد أو تنفي ذلك. فقد تكون طبيعة عمل هذه الشركة تمضي في نطاق اتجاه واحد يبدأ من قفط إلى موانئ البحر الإريتري أو إلى الحاميات القابعة على الطريق. فلم يصل إلينا حتى الآن إيصالات تفيد نقل شركة نيكانور لبضائع في الاتجاه الآخر أي من موانئ البحر الإريتري وإلى قفط، وإن كنا نستبعد ذلك؛ أو إن كبار التجار الذين قاموا باستيراد البضائع من شبه الجزيرة العربية والهند قد عهدوا إلى بعض رجالهم بنقل تلك البضائع القيمة[٩٠]، وكفلوا لهم الحماية والتأمين اللازمين حتى وصول البضائع حيث أرادوا استلامها، بينما اقتصر دور شركة نيكانور على نقل أساسيات وضروريات المعيشة بما لا يتطلب حماية وتأميناً خاصاً للقوافل[٩١].

على أية حال، لا سبيل للرد على تلك التساؤلات بدقة إلا بمزيد من الاكتشافات الأثرية وبمزيد من الوثائق التي لا تلبث أن تمدنا بالكثير من المعلومات وتميط اللثام عن هذه القضية.

---

(٨٩) YOUNG, *Rome's Eastern Trade,* 57.

(٩٠) *SB* XVIII, 13167, (II A.D.) 2-4. εἰ̓ς Κόπτον.[εἰ̓σόδο]ụ καὶ ἀνοίσω διὰ τοῦ ὄρους μετὰ παραφυλακῆς καὶ ἀσφαλείας. [εἰ̓ς τὰ]ς ἐπὶ Κόπτου δημοσίας παραλημπτικὰς ἀποθήκας

(٩١) YOUNG, *Rome's Eastern Trade,* 57-58.

الخاتمة:

وهكذا، يتضح لنا من خلال الدراسة أن أرشيف نيكانور يلقى أضواءً ليس فقط على الأفراد القائمين على النقل من خلال ما يمكن اصطلاحاً أن نطلق عليه "شركة" نيكانور، التي يشرف عليها نيكانور بالتعاون مع عدد من أفراد أسرته، بل إن تلك الوثائق التي تنتمي لذلك الأرشيف تضفي مزيداً من المعلومات على أسماء التجار والمتعاملين معه، فضلاً عن أنواع البضائع وكمياتها ما قد يثير التساؤل حول ما إذا كانت بغرض التجارة مع الشرق أو إمدادات للاستهلاك المحلي، وكلا الرأيين له وجاهته.

كذلك ومن خلال وثائق ذلك الأرشيف التي مازالت في ازدياد حتى وقتنا الحالي نتيجة ازدياد الكشوف الأثرية فإنها تعطي لمحة عن المستوى الثقافي والتعليمي لمن كان يكتب الإيصالات التجارية، فضلا عن ظهور عنصر نسائي في عدد من تلك الإيصالات ما يؤكد وجود نشاط تجاري للمرأة في تلك الفترة محل البحث.

وجاءت وثائق ذلك الأرشيف لتؤكد أهمية ميناءين من موانئ البحر الأحمر المصرية، كان لكل منهما نشاطه الملحوظ آنذاك.

طرق مصر الشرقية ودورها التجاري مع موانئ البحر الإريتري في العصر الروماني

عبدالمعطي بن محمد عبد المعطي سمسم

مدخل تاريخي:

شكلت طرق مصر الشرقية، التي تربط بين موانئ نهر النيل الداخلية وموانئ البحر الإريتري المقابلة له، محوراً بارزاً من محاور التجارة العالمية التي تربط بين عالمي الشرق والغرب على مر العصور التاريخية، وتزداد وضوحا خلال العصرين اليوناني والروماني. كما شكل البحر الإريتري *Ερυθρα Θαλασσα* بموقعه الفريد أهمية كبيرة[1]، فهو يمتد من البحار الجنوبية صوب البحار الشمالية عبر خليجين، يتجه أحدهما نحو مصر والآخر نحو فلسطين. وقد

---

[1] على الرغم من أن البحر الإريتري *Ἐρυθρά Θάλασσα* يعني حرفيا البحر الإريتري إلا أن المفهوم الاصطلاحي له بالنسبة للإغريق كان يتضمن في ذلك الوقت القسم الشمالي من المحيط الهندي وأجزائه ومتفرعاته بما في ذلك البحر العربي وبحر الزنج، وخليج عمان والخليج العربي والبحر الإريتري، وقد تعددت أسماء البحر الإريتري وسبب تسميته بالبحر الإريتري فقد عرف في مصادر مصر القديمة بالبحر العظيم أو المحيط العظيم أو الدائرة المائية العظيمة، وعرف عند اليونان والرومان بالبحر الإريتري والبحر الأحمر، وعند العبرانيين ببحر سوف أما عند العرب والمسلمين فقد تعددت أسماؤه فعرف ببحر القلزم وبحر عيذاب وبحر فرعون والبحر الحبشي ..... وغيرها، ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب حوالي ٢٠٠٠كم ويتراوح عرضه ما بين ٤٠٠كم جنوباً إلى ٢٠٠كم شمالاً وتكثر على ضفتيه الشروم والخلجان والشعب المرجانية. انظر، عبدالمنعم عبدالحليم سيد، *البحر الإريتري وظهيره في العصور القديمة*، مجموعة بحوث، كى.تى.سى، (الإسكندرية: ٢٠٠٥م)، ٩-١٢؛ نقولا زيادة، *دليل البحر الإرثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية*، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود، (١٩٧٩م)، ٢٦٣.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٢١٣-٢٥٤

كانت الملاحة في هذا البحر شاقة وعسيرة على سفن العصور القديمة، لارتفاع درجة حرارة مياهه معظم فترات السنة، ورياحه العاصفة التي تعيق الملاحة فيه نحو الشمال بيسر، فضلا عن الشعب المرجانية الخطيرة في قاعه. لذلك لم يكن من المتيسر على تلك السفن شق عباب هذا البحر حتى نهايته، بل كثيرا ما كانت تضطر إلى الالتجاء إلى مرافئ مؤقتة على الشواطئ الشرقية أو الغربية، لتفريغ حمولتها، ومن ثم تستكمل رحلتها التجارية بالطرق البرية. ولم تكن اليابسة أكثر رفقا بالتجار من البحر، فقد كانوا يواجهون في الشرق مشاق الصحراء العربية، وفي الغرب متاعب جبال الحبشة ثم النوبة وصحراء مصر الشرقية[٢]. وبرغم كل تلك الصعوبات البحرية، فقد حظي البحر الإريتري بأهمية تجارية في العالم القديم بوصفه أحد الطرق الرئيسة في نقل التجارة بين بلاد الصين والهند وبلاد العرب وشرق إفريقيا ومنها إلى أوربا.

وتشير الأدلة التاريخية إلى أن الإسكندر الأكبر (٣٥٦ – ٣٢٣ق.م) بدأ يخطط للسيطرة على بلاد العرب والاستيلاء على ثرواتها[٣]، واستغلال التجارة المربحة بين الهند والخليج العربي والتي علم بها من رحلة نيارخوس[٤]. ويؤكد ذلك "سترابون" بقوله (... إن الإسكندر كان يأمل أن يتخذ من الجزيرة العربية مقراً ملكياً له بعد عودته من الهند ....)[٥]. وعندما قامت مملكة البطالمة في

(٢) C. Preaux, *L'economie royal des Lagids*, Bruxelles,1939, 361-362; G. W. Murray, and E. H. Warmington, *Trogodytica The Red Sea Littoral in Ptolemaic Times*, *GJ*, 133, no .1, 1967, 25-26; E. Ronald, Steven Zitterkopf, and E. Sidepotham, *Stations and Towers on The Quseir-Nile Road*, *JEA* .75, 1989, 156.

(٣) عبدالمعطي محمد سمسم، *العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة منذ أقدم العصور وحتى نهاية العهد الحبشي باليمن*، ط١، (القاهرة: أتراك للطباعة القاهرة، ١٤٢٨هـ)، ٩٨.

(٤) (نيارخوس) Νέαρχος ٣٦٠- ٣٠٠ ق.م، ينتمي إلى عائلة هاجرت من كريت إلى مقدونيا في عهد الملك فيليب والد الأسكندر الأكبر، وكان أحد أبرز أصدقاء الإسكندر الأكبر منذ صباه، وكان يتولى منصب قائد أسطول الأسكندر خلال حملته على الهند. وقد أرسله الإسكندر لاستكشاف بلاد العرب. وقد سجل المؤرخ أريان تفاصيل رحلته البحرية من نهر السند إلى الخليج العربي. انظر: الخريطة رقم (١)؛ Arrian, *Anabasi Alexander I and 11. Trans. E. Iliff Robson*. London, 1929-1933, (The Loeb Classical Library).

(٥) Strabo, Geographic, vol. XVI, 4, London 1854, 27;
τῆς δὲ τῶν Ἀράβων εὐδαιμονίας καὶ Ἀλέξανδρον ἄν τις ποιήσαιτο μάρτυρα τὸν δια=

مصر، اهتم بطليموس بن لاجوس (٣٦٧ – ٢٨٢ ق.م) بالبحر الإريتري وشواطئه، حيث قام ببناء عدد من السفن الحربية الحديثة التي ظهرت لأول مرة في مياه البحر الإريتري، وأرسل قائد أسطوله " فيلون " في رحلة لاستكشاف مجاهل البحر الإريتري، والتعرف علي مواطن شعوبه وثرواته، والذي يُعد أول من لفت أنظار البطالمة إلى أهمية أفريقيا، في جلب الفيلة وتدريبها لاستخدامها في حروبهم ضد منافسيهم السلوقيين الذين كانوا يستخدمون الأفيال الهندية(٦).

وعندما تولى بطليموس الثاني (٢٨٥ – ٢٤٦ ق.م) العرش استهل حكمه بتحصين مدينة هيرونوبوليس(٧) وجعلها قاعدة بحرية لأسطوله وزودها بالسفن الحربية الحديثة. حيث بدأت منذ ذلك التاريخ حركة كشوف منظمة وعلمية لسواحل البحر الإريتري الإفريقية والآسيوية، فكانت أول بعثة من هذا النوع بقيادة "ساتوروس" سنة (٢٧٨ ق.م) ومهمتها استكشاف الساحل النوبي لاختيار مناطق صالحة لإقامة موانئ ومحطات لصيد الأفيال، غير أن أهم المستكشفين أثراً في حركة الكشوف الجغرافية في البحر الإريتري هو "أرسطو"، الذي كلف من قبل بطليموس الثاني باستكشاف ساحل شبه الجزيرة العربية من خليج العقبة شمالاً حتى باب المندب جنوبا، وتعرف أهم الموانئ التجارية الواقعة عليه. كما أنشأ بطليموس ثلاثة موانئ على البحر الإريتري: الأول ميناء "أرسينوي" باسم زوجته على خليج السويس(٨)، والثاني، باسم ابنته "بيرينيكي"(٩)،

=*νοηθέντα, ὥς φασι, καὶ βασίλειον αὐτὴν ποιήσασθαι μετὰ τὴν ἐξ Ἰνδῶν ἐπάνοδον"*.

(٦) R. E. BEVAN, *A HISTORY OF EGYPT UNDER THE PTOLEMAIC DYNASTY*, LONDON, 1927, 245.

(٧) هيرونوبوليس مدينة مصرية قديمة كانت تسمي "Thekou"، ولما كان الإغريق قد شبهوا معبودها المصري "آتوم" بإلهم الإغريقي "هيرون" فإنهم أطلقوا عليها اسم هيرونوبوليس أي مدينة "هيرون". وتقع في وادي الطميلات على طريق التجارة الشرقية، على مسافة واحدة بين البحر الإريتري والبحر المتوسط، حيث احتل الميناء القديم موقعاً على بحيرة التمساح توصل إليها قناة تربط بين مياه الدلتا والبحر الإريتري. وقد ذكر سترابون أن البرزخ الواقع بين بيلوزيون وتجويف البحر الإريتري يقع بالقرب من هيرونوبوليس (تل المسخوطة حالياً)؛ W.W. Tarn., *"Ptolemy II and Arabia"*, *JEA*, 15, 1929, 13-14.

(٨) يقع هذا الميناء علي رأس خليج السويس بالقرب من منطقة سيرابيوم التي تقع شمال البحيرات المرة. ويقول سترابون: إنها عرفت في نهاية العصر البطلمي باسم " كليوباتريس. انظر: إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ط٦، (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٨م)، ٣/٦٠.

(٩) أنشئ هذا الميناء حوالي سنة (٢٧٥ ق.م)، وهي حاليا مدينة الهراس التي تقع علي بعد (٨٢٥كم) جنوب=

والثالث باسم شقيقته "فيلوتيرا" (مرسي جاسوس)، والتي حملت لقب "الملكة" رغم أنها لم ترتقى العرش[١٠].

كما ارتبط اسم هذا الملك بحملاته على المنطقة الغربية لشبه الجزيرة العربية، وعقده معاهدات مع مملكة اللحيانيين في منطقة مصران (العلا)، أسفرت عن توطيد الصداقة بينهم وازدهار التجارة، كما تشير المصادر إلى أنه قام سنة (٢٧٧ق.م) أو (٢٦٦ق.م)، بإنشاء ميناء أمبيلوني Ampeleone، على شواطئه ليحول إليه تجارة البخور[١١]، ما أدى إلى ازدهار العلاقات التجارية بين مصر والهند في تلك الفترة، وهو ما نقرؤه في تقارير "أثينايوس" عن العبيد، وكلاب الصيد والأبقار والتوابل، وغيرها من السلع والبضائع التي كانت تأتي من الهند عبر ميناءِ "سند بارباريكون[١٢] "إلى ميناء "ميوس هورموس"[١٣] الذي أَصْبَحَ الميناء الرئيس للتجارةِ

=مدينة السويس وعلى بعد (٢٦٠كم) شرق مدينة أسوان، وأما من جهة الشرق فيقع في مواجهتها على الشاطئ الشرقي للبحر الإريتري من بلاد العرب ثغر ينبع بالقرب من المدينة المنورة. وقد عثرت البعثة الفرنسية سنة (١٩٩٤م) على بقايا وآثار هذا الميناء. انظر: M. Rostovtzeff, *The Social and Economic History of the Hellenistic World* ,Vol. I, Oxford, 1940, 384; Warmington, *The Red Sea*, p.28; S. E. Sidebotham, *"Late Roman Berenike"*, *JARC* 39 (2002), 217 ff.

(١٠) Strabo., XVI, 4, 4.

(١١) يرى جلاسر أن موقعه شمال جده الحالية، ويرى آخرون أنه عند نهاية وادي الشيخ حميد عند مدخل خليج العقبة في مواجهة ميناء ميوس هورموس المصري. انظر: سيد أحمد على الناصري، *تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم في العصر الهلينيسي*، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٢م)، ١٥٥ – ١٥٨ ؛ جورج فضلوا حوران، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، ترجمة: يعقوب بكر، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ)، ٥٨.

(١٢) ميناء "بارباريكون هو الميناء الشمالي الرئيس عند الساحل الغربي للهند الواقع على مصب نهر الأندوس، ومنه تنقل السلع إلى حاضرة أرض" السيكبيين "المسماة" ميناجارا "في جنوب مدينة" بارباريكون، وقد وجدت هناك مدينة رئيسية خاصة بالتجارة الهندية خلال العصر الروماني تسمى بأرض "بايجازا" وهي بمنزلة البوابة الرئيسة لإنتاج القطن من وسط الهند وهندوستان.

(١٣) ميناء ميوس هورموس (أبو شعر قبلي) وقد ربط الرومان هذا الميناء بوادي النيل وممفيس، وقد قامت بعثة جامعة ثاوس همبتون الانجليزية بالكشف عن موقعه عند مدينة القصير القديمة على بعد (٨كم) من مدينة القصير الحالية، وخلال العصرين البطلمي والروماني كان الميناء الرئيس للتجارة مع أفريقيا والهند=

الشرقيةِ في مصر ومنه تُحمل البضائع على ظهور الجمال(١٤).

ومنذ عهد بطليموس السادس في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد أخذت المراكب المصرية تجوب البحر الإريتري، وبعد أن كانت لا تتخطى بوغاز باب المندب اجترأت آنذاك على اجتياز هذا البوغاز، ووصلت إلى الإقليمين اللذين كانا ينتجان العطور وهما: حضرموت في جنوب بلاد العرب، وبلاد بونت على شاطئ الصومال(١٥).

ويحدثنا "بوسيدونيوس" و "سترابون" عن قصة أحد البحارة الهنود في عهد بطلميوس الثامن وكليوباترا الثالثة (١٤٥-١١٦ق.م) غرقت سفينته في البحر الإريتري وأنقذه بحارة مصريون من الغرق، ونقلوه إلى الإسكندرية حيث تلقى العلاج، ولما شفي قدم معلومات أولية عن الطريق الملاحي من مصر إلى الهند، وعرض على الملك أن يرسل معه شخصا لبلاده ليريه كيفية طريق العودة إلى الهند فبعث معه الملك المستكشف والجغرافي "يودوكسوس" (Eudoxos)، فكان أولَ ملاح يقوم برحلة بحرية مباشرة بين مصر والسند(١٦). وقد أبحر يودوكسوس في رفقة هذا البحار إلى الهند(١٧)، فكان أول إغريقي يصل إلى الهند دون الاستعانة بالطرق البرية.

كما شهد العهد البطلمي اكتشاف الملاح اليوناني "هيبالوس" (Hippalos) للرياح الموسمية الجنوبية الغربية(١٨)، وطرق الإفادة منها حوالي سنة (١٠٠ق.م)، والتي سهلت الوصول

=والصين، بيد أن أهميته ضعفت منذ القرن الرابع للميلاد وحتى القرن السابع عشر عندما عادت له أهميته طريقاً رئيساً للحجاج المسافرين من مصر إلى مكة. انظر: G. W. B. Huntingford, *The Ethnology and History of the Area Covered by Periplus in Huntingford."Periplus of the Erthraean Sea*", London,1980 .

(١٤) M.H. Panhwar, *"International Trade of Sindh from its port Barbaricon [200B.C- to 200]"*, *JSS* 1981, 9.

(١٥) Preaux, *L'economie royal des Lagids*, 358-359.

(١٦) Rostovtzeff, *The Hellenistic World*, 924-926.

(١٧) Strabo, XVI, 98-100.

(١٨) هيبالوس (Ιππαλοφ): ملاح وتاجر يوناني عاش في القرن الأول قبل الميلاد، ربما كان قائد سفينة المستكشف اليوناني يودوكسوس. ويرى بيرباللوس صاحب كتاب البحر الإريتري أن هيباللوس هو مكتشف الطريق المباشر من البحر الإريتري إلي الهند عبر المحيط الهندي. بينما يري الكاتب بلينيوس الكبير=

إلى الهند مباشرة دون الإبحار في الخليج الفارسي، ثم العودة مرة أخرى خلال فصل الشتاء التالي بمساعدة الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، وبذلك أصبحت رحلة الذهاب والإياب من الهند وإليها تستغرق السنة الواحدة، ونتج عن ذلك رواج تجارة مصر الشرقية مع الهند[١٩] ووجود علاقات منتظمة بين مصر والهند أكسبت البحرين الإريتري والهندي أهمية لم تكن لهما من قبل.

وقد انعكس ذلك كله في اهتمام البطالمة الأواخر بتأمين البحار الشرقية والطرق المؤدية إليها، وإلى وجود أسطول لهم يقوم بحماية التجارة فيها[٢٠]، فمنذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، اكتسبت التجارة الشرقية في نظر البطالمة الأواخر أهمية لم تكن لها من قبل، وخاصة مع الهند عبر البحر الإريتري، حيث ظهر في مصر منصب عسكري جديد: هو "قائد البحر الإريتري والبحر الهندي" (ε) πι∴ τε/φ (Ερυτηραφ και∴) Ινδι/κεφ θαλασσεφ). وخلال عهد بطليموس الثاني عشر وفرت الدولة الحماية العسكرية لسفنها المُبحرة في المحيط الهندي، كما ظهر في نقش يعود إلى سنة (٦٥ق.م) اسم موظف يحمل لقب "حاكم طيبة والمشرف على البحر الإريتري والمحيط الهندي"[٢١].

البحر الإريتري في العصر الروماني:

شهد البحر الإريتري، والتجارة الشرقية في بداية عصر الإمبراطورية الرومانية منذ دخولها مصر سنة (٣١ق.م)، اهتماماً واضحاً، حيث تجمعت عدة عوامل أدت إلى ازدهار التجارة الشرقية عبر البحر الإريتري عامة، وموانئه الغربية خاصة ومن أهم هذه العوامل:

أولاً: أن روما بلغت في ذلك العصر أوج قوتها وعظمتها، وفرضت على العالم القديم سلامها

=أن هيباللوس لم يكتشف هذا الطريق، وإنما اكتشف الرياح الموسمية الجنوبية التي أطلق عليها اسم الرياح الجنوبية الغربية الموسمية. انظر: *The Periplus of the Erythraean Sea Travel and Trade in the Indian Ocean by a Merchant of the First Century*, London 1912, 11ff.

(١٩) *Periplus*, 57.

(٢٠) Rostovtzeff, *The Hellenistic World*, 928.

(٢١) *καὶ Ἐρυθρᾶς Καλλίμαχος ὁ συγγενὴς καὶ ἐπ̣ιστράτηγος καὶ στρατηγὸς τῆς Ἰνδικῆς θαλάσσης OGIS*. 186; 190; Rostovtzeff, *The Hellenistic World*, 928;

Pax Romana[٢٢]، الذي وفر الأمن والأمان للطرق والقوافل التجارية بعد أن خلا البحر من القراصنة، وأصبحت السفن تبحر من إقليم إلي إقليم في أمان ويسر ما أدى إلى ازدهار التجارة، كما نتبين ذلك من وثائق المؤسسة العسكرية الرومانية militaris station عن إسهامها في حراسة الطرق الممتدة من وادي النيل إلى مناطق البحر الإريتري لحراسة المحاجر والمناجم والموانئ الواقعة عليه. حيث شهد عصر الإمبراطور أغسطس اهتماماً بمنطقة البحر الإريتري ووضعها تحت إمرة ضابط يحمل لقب قائد بيرينيكي أو (قائد جبل بيرينيكي) وكان يتولى إدارة المنطقة والإشراف على المناجم والمحاجر فيها، وقيادة الحاميات التي وضعت لحراسة تلك المناجم وتأمين الطرق الصحراوية التي تربط بين النيل والبحر الإريتري وما فيها من آبار وصهاريج ماء[٢٣]. كما أقام أغسطس بعد دخوله مصر سنة (٣٠ ق.م) إحدى الكتائب المساعدة الرومانية عند مدينة قفط (كبتوس)، التي كانت مركز تجمع وتوزيع مهمة للبضائع الآتية من موانئ البحر الإريتري، وكذلك منتجات المناجم والمحاجر العديدة بجبال صحراء مصر الشرقية بين النيل والبحر الإريتري، ويذكر "سترابو"[٢٤]: أنه بعد اكتشاف الرياح الموسمية بدأت "قفط" تحل محل "ادفو" (أبوللونوبوليس) بوصفها مركزاً تجارياً تجمعت فيه كل البضائع الهندية والعربية والأثيوبية، وكانت تتمركز فيها فرقة عسكرية رومانية.وعلى أية حال فالمصادر

---

(٢٢) مطلح Pax Romana مصطلح لاتيني يعني السلام الروماني، والذي فرضته روما على العالم بفضل قواتها المسلحة منذ سنة (٢٧ ق.م) و حتى سنة (١٨٠م). و كان يُطلق عليه أحيانا اسم Pax Augusta نسبة للإمبراطور أغسطس مؤسس هذا النظام، الذي أنهى الحروب الأهلية في روما، وأقام نظاماً عسكرياً صارماً. حيث أثبت هذا النظام نجاحه خلال عهد أغسطس وخلفائه مثل "كلوديوس" و"تراجان" و"ماركوس أوريليوس" وأحكم الرومان سيطرتهم على ما يقرب من خمسة ملايين كيلو متر مربع. ويري المؤرخ " إدورد جيبون " أن هذا السلام انتهى في عهد الإمبراطور "كمودوس"، حيث ازدادت الأوضاع سوءاً بسبب الأزمات السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تعرضت لها روما خلال القرن الثالث الميلادي وبزوغ نجم الإمبراطورية الفارسية (الساسانية). انظر: إدورد جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها*، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م)، ١/ ١٠٨ وما بعدها.

(٢٣) عبداللطيف أحمد علي، *مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية*، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٣م)، ٤٥ – ٤٦.

(٢٤) Strabo, XVII, I . 12.

التاريخية تشير إلى مرابطة الوحدات العسكرية الرومانية منذ بداية القرن الأول الميلادي بالقرب من تلك المحاجر مثل وادي الحمامات ومونس كلاوديانوس، وأن هذه الكتائب العسكرية ظلت موجودة بها منذ القرن الأول الميلادي وحتى عهد الإمبراطور "الأسكندر سيفيروس" (٢٢٢- ٢٣٥م)[٢٥].

كما تشير النقوش اليونانية واللاتينية التي ترجع إلى نهاية حكم أغسطس وبداية حكم تيبيريوس إلى وجود كتيبة الأترورين الثالثة[٢٦] في وادي أم ويكالة[٢٧] وظلت تلك الوثائق تشير إلى وجود هذه الكتيبة خلال الفترة من (١٥٠-١٥٣م)، بالإضافة إلى كتيبة "الفلوريين" وكتيبة "تراكيا موريتانا" والتي كانت تعسكر خلال بداية القرن الأول الميلادي بالقرب من أم ويكالة. ومن الأمثلة علي ذلك أيضاً نقش يرجع للسنة الأربعين من حكم أغسطس جاء فيه: (... في اليوم الأول من (شهر) بؤنة، مع حسن الحظ، عندما كان بوبليوس روفوس يوفنتيوس قائداً لفرقة قوريني الثالثة، يتولى منصب محافظ ميناء برينيكي والمدير العام لمناجم الزمرد، ومناجم التوباز، واللؤلؤ "مصائد الأسماك" وجميع مناجم مصر....)[٢٨].

ثانياً: أن عظمة روما في بداية عصر الإمبراطورية ارتبط برخاء اقتصادي وظهور طبقات غنية كانت تتفنن في الاستمتاع بحياة الرفاهية ما أدى إلى ازدياد الطلب على السلع الكماليةِ، ونتيجة لذلك حدثت زيادة لم يسبق لها مثيل في حجمِ التجارة مع الهند عبر البحر الإريتري، ويؤيد ذلك حديث "بلينيوس الكبير"[٢٩] والمؤرخ في سنة (٧٧م) عن إسراف

---

(٢٥) N. Lewis, *Life in Egypt Under The Roman Rule*, London ,1985, 21؛ علي، *مصر والإمبراطورية الرومانية*، ٤٥.

(٢٦) إحدى كتائب القوات المساعدة الرومانية، وقد اشتق اسمها من إقليم أتروريا الواقع شمال إيطاليا والذي جند منه أفراد هذه الكتيبة. انظر: H. Barnard, J. A.Harrell, R. S. Tomber, Sidebotham, S. E. *The Roman Quarry and Installations in Wadi Umm Wikala and Wadi Semna*, *JEA*.87, 2001, 140.

(٢٧) يقع وادي أم ويكالة في الجزء الأوسط من الصحراء الشرقية لمصر، ويوجد به ثاني أكبر محجر روماني في الصحراء بعد محجر مونس كلاوديانوس. انظر: Sidebotham, *The Roman Quarry*, 140.

(٢٨) Sidebotham, *The Roman Quarry*, 136.

(٢٩) Pliny (the elder), *Naturalis Historia*, VI, London, 1815, 101; Cf. 15-48.

الرومان في استخدام المواد العطرية والتوابل رغم ارتفاع أثمانها: (... وأن الهند تأخذ منا كل سنة مالا يقل عن خمسين مليون سستركس (حوالي ٤٢٥ قطعة عملة ذهبية) في مقابل بضائع تباع لنا بأثمان تبلغ مائة ضعف ثمنها الأصلي....).

ومن الجائز أن المبلغ الذي ذكره "بلينيوس" لا يمثل ثمن كل الواردات الشرقية لأنه وفقا لهذا الكاتب نفسه كانت مصر تصدر منسوجاتها الكتانية لقاء وارداتها الشرقية. ما يوحي بضخامة أرباح التجار المشتغلين في هذه التجارة وكذلك كانت الحكومة الرومانية تحقق أرباحاً طائلة من وراء هذه التجارة.

بيد أننا ينبغي أن نشير إلى أن تكلفة هذه السلع كانت أيضًا باهظة، بسبب أجور العاملين في البحر الإريتري من البحارة والملاحين والجنود الذين يحرسون هذه السفن والسلع، حيث كانوا يتقاضون أجوراً مرتفعة مقابل اضطلاعهم بهذا العمل الذي ينطوي على الكثير من المخاطر، بسبب صعوبة الملاحة في البحر الإريتري والمحيط الهندي، فضلا عن مخاطر القراصنة[٣٠]، التي هددت الملاحة في البحر الإريتري في بداية العصر الروماني كما يذكر "سترابون"[٣١]: تكرار اعتداءاتهم على السفن التجارية القادمة من مصر، بيد أن الأسطول الروماني قضي عليهم وردهم إلى بلادهم. ويروي لنا "بلينيوس"[٣٢]: أن في زمنه كانت تسير المراكب إلى الهند بصورة سنوية، وعلى متنها رماة السهام لمقاومة القراصنة.

ثالثاً: لقد أدرك "أغسطس" أهمية التجارة بين الهند والبحر المتوسط عبر البحر الإريتري، وسمع

---

(٣٠) *Periplus*, Ch.53, (Then there are the islands called Sesecrienae and that of the Aegidii, and that of the Caenitae, opposite the place called Chersonesus (and in these places there are pirates), and after this the White Island. Then come Naura and Tyndis, the first markets of Damirica, and then Muziris and Nelcynda, which are now of leading importance). Cf. Warmington, *The Red Sea*, 28

(٣١) *Strab*o. XVI, 4, 8.

(٣٢) *Pliny*, *N. H.*,VI, 26; "diuque ita navigatum est, donec conpendia invenit mercator quippe omnibus annis navigatur, sagittariorum ،lucroque India admota est cohortibus inpositis; etenim piratae maxime infestabant".

بالثراء الذي يتصف به العرب القاطنون على امتداد الأطراف الغربية لشبه الجزيرة العربية، حيث مملكة الأنباط في أقصى شماله الغربي، وممالك سبأ وحمير وقتبان، والتي كانت تعرف ببلاد العرب السعيد Arabia Felix في جنوبه الغربي، وكانت تلك الممالك تحتكر التجارة في السلع الواردة من الشرق الأقصى والهند وأواسط أفريقيا، وتعيد تصدير معظمها إلى الشمال، وحقق لهم أرباحاً طائلة، لذلك قرر "أغسطس" كسر احتكار العرب لهذه الطرق، بنقل الحركة التجارية من شرق البحر الإريتري إلى غربه لتكون في حوزة ولاية مصر الرومانية ومنها تنقل إلى إيطاليا، لأن هذا سوف يعود على الإمبراطورية بعائد مالي كبير، من خلال الضرائب العالية والمكوس المفروضة على تلك التجارة، التي تتراوح بين (٥٪) و(١٠٪)[٣٣]. وجعل مصر همزة الوصل بنقل طريق التجارة في البحر الإريتري إلى الموانئ المصرية الواقعة على هذا البحر مثل "بيرينيكي" و"ميوس هورموس"، كما كان يحلم بتحقيق أحلام الإسكندر الأكبر في هذا الأمر بربط التجارة بالسلام والرخاء. ومن أجل تحقيق ذلك أرسل "أغسطس" حملته المشهورة إلى بلاد العرب الجنوبية سنة (٢٥ ق.م)، تحت قيادة واليه على مصر ايليوس جاليوس[٣٤]، والتي تتكون من حوالي عشرة آلاف جندي، وثمانين سفينة حربية، بالإضافة إلى مائة وثلاثين سفينة نقل، وكان هدفها الظاهري إخضاع العرب لإرادة روما أو التوصل إلى اتفاق معهم، أما الهدف الحقيقي فهو ضمان أمن طرق التجارة مع الجزيرة العربية، مصدر السلع الثمينة التي عرفتها روما عن طريق مصر[٣٥]. ورغم فشل تلك الحملة من الناحية العسكرية، غير أنها نجحت من الناحية الاقتصادية، حيث تشير بعض المصادر إلى

---

(٣٣) سيد أحمد علي الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري*، ط٢، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩١م)، ٧٥.

(٣٤) J. Lesquier, "*L'Armée Romaine d'Égypte d'Auguste à Dioclétien*", Le Caire, *Institut Français d'Archéologie*, 1918, 9ff; *Strabo* XVII, 1, 53; A. Fuk, *"Notes on Archive of Nicanor*", *JJP*. 5 (1951), 211-212.

(٣٥) *Strabo*, XVI, 4, 22ff.

أن الحميريين والسبئيين أصبحوا ينفذون الرغبات الرومانية منذ ذلك التاريخ[٣٦]، كما تشير المصادر أيضاً إلى وجود تحالف بين الإمبراطورية الرومانية والدولة الحميرية في فترة مبكرة من عصر الإمبراطور أغسطس، وأن النفوذ الروماني في بلاد العرب في عهده أصبح قوياً[٣٧].

كما احتل الرومان "عدن" في عهد الإمبراطور "كلوديوس" (٤١-٥٤م) سنة (٤١م)، التي كانت تلعب دوراً مهماً في تجارة الجنوب والشرق، وذلك لتأمين طريقهم البحري بين مضيق باب المندب ومضيق هرمز، كما احتلوا "إجرا" (الوجه) [٣٨] سنة (١٢١م). وعلى هذا النحو سيطر التجار الرومان و- السكندريين - على أهم الموانئ التجارية التي تربط بين الشرق والغرب، مثل "إجرا"، و"المخا"، و"عدن"، و"مسقط"، و"الجرهاء"، و "دلمون". كما استولت روما في عهد نيرون على "كاربيل" و"سوقطرة" من ملك الحميريين[٣٩]. وهكذا، وبعد أن كان العرب هم رواد التجارة العالمية الشرقية وحماة مسالكها، أصبح الرومان والسكندريون مالكي أزمتها وربابنة أساطيلها[٤٠]. وأصبحت معظم الموانئ التجارية المهمة الواقعة بين مصر والهند في أيدي الرومان.

وإذا كان البطالمة قد نجحوا في اكتشاف سر الرياح الموسمية واجتياز مضيق باب المندب للذهاب إلى الهند مباشرةً، فإنه قدر للرومان منذ بداية القرن الثاني الميلادي أن ينتفعوا بهذا

---

(٣٦) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية*، ٧٦.

(٣٧) أبو اليسر فرج، *الشرق الأدنى في العصر الهلينيسي والروماني*، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، (الجيزة: ٢٠٠٢م)، ٢٦٨.

(٣٨) وقيل: هو ميناء الجار المشهور ويقع إلى الجنوب الشرقي من (المدينة المنورة) ويعرف اليوم بالبريكة، وكانت ترسو فيه السفن القادمة من مصر والحبشة والبحرين واليمن والصين والهند. وموضع البلدة شبه جزيرة نصفها في البحر ونصفها في البر. انظر: حمد بن صراي، *العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة والساحل الشرقي الإفريقي من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي*، (رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق، ٢٠٠٩م)، ١١٩ - ١٢٠.

(٣٩) سوقطرة عبارة عن أرخبيل يمني مكون من أربع جزر في المحيط الهندي قبالة سواحل اليمن الجنوبية والقرن الإفريقي، ويقع على بعد (٣٥٠كم) من جنوب شبه الجزيرة العربية. انظر: صراي، *العلاقات الحضارية*، ١٥٢.

(٤٠) أحمد حسين شرف الدين، *مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها*، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، (جامعة الملك سعود، ١٩٧٩م)، ٢٥٤.

الكشف العظيم، خاصة وأن الطريق التجاري القديم الذي يسير عبر الخليج العربي ويصل إلى تدمر في سوريا قد أصبح غير آمن بسبب تأزم الموقف بين الرومان والفرس الذين كانوا يسيطرون على معظم بلاد الرافدين والمناطق المحيطة به شمالاً وجنوباً، والسيطرة على معظم الطرق البرية المتصلة بالشرق[٤١]. وهو الهدف الأساس الذي دفع بالإمبراطور "تراجان" (٩٨-١١٧م) للقيام بحملته الناجحة على بلاد العرب سنة (١٠٦م)، وضم مملكة الأنباط، وجعلها ولاية رومانية وأطلق عليها ولاية بلاد العرب (Provencia Arabia)، لإحساسه بأهمية طريق البحر الإريتري بوصفه طريقاً تجارياً يعوض الطرق البرية في آسيا. وتبعا لذلك فقد اهتم "تراجان" بالطرق التي كانت تربط بين ساحل البحر الإريتري ووادي النيل، وإحياء القناة المائية التي تربط النيل بالبحر الإريتري والمعروفة باسمه[٤٢]، والسيطرة على الطرق البحرية والموانئ التجارية والتي كان الجزء المصري من طريق التجارة هو طريق "ممفيس -كوليزوم" أو امتداده طريق "برينيكي-كوبتوس" التي شكلت آخر مراحل الطريق، قبل أن تسلك طريقها عبر البحر المتوسط إلى إيطاليا وأوروبا[٤٣].

ولم تتغير أهمية مصر بعد حفر "تراجان" قناة كليسمون Clysmon سنة (١١١م) الممتدة من فاقوس حاليا[٤٤] وحتى خليج السويس حاليا، واتخاذها طريقا مهماً من الشمال يمر عبر

---

(٤١) لطفي عبدالوهاب يحيى، *الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية*، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام، ١٩٧٩م، ٦٠-٦١. لقد وقف البارثون أمام الزحف الروماني نحو الشرق وتولوا حمايته حيث شكلوا شبه دولة متحدة في إيران وتمكنوا من إيقاف الزحف الروماني نحوه. انظر: حسن بيرنيا، *تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني*، ترجمة: محمد نور الدين عبدالمنعم، السباعي محمد السباعي، (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٧٩م)، ٣٤٧-٣٤٨؛ M. Rostovtzeff, *Social and Economic History of the Roman Empire*, Oxford, 1963,Vol. I, 95.

(٤٢) مصطفي كمال عبد العليم، *تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات في تاريخ شبه الجزيرة العربية*، الكتاب الثاني، (جامعة الملك سعود، ١٩٧٩م)، ٢٠٩.

(٤٣) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية*، ١٩٩١م، ٢٤٤.

(٤٤) مركز فاقوس: من المدن القديمة التي ذكرها جوتييه في قاموسه بأن اسمها المصري "باكيس" والإغريقي "أفروسبوليس" والقبطي "فاكوسسا"، كما ذكر إميلينو في جغرافيته: أن فاقوس هي تارابيا (أرابيا)، =

بوسترا وفيلادلفيا والبتراء[٤٥]، وينتهي بإيلات على البحر الإريتري، وترتب علي إنشاء هذا الطريق أن أصبح لتجار البتراء وبالميرا اتصالات بتجارة البحر الإريتري. حيث وسع أهل بالميرا نشاطهم التجاري عبر البحر الإريتري مع الهند وأفريقيا، وشاركوا في أعمال نقل السلع عبر الصحراء الشرقية المصرية إلى النيل، وربما وصلوا إلى الإسكندرية. وعلى هذا النحو نجح الرومان في إعادة النشاط التجاري للبحر الإريتري، واجتذبوا إليه جانباً من التجارة العربية إلى جانب التجارة الهندية، كما وضع الإمبراطور "تراجان" الأسطول الروماني في خدمة سفن التجارة، وحاول أيضاً إحلال التجار الرومان محل التجار العرب حتى يكون الدخل الصافي من تجارة الإمبراطورية مع الهند للرومان أنفسهم، لكن التجار الرومان وبرغم الحماية التي توفرت لهم لم يستطيعوا أن يعرفوا مسالك الطرق ومخابئها، ومسالك دروب الهند البرية، أو طرق وسط آسياً أو أن يحيطوا بها علماً، كذلك طرق التعامل مع التجار الصينيين والتي تعرف بـ "التجارة الصامتة"[٤٦].

رابعاً: أنَّ تقدم العلوم البحرية والمناخية في ذلك العصر ساعد على تشجيع الملاحة في البحر الإريتري الذي تحول إلي بحيرة نشطة، ولاسيما بعد اكتشاف "هيباللوس" للرياح الشرقية الموسمية الذي أدى إلى إبحار السفن مباشرةً عبر المحيط الهندي بين مخرج البحر الإريتري الجنوبي ومصب نهر السند، بدلا من السير بسفنهم بحذاء الساحل. وقد أدى الاكتشاف الجديد إلى سرعة السفن بحيث أصبح ممكنا إتمام الرحلة بين مصر والهند ذهابا وإيابا في العام نفسه، وهو ما لم يكن ممكنا من قبل[٤٧].

=وسميت بذلك لأنها أقرب أقسام مصر إلي بلاد العرب. انظر: محمد رمزي، *القاموس الجغرافي*، القسم الثاني، ١/١١٦.

(٤٥) كانت البتراء (سلع) عاصمة دولة الأنباط العربية، وكانوا يسيطرون علي جنوبي فلسطين ومثلث النقب، وقد ازدهرت دولتهم منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وامتد نفوذهم إلى غزة، كما كانوا على اتصال بمدينة العريش. انظر: محمد السيد غلاب، *التجارة في عصر ما قبل الإسلام*، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، (جامعة الملك سعود، ١٩٧٩م)، ١٩٦.

(٤٦) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية*، ١٩٩١م، ٢٥٥.

(٤٧) *Periplus*, ch. 5; Warmington, *The Red Sea*, 28.

كما شهد عهد أغسطس اكتشاف طريق جديد مختصر عن طريق "هيباللوس"، وترتب عليه تغيير المسار البحري، وانتقل من منطقة "باتالي" عند مصب نهر اندوس الأدنى إلى المنطقة التي تقع في الجنوب عند سيجروس.

وإلى عهد نيرون تشير المصادر بأن طريق "هيباللوس" المختصر قد اختصر مرة أخرى، ولم يعد التجار يذهبون إلى "سيجروس" بل إلى "موزيريس في الجنوب، التي كانت تشتهر بتجارة الجواهر الثمينة. كما أصبحت فترة الرحلة التي تستغرقها السفينة أقل من عام منذ إبحارها من الإسكندرية حتى وصولها إلى الهند في موزيريس، مع زمن ما يقضيه التجار في عقد صفقاتهم وحتى عودتهم إلى الإسكندرية[٤٨]. وأصبح الجدول الزمني لتنقل السفن على النحو التالي: تغادر السفينة الميناء المصري في شهر تموز (يوليو) فتخرج من البحر الإريتري في أوائل شهر "آب" (أغسطس)، وعندها تدفع بها الرياح الموسمية الصيفية إلى "كانا"[٤٩]، أو "عدن" أو "رأس جواردفوي" إلى ساحل "ملبار" (غرب الهند) أو إلى جزيرة "سيلان" (سري لانكا)، فتصل في نحو الأربعين يوماً. وفي الشتاء تعود مستفيدة من الرياح الشتوية. وقد تضطر إلي قضاء الوقت في "قانا" أو "عدن" –ذهاباً وإيابا – لتبادل السلع والمتاجرة[٥٠].

وهكذا ازدهرت حركة التجارة عبر موانئ البحر الإريتري نتيجة اكتشاف الرياح الموسمية في المحيط الهندي والاستفادة منها، بقصر مدة الإبحار بين مصر والهند وشرق إفريقيا وسيريلانكا،

---

(٤٨) *Periplus*, ch.54-57.

(٤٩) ميناء قانا Qana من أشهر المدن الساحلية في اليمن ويقع على ساحل طويل يصل إلى ألفي ستاديا، وهي من مملكة اليازوس (بلاد البخور). وتقع قبالتها جزيرتان، وكان له نشاط بارز بسبب تحصيناته الطبيعية وموقعه الإستراتيجي، لقربه من مناطق زراعة اللبان والبخور وغيرها، وقد وصف بأنه أفضل موقع على الساحل الجنوبي لليمن. وفيه تتجمع السلع القادمة من المحيط الهندي لإعادة تصديرها إلى بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية الداخلية عبر الطرق البرية. وقد أسهب في الإشارة إليه صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري، وأشار إليه بأنه مستودع للبضائع والسلع التى تجلب إليه على ظهور الإبل، وعلى الطوافات المصنوعة من القرب الجلدية والقوارب. وأن هذا الميناء كان يصدر البخور إلى بارياجازا وسكاثيا وعمانا وبلاد فارس ومصر، والتي كانت تستورد عن طريقه كميات كبيرة من المنسوجات العربية المزخرفة وغير المزخرفة والأقمشة المصبوغة، والنحاس والقصدير والمرجان وصمغ الميعة. انظر: *Periplus*, Ch.27-28

(٥٠) *Periplus*, ch.54-57.

وزادت نسبة الأرباح للتجار والحكومات البطلمية والرومانية، حيث تشير بعض الكتابات البردية إلى أن الحكومات البطلمية والرومانية قد حققت أرباحًا تتراوح ما بين (٢٥٪) و(٥٠٪) من وراء فرضهما الضرائب على السلع والرسوم على المسافرين لاستخدامهم الطرق الصحراوية(٥١).

خامساً: منذ انضمام مصر إلى الإمبراطورية الرومانية ازدهرت تجارتها الخارجية تمشيا مع سياسة أغسطس الهادفة إلى حرية النشاط الاقتصادي، فاتجهت الإدارة الرومانية في مصر إلى أن تستبدل سياسة الاحتكار البطلمية، إلى سياسة حرية النشاط الاقتصادي في المجالات كافة وخاصة الزراعة والصناعة والتجارة، ما أتاح لبعض ميسوري الحال في مصر استثمار أموالهم في التجارة الشرقية، وهى التي كانت بضائعها تباع في الغرب بأثمان باهظة. وهكذا تمكن كثير من الرأسماليين في الإسكندرية وسائر مصر من مضاعفة ثرواتهم ومنافسة كبار الرأسماليين في روما ذاتها(٥٢). كما كانت تُجبى من موانئ مصر الشرقية ضرائب جمركية على الصادرات والواردات في عهد الإمبراطور "أغسطس"، كما سمح في عهده للأفراد بحق استيراد السلع على سفنهم الخاصة وعلى مسؤوليتهم مع إلزامهم بدفع الضرائب الجمركية(٥٣).

وكان من الطبيعي أن تحتل مصر مكان الصدارة في هذه التجارة نظراً لموقعها المتوسط الممتاز على طريق التجارة بين الشرق والغرب، ولامتلاكها سواحل طويلة على كل من البحرين الإريتري والمتوسط، ولذلك لم يكن مستغربا أن يصف "سترابون"(٥٤) الإسكندرية ميناء مصر

---

(٥١) Sidepotham, *Stations and Towers*, 157.

(٥٢) مصطفى العبادى، *مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربي*، (القاهرة: بدون تاريخ)، ٢٦١ وما بعدها.

(٥٣) L. C. West, "*Phases of Commercial Life in Roman Egypt*", *JRS* 7,1917, 45-58.

(٥٤) *Strabo*.XVII,1.13.

"μο/νη γα.\.ρ η(Α)λεχα/νδρεια τω=ν τοιου/των ω(φ ε)πι.\. το.\. πολυ.\. και.\. υ(ποδοξει=ο/ν ε)στι και.\. ξορηγει= τοι=φ ε)κτο/φ. ε)/τι δε.\. μα=λλον ?1114? κατιδει=ν ε)/στι τη.\.ν ευ)φυι+/αν ταυ/την περιοδευ/οντι τη.\.ν ξω/ραν, και.\. πρω=τον τη.\.ν παραλι/αν α)ρχαμε/νην α)πο.\. του= Καταβαθμου=: με/ξρι δ ευ=ρο γα/ρ ε)στιν η(Αι)/γυπτοφ."

الأول بأنها (... أكبر مركز تجاري في العالم بأسره، احتكر هذا النوع من التجارة (الشرقية)، وتوافد عليها التجار الأجانب من جميع أنحاء العالم، حيث وجدوا فيها كل سبل الراحة، وعلى طول الساحل بدءا من منطقة "الكاتاباثموس" التي كان ينطلق منها التجار إلى جميع أنحاء مصر....).

وقد أراد "أغسطس" أن يستغل وضع مصر الإستراتيجي لخدمة التجارة بين الشرق والغرب، فأنشأ أسطولاً بحرياً يعمل بانتظام بين الإسكندرية وإيطاليا، وفي الوقت نفسه ربط بين التجارة القادمة من الهند وسيلان عبر المحيط الهندي، وبين مصر عبر البحر الإريتري وطرق القوافل عبر وادي الحمامات وحتى الموانئ النيلية عند "قفط"، لتنقل بالمراكب الشراعية الضخمة حتى الإسكندرية. وهكذا سيطرت مصر لأول مرة في تاريخها على التجارة بين الشرق والغرب، وأدى إلى ازدهار تجارة مصر الشرقية، وهو الأمر الذي تؤيده رواية سترابون الذي يقارن بين التدهور الإداري والاقتصادي في نهاية العصر البطلمي والتطور الذي طرأ على الإدارة والاقتصاد في عصر الإمبراطورية الرومانية، وجاء فيها[٥٥]:

(... لئن كان دخل مصر السنوي في عهد بطليموس الزمار والد كليوباترا هو (١٢٥٠٠٠) تالنتوم، فترى كم يصل الدخل الآن حينما أصبحت شئونها تدار بعناية بالغة، وحينما زادت

---

(٥٥) *Strabo*, XVII, 1.13 (C.798)

τη=φ Αι)γυ/πτου δε.∴ τα.∴φ προσο/δουφ ε)/ν τινι λο/γ% Κικε/ρων φρα/ζειφη/ σαφ κατ ε)νιαυτο.∴ν τω=| τη=φ Κλεοπα/τραφ πατρι.∴ τω= Αυ)λητη προσφε/ ρεσθαι φο/ρον ταλα/ντων μυρι/ων δισξιλι/ων πεντακοσι/ων. τι/ ξρη.∴ νομι/σ αι τα.∴ νυ=ν δια.∴ τοσαυ/τηφ ε)πιμελει/αφ οι)κονομου/μενακαι.∴ τω=ν Ι)νδι κω=ν ε)μποριω=ν και.∴ τω=ν Τρωγλοδυτικω=ν ε)πηυχημε/νων ε)πι.∴ τοσου= τον; προ/τερον με/ν γε ου)δ ει)/κοσι πλοι=α ε)θα/ρρει το.∴ν Α)ρα/βιον κο/λπ ον διαπερα=ν ω(/στε ε)/χω τω=ν στενω=ν υ(περκυ/πτειν, νυ=ν δε.∴ και.∴ στ ο/λοι μεγα/λοι στε/λλονται με/ξρι τη=φ Ι)νδικη=φ και.∴ τω=ν α)/κρων τω=ν Αι)θιοπικω=ν, ε)χ ω(=ν ο(πολυτιμο/τατοφ κομι/ζεται φο/ρτοφ ει)φ τη.∴ν Αι) /γυπτον, κα)ντευ=θεν πα/λινει)φ του.∴φ α)/λλουφ ε)κπε/μπεται το/πουφ, ω(/σ τε τα.∴ τε/λη διπλα/σιασυνα/γεται τα.∴ με.∴ν ει)σαγωγικα.∴ τα.∴ δε ε)χαγωγ ικα.∴

التجارة مع الهند والصومال بشكل كبير، ذلك أنه بينما لم تكن تجرؤ على الخروج من البحر الإريتري في عصر البطالمة سوى عشرين سفينة أصبحت تبحر سنويا إلى الهند ما لا يقل عن مائة وعشرين سفينة من ميناء "ميوس هورموس" وحده، وهو ما أدى إلى تدفق سلع الهند وإثيوبيا على مصر، ومن هناك تعود محملة بأغلى البضائع إلى مصر، ثم توزع من مصر إلى سائر البلاد ....). وهكذا يتبين لنا من النص السابق أن عدد السفن زاد ستة أضعاف ما كانت عليه، كما أن الزيادة لم تقتصر على الملاحة فحسب بل إن حجم السفن ذاتها زاد كثيراً، حيث أصبحت السفن المستخدمة في الملاحة الشرقية ذات أحجام أكبر وقدرة أكثر في سرعة الملاحة. ومن الجدير بالذكر أن النشاط التجاري على الساحل الشرقي الإفريقي تلقى دفعة تشجيعية كبيرة بسبب الوحدة الاقتصادية الرومانية، وكذلك زيادة الطلب علي العاج المستورد من إفريقيا، الذي بدأ الرومان استعماله في صناعة التماثيل والأمشاط وأقفاص الطيور، وكان للإمبراطور مخزن من العاج[٥٦].

ومنذ القرن الثاني للميلاد توسعت التجارة في البحر الإريتري فظهر ما يُعرف بطريق القرفة البحري الذي يمتد من جنوب شرق آسيا مروراً بالجزء الجنوبي للهند والساحل الشرقي الإفريقي ثم البحر الإريتري فمصر، ومنها إلى روما عبر البحر المتوسط[٥٧]. ومن الجدير بالذكر أن الأدلة تشير إلى امتداد المعاملات التجارية بين مصر وإفريقيا إلى "زيمبابوي" حيث عُثر على قطعة عملة نحاسية ترجع لعهد الإمبراطور الروماني كلوديوس (٢٦٨- ٢٧٠م) في شمال "زيمبابوي". وكانت أغلب السلع المستوردة من شرق إفريقيا تأتي إلى مصر عبر ميناء ليوكوس ليمن (القصير) ومنها عبر طريق القوافل من البحر الإريتري إلى "قفط" و"قوص"[٥٨].

وقد أشار عدد من الكُتاب الكلاسيكيين القدامى إلى أن عدداً كبيراً من التجار في مصر ظلوا يقومون بدور الوسيط التجاري لنقل سلع الهند وبلاد العرب إلى الغرب عن طريق

---

(٥٦) صراي، *العلاقات الحضارية*، ٣٢٤.

(٥٧) صراي، *العلاقات الحضارية*، ١٣٦- ١٣٧؛ L. Casson, "*Rome's Trade with the East , the Sea Voyage to Africa and India*, in The Ancient Trade and Society", *TAPhA* , CX , 1980, 186.

(٥٨) G. A. Wainwright, *Early Foreign Trade in East Africa,* JRAI,47, 1947, 144.

الإسكندرية. وكان هؤلاء التجار ينفردون بتجارة البحر الإريتري والتواصل مع الهند وشرق أفريقيا[٥٩]. ومن هؤلاء الُكتاب :

١. الجغرافي "سترابون" المعاصر للإمبراطور أغسطس الذي أتم كتابه في الجغرافية سنة (٢٣ق.م).
٢. "بلينيوس الكبير" مؤلف التاريخ الطبيعي خلال حكم الإمبراطور "نيرون".
٣. "نيسباسيان" (٥٤ -٧٩م) .
٤. صاحب دليل الطواف حول البحر الإريتري حوالي سنة (٧٠ أو٧١ م) .
٥. "بطليموس الجغرافي" الذي شمل تناول كتابه الفترة من سنة (٥٠ ق.م) إلى سنة (١٥٠م) .

الطرق الشرقية بين موانئ البحر الإريتري ونهر النيل:

اهتم الرومان بالموانئ التي أنشأها البطالمة علي البحر الإريتري والتي كانت منتقاة بعناية، والتي شيدوها في مناطق صالحة لرسو السفن، وخالية من الشعب المرجانية التي تهدد الملاحة في البحر الإريتري، ولهذا السبب عندما استولى الرومان على مصر لم يجدوا ضرورة لإنشاء موانئ جديدة على البحر الإريتري ولا طرقٍ للقوافل في صحراء مصر الشرقية، لأنهم وجدوا ما حققه البطالمة في هذا المجال كافياً. بيد أن الفضل يرجع للرومان في توسيع هذه الموانئ ومضاعفة الخدمة فيها، وتحسين طرق الصحراء الشرقية، وإعدادها بالآبار ونقاط الحراسة اللازمة[٦٠].

وقد حدد الجغرافي "بطليموس" في القرن الثاني للميلاد، مواقع خمسة موانئ تقع على الساحل المصري للبحر الإريتري، تتفق إلى حد كبير مع دوائر العرض الحالية وهي: ميناء "ميوس هورموس" (أبو شعر القبلي) الذي يقع في نهاية طريق الاستراحات السبعة الذي يبدأ من"قفط" عند خط عرض (٣٠ ٢٧)، وقد أطلق "أجاثارخيديس" على هذا المكان اسم "أفروديت" أو "ميوس هورموس"، وكرر كل من "ديودور الصقلي" و "بلينيوس الكبير" وصفه للمكان، والميناء

---

(٥٩) M. Goodman., *The Roman World ,44 B.C.-AD.180* ,London , 1997, 267-268.

(٦٠) إبراهيم نصحي، *تاريخ مصر في عصر البطالمة*، ط٦، (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٧م)، ٣/ ٥٩ – ٦٣ ؛ انظر: خريطة رقم (٢).

الثاني هو ميناء "فيلوتيرا" (مرسي جاسوس) الذي حدد بطليموس الجغرافي موقعه عند خط عرض (٤٥ ٢٦) بالقرب من ميناء سفاجا الحالي على بعد (١٠كم) جنوب مدخل وادي سفاجا عند وادي جواسيس حيث يوجد بعض آثار قرية مُهدمة لها طريق يؤدي إلى بعض المنازل المُهدمة. وميناء ليوكوس ليمن (القصير) عند خط عرض(.. ٢٦). وميناء نيقيسية (مرسى مبارك) ويمتد هذا الميناء عند خط عرض(٣٠ ٢٥). والميناء الخامس وهو " بيرينيكي " أهم الموانئ المصرية على البحر الإريتري عند خط عرض (٥٠ ٢٣)[٦١].

وقد استمر ميناء بيرينيكي يعمل على مدار ستمائة سنة على الأقل منذ تأسيسه في سنة (٢٧٥ ق.م) وحتى سنة (٣٣٧م)، ولا تزال آثار مائة وخمسين منزلا توجد هناك، تحيط بها التلال التي كانت بمنزلة حصن طبيعي لهذا الميناء. وكان من الصعب على القراصنة الوصول إليها، فضلا عن وجود المياه العذبة الصالحة للشرب. كما اشتهر هذا الميناء بكونه من الأماكن الجيدة مناخياً لتخزين السلع والبضائع بين شهري سبتمبر ويناير[٦٢]. وكانت مسافة الطريق البري بين هذا الميناء و"قفط" على النيل حوالي (٢٥٨ميلٍ) ويستغرق قطعها أحد عشر يوماً، ولذلك أنشئ ميناء ثالث في سنة (٢٧٤ق.م) وهو "ميوس هورموس" الذي يبعد ثمانين ميلاً شمال ميناء "بيرينيكي"، بهدف تَقليل مسافة الطريق البري من البحر الإريتري إلى الوادي إلى (١٨٠ميلٍ) يقطعها المسافرون في خمسة أيامٍ. وكان الهدف الرئيس من إنشاء هذا الطريق هو تسهيل عملية جلب الأفيال الإفريقية التي كانت تلعب دور سلاح المدرعات في الجيش البطلمي[٦٣]. ومن الجدير بالذكر أن هذه الموانئ لم تكن طبيعية، ولذلك فإن الوصول إليها كان عسيراً ونفقات إعدادها وصيانتها باهظة التكاليف[٦٤].

---

(٦١) G. W. Murray, *"The Roman Roads and Stations in the Eastern desert of Egypt"*, *JEA*. 11, 1925, 141-143.

(٦٢) Rostovtzeff, *The Hellenistic World*,, p.384; Warmington, *The Red Sea*, 28 Sidebotham , *Late Roman Berenike*, 217ff.

(٦٣) Panhwar, Op. Cit, 9 M. H.

(٦٤) نصحي، *تاريخ مصر في عصر البطالمة*، ٦٢/٣ -٦٣.

وكان كل من ميناء "بيرينيكي" (الهراس)[٦٥] وميناء "ميوس هورموس[٦٦]" يستقبل السفن القادمة من الجزيرة العربية والمحملة بالسلع، وعبر الطرق التي تربط النيل بالبحر الإريتري كانت تنقل هذه السلع إلى موانئ النهر. وكان الإشراف على هذه المناطق موكلا إلى ضباط كان عليهم أن يؤمنوا السلع التي كانت تأتي من الشرق،كما كان عليهم أن يؤمنوا الطرق المؤدية إلى قطع الأحجار والبحث عن المعادن[٦٧].

وكانت السلع التي تتاجر فيها مصر مع الهند وبلاد العرب تنقل إلى موانئ البحر الإريتري عن طريق النيل إلى "قفط"، ومنها إلى موانئ البحر الإريتري على ظهور الجمال عبر طرق القوافل[٦٨]. في حين كانت التجارة الشرقية القادمة من البحر الإريتري تصل إلى الإسكندرية بطريقين، فإنها إما تُحمل في السفن حتى نهاية البحر الإريتري عند "هيرونوبوليس" (خليج السويس)، ثم تحملها السفن النهرية إلى النيل مجتازة القناة التي تصل النيل بالبحر الإريتري. وإما أنها كانت تفرغ في أحد الموانئ الجنوبية: "ليوكوس ليمن" أو بيرينيكي أو "ميوس هورموس" أو "فيلوتيرا"، ثم تُحمل علي ظهور الدواب إلى قفط أو كينوبوليس، حيث تشحن في السفن النهرية وتنقل إلى الإسكندرية. ويبدو أن الطريق الثاني كان أوفق من الأول، إذ أن بعض الدلائل تشير إلى أن القناة بين النيل والبحر الإريتري لم تعد صالحة للملاحة قبل نهاية عصر البطالمة[٦٩].

وقد عني الرومان بالطرق التي تربط وادي النيل بالموانئ المصرية على البحر الإريتري عبر الصحراء الشرقية من أجل تنشيط التجارة الشرقية القادمة عبر البحر الإريتري[٧٠]. حيث كان

---

(٦٥) *Periplus*, ch.1

(٦٦) *Periplus*, ch.19.

(٦٧) سليم حسن، *مصر القديمة* (القاهرة: مكتبة الأسرى، ٢٠٠١م)، ١٤ /٥٢١، ٥٢٦؛ Wilkinson, *The Manners and Customs of the Ancient Egypt*, II, 238; *GIS*. 132.

(٦٨) A. Ch. Johnson., *Roman Egypt to the Reign of Deocletain, Economic servey of Ancient Rome*, 2 Vols, New York,1959, 381.

(٦٩) إبراهيم نصحي، *تاريخ مصر في عصر البطالمة*، ٣/ ٦٣.

(٧٠) اكتسبت الصحراء الشرقية المصرية منذ تاريخ مبكر أهمية كبيرة لأسباب ثلاثة، أولها: أن مدنها كانت تقع على سواحل البحر الإريتري، كالقصير وبرينيكي وغيرها، والتي شكلت محطات مهمة للتجارية القادمة من شرق أفريقيا، وبلاد العرب، وفارس، والهند، وسوريا، نحو مصر. وثانيا، غنى هذه الصحراء =

يوجد عدد من الطرق الرئيسة المعبدة والمزودة بآبار المياه ونقاط الحراسة، تبدأ جلها من "قفط"، مثل الطريق الشهير عبر وادي الحمامات ويتصل بالنيل عند "قفط"، التي كان ميناؤها النهري مركز تجميع رئيسة للبضائع القادمة من موانئ البحر الإريتري، حيث تفرض عليها رسوم جمركية قبل إعادة شحنها على السفن النهرية(٧١).

كما قاموا بإدخال تعديلات على طريق القوافل الذي كان فراعنة مصر قد أقاموه للربط بين "قفط" على النيل وميناء "ليوكوس ليمن"(٧٢)، قرب القصير على البحر الإريتري، مارا "بوادي الحمامات" ومناجم الذهب في "تل الفواخير"(٧٣)، كما ظهر طريق ثالث للقوافل يربط بين "قفط"

=بمناجم الذهب، التي كانت أحد الأسباب التي جعلت مصر أغنى بلد في العالم القديم. وثالثا، غنى المنطقة بالمحاجر التي أمدت الفراعنة والأشوريين والفرس والرومان بالأحجار الكريمة وشبه الكريمة المتنوعة والتي أسهمت إسهاماً كبيراً في بناء حضارات مصر. ويروي لنا المؤرخ اليهودي "يوسف" أن ازدهار الحضارة المصرية خلال عصر الدولة الوسطى كان نتيجة تعبيد الطرق المؤدية إلى حدود مصر الشرقية، وبناء الحصون وتجهيزها بمحطات للاستراحة و حفرت فيها الآبار ويتولى حمايتها الحراس. انظر: J. D. Keyser, *Joseph and the Engineering Wonders of Egypt*, 28.

(٧١) P. J. Sijpesteijn, *Customs and Duties in Greco-Roman Egypt*, Holland 1987, 25.

(٧٢) لم يذكر سترابون في حديثه عن الموانئ المصرية على البحر الإريتري اسم هذا الميناء ما يعني أنه لم يكن موجوداً خلال عصره، ويعد الجغرافي بطليموس هو أول من أشار لوجود هذا الميناء. وقد أشارت بعض الوثائق التي ترجع إلى عصر الإمبراطور تيبيريوس إلى وجود طريق يربط بين "قفط" وميناء ليوكي ليمن. انظر: S. E. Sidebotham, *Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa,30 B.C.– 217 A.D*, Lieden 1986, 53-55.

(٧٣) يمتاز الطريق الممتد من "قفط" إلى ميناء "القصير" بكثرة الاستراحات والوكالات بطول (١٢٢) ميل روماني وتساوي (١٦٦كم)، نظراً لوقوع مناجم الذهب الشهيرة في وادي الفواخير، و محاجر وادي الحمامات. وقد بلغت (١١) استراحة ووكالة، هي "الميفاريق" على بعد (١٤) ميلاً رومانياً، ووكالة "لاقيته" على بعد (٢٢) ميلاً رومانياً، و استراحة "قصور البنات"، على بعد (٣٤) ميلاً رومانياً، واستراحة "أم مويه" التي كان بها صهريج ماء كبيرة، وتقع على بعد (٤٤) ميلاً رومانياً، و استراحة وادي الحمامات على بعد (٥٥) ميلاً رومانياً، وأستراحة "الفواخير"، على بعد (٦١) ميلاً رومانياً، ووكالة الزرقه على بعد (٧٧) ميلاً رومانياً، ووكالة الحمرا على بعد (٨٦) ميلاً رومانياً، و إستراحة السياله على بعد (٩٣) ميلاً رومانياً، ووكالة "الليتيما" على بعد (١٠٢) ميلاً رومانياً من "قفط" وقبل الوصول إلى ميناء القصير بعشرين ميلاً. وقد أُنير هذا الطريق بمنارات كبيرة مبنية من الاحجار الضخمة، مكنت الحراس من مراقبة الطريق بأكمله. وربما كانوا يرسلون إشارات ضوئية إلى إدارة الجمارك في " قفط " عند وصول القوافل إلى القصير. انظر: Murray, *The Roman Roads*, 146-147.

و"بيرنيكي"[٧٤] ويمر بمناجم الزمرد في "زوبانا" و"سيكات" على ساحل النوبة[٧٥].

وتبلغ المسافة بين ليوكوس ليمن وكوبتوس عبر وادي القصير القديم (١٧٤كم) تتخللها عشر استراحات تبلغ المسافة بين كل منها (١٦كم). ويذكر "سترابون" أن بعض رحلات القوافل التجارية عبر الصحراء الشرقية كانت تسافر أثناء الليل لكي تتجنب درجات الحرارة المرتفعة وبخاصة في فصل الصيف، على الرغم من أن السفر ليلا غالبا ما كان محفوفا بالمخاطر، ولاسيما للقوافل التي كانت تحمل البضائع الغالية القيمة. وكان الجمل المُحمل بالبضائع يسير في اليوم الواحد (٨) ساعات ويقطع مسافة (٤,٥كم) في الساعة أي أنه كان يسير في اليوم الواحد مسافة (٣٦كم)، فكانت الرحلة من ليوكوس ليمن إلى كوبتوس تستغرق (٥) أيام[٧٦].

ومن الجدير بالذكر أن تلك الطرق الصحراوية كانت تعرف منذ العصر الفرعوني وخلال العصرين البطلمي والروماني والتي تصل إلي وادي النيل قرب منعطف للنهر يبعد حوالي (٤٠) ميلا شمال مدينة "طيبة". وكانت الطرق من مينائي "ميوس هورموس"، و "فيلوتيرا" تصل إلى"كينوبوليس" (قنا)، في حين كانت الطرق القادمة من مينائي "القصير" و"برينيكي" تصل إلى "قفط"[٧٧].

---

(٧٤) ذكر بلينيوس الكبير أن المسافة بين "قفط" إلى "بيرينيكي" تبلغ (٢٥٨) ميل روماني، يتخللها عدة استراحات Hydreuma مثل الاستراحة "الأولي" على بعد (٣٢) ميلاً من قفط، والاستراحة "الثانية" على بعد (٩٥) ميلاً، واستراحة "أبوللينيس" على بعد (١٨٤) ميلاً، و استراحة "نوفوم" على بعد (٢٣٣) ميلاً، واستراحة "فيتوس "قبل ميناء بيرينيكي" بمسافة (٢١) ميلاً فقط، و ربما كانت تُستخدم في تخزين السلع والبضائع. ويسير الطريق من "أبوللونوبوليس ماجنا" إلى "بيرينيكي" موازياً لطريق مصري قديم يؤدي إلى باراميا وسوكاري حيث يوجد أكبر مناجم الذهب في مصر القديمة، كما يوجد في هذا الطرق خمس استراحات أولها علي بعد (١٥) ميلاً شرق "أبوللونوبوليس ماجنا"، وتوجد الاستراحة الثانية في "كنايس" في وادي عباد، على بعد (٣٢) ميلاً، والاستراحة الثالثة في أبو قريه على بعد (٦٢) ميلاً، وتحتوي على اثنين من صهاريج المياه الكبيرة قطر كل منها (٤) أمتار، وتوجد الاستراحة الرابعة على بعد (٨٠) ميلاً وبها بئر ماء عمقه (٢٠) متراً، والاستراحة الخامسة على بعد (١١٧) ميلاً حيث تتصل بالطريق المتجه من قفط إلى بيرينيكي. انظر: *Pliny*, *N.H.*,VI, 29.

(٧٥) Murray, *The Roman Roads*, 138-139.

(٧٦) Sidepotham, *Stations and Towers*, 169-170.

(٧٧) Murray, *The Roman Roads*, 139.

وبالإضافة للطرق الرئيسة، فقد كانت توجد عدة طرق فرعية بديلة لعبور الطريق الرئيسي من الصحراء الشرقية، وهي طرق مُيسرة، مثل أراضي الأودية السلسة التي سهلت السفر عبر الوديان في أي وقت من السنة، ومن أشهرها الطريق الممتد من الساحل عند وادي الجواسيس إلى كينوبوليس ويبلغ طوله حوالي (١٦٠كم) ويحتوي الكثير من الاستراحات، مثل استراحة جاسوس وسيمنا والجيدامي وهاراس، واستراحة القرية التي كانت متصلة بمونس بروفيرتيس ومونس كلاوديانوس. وقد ارتبطت معظم الطرق الفرعية بالطريق الصحراوي الرئيس عبر مجموعة من الممرات[٧٨].

وقد اهتم الرومان بإنشاء الاستراحات علي الطرق الرئيسة من وادي النيل إلى البحر الإريتري، وأهمها الطريق من "قفط" إلى "بيرينيكي" الذي كان يوجد به عشر استراحات مزودة بالمياه، ومؤمنة وبعيدة عن القراصنة، ومنها "هيدروما تروجودوتيكوم" والتي اكتشف بها آثار مبنيين من المباني الكبيرة تستوعب نحو ألفين من المسافرين. ومن المحتمل أنهم كانوا يؤجرون بها غرفًا يستريح فيها المسافرون أثناء انتظارهم شحن بضائعهم في السفن. وعلى ما يبدو، ونظرا لندرة مياه الشرب في بيرينيكي، فإن القائمين على هذه الاستراحة كانوا يلتزمون بالحد الأدنى للمسافرين[٧٩].

ويذكر "سترابون"[٨٠]: أنه كان يوجد سبع استراحات على الطريق من "قفط" وكينوبوليس إلى ميناء ميوس هورموس، من أهمها استراحة قنا القديمة علي بعد (٣٦) ميل روماني من قفط، وهي مزودة بخزان ماء كبير وبئر يليها استراحة "ساقية الطير" على مسافة (٤٩) ميلاً رومانياً، وتحتوي على بئر جاف وخزان ماء مبني من الأسمنت.

ولما كانت المياه الصالحة للشرب هي المطلب الأول للمسافرين عبر تلك الطرق الصحراوية، فقد وفرت الاستراحات الممتدة على هذا الطريق هذه المياه سواء من الآبار أو من الخزانات التي تنقل إليها المياه. وتعد المياه الجوفية هي المصدر الرئيس للمياه في الصحراء الشرقية

(٧٨) Sidepotham, *Stations and Towers*, 162.

(٧٩) Warmington, *The Red Sea*, 28.

(٨٠) *Strabo*. XVII.

على الرغم من ملوحتها. ومن المحتمل أنه كان لكل استراحة بئر كبيرة خاصة بها، يصل قطرها في بعض الأحيان إلى حوالي (٣٠) مترا. ومن الأمثلة على ذلك، بقايا الآبار في منطقة مونس كلاوديانوس، والآبار الموجودة في استراحة دير الأطرش والساقية وسيمنا. كما كان لاكتشاف الماء أثر على إنشاء الاستراحات، ومن أشهر تلك الاستراحات التي قامت نتيجة اكتشاف المياه استراحة اللقيطة التي ورد ذكرها عند بلينيوس باسم فينيقون[٨١].

كما عمل الرومان على تشييد الأبراج والمنارات لإظهار معالم الطرق، فقد امتاز الطريق بين ليوكوس ليمن وكوبتوس بكثرة المنارات على جوانبه ذات الرؤية المتبادلة وكذلك بأبراج الإشارات[٨٢]، والتي بلغ عددها (٦٥) برجا بعضها مستدير والبعض الآخر مربع الشكل أغلبها في حالة جيدة بسبب استخدام الأحجار الضخمة من الجرانيت في بنائها. ويري البعض أن هذه الأبراج كانت تستخدم علامات للطريق، وتبعا لذلك فلم تكن مأهولة بالسكان وخالية من الحراسة ولاسيما بسبب صعوبة إمدادها بالماء والطعام، بعكس الأبراج التي كانت تُستخدم في الإشارة والمراقبة التي كانت مأهولة بالسكان، وكانت الحراسة في تلك الأبراج تتألف من جنديين أو أربعة جنود يتناوبون الحراسة بحيث يتولى جندي واحد الحراسة بمنطقة بأعلى البرج مصممة لوقايته من الرياح، بينما يبقي الآخرون في الأسفل، ويتبادلون الحراسة فيما بينهم دورياً، ومن المحتمل أن الحراسة على هذه الأبراج تتم فقط عندما تكون القوافل على وشك المرور. ومن ناحية أخرى كانت القوافل التجارية تستخدم مرشدين ذوي خبرة بالطرق والدروب الصحراوية، وتبعا لذلك لم تكن هناك حاجة إلى معالم الطريق كما أن الطريق الصحراوي المركزي كان معروفا للمسافرين منذ أقدم العصور[٨٣].

ومن الجدير بالملاحظة وجود نوع من الأبراج المربعة التي كانت تتخذ معلماً للطريق المؤدى إلى ميوس هورموس، والتي لا يتعدى كونها أكثر من أكوام صغيرة من الحجارة التي لا يتعدى حجمها المتر المربع الواحد تقريبا. وعلى هذا النحو فمن المستبعد أن تكون الأبراج الكبيرة التي

---

(٨١) Sidepotham, *Stations and Towers*, 163-164.

(٨٢) Murray, *The Roman Roads*, 139.

(٨٣) Sidepotham, *Stations and Towers*, 180-183.

شيدت في الطرق الصحراوية الرئيسة قد بُنيت خصيصا بوصفها علامات إرشادية، وقد زودت بمشاعل كانت تستخدم لحماية القوافل التجارية المتجهة من وإلى موانئ البحر الإريتري أثناء مرورها برا عبر طرق مصر الشرقية، وكذلك حراسة الذهب المستخرج من المناجم ونقله عبر الصحراء. وربما انه كانت تستخدم نقاط تفتيش، ولاسيما تلك التي كانت توجد في أسفل الوديان. ويري البعض أن هذه الأبراج كانت تستخدم للإشارة، وهو ما كان يتطلب أن تكون الرؤية واضحة بين كل برجين متتاليين.

وهكذا تشير الدراسة إلى أن الرؤية كانت واضحة بين أكثر من (٥٥) برجا من هذه الأبراج. ولم يكن من الضروري للاستراحات أن تبقي علي الرؤية المتبادلة للأبراج، لأن الأبراج تكون مرئية من كل جانب من الاستراحات، والأبراج نفسها كانت مرئية بعضها لبعض. ومن ناحية أخري كان يمكن أن تستخدم رايات الإشارة ذات الألوان اللامعة التي تُرى بسهولة علي بعد أكثر من (٥ كم) في أثناء النهار. ويمكن أيضا استخدام المرايا أو أي سطح لامع يعكس ضوء الشمس ولاسيما وأنها أدوات صغيرة يسهل حملها ونقلها. ويرى البعض أن الأبراج القريبة من ميناء ليوكوس ليمن كانت تستخدم لإرسال الإشارات عن وصول السفن التجارية من وإلى الميناء وهنا يبدأ نظام الإشارات عمله. وأغلب الظن أن هذا الميناء لم يكن مأهولا بالسكان علي مدار السنة، لكنه كان يزدحم بهم في أوقات نشاط الرياح الموسمية التي تبحر فيها السفن بين الموانئ المصرية والهندية. وأنه بمجرد انتهاء موسم النشاط التجاري يعود الناس إلي وادي النيل بسبب صعوبة وصول الماء والطعام إلي هذا الميناء طوال فترات السنة. وعند الإخطار عن وصول سفينة ترسل قافلة لنقل الحمولة، والعكس ربما يكون صحيحاً. وربما كان التجار لا يرغبون في إرسال بضائعهم القيمة إلى الميناء إلا بعد أن يتلقوا الإشارة بأن السفن التي سوف تحملها قد وصلت بالفعل. وربما كان إرسال الإشارات علامة على الاحتياج إلى بحارة إضافيين أو تغيير طاقم السفينة أو لإصلاح عطب فيها[٨٤].

والواقع أن طرق مصر الشرقية لم تكن مثل كل الطرق الصحراوية طرقا بالمعني المفهوم

---

(٨٤) Sidepotham, *Stations and Towers*, 184-187.

للكلمة، وإنما كانت مجرد مسارات ومدقات صغيرة، باستثناء طريق هادريان Via Hadriana الذي كان طريقا مُحدد المعالم بين مدينة أنطينوؤبوليس[٨٥] وميناء بيرينيكي[٨٦]. وقد حرص هادريان علي توفير مصدر رزق دائم لمدينته الناشئة، ولذلك ربطها بطرق التجارة الشرقية محاولا أن يجعل منها بديلا عن "قفط"[٨٧]. وقد بذل الإمبراطور هادريان الكثير من الجهد لتحقيق ذلك، فقام ببناء طريق جديد في الصحراء الشرقية يبدأ من مدينة "أنطينوؤبوليس" الواقعة على الجانب الشرقي من النيل وينتهي عند ميناء "ميوس هورموس" Mius Hormus على البحر الإريتري وهو ما يُسمي "طريق هادريان" Via Hadriana[٨٨]، وهو الطريق الذي يصل إلى ساحل البحر الإريتري على بعد (١٧) ميلا شمالي "ميوس هورموس"، وعن طريقه توافد التجار إلى بيرينيكي[٨٩]. وزود هذا الطريق بمحطات للتموين والمياه والحراسة، وكان طريق هادريان الجديد يمر بمنطقة منبسطة وآمنة وأفضل بكثير من الطرق القديمة، وكان يهدف إلى تحسين الاتصال بين البحر الإريتري والنيل عن طريق تقصير المسافة بقدر الإمكان، وكذلك خفض تكاليف السفر. ويعطي مدينته الجديدة شرياناً جديداً يستمد دخلا اقتصاديا من طرق التجارة، وقد استطاعت هذه المدينة لفترة قصيرة من الزمن أن تبعث النشاط والازدهار في تجارة الصحراء الشرقية، لكن سرعان ما عادت الأمور لسابق عهدها تدريجيا بعد وفاة "هادريان" واختفى دورها في تجارة البحر الإريتري[٩٠].

---

(٨٥) ارتبط إنشاء مدينة "أنطينوؤبوليس" بزيارة الإمبراطور هادريان لمصر سنة (١٣٠م)، عندما غرق صبي يُدعى "أنطينوس"، كان يصاحبهُ في رحلة نيلية، بعد نزوله لإحضار الماء من النهر، فانزلقت قدماه وغرق ومات في الحال، فقرر الإمبراطور تخليد ذكراه ببناء مدينة تحمل اسمه، في موقع مدينة فرعونية قديمة تشغله في الوقت الحالي قرية تسمى "الشيخ عبادة" في مدينة ملوي بمحافظة المنيا. انظر: H. I. Bell, "*Antinoopolis: a Hadrianic foundation in Egyp"t*, *JRS*. 30, 1940, 141.

(٨٦) Murray, *The Roman Roads*, 140.

(٨٧) Bell, Op. Cit, 141.

(٨٨) يخرج طريق هادريان من أنطينوؤبوليس " ويتجه جنوب ميوس هورموس حيث توجد استراحة في وادي أبو قريه، واستراحة وبئر في مدخل وادي سفاجا حتى يصل إلى فيلوتيرا (وادي جاسوس). وقد خطط هذا الطريق لكي تتوزع منه السلع والبضائع إلى جميع الموانئ من مدينة "أنطينوؤبوليس". انظر: Murray, *The Roman Roads*, 149.

(٨٩) Warmington, *The Red Sea*, 30.

(٩٠) Bell, Op. Cit, 143.

ويمكن القول إن ما تمتعت به "أنطينوؤبوليس" من امتيازات وما حظيت به من رعاية هادريان كان بسبب واضح ومحدد تماماً، وهو خدمة مصالح التجارة وطرقها في سبيل تدعيم السياسات العامة للإمبراطورية، والعمل على ضرب المصالح التجارية المنافسة من جانب العرب[٩١].

الصادرات والواردات عبر البحر الإريتري:

إن من الصعوبة بمكان الوصول إلى النظام الذي كان متبعا في صادرات مصر ووارداتها في العصر الروماني، لكنه من المرجح أن كل مشتغل في هذه التجارة كان يدفع للحكومة ضريبة لقاء الترخيص له بذلك أسوة بما كان متبعا في التجارة الداخلية[٩٢]، نظراً لأن المشتغلين بهذه التجارة كانوا يجنون ثروات كبيرة جداً من وراء اشتغالهم بها.

وكان لاهتمام الرومان بالتجارة الشرقية عبر البحر الإريتري وبالطرق الشرقية لمصر أثره الواضح في ازدهار التجارة خلال القرنين الأول والثاني للميلاد، وأصبحت الإسكندرية محط أنظار التجار من جميع أرجاء المعمورة، من الإغريق والإيطاليين والسوريين ومن آسيا الصغرى وكذلك من أثيوبيا والعرب والفرس[٩٣]، ليعقدوا صفقاتهم من أجل شراء البضائع المصرية والأجنبية على السواء[٩٤]. وقد لعب تجار الإسكندرية دوراً حيوياً في نقل منتجات الهند وأفريقيا وتسويقها إلي ايطاليا، مثل التوابل والعطور والعاج وريش النعام والذهب والفضة، وأصبحت هذه المدينة مقراً لكبار التجار حيث تجري فيها صفقات التصدير والاستيراد وتكونت شركات دولية في بعض الأحيان لهذا الغرض[٩٥]. وعلي هذا النحو سيطر التجار السكندريون علي تجارة البحر الإريتري والشرق[٩٦].

---

(٩١) سيد أحمد علي الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري*، (دار النهضة العربية، ١٩٨٥م)، ٧٥-٧٦.

(٩٢) نصحي، *تاريخ الحضارة المصرية*، ١٦٤/٢.

(٩٣) محمد السيد عبد الغني، *لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة*، (الإسكندرية: ١٩٩٩م)، ٢١٩.

(٩٤) West , "*Phases of Commercial Life..* ", 58 ff.

(٩٥) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية*، ٦٠.

(٩٦) *Strabo*, II,120.

ويبدو أن التجار الرومان كانوا يشاركون تجار الإسكندرية هذه التجارة المربحة عن طريق وكلاء لهم في مصر. ويتبين ذلك من مجموعة من الأُستراكا التي تحتوى على إيصالات بتسلم بضائع من شركة نقل كان يدير أعمالها رجل يدعى "نيكانور" وكانت هذه الشركة تقوم بنقل السلع من "قفط" إلى موانئ البحر الإريتري، وعندما كانت السلع تصل إلى هذه الموانئ كانت تسلم إلى شركات التصدير التي كان يمتلك أغلبها مواطنون رومان[٩٧]. والذين كان أغلبهم لا يقيمون في موانئ البحر الإريتري، وإنما كانوا يعهدون بإدارة أعمالهم إلى وكلاء تجاريين يعقدون الصفقات ويتسلمون البضائع بأسماء التجار، كما نتبين ذلك من إيصالات تخليص البضائع الخاصة بشركة "ماركوس يوليوس الإسكندر" حيث كان يدير أعماله في ميناء "ميوس هورموس" رجل يدعى "انطيوخوس ساتورنينوس" في حين كان يدير أعماله في "بيرينيكي" رجل يدعى "هيرمياس"[٩٨]. وكانت البضائع المشحونة إلى موانئ البحر الإريتري تتضمن القمح والشعير والأدوية والنبيذ واليانسون ومنتجات خشب الزيزفون والجلود والقنب وغيرها من السلع[٩٩]. وقد ورد في وثيقتين من سنة (٦ ق.م) أن اثنى عشر إردبا من الشعير شحنت إلى ميناء بيرينيكي" لحساب جايوس يوليوس":

ε)ξωμεν παρα σου εν Βερενικη κριθηφ αρταβασ οκτω κριθηφ Γαιοσ Ιουλιοφ επηκολουθηκα .... η —[١٠٠].

كما تحدثنا وثيقة ترجع لسنة(٤٣م) عن شحن اثنى عشر إردبا قمحا إلى ميناء "ميوس هورموس" لحساب " ماركوس يوليوس الأسكندر" :

Παρελαβον παρα σου επι Μυοφ Ο(ρμου ειφ τον Μαρκου)Ιουλιου Αλεχανδρου λογον πυρου α)ρταβασ δεκα δυο[١٠١].

---

(٩٧) *O. Tait*. I,220; 221; 227; 246; 240; 244; 252; 257; 260; 261; 266; 267; 282; 268; 270275; 276; *C. P. Gud*. III, 419 (a); 419 (c); A. Fuks, *JJP*., 5(1951), 208 ff.

(٩٨) *O. Tait*. I, 266 (A. D. 43); 282 (A. D. 43).

(٩٩) A. Fuk, Op. Cit, 5 (1951), 212-213.

(١٠٠) *O.Tait*. I, 220 (BAC.6) Cf. *O. Tait*. I, 221 (BAC.6).

(١٠١) *O. Tait*. I, 266 (A. D.43) .

وقد ورد في وثيقة من سنة (٣٤م) أن ستة كيرميا من النبيذ وثلاثة كيرميا من شراب كحولي إيطالي مُسكر شحنت إلى ميناء "بيرينيكي" لحساب "ماركوس ايليوس جمينايوس"[١٠٢]. وتحدثنا وثيقة أخرى من سنة (٤١م) أن كمية من نبيذ أسباني شحنت إلى ميناء "ميوس هورموس" لحساب "لوكيوس يوليوس"[١٠٣]. ونقرأ في وثيقة بردية من سنة (٣٧م) أن "هيرمياس" عبد التاجر اليهودي الروماني " ماركوس يوليوس الأسكندر" قد تسلم من المدعو"نيكاتور بن بانيس" كمية من الجلود لحساب سيده آنف الذكر ويعطيه إيصالا بذلك[١٠٤]. وقد ورد في وثيقة لسنة (٤٣م) أن كمية من خشب الزيزفون شحنت إلى ميناء برينيكي لحساب ماركوس يوليوس الإسكندر[١٠٥].

ومن السلع المهمة التي كان التجار الرومان يصدرونها عبر موانئ البحر الإريتري، الأدوية، وقد ورد في وثيقتين إحداهما من سنة (٣٦م)[١٠٦]، والأخرى في ما بين عامي (٣٧-٤١م)[١٠٧]: أن جايوس نوريونوس قد شحن عشرة متريتيس أدوية إلى ميناء ميوس هورموس. وتحدثنا وثيقة أخرى من سنة (٤٧-٤٨م)[١٠٨]: عن شحن كمية من الأدوية لا نعرف مقدارها على وجه التحديد بسبب تلف الوثيقة إلى ميناء "ميوس هورموس" لحساب مواطنين يدعى أحدهما "تيبربوس كلوديوس أجاثوكليس" والآخر "تيبريوس كلوديوس ثيودروس" وربما كانا شقيقين وشريكين في هذه التجارة. ويرى "روستوفتزف"[١٠٩]: أن الأدوية كانت السلعة الوحيدة التي تصدر عبر موانئ البحر الإريتري، وأن باقي السلع الأخرى التي تشحن إلى هذه الموانئ كانت مجرد تموين شهري للوكلاء التجاريين الذين يعيشون في هذه الموانئ. وإذا كان يؤيد هذا الرأي الكميات القليلة لبعض السلع وبخاصة السلع التموينية مثل القمح والشعير فإن هذا الرأي

(١٠٢) *O. Tait*. I, 240 (A. D 34).

(١٠٣) *O. Tait*. 261(A. D.41).

(١٠٤) *C. P. Gud* III 419 (a) A. D. 37).

(١٠٥) *C. p. Gau*. III, 419 (c)(A. D. 43).

(١٠٦) *O. Tait*. I, 244 (A. D. 36).

(١٠٧) *O. Tait*. I, 257 (A. D. 37-41).

(١٠٨) *O. Ta t*. I, 275 (A. D. 48).

(١٠٩) M. Rostovtzeff, *Gnom*, 7. 1, 1931, 23-26.

لا يمكن قبوله بالنسبة لبعض السلع الأخرى مثل النبيذ والجلود والأخشاب التي نرجح أنها كانت تشحن بهدف التصدير للخارج.

كما تشير المصادر إلى أن صادرات مصر عبر البحر الإريتري كانت تشتمل الملابس والأقمشة الخام والعباءات الأرسينوية (الفيومية)، المختلفة في الأنواع والجودة، بالإضافة إلى الأصباغ الملونة، والعباءات الكتانية ذات غطاء الرأس، والعباءات والمعاطف العسكرية المصنوعة من الجلد، فضلا عن بعض أنواع الأحجار والمعادن مثل الحجر الصوان والالباستر والنحاس اللازم لصناعة الحلي مثل الأساور والخلاخيل النسائية، وسك العملات، وصناعة الأواني وقدور الطهي، وكذلك معدن الحديد اللازم لصناعة الرماح، والفؤوس والقواديم والسيوف، والكؤوس النحاسية المستخدمة في الشراب فضلا عن النبيذ اللاؤديكي والنبيذ الايطالي. كما كانت تستورد الحبشة زيت الزيتون والذهب والفضة المستخدم في أزياء أهالي تلك البلاد والعاج، وريش النعام وبيضها(١١٠)، والمر والقرفة، والحيوانات النادرة مثل السلاحف التي ازداد الطلب عليها نتيجة الحاجة إلى دروعها ووحيد القرن، والأفيال، والعبيد. ومن الهند جلبت السفن الماس والياقوت واللؤلؤ والفيروز، وأحجار اللازوردى، والعقيق، والخزف العقيقي، والحرير، والقطن، والشاش، وجوز الطيب، والفلفل، والسكر. ومن أجل تأمين هذه الكنوز كانت كل سفينة تجارية ترافقها سرية من حاملي النبال(١١١).

وقد استفاد بعض الإغريق المقيمين في مصر من هذا النشاط التجاري، ومن هؤلاء إغريق ارسينوي (الفيوم)، الذين كانوا يشتغلون في النسيج الارسينوى والذي كان يصدر إلى الأسواق الشرقية وخاصة إلى بلاد العرب والهند(١١٢). كما نتبين من إحدى الوثائق أن بعض مواطني حي "ابوللونيوس باريمبولي" والذين كان من المفترض أن يسجلوا في تعداد سنة (٧٣/٧٢م) قد تغيبوا عن هذا التعداد بسبب غيابهم خارج البلاد α)ναπογραφοι، ومن بين هؤلاء المواطنين الذين

---

(١١٠) Rostovtzeff, *The Hellenistic World*, 883.

(١١١) Warmington, *The Red Sea*, 27-28.

(١١٢) *Pliny*, XV. 26; XIX. 17, 14.

لم يسجلوا لتغيبهم شخص يدعى بطلميوس كان متغيبا في الهند[١١٣]. ويفترض ناشر هذه الوثيقة أن" بطلميوس" ربما كان أحد التجار الارسينوين الذين كانوا يقومون بنشاط ملحوظ في التجارة الشرقية وخاصة مع الهند[١١٤]. كما نتبين من الوثيقة نفسها أن مواطنين آخرين من الحي نفسه لم يسجلا في هذا التعداد لوجود أحدهما في الإسكندرية والأخر في إيطاليا[١١٥]. وأغلب الظن أن هذين المواطنين كانا من التجار الذين كانوا يقومون بتصدير النسيج الارسينوى إلى الأسواق الشرقية، كما أنهما كانا يقومان بنقل التجارة الشرقية من بلاد العرب والهند وأثيوبيا إلى مصر، حيث يعاد تصديرها من ميناء الإسكندرية إلى سائر البلاد الغربية[١١٦].

وقد توافد التجار الهنود على موانئ البحر الإريتري المصرية حيث كان يقيم بعضهم في مصر لفترات طويلة، وشكلوا جالية صغيرة عاشت في مصر. ومن الأدلة علي وجودهم في مصر خلال العصر الروماني شذرة بردية من أوكسيرينخوس تحتوي على مسرحية يونانية ورد بها تقليد مشوه للغة الهندية القديمة، كما عثر في ميناء القصير، على بعض النقوش المدونة باللغة الهندية على قطعة من الاوستراكا تحتوي على قائمة ببعض السلع، مثل الزيت واللحوم والنبيذ التي يمتلكها ثلاثة تجار هنود يُدعي أحدهم "هالاكا"، والثاني "ناكادا"، والثالث "فيسنوداتا"، وأغلب الظن أن تلك السلع كانت للاستعمال الشخصي للتجار الهنود وليس لها أية علاقة بالسلع والكماليات التي ارتبطت عادة بالتجارة الهندية، ومن الأمثلة على وجود التجار الوافدين من جنوب الهند، نقش مكتوب *باللغتين اليونانية والهندية* عُثر عليه في معبد للملك سيتي الأول في المنطقة الصحراوية الواقعة بين "أبوللونوبوليس ماجنا" (ادفو) وميناء بيرينيكي، ويحتوي هذا النقش على اسم يوناني يحمله رجل هندي، ومن المرجح أنه من أولئك التجار الهنود الذين استقروا في مصر وتأغرقوا نتيجة طول بقائهم بالبلاد، ومن الجدير بالملاحظة أن أغلب العملات

---

(١١٣) *P. Lond*. II, 260 col. iii, 41-42 (A. D. 72-3).

(١١٤) *P.Lond.* II, 260, note 41.

(١١٥) *P. Lond*. II, 260, Col. iii, 37-38.

(١١٦) *Strabo*. XVII, i. 13 (C. 798).

الرومانية التي عُثر عليها في الهند وجدت في المنطقة الجنوبية(١١٧).

وفي موضع آخر يقدم لنا "دليل البحر الإريتري": وصفا دقيقا عن الحركة التجارية بين الإسكندرية والهند حتى سنة (٧١م)، من خلال حديثه عن "باربايكون" وكان هذا الميناء يصدر إلى مصر الفلفل والمواد الأولية التي كانت تستخدم في صناعة العطور وقد أحب الهنود منتجات الإسكندرية الغذائية، كما نجد أن الصوف قد لقي رواجا واستحسانا لدي النساء الهنديات، كما أن الكهنة البرهميين كانوا يستخدمون الصوف الأحمر في أثناء أدائهم الطقوس، كما كانت تصدر إلى مدينتي "باربايكون" و"بايجازا" المنسوجات والأقمشة الملونة واللبان والزجاج الأبيض والأواني الزجاجية والتوباز والمشغولات الفضية والعملات المسكوكة من الدنانير الرومانية الذهبية والفضية كما يشير أيضاً إلى أن الإسكندرية كانت تلعب دور الوسيط في تجارة المعادن التي استوردتها من الغرب وأعادت تصديرها إلى الهند، ومن هذه المعادن النحاس والقصدير بالإضافة إلى النبيذ الايطالي والنبيذ اللاؤديكيو العربي وكان الهنود يفضلون نبيذ لؤديكي وخريسوليث.

ومن ناحية أخرى كانت السفن السكندرية تعود من ميناء "باربايكون" و"بايجازا" مُحملة بالتوابل وشجر الصمغ والصبغة الصفراء والكركم والعاج والزمرد الأخضر والياقوت والعقيق والخزف والفراء الصيني والحرير وخيوط الحرير والعوسج والأقطان من جميع الأنواع والفلفل الطويل والصبغة الهندية الزرقاء (النيلية) بالإضافة إلي الجواهر والأحجار الكريمة ونصف الكريمة مثل التوباز والمرجان وصبغة تلوين العيون والعطور والمراهم. وكانت السفن المتجهة إلى "بارباريكون" و"بايجازا" تغادر ميناء الإسكندرية في شهر "أبيب" (يوليو)(١١٨).

حيث تصل سفن التجار السكندريين إلى ميناء موزيريس في أقصي الجنوب عند منطقة نهر الغانج لجلب أنواع ممتازة من الفلفل المعروف باسم Κοττοναρικη، وكميات كبيرة من اللؤلؤ الثمين والعاج، وأنواع ممتازة من الحرير والكركم ونبات التنبول الذي جُمع من البلدات

---

(١١٧) *R. Salomon., "Epigraphic Remains of Indian Traders in Egypt", JAOS* .111, no. 4,1991, 731-35.

(١١٨) *Periplus* , Ch.47, 49.

الشرقية الأخرى وجميع أنواع الأحجار الكريمة والماس و الياقوت وأصداف السلاحف التي تم الحصول عليها من الجزيرة الذهبية بالإضافة إلى أنوع أخرى من المحصولات يحصلون عليه من الجزر التي تقع علي ساحل "ليموريكي" :

Ξελω/νη η()τε Ξρυσονησιωτικη.: και.: η(περι.: τα.:φ νη/σο υφ θηρευομε/νη τα.:φ προκειμε/ναφ αυ)τηφ τηφ Λιμυρικφ[١١٩].

وقد انعكس ازدهار التجارة مع الهند في شتى الجوانب الحضارية للإمبراطورية الرومانية، فنجد الأدب اللاتيني خلال عصر أغسطس وخلفائه، يذكر الأفيال والثعابين والنمور والببغاوات الهندية[١٢٠]، كما أن العاج الهندي وظهور السلاحف قد استخدمت في صناعة الزينة، واستخدمت النباتات الطبية الهندية في العلوم الطبية، كما تزينت النساء الرومانيات بالحرير الصيني والجواهر الشرقية من الماس والزمرد والياقوت وغيرها، والمستوردة من سيلان والهند، ودخلت في صناعة الحلي الثمينة، حيث تشير المصادر أن الإمبراطور "نيرون" كان يزين أحذيته وسرره بالجواهر الشرقية، ومعظمها من الجواهر الهندية. كما وجد في قصوره أحجار ثمينة وياقوت وغيره، وقد قلده أثرياء الرومان في ذلك. كما أن هذه النزعة الاستهلاكية الكبيرة قد استمرت في عهود "تيبيريوس" (١٤ ق.م- ٣٧م) ودوميتيان (٨١-٩٦م). وأصبحت التوابل من البهار والفلفل وغيرها من مكونات الأطعمة الأساسية للرومان، وأن الإمبراطور دوميتيان قام ببناء مكان مخصوصٍ للتوابل وبالذات الفلفل، ومن المؤكد أن معظم تلك السلع الثمينة القادمة من الشرق، قد أتت عن طريق الإسكندرية إلى روما[١٢١].

ومنذ عهد تيبيريوس كان الأباطرة الرومان يحاولون وقف نزيف الذهب والإسراف في الإمبراطورية، ويظهر هذا جليا من خلال قراره تحريم مظاهر الإسراف، ومن أمثلة ذلك تحريم لبس الحرير ونحو ذلك. وعلى ما يبدو أن جهوده صادفت بعض النجاح، وهو ما انعكس على

---

[١١٩] *Periplus* , Ch.56.

[١٢٠] *Periplus* , Ch.50.

[١٢١] إبراهيم عبد العزيز سليمان جندي، *صفحات من تاريخ مصر في العصر الروماني الباكر*، (القاهرة: دار نور الإسلام، ٢٠٠٩م)، ٢٢٥.

ظهور العملات الرومانية في شمال الهند، حيث يُنتج الجوت والقطن عكس الجنوب الذي كان ينتج الأحجار الكريمة. لكن الأمر لم يتغير بالنسبة للتوابل والتي ظل سوقها رائجا دون تأثير كبير وهو ما أدى إلى ظهور أحد المظاهر الاقتصادية المرضية، وهي أن الفلفل الأسود ظل يتطور خلال هذا العصر ويعلو سعره حتى صارت أقة الفلفل الأسود في العصور الوسطى توزن لقاء ما يعادلها ذهبا، وهذا كان السبب في تسميته الشهيرة "الفلفل المقدس، Sacred Pepper"[١٢٢].

ومن ناحية أخرى فقد كانت البضائع المستوردة من أفريقيا وبلاد العرب، كالبخور وغيره، المنقولة على سفن الشحن التجاري تحفظ داخل حاويات من الجلود المنتفخة[١٢٣].

كما يقدم لنا صاحب كتاب "دليل البحر الإريتري" معلومات مهمة عن أهم المراكز التجارية على الضفة الشرقية للبحر الإريتري، فيذكر لنا "ليوكي كومي"[١٢٤] و"موزا"[١٢٥]، التي كانت أسواقهما تزخر بالسلع والبضائع المختلفة من الأقمشة القرمزية اللون، والناعمة والخشنة على حد سواء، والملابس العربية ذات الأكمام، والملابس المُطرزة بالذهب، والعباءات والبطانيات، وأنواع من التوابل المصنعة مثل الزعفران، والمراهم العطرية، والنبيذ والقمح، وكانت تمنح للملك الخيول والبغال، والأواني الذهبية والفضية المشغولة، والمنسوجات الفائقة الجودة

---

(١٢٢) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية*، ٧٥-٧٦.

(١٢٣) Wainwright, *Early Foreign Trade*, 145.

(١٢٤) يعتقد بعض الباحثين أن ميناء ليوكي كومي هو المويلح وقيل انه بلدة عينونة أو الخريبة أو الحوراء التابعة لأمارة تبوك حالياً، ومن المرجح أنها الحوراء، لكثرة ما تحتضنه من قلاع وخرائب، ومن الأهمية بمكان إلى أن هناك موقع آخر يقال له الحوراء قرب أملج يرى بعض الباحثين أنها ليوكي كومي، ومن الجدير بالذكر ما ذهب إليه علي غبان حول موقع ليوكي كومي والتي أطلق عليها أسم أكرا كومي من أن موقعها يعرف اليوم بـ (كركمة) على بعد (٤٥كم) إلى الجنوب من مدينة الوجه المواجهة لميناء القصير المصري. ولمزيد من التفاصيل انظر: علي إبراهيم حامد غبان، *أكراكومي- ميناء الحجر*، مجلة كندة، العدد الأول، ١٤١٤هـ؛ سمسم، *العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة*، ١٠١.

(١٢٥) يقع هذا الميناء علي بعد (٣٠ كم) شمال مينا المخا الحالي، وعلي بعد (٨٠ كم) جنوب غرب تعز وهو من أهم وأنشط الموانئ في جنوب البحر الإريتري وعلى الرغم من أنه لم يكن ميناءً طبيعياً جيداً. فقد أشتهر علي وجه الخصوص بتجارة الرماح. وكان في بداية نشوئه يتبع مملكة سبأ ثم تبع مملكة حمير منذ القرن الأول الميلادي. وكانت تخزن فيه السلع والبضائع القادمة من أفريقيا قبل نقلها بالقوافل إلى الشمال أو بالسفن إلى مصر. انظر: صراي، *العلاقات الحضارية*، ١٥٨-١٥٩.

والنحاس، وكانت هاتان المدينتان تصدران العطور والمرمر الأبيض والبخور والشب، فضلاً عن العاج وظهور السلاحف وقرون الخرتيت، وكانت تصل إلى "موزا" من "أدوليس"، وكانت ترسل كل تلك السلع إلى مصانع العاديات والبخور بالإسكندرية، وأن معظم تلك التوابل الشرقية كانت تباع في أقاليم مصر المختلفة[١٢٦].

بيد أنه يبدو أن إنتاج المناطق الجنوبية من الجزيرة العربية للبخور والمواد العطرية، قد ضعف، فلم تعد "حضرموت" قادرة على أن تمد طلاب هذه المواد بكميات ضخمة منها بل فاقتها الهند، وكما يقول "بلينيوس الكبير"[١٢٧]: (... إن اليمن لا تستطيع أن تنتج في سنة واحدة تلك الكمية الضخمة من البخور والعطور التي أمر الإمبراطور "نيرون" بحرقها في جنازة زوجته "بوبيا"....). وربما كان السبب في ذلك يرجع إلى أن أهل الجنوب العربي قد أهملوا هذه النباتات البرية تجارتها بصفة خاصة، نتيجة للخلافات والحروب التي نشبت بينهم، فلم تعد الطرق التي كانت تسير عبرها القوافل في أرض قتبان لتذهب إلى مأرب آمنة، وفضل التجار الهنود الذين كانوا يأتون بسلعهم إلى موانئ بلاد العرب أن يذهبوا بها رأسا إلى الساحل الشرقي الإفريقي ومنها إلى مصر مباشرةً[١٢٨].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من أهم السلع التي كانت تستوردها مصر من بلاد العرب عبر البحر الإريتري خلال العصر الروماني اللبان[١٢٩] λιβανοφ[١٣٠]، وكان المركز الرئيس لتجارة

---

(١٢٦) *Periplus* , ch.19 – 28.

(١٢٧) *Pliny*, XII, 19, 25, 26.

(١٢٨) مصطفي كمال عبدالعليم، *تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني*، دراسات في تاريخ شبه الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، (جامعة الملك سعود، ١٩٧٩م)، ٢٠٨ – ٢٠٩.

(١٢٩) كان الموطن الأصلي لشجرة اللبان جنوب شبه الجزيرة العربية وجزيرة "سوقطرة"، وكان الطلب على هذه الأعشاب شديداً في بلدان البحر المتوسط والشرق الأدنى، ما أدى إلى ارتفاع أثمانها، بسبب تعدد استخداماتها في الطقوس الدينية وتقديم القرابين وفي الطقوس الجنائزية وشعائر الدفن وفي طقوس السحر وفي بعض الاحتفالات والمهرجانات، وفي تكريم بعض الشخصيات العظيمة الذين لا يزالون علي قيد الحياة، كما استخدمت علي نطاق واسع في إعداد الأدوية. انظر: W. Muller, "*Arabian Frankincense in Antiquity According to Classical Sources*", *SHA* I, 1, 1977, 79

(١٣٠) المصطلح اليوناني لاسم هذه الشجرة *λι/βανφο* أو *λιβανοτο/φ* الذي أشتق منه الاسم اللاتيني=

اللبان في العالم منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية، ويذكر بلينيوس[١٣١]: (... أن السبئيين هم أكثر القبائل العربية المعروفة، وترجع شهرتهم إلى تجارة اللبان التي كانت احتكاراً لبعض عائلاتهم، وأن سعر الأنواع الخام الجيدة منه بلغت (٦) دنانير للرطل، والأنواع الأقل جودة (٣) دنانير للرطل، وكان يوجد بالإسكندرية زمن دقلديانوس ورش لتصنيعه وبيعه بأسعار بلغت وفقا لقائمة الأسعار الخاصة بالإمبراطور دقلديانوس سنة (٣٠١م) مائة دينار ....).

كما نتبين من الوثائق البردية أن المر المعيني والكمون كانت مصر تستوردها من بلاد العرب[١٣٢].

وبصفة عامة فقد نجح الرومان في إعادة النشاط التجاري إلى البحر الإريتري واجتذبوا إليه جانبا من التجارة العربية إلى جانب التجارة الهندية. وكان لذلك أثره الواضح في الإمبراطورية الرومانية منذ عهد الإمبراطور "أغسطس"، حيث كانت تجبي من موانئ مصر الواقعة على البحر الإريتري الضريبة المعروفة باسم vectigal maris rubric، وكان المسؤول عن تحصيلها موظف يحمل لقب parsleptes tes Erythras thalasses[١٣٣]. كما أن ذلك العصر شهد تسهيلات تجارية، حيث أصبح من حق الأفراد استيراد المواد العطرية على سفنهم الخاصة مقابل إلزامهم بدفع الضرائب الجمركية. وهو ما تمشى مع سياسة الرومان التي خفضت نظام الاحتكار الذي كان سائداً في العصر البطلمي. بيد أن الدولة الرومانية فرضت رقابة على تصنيع وتسويق المواد العطرية داخل مصر[١٣٤].

ومن الوثائق الطريفة التي تتعلق بتحصيل الرسوم الجمركية في موانئ البحر الإريتري، وثيقة بردية من أوكسيرينخوس، نتبين منها أنه عند قيام الموظف المختص بتحصيل الرسوم

=libanus وهو الاسم المأخوذ من اللغة السامية لسكان جنوب شبه الجزيرة العربية، ولا زالت تستخدم حتى الآن في البلاد العربية. انظر: Muller, *Arabian Frankincense*, 79 .

(١٣١) Muller, *Arabian Frankincense*, 8, 82, 84.

(١٣٢) مصطفي كمال عبد العليم، المرجع السابق، ٢٠٩.

(١٣٣) W. Grundz. 190; West, " *Phases of Commercial Life* ..", 45ff.

(١٣٤) عبدالعليم، *تجارة الجزيرة العربية*، ٢٠٩ -٢١٠.

الجمركية على سفينة لتاجر ما، فإن على هذا التاجر أن يفرغ حمولتها، وإذا وجد سلعاً غير تلك التي أوضحها التاجر في إقراره الجمركي فإن الشحنة تُصادر، أما إذا لم يجد شيئا مخالفاً فعلى هذا المُحصل أن يدفع للتاجر أجر تفريغ شحنته. وعلى التاجر الحصول على إقرار مكتوب من محصلي الضرائب الجمركية حتى لا يتعرضوا إلى أي اتهام[١٣٥].

ويحدثنا "سترابون"[١٣٦] بأنه كانت تجبى مكوس جمركية على السلع الواردة إلى مصر من الشرق، وكذلك الصادرة إليها، وبأن أثمن الشحنات القادمة من الهند والحبشة وأغلى السلع ثمنا كانت تدفع أكثر المكوس الجمركية إرتفاعا، ما يوحى بأن فئات المكوس الجمركية كانت تتفاوت تبعا لقيمة السلع المستوردة. لكن من الجائز أن يكون هذا النظام قد تغير بعد عهد "أغسطس"، الذي كتب فيه "سترابون" فهناك مصادر تاريخية ترجع إلى زمن متأخر من منتصف القرن الأول الميلادي تتحدث على أن الحامية الرومانية في ليوكوس كومي كانت تجبى على الواردات مكوسا جمركية ثابتة قدرها (٢٥٪) من قيمتها. ومع أنه لا توجد أدلة مباشرة على المكوس الجمركية التي كانت تجبي في الموانئ المصرية الواقعة علي البحر الإريتري إلا أنه في ضوء الرسوم الجمركية التي فرضها الرومان في "ليوكوس كومي" لا يستبعد أن يكون الرومان قد استبدلوا النظام البطلمي الذي كان يفرض مكوسا جمركية متفاوتة على السلع المختلفة، والذي كان قائما في بداية العصرالروماني أيام "سترابون" بنظام جديد قوامه فرض مكوس جمركية ثابتة قدرها (٢٥٪) على مختلف السلع الشرقية الواردة إلى الموانئ المصرية على البحر الإريتري. وتحدثنا الوثائق بأنه في عهد الإمبراطور "كلوديوس" كان حق التزام هذه المكوس يباع لجماعات من الملتزمين الرومان. ومن المرجح أن كل من يشتغل في هذه التجارة كان يدفع للحكومة الرومانية ضريبة أو أجرًا لقاء الترخيص له بذلك ما كان يعود على الدولة بفوائد عظيمة.

---

(١٣٥) *P. Oxy*. I, 36.

(١٣٦) نصحي، *تاريخ الحضارة المصرية*، ٢/ ١٦٣ -١٦٤.

الخاتمة:

لقد حظي البحر الإريتري بأهمية اقتصادية عظيمة عبر تاريخه الطويل، واكتسب أهمية أكبر مع تقدم الإغريق والرومان نحو البحار الدافئة، فما أن وطئت جيوش الإسكندر الشرق حتى بدأت الخريطة التاريخية للشرق في التغيُّر فحظيت منطقة الجزيرة العربية وسوريا ومصر بالنصيب الأكبر من هذه التغيرات، وأصبح البحر الإريتري والمجتمعات القاطنة على ضفتيه محوراً مهماً من محاور التنافس الاقتصادي، أجج صراعاً اقتصادياً بين أصحاب الأرض وأولئك القادمين الجدد من أجل بسط نفوذهم و السيطرة على موارده الاقتصادية وكسر احتكارهم التجاري، وأخص بالذكر هنا العرب وجزيرتهم، حيث فكر الإسكندر في بسط نفوذه على الجزيرة، كما يذهب إلى ذلك كثيرٌ من المؤرخين إلا أن موته المفاجئ حال دون تحقيق هدفه.

ولما قامت دولة البطالمة في مصر أطلق بطليموس الأول العنان لقواده لاكتشاف مجاهل البحر الإريتري، من أجل تحقيق أهدافهم الاقتصادية في تجارة البحر الإريتري، وكسر احتكار العرب لتجارته على الضفة الشرقية منه، إما بالقوة العسكرية، وإما بمعاهدات صداقة وتبادلات تجارية، بتدخلاتهم من أجل بسط نفوذهم على الموانئ الشرقية للبحر الإريتري، والتي كانت تحت السيطرة العربية، خاصة بعد احتدام الصراع والتنافس بينهم وبين السلوقيين أبناء عمومتهم، والذين كانوا يسيطرون على سوريا ملتقى الطرق التجارية العالمية آنذاك إما القادمة من بلاد العرب أو من آسيا عبر فارس وبلاد الرافدين، حيث حاول البطالمة بسط نفوذهم السياسي والعسكري على تلك الأرضين، وعلى طرق التجارة العالمية القادمة من بلاد الهند والصين عبر البحر الإريتري، وقد تحقق لهم شيء من ذلك فكانت لهم علاقاتهم مع ممالك السبئيين وغيرهم في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وممالك اللحيانيين في العلا، والأنباط في أقصى شمال غرب شبه الجزيرة العربية، وفي المقابل اهتموا بضفته الغربية خاصة التي أصبحت تحت نفوذهم منذ دخولهم مصر، فأنشأوا الموانئ البحرية إما بتجديد ما توارثوه من قبل، وإما باستحداث الجديد لتكون موانئ منافسة للموانئ العربية المقابلة، كما اهتموا بإنشاء الطرق وتمهيدها في صحراء مصر الشرقية، وربطها بالمدن الواقعة على ضفاف نهر النيل من أجل تنشيط حركة التجارة القادمة عبر موانئ البحر الإريتري إلى المناطق الداخلية في مصر، ومن ثم نقلها

نهريا إلى الإسكندرية ومنها نحو أوربا، ولقد جهزوا تلك الطرق بحاميات عسكرية لحماية القوافل التجارية، كما زودوا تلك الطرق باستراحات وأنشأوا الآبار ووفروا المياه من أجل راحة المسافرين عبرها، إلا أن من المؤكد أن التغيير السياسي للمنطقة أصبح واضح المعالم مع قدوم الغزاة الجدد وهم الرومان الذين تمكنوا من بسط نفوذهم السياسي على معظم مناطق الشرق وحولوه إلى ولاية رومانية تحكم مباشرة من روما. وقد حظيت مصر بالنصيب الأوفر من العناية الرومانية حتى أصبحت مصر من أهم الولايات الرومانية في الشرق، إن لم تكن أهمها على مستوى الإمبراطورية كلها.

وفي الواقع فقد اهتم الرومان بالتجارة الشرقية وأولوها اهتماما كبيرا؛ حيث استهل الإمبراطور الروماني أغسطس عصره بتطبيق طموحات الإسكندر والاستفادة من الجهود الكبيرة التي بذلها البطالمة في تأسيس بنية تجارية كان لها دورها في نجاح النشاط الاقتصادي للبطالمة في تكوين منطقة تجارية بالغة الأهمية في صحراء مصر الشرقية والموانئ البحرية المطلة على الجانب الغربي للبحر الإريتري، وكان لها دورها البارز والمؤثر في التجارة الدولية التي تربط بين الهند وأوربا .

وقد واصل الرومان سياسة البطالمة في السيطرة على أطراف شبه الجزيرة العربية الغربية لكسر احتكار العرب للتجارة، وركز الرومان جهودهم منذ بداية العصر الإمبراطوري على انتزاع السيطرة على طرق التجارة الشرقية من العرب وخاضوا في سبيل ذلك أكثر من حرب ضدهم سواء في حملة "إيليوس جالوس" الشهيرة ضدهم سنة (٢٥ق.م) أو من خلال الحملات التأديبية التي دأبوا على شنها عليهم من خلال تخوم بلاد العرب مع سوريا، وكانوا يهدفون إلى جعل طرق التجارة مع الشرق حكرا لهم دون العرب لكي يوفروا المكاسب التي كان يحوزها التجار العرب من تلك التجارة. ولذلك سعوا إلى إعادة تامين الطرق البرية لصحراء مصر الشرقية التي لعبت دوراً بارزاً في هذا النشاط التجاري وذلك بفضل عناية الرومان بهذه الطرق وإدراكهم لأهميتها، فبذلوا الكثير من أجل إعدادها أمنياً وحضارياً، وكذلك العناية بالموانئ القائمة على شوا طي البحر الإريتري الغربية.

وقد بذل الرومان جهداً عظيماً في بناء مركز تجاري واقتصادي مهم في مصر في عصر

الإمبراطورية الرومانية حتى أصبحت الإسكندرية عاصمة التجارة العالمية في تلك الفترة، وحقق تجار الإسكندرية من وراء التجارة الشرقية ثروات ضخمة، ويكفي أن نذكر أن أحد هؤلاء التجار وهو "فيرموس" استطاع أن يقود ثورة ناجحة في الإسكندرية ضد الحكم الروماني في سنة (٢٧٢م)، تأييدا للملكة زنوبيا ويقال إنه تمكن من تسليح جيش بأسره من دخله من تجارة البردي والصمغ العربي كما تشير المصادر فيما يتعلق بثروة "فيرموس" الكبيرة. فعل سبيل المثال يقال إنه جهز بيته بقطع مربعة من الزجاج، و(الأحجار الكريمة) وكان يمتلك أعداداً كبيرة من الكتب لدرجة أنه غالبا ما كان يقال إنه يستطيع أن يسلح جيشه من تجارة الورق والصمغ. وبالإضافة إلى ذلك فقد حافظ على علاقاته المتينة مع التدمريين. وكثيراً ما كان يرسل سفنه التجارية إلى الهند. وقد بلغ من غروره أن أعلن شق عصا الطاعة على الإمبراطور أوريليان وأعلن نفسه إمبراطورا ووقف بجانب زنوبيا، بيد أن الإمبراطور أوريليان تمكن من التغلب عليه فانتحر بشنق نفسه(١٣٧).

والحقيقة أنه لم يكن هناك منافسة حقيقية تهدد سيطرة السكندريين على تجارة البحر الإريتري والهند، لأن عرب الجزيرة العربية قصروا نشاطهم على تجارة القوافل البرية، ولا يُعرف سوى تجار تدمر الذين تخصصوا في تجارة القوافل البرية أكثر من التجارة البحرية. ومن ذلك نرى أن تجار الإسكندرية احتكروا لأنفسهم التجارة الشرقية حتى أصبحت الإسكندرية والسكندريون في الهند رمزاً للعالم الغربي بأسره بدلا من روما والرومان(١٣٨).

وختاماً، وعلى الرغم مما بذله الرومان من جهود في كسر احتكار العرب لتجارة الشرق، من خلال إحكام الحصار الاقتصادي على جزيرتهم، إلا أن العرب لم يخضعوا لكل تلك الإجراءات التي اتخذها الرومان ضدهم، وأخذت قوافلهم تتحرك داخليا، وشيدوا أسواقهم على طول تلك البرية التي تربط جنوب جزيرتهم بشرقها وشمالها، ومع إشراق نور الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة، كانت التجارة العربية في الجزيرة تدار في أكثر من ثلاثين سوقا منتشرة

---

(١٣٧) *Historia Augusta* ,Vol. III, *The Lives of Firmus*, 392-396.

(١٣٨) E. H. Warmington, *The Commerce between the Roman Empire and India, Cambridge* 1928, 68.

في باديتهم العربية والتي كان من أهمها سوق "عكاظ" و"يثرب" ودومة الجندل " و "عمان" و"المشقر" و "الشحر" و"عدن" و "صنعاء" و"حضرموت" و "ومجنة" و "ذوالمجاز" [١٣٩].

خريطة رقم (١)



خريطة رحلات نيارخوس قائد أسطول الإسكندر الأكبر بعد القضاء علي الإمبراطورية الفارسية
George Willis Botsford, A History of the Ancient World.

---

(١٣٩) شرف الدين، *مسالك القوافل التجارية*، ٢٥٦.

اختصارات الدوريات والمجلات العلمية

JAOS. = JOURNAL OF THE AMERICAN ORIENTAL SOCIETY.

JARC. = Journal of the American Research Center in Egypt.

JEA. = Journal of Egyptian archaeology

JRAI.= Journal of the Royal Anthropological Institute .

JJP. = Journal of Juristic Papyrology.

JRS. = Journal of Roman Studies .

JSS. = Journal Sindhological Studies.

GJ. = Geographical Journal .

SHA. = Studies in the History of Arabia.

TAPhA. = Transactions of the American Philological Association.

الإمبراطور "فيليب العربي" في المصادر الرومانية

رؤية نقدية للعنصرية الرومانية*

محمد عبدالغني

رغم أن "فيليب الأول" (٢٤٤- ٢٤٩م.) لم يكن أول إمبراطور يعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية من أصول غير رومانية أو إيطالية - فقد كانت الأسرة الحاكمة السيفيرية ١٩٣ - ٢٣٥م. من أصول إفريقية وسورية وضمت نساء قويات من سوريا، مثل جوليا دومنا وجوليا مايسا وجوليا مامايا، تركن بصماتهن القوية على الحياة السياسية في الإمبراطورية آنذاك وتحكمن في تعيين الأباطرة وعزلهم - إلا أن فيليب العربي أثار جدلاً واسع النطاق بين المؤرخين القدماء والحديثين لأسباب كثيرة تناولتها أبحاث ودراسات عديدة سيشار إليها واستُفِيد منها على مدى البحث. ولكن البحث الحالي سيركز على نقطة أو قضية شغلت الباحث كثيراً وهى العنصرية الواضحة والتشهير الفاضح في عدد من المصادر الرومانية اللاحقة بهذا الإمبراطور ذي الأصول العربية. إن هذه المصادر تصور فيليب - في كيفية وصوله إلى العرش الإمبراطوري - على أنه انتهازي مخادع قاسٍ داهية استخدم الوسائل كافة - الأخلاقية وغير الأخلاقية! - للوصول إلى غرضه، وتُرجع كل ذلك إلى أصوله العربية "الوضيعة"، فضلاً عن اعتبارات أخرى سيتناولها البحث.

---

* أول من أثار انتباهي بشدة لهذا الموضوع المهم هو العالم الأستاذ باورسوك G. W. Bowersock في كتابه Roman Arabia، وكان ذلك عام ١٩٩١م حين جئتُ إلى المملكة أستاذاً زائراً للدراسات العليا في الرئاسة العامة لتعليم البنات بالرياض. وقد اندمجت في شواغل بحثية وأكاديمية كثيرة بعد ذلك التاريخ، وها هي الفرصة قد حانت لأحقق رغبتي في دراسة الموضوع والحديث عنه على أرض الرياض.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٢٥٥-٢٧٥

كان فيليب (واسمه الروماني ماركوس يوليوس فيليبوس) عربياً من الشهباء (حلب) قرب المنحدرات الغربية لجبل الدروز والتي أطلق عليها – بعد أن ارتقى العرش الإمبراطوري- فيليبوبوليس (أي مدينة فيليب). في عهد الإمبراطور الروماني الشاب جورديان الثالث (٢٣٨ – ٢٤٤م). كان فيليب قد ترقى لدرجات القيادة في الجيش الروماني. ولكن كان على رأس القيادة في الجيش الروماني آنذاك تيميسيثيوس، قائد الحرس البرايتورى وصهر الإمبراطور الشاب والرجل القوى في الحاشية الإمبراطورية. وحين توفى تيمسيثيوس في أثناء الصراع الدائر بين الجيش الروماني والجيش الفارسي الساساني بقيادة الملك الفارسي شهبور الأول عام ٢٤٣م آلت قيادة الحرس البرايتوري والجيش إلى فيليب العربي ؛ بحكم خبرته في القيادة ومعرفته الوثيقة بأحوال منطقة الشرق الأدنى ولغاتها (أو إحدى لغاتها على الأقل وهى العربية). وحين سقط جورديان الثالث صريعاً في ميدان المعركة مع الفرس عام ٢٤٤م نادت القوات الرومانية بفيليب إمبراطوراً. واستمر حكم فيليب خمسة أعوام (٢٤٤ -٢٤٩م) حدثت فيها أمور كثيرة أبرزها الاحتفال بالعيد الألفي عام ٢٤٨م (أي على انقضاء ألف عام على نشأة روما التي أقيمت عام ٧٥٣ق.م. -حسب العلاّمة الروماني فارّو- وذلك عام ٢٤٧م. وبداية العام الأول في الألفية الثانية عام ٢٤٨م.). لقد كانت مفارقة غريبة أن يحتفل بالعيد الألفي لنشأة روما إمبراطور من أصول عربية!.

وقد تناولت المصادر الرومانية سيرة فيليب العربي بدرجة كبيرة من النقد- بل التحامل والتجريح الذي وصل إلى حد الانحياز والتشهير العرقي ضد هذا الإمبراطور العربي الأصل – على مدى مشواره المهني في الجيش الروماني، وركزت على مثالب واتهامات مزعومة ضد الرجل وهو على قمة الإمبراطورية. وقد تفاوتت تفسيرات العلماء المحدثين للنصوص القديمة في المصادر الرومانية بين مؤيدٍ لها أهال مزيداً من التراب والوحل على صورة ذلك الإمبراطور، وبين من حاول توخي قدراً أكبر من الحذر والموضوعية في التفسير محاولاً إنصاف الرجل وبيان ما له وما عليه. لنحاول أن نرصد نقاط النقد والتحامل على الرجل في المصادر القديمة والمعالجات الحديثة في ترتيب تاريخي- قدر المستطاع- على النحو الآتي:

بادئ ذي بدء فإن المصادر الرومانية القديمة التي أشارت إلى فيليب في اقتضاب زعمت أنه ينتمي

لأصول وضيعة اجتماعياً في موطنه الأصلي في سوريا. فها هو كاتب مجهول من القرن الرابع الميلادي من كتاب السير الموجزة يصف "فيليب بأنه كان من أصول وضيعة للغاية وأن أباه كان زعيماً لعصابة من قطاع الطريق"[١]. كما يشير إليه مؤلف "سير الأباطرة" في الحديث عن سيرة الإمبراطور جورديان الثالث (٢٣٨ – ٢٤٤) بأنه "من أصل وضيع"[٢]. كما أن هناك إشارة أخرى مناوئة ومعادية لفيليب في سيرة الإمبراطور أوريليان[٣]. بل وتطرق بعض الكُتّاب القدماء من المؤرخين الرومان من أمثال زوسيموس إلى التشهير والقدح في فيليب العربي لا لشخصه ووضاعة أصله –كما زعمت الروايات السابقة– بل لكونه عربياً، وهو تمييز عرقي وعنصري من جانب الرومان ضد العرب. إذ يذكر زوسيموس عن فيليب "إذ

---

(١) Epitome de Caesaribus 28.4: Is Philippus Arabs humillimo ortus loco fuit, patre nobilissimo latronum ductore.

(٢) Scriptores Historiae Augustae (SHA) (or Historia Augusta, HA), Gord. 29.1: Philippus Arabs, humili genere natus. هذا المصدر "التاريخ الأغسطي / أو سير الأباطرة" هو مجموعة من سير الأباطرة الرومان ومغتصبي العرش الروماني في الفترة ما بين ١١٧ و٢٨٤م. (من هادريان إلى كارينوس ونوميريانوس). وحسب الدراسة المعمقة والمعقدة لمخطوطات هذه المجموعة من السير فإن من قام بتدوين هذه السير هم ستة من الكُتاب المختلفين عاشوا في عصر دقلديانوس وقنسطنطين الأكبر كما يتضح من إهداء بعض السير إلى الرجلين. ولكن النص الحالي من هذه السير به فجوة زمنية من عام ٢٤٤ إلى ٢٥٩، بمعنى أن سير الأباطرة فيليب العربي وديكيوس وفاليريان لم ترد أو لم تدوَّن ضمن هذه المجموعة من السير. وقد صيغت هذه المجموعة من السير على شاكلة "سير الأباطرة الإثنى عشر De vita Caesarum" للمؤرخ سويتونيوس والتي تناولت سير الأباطرة من أغسطس حتى دوميتيان. ومع ذلك ليس هناك من سبب مقنع للاعتقاد بأن هذه المجموعة من سير الأباطرة HA امتداد ومُكملة لسير الأباطرة عند سويتونيوس وأنها ربما ضمت سير الإمبراطور نيرفا ومن بعده تراجان في الأصل.

(٣) H. A. Aurelian 42.6.

ويرى كاتب النص في هذا الموضع أن أحد مهرجي المسرح قد ذكر أن الأباطرة الصالحين يمكن أن يُدونوا ويُنقشوا على خاتم واحد (أي يُعدون على أصابع اليد). (ثم يضيف الكاتب) وعلى النقيض من ذلك ما أطول قائمة الأشرار!. فإذا ما غضضنا الطرف عن (أمثال) فيتيللوس وكاليجولا ونيرون فمن ذا الذي يتحمل (أشباه) ماكسيمينوس وفيليب وتلك الحثالة الوضيعة من الطغمة الفوضوية؟، Ut bene dictum sit a quodam mimico scurra Claudii huius temporibus in uno anulo bonos principes posse perscribi atque depingi. At contra quae series malorum! Ut enim omittamus Vetellios, Caligulas et Nerones, quis ferat Maximinos et Philippos atque illam inconditae multitudinis faecem?

كانت بداياته (انطلاقته) من بلاد العرب، أي من أسوأ قوم"[٤]. إن هذه العنصرية الفجة من جانب الرومان ضد العرب – الذين يُطلق عليهم في المصادر الرومانية كذلك مُسمّى السوريين أو الـ"سراكنة Σαρακ→νοι – أمر واضح ومشهود في المصادر الرومانية من شيشرون حتى زوسيموس كما يدلل عليه باورسوك[٥] الذي يسخِّف من مقولة أن الانحياز الروماني كان انحيازاً ثقافياً وليس عرقياً أو عنصرياً وهى المقولة التى روَّج لها بعض العلماء مثل شيروين– وايت. كما يتناول عرفان شهيد بقدر من التفصيل قضية الانحياز الروماني ضد العرب والعنصرية الواضحة في الإشارة إليهم في كتابه عن "روما والعرب – مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب"[٦] لاسيما في الفصلين الثامن عن "زوسيموس والعرب" والتاسع عن "مصطلح الساراكيني وصورة العرب". إن المقولات التى تنضح عنصرية من جانب بعض كبار الكُتّاب الرومان ضد العرب عرقاً أو عنصراً رسخت في ذهنية المؤرخين الحديثين مثل إدوارد جيبون ذلك الانطباع السلبي الذي وصم به الإمبراطور فيليب العربي حين يقول "لقد كان فيليب عربياً بالمولد، وعليه فقد كان في الفترة المبكرة من حياته– يتخذ اللصوصية حرفةً"[٧].

هكذا نرى المصادر الرومانية تشهِّر بفليب العربي– من حيث المبدأ– لمجرد كونه عربياً قبل أن تخوض في أي تفاصيل عملية تخص سيرته وأعماله وقراراته وسياساته ... هذا الأمر يعطى انطباعاً سلبياً عن منظور متحيز سلفاً ضد الرجل عند تناول هذه القضايا الجادة في تدرجه القيادي وفترة حكمه. عموماً لندع الآن هذه "الآراء" السلبية المنحازة حول أصول فيليب الوضيعة وأسرته من قطاع الطرق كما يزعمون لنحاول الاقتراب من "حقائق" ملموسة في هذا الصدد. لقد حاول بعض العلماء النظر بموضوعية إلى مجمل صورة فيليب وفترة حكمه وحاولوا

---

(٤) Zosimus, Historia Nova I.18.3: J ρμμενοω γρ⁄ζ Αραβαω, ƒψνουω Ξειρστου.

(٥) G. W. Bowersock, Roman Arabia, Harvard University Press, 1983, 123-4 and note 4 of chapter 9.

(٦) I. Shahid, Rome and the Arabs. A Prolegomenon to the Study of Byzantium and the Arabs (Washington, D. C. 1984).

(٧) I. Gibon, The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, ed. J. B. Bury, London, 1896, vol. I., 191.

رفع الظلم والتشهير عنه ورسم صورة حقيقية أقرب إلى الواقع عن الرجل ما له وما عليه. ففي هذه النقطة- أصول فيليب- يرى أحد العلماء أن تمتع عائلة فيليب في موطنها في سوريا بالانتماء لطبقة الفرسان الرومانية لدليل كافٍ على امتياز ورقى وضعها في موطنها الأصلي[٨] وأن انتساب أبيه جوليوس مارينوس[٩] (الاسم الروماني) إلى مدينة على حدود منطقة "ليجع" ربما أوحى لبعض الجهلاء لوصمه بأنه من قطاع الطرق الذين اشتهرت بهم تلك المنطقة. كما يشير إلى أن أخاه جايوس يوليوس بريسكوس كان عضواً متفرداً في طبقة الفرسان الرومانية، كما أن اسم زوجته أوتاكيليا سيفيرا يبين أنها كانت تنحدر من أسرة عربية كانت تتمتع بحظوة لدى الإمبراطور سبتميوس سيفيروس مؤسس الأسرة الإمبراطورية السيفيرية. ورغم محاولة عالم آخر[١٠] رد الاعتبار إلى فيليب في مقالة مطولة تناولت فترة حكمه وجوانب النقد الموجهة إليه ووجهة نظر ذلك العالم فيها إلا أنه- فيما يتصل بأصول فيليب- بدا متأثراً بما ورد في المصادر المشار إليها ورأى في أصول ذلك الإمبراطور نقطة ضعفه! وفى حديثه عن أبيه مارينوس- الذي أمر فيليب بتأليهه[١١] بعد أن ارتقى العرش الإمبراطوري- يذكر ذلك العالم أنه كان شيخاً غير معروف من المنطقة الحدودية العربية. ولكنه يورد سيرة زوجة الإمبراطور "ماركيا اوتاكيليا سيفيرا" وما حظيت به من ألقاب تكريم وتشريف كبيرة في الوثائق على العملات- بوصفها زوجة للإمبراطور فيليب- تماثل ما تمتعت به السيدات الحاكمات في العائلة السيفيرية: جوليا دومنا، وجوليا مايسا، وجوليا ماميا.

هذه الشواهد تبين لنا أن فيليب العربي لم يكن- من حيث أصوله ونسبه- بهذه الصورة الشائهة التي حاولت بعض المصادر الرومانية أن تظهره بها، وإنما كان ينتمي إلى عائلة عربية مرموقة- على مستواها المحلى- ولذلك حظي بعض أفرادها المتازين ذوى الكفاءة مثل فيليب وأخيه

---

(٨) G. W. Bowersock, loc. cit.

(٩) Prosopographia Imperii Romani, 2nd edn. By E. Groag, A. Stein and others, 1933, I. 407.

(١٠) L. de Blois, "The Reign of the Emperor Philip the Arabian", Talanta 10-11 (1978-1979), 11-43.

(١١) G. W. Bowersock, 125, note 10.

بريسكوس بانتباه السلطات الرومانية الحاكمة وارتقوا إلى مناصب القيادة في الجيش، وسنحت الفرصة لأحدهم- في ظل ظروف غير مواتية للإمبراطورية الرومانية في صراعها مع الأسرة الفارسية الساسانية الفتية- ليرتقى إلى العرش الإمبراطوري الروماني- وهو الإمبراطور "فيليب العربي".

بعد أن رأينا القدح والتشهير من بعض المصادر بأصول فيليب العرقية والأسرية فإن من المتوقع أن تتناول هذه المصادر ملابسات وصوله إلى العرش الإمبراطوري وقراراته وأفعاله بنفس القدر من التشكيك وسوء الظن وكيل الاتهامات ... لنتناول كيف أوردت المصادر هذه الأمور ونحاول- دون دفاع- أن نستخلص الحقيقة قدر المستطاع.

دعنا أولاً نشير إشارة عابرة إلى الظرف التاريخي الذي أتى بفيليب العربي إلى العرش الروماني. قامت الدولة الفارسية الساسانية على أنقاض دولة البارثيين حين انتصر مؤسس الإمبراطورية الساسانية أرتاكسركسيس السادس (المعروف باسم "أردشير") على آخر ملوك الأسرة الأرساكية البارثية أرتابانوس الرابع في ٢٨ أبريل عام ٢٢٤م. ثم توسع بعد ذلك لتضم إمبراطوريته إيران وبابل وبين النهرين وشمال شرق شبه جزيرة العرب. وقد خاض حملة غير حاسمة ضد الإمبراطور سيفيروس الإسكندر عام ٢٣٠ – ٢٣٢م، لكنه استولى على نصيبين وكارهاى في ولاية "بين النهرين" الرومانية عام ٢٣٦م. وفى عام ٢٤١م توفى أردشير وخلفه على العرش الساسانى ابنه سابور (شهبور) الأول ٢٤٠م حيث حكم بالاشتراك مع أبيه لمدة عام-٢٧٢م)، وواصل سياسة أبيه الراحل في مهاجمة الولايات الرومانية الشرقية بنجاح مشهود ومتفرد ألحق الخزي بهيبة روما ونفوذها في المنطقة(١٢).

ولما كانت روما تدرك جيداً مخاطر هذه السياسة الساسانية التوسعية بقيادة شهبور الأول على ولاياتها الشرقية بين الفرات والبسفور، فقد أعد الإمبراطور الصبي جورديان الثالث حملةً- بالاشتراك والتحالف مع خسرويه ملك أرمينيا والعدو اللدود للساسانيين الذين اقتلعوا أسرته الأرساكية البارثية من حكم بلاد فارس- لمجابهة أطماع الملك شهبور الأول في اتجاه الحدود الرومانية

(١٢) Simon Hornblower and Antony Spawforth (eds.), The Oxford Classical Dictionary, 3rd edn., 1996, under: Artaxerxes (6) (Ardashir), 182 and Sapor I (Shahbuhr) 1354.

والأرمينية إلى الغرب. سار جورديان الثالث عام ٢٤٢ على رأس جيش كبير نحو الشرق وكان معه على رأس القيادة قائد الحرس البرايتورى فوريوس تيميسيثيوس- صهر الإمبراطور والقائد المحنك ذى التجارب العسكرية الممتدة والمتخصص في الإمدادات العسكرية- وجوليوس بريسكوس- شقيق الإمبراطور (القادم) فيليب العربي. وكان في سُدة القيادة العليا إلى جانب هؤلاء مجموعة من كبار القادة والضباط السوريين العرب من بينهم فيليب (ماركوس يوليوس فيليبوس) وأتو ماركيللوس، وهو ضابط سابق في الكتيبة العشرين التدميرية كان مسؤولاً عن إمدادات القمح بالسفن في نهر الفرات. ويرى أحد المؤرخين المحدثين أنه في نهاية عهد جورديان الثالث كانت هناك عشيرة من السوريين العرب تهيمن على مقدرات القيادة. ولذلك عد مجئ فيليب إلى قيادة الحرس البرايتورى عقب الموت المُعجّل (قبل الأوان) لتيميسيثيوس كان أمراً متسقاً مع منطق الأمور(١٣).

لنعد الآن إلى هذه المواجهة الرومانية الفارسية كما وردت في مؤلف سير الأباطرة .H.A عند الحديث عن سيرة جورديان الحفيد (الثالث) وكيف كيلت اتهامات بالجملة إلى فيليب في النوائب أو المواقف الصعبة التي حدثت للحملة الرومانية وأُزجى المديح إلى غيره في الانتصارات والمواقف الإيجابية، على خلفية عنصرية مسبقة أساسها أصول فيليب العربية! فقبل انطلاق الحملة وبالتحديد عام ٢٤١م يذكر كاتب السيرة أن جورديان قد تزوج من ابنة تيميسيثيوس (يرد في نص هذه السيرة دوماً باسم ميسيثيوس Misitheus) الذي يصفه بأنه رجل في غاية الثقافة والعلم وفصاحة البيان ولذا عده جورديان جديراً بالمصاهرة وأسند إليه مهمة قيادة الحرس البرايتورى. ويمتدح كاتب السيرة تيميسيثيوس وحكمته ونصحه للإمبراطور الصبي وحمايته له من الخصيان الانتهازيين من حاشية القصر الذين أتت بهم والدة الإمبراطور بجهلها أو تواطئها وتسترها(١٤).

ثم يذكر كاتب السيرة عن بداية الحملة الرومانية ضد الفرس حين قام جورديان الثالث

---

(١٣) H.-G. Pflaum, Les carriers procuratoriennes sous le Haut-Empire romaine II, Paris, 1960, 837, apud L. de Blois, art. cit., 12.

(١٤) SHA (The Three Gordians), Loeb Classical Library (LCL), tr. David Magie, reprint, 1993, 23. 6-7 ant note, 424-25.

بفتح بوابتي معبد الإله الروماني جانوس (إيذاناً بشن الحرب) وشرع في حملته ضد الفرس بجيش ضخم وذهب وفير يتيح له تحقيق انتصار سهل على الفرس سواء بقواته النظامية أو القوات المساعدة حسب زعم كاتب السيرة. ثم يذكر خط سير هذه الحملة الرومانية الضخمة من مويسيا إلى طراقيا (شمال شرق بلاد اليونان) وفرار قوات الأعداء (الفرس) هناك من أمامه. وسيره بعد ذلك عبر سوريا إلى أنطاكية التي كانت آنذاك في حوزة الفرس، ومعاركه المتتالية الناجحة وانتصاراته المتكررة وطرده لقوات شهبور الأول واسترداده لمناطق عديدة من حدود الإمبراطورية في الشرق كان الفرس قد استولوا عليها مثل أنطاكية وكراهاي ونصيبين. ويذكر كاتب السيرة أن الملك الفارسي شهبور قد تملكه الخوف والذعر حتى أنه- رغم قواته الضخمة- أخلى تلك المناطق المحتلة من جانب الفرس وأعادها دون أن يلحق أي أذى بمواطنيها أو أملاكها[١٥].

المهم في الأمر أن كاتب السيرة ينسب هذه الإنجازات الرومانية- إن كانت قد حدثت دون مبالغة- بأكملها إلى شخص واحد هو تيميسيثيوس صهر الإمبراطور دون سواه[١٦] من القادة الشرقيين السوريين الملتفين حوله كما أشرنا من قبل ومن ذوى الخبرة بالمنطقة وبالقتال مع الفرس المجاورين لمسقط رأسهم! إنه يقول حرفياً "إن كل ذلك قد تحقق وأُنجز على يد تيميسيثيوس صهر جورديان وقائد الحرس"

sed haec omnia per Misitheum, socerum Gordiani eundemque praefectum, gesta sunt (27.2.)

وأن القوة الرومانية قد سيطرت على الشرق بأكمله. ثم يتحدث كاتب السيرة عن الاحتفال بهذا النصر في روما في مجلس السناتوس وحديث الإمبراطور إلى شيوخ السناتوس عن إنجازاته السالفة الذكر ووعده بأن يصل في حملته القادمة إلى كتيسيفون (طيسفون) (على نهر الدجلة) عاصمة الساسانيين. وينسب الإمبراطور في خطابه المذكور أمام السناتوس الفضل في كل هذه النجاحات والانتصارات الحالية والمستقبلية إلى صهره تيميسيثيوس فيقول: "إنني لأرجو لقائد حرسنا وصهرنا تيميسيثيوس التوفيق والازدهار، فبفضل قيادته وترتيباته أنجزنا هذه

---

[١٥] Ibid. 26. 3-27. 1.

[١٦] Ibid. 27. 2-10.

(الانتصارات) وسوف نستمر في إنجاز بقيتها في المستقبل. ولذا فعليكم الآن أن تصدروا قراركم بتقديم آيات الشكر وأن تمتدحونا لدى الآلهة وأن تقدموا واجب الشكر إلى تيميسيثيوس" :

"valeat tantum Misitheus praefectus et parens noster, cuius doctu et dispositione et haec transegimus et reliqua transiqemus. Vestrum est igitur supplicationes decernere, nos dis commendare, Misitheo gratias agree" (27. 7-8).

وأخيراً وليس آخراً فإن السناتوس استجاب لمطالب الإمبراطور بصدد تكريمه هو وصهره على ما حققا من إنجازات، وكتب نقشاً تكريمياً لتيميسيثيوس عليه ما يلي: "إلى صاحب الفخامة تيميسيثيوس، والد الأباطرة وقائد الحرس البرايتورى والمدينة بأسرها، وحامى حمى الدولة- تقديراً واعترافاً بالفضل من السناتوس والشعب الروماني" :

"Misitheo eminenti viro, parenti principum, praefecto praetorii et totius urbis, tutori rei publicae senatus populusque Romanus vicem reddidit" (27.10).

وهكذا أصبح للنصر الروماني أبٌ واحد هو تيميسيثيوس ولم ترد مجرد إشارة إلى دور غيره من بقية القادة- من عرب أو غيرهم- وكأن النصر قد حققه فرد واحد!

وبعد كل هذا التفخيم والتعظيم لدور تيميسيثيوس لنرى الآن- وكما هو متوقع- كيف سوف ستكون نبرة الحديث عن فيليب العربي الذي سيخلف تيميسيثيوس بعد وفاته في قيادة الحرس البرايتورى. إذ يقول كاتب السيرة أن هذا الطالع السعيد لتيميسيثيوس كف عن ملازمته، ويشن على الفور هجوماً لاذعاً على فيليب العربي[١٧]، ويروى أن غالبية الناس يقولون أن تيميسيثيوس قد لقى حتفه بمؤامرة ومكيدة من فيليب الذي عُيِّن قائداً للحرس من بعده، وإن كان البعض يرون أنه توفى من جراء المرض:

nam Misitheus, quantum plerique dicunt, artibus Philippi, qui post eum praefectus praetorii est factus, ut alli, morbo exstinctus est. (28.1).

ثم يعود ليؤكد الفرضية الأولى (تدبير وكيد فيليب) فيقول إن فيليب كان يرتعد فرقاً وخوفاً

---

(١٧) Ibid. 28.

منه لأسباب عديدة: Philippus eum propter pleraque vehementer timuisse fertur ولذلك تآمر مع الأطباء على حياته: Atque ab hoc per medicos insidias eius vitae parasse.

ويروى كيفية ذلك فيقول: لقد حدث أن عانى تيميسيثيوس من إسهال cum effusione alvi ... ونصحه الأطباء بأن يتناول دواءً يُمسك بطنه ويخفف من أثر الإسهال، ويقال أنهم (الأطباء) بدّلوا ما كانوا قد أعدوه من دواء وقدموا له دواء زوَّد من معدل الإسهال أكثر حتى مات! رواية صعبة التصديق لاسيما وأن ما ذكره كاتب السيرة يؤكد على ما كان يتمتع به تيميسيثيوس من إجلال وتقدير من الجميع في البلاط الروماني وترابنة الجند وقادتهم الذين كانوا يحبونه ويخشونه في آنٍ واحد إذ يقول:

amabaturque ab omnibus, quod sic et rem publicam amaret et principem. tribuni eum et duces usque adeo timuerunt et amarunt ... (28.4).

إن هذا الحب من الجميع يتناقض مع التآمر عليه من قِبل الأطباء لاسيما وأن مركزه ونفوذه في الإمبراطورية آنذاك كان أقوى بكثير من نفوذ فيليب، ومن ثم فإن وشاية الأطباء له لفضح مؤامرة فيليب المزعومة كانت أجدى لهم وأكثر ربحاً لو أن غرضهم كان المال! ثم إن قادة الجيش والترابنة العسكريين كانوا يخشونه بقدر ما كانوا يحبونه (كما ورد في النص الذي قدم الخشية على الحب، وربما في دلالة لا تخلو من مغزى)! فلماذا- إن كان في الأمر مؤامرة- لا يكون مدبرها أحد هؤلاء القادة- غير فيليب- الذين ربما لم يخشوا تيميسيثيوس فقط بل ربما كان هناك من يكرهه!.

إن التركيز على أن الفاعل في هذه المؤامرة- إن صحت- هو فيليب ناجم عن بواعث عنصرية سبقت الإشارة إليها وتأتى في الترتيب والسياق بعد التأكيد- غير المستند إلى دليل- على تورطه مع بعض الأطباء في الخلاص من صهر الإمبراطور. إذ يذكر في الجملة والفقرة التالية مباشرة (29.1) تاريخ موت تيميسيثيوس عام ٢٤٣م وتعيين فيليب العربي مكانه رئيساً للحرس البرايتورى وينوه إلى أصله الوضيع! humili genere natus.

موقف المصادر الرومانية العنصرى من فيليب واضحٌ جلىٌ إذاً منذ بداية ذكره في سيرة جورديان الثالث وسيظل محل اتهام وريبة وتشكيك في كل ما يصدر عنه- أو لا يصدر- دون أدلة

اتهام قوية. لنتابع هذا الموقف المناوئ بعد وصول فيليب إلى منصب قائد الحرس البرايتورى. ها هو كاتب سيرة جورديان بعد أن نعت فيليب بوضاعة الأصل ينعته بالصلف والاستعلاء وعدم القدرة على تمالك نفسه بعد صعوده المفاجئ إلى السلطة وضربة الحظ المفرطة التي واتته، وأنه بدأ على الفور في التآمر على جورديان عن طريق الجند statim Gordiano … insidias per milites faceret ويقول أن هذا التآمر من جانب فيليب اتخذ شكل تغيير مسار السفن المحملة بالحبوب وتوجيه القوات إلى مواضع لا توجد بها مؤن وإمدادات، ومن هنا ثارت ثائرتها بسرعة ضد جورديان لأنهم لم يكونوا يعلمون أن الشاب قد تعرض لخيانة ومكيدة مدبرة من جانب فيليب- هكذا يؤكد المصدر: hinc Gordiano infestos milites statim reddidit, non intellegents artibus Philippi iuvenem esse deceptum (29.3).

ثم يواصل المصدر اتهام فيليب بأنه حرض الجند على جورديان بأن نشر بينهم أقاويل عن صغر سنه وعدم كفايته لإدارة الإمبراطورية، وضرورة أن يتولى الحكم شخص قادر على قيادة الجيش وفهم أوضاع الدولة. وأنه ظل على هذا النهج وكسب إلى صفه القادة والجند حتى أعلنوه إمبراطوراً على أن يقتسم السلطة بالتساوي مع جورديان ويكون وصياً عليه[١٨].

وللتعليق على هذه الفقرة من المصدر تعليقاً موضوعياً فلابد أن نضع احتمالات أخرى لمسألة شح الحبوب وحدوث شبه مجاعة أثارت ثائرة الجند ضد جورديان- فضلاً عن نظرية المؤامرة والمكيدة التي روَّج لها المصدر المتحامل ودعمها البعض بالقول بإمكانية إتمام فيليب لهذه الخطة من خلال التعاون مع أتو ماركيللوس قائد سفن الحبوب على نهر الفرات والذي حقق نجاحاً مشهوداً بعد ذلك[١٩]. أليس من الممكن أن يكون هذا الاضطراب في المؤن والإمدادات نتيجة طبيعية لوفاة تيميسيثيوس الذي كان بارعاً في هذه الناحية التنظيمية[٢٠] وبعد وفاته ارتبكت الأمور في هذا الجانب إلى حد كبير. وليس بمستبعد أن يكون فيليب قد استغل هذا الوضع لصالحه في

(١٨) Ibid. 29.

(١٩) R. W. Davies, "M. Aurelius Atho Marcellus", JRS 51, 1967, 20-22.

(٢٠) SHA, Gordians, 28. 2-3. اتفق في هذه النقطة مع رأى L. de Blois في مقالته الواردة في حاشية رقم (١٠) أعلاه، ١٣.

الترويج لنفسه على حساب ذلك الإمبراطور الصبي حسب مقتضيات لعبة السياسة والطموح إلى العرش الإمبراطوري التي لعبها ويلعبها الجميع بغض النظر عن عرقهم وجنسهم! من المؤكد أن فيليب- إن كان قد نشر أقاويل بين الجند والقادة فعلاً عن عدم كفاءة جورديان وقلة خبرته بحكم تلك الإمبراطورية الكبيرة- فقد كان مقتنعاً بصحة ما يقول ويرى أنه الأكفأ والأجدر بحكم الإمبراطورية. ومن الواضح من هذه الفقرة والفقرة التالية (٣٠) أن فيليب قد أفلح في التأثير الفعال على آراء القادة والجند وأن كفته قد رجحت باقتدار- في التصويت الرسمي- على جورديان الذي تآكلت شعبيته بين القوات إلى أدنى مستوى. إن خطاب جورديان في السناتوس بعد تحقيق انتصارات أولية على الفرس- والذي سبقت الإشارة إليه- قد نسب الفضل بأكمله في الانتصارات إلى صهره تيميسيثوس ويبدي- بشكل شبه مباشر- أنه اعتمد عليه اعتماداً كاملاً. أما وقد توفى صهره واختلت موازين القيادة والإمداد والتموين فقد بات الموقف بحاجة إلى قائد وإمبراطور أكفأ، ولابد أن فيليب رأى في نفسه ذلك الرجل ونجح في تسويق نفسه (إن جاز التعبير) بامتياز بين القوات.

ثم يستمر كاتب سيرة جورديان في إكمال نسج خيوط المؤامرة التي ينسبها إلى فيليب بالقول بأنه على الرغم من ضعف موقف جورديان وهبوط شعبيته بين الجند بصورة حادة فإن فيليب قد خشي من عودة تعاطف القوات معه بعد زوال غمة المجاعة. لذلك فقد "أمر بأن يساق بعيداً عن الأنظار وهو يصرخ وأن يجرد من شعارات الحكم ويقتل. وقد تباطأ تنفيذ الأمر في البداية ولكن نُفذ لاحقاً كما أمر"

clamentem e conspectu duci iussit ac despoliari et occidi. quod cum primo dilatum esset, post ut iussit impletum est.

وهكذا صار فيليب إمبراطوراً بهذه الطريقة الدنسة غير القانونية حسب وصفه: ita Philippus impie non iure obtinuit imperium (30.9)" ويكمل نفس المصدر أن فيليب- لكي لا يبدو وقد استولى على العرش الإمبراطوري بأساليب دموية- أرسل خطاباً إلى روما يذكر فيه أن جورديان قد توفى نتيجة لمرض[٢١] وأنه قد اختير إمبراطوراً بإجماع الجند:

(٢١) See also Zosimus, Historia Nova, 1.19.1.

Romam litteras misit, quibus scripsit Gordianum morbo perisse seque a cunctis militibus electum (31.2).

ويكمل بأن مجلس السناتوس قد انخدع بهذه الرواية التي ليس لديه علم بها ومنح فيليب حكم الإمبراطورية ولقب أغسطس وقام بتأليه جورديان.

ولكن هناك معلومات متناقضة مع ما ورد في هذا التاريخ الأغسطي في هذا الصدد وردت في مصادر أخرى لاحقة: إذ يورد كل من زوسيموس (I.18, 4 - I.19, 2) وزوناراس (12.18, 3) أن جورديان قد قتل في ثورة طعام تسبب فيها فيليب. ولكن زوسيموس يعود فيناقض روايته تلك في موضع آخر حين يناقش موضوع السلام الذي أبرمه الإمبراطور جوفيان مع الفرس (بعد حوالي قرن)، إذ يورد زوسيموس– نقلاً عن المصدر الذي أخذ عنه– القول بأن جورديان الثالث "قد سقط قتيلاً في ميدان المعركة في قلب أرض الأعداء ... وتلاه فيليب في ارتقاء سُدة الحكم وأبرم صلحاً مشيناً مع الفرس"[٢٢]. وقبل زوسيموس كان أميانوس ماركيللينوس قد عزا موت جورديان إلى "عصبة" تابعة لفيليب[٢٣]. كما أن مؤلف "النبؤات السيبيلينية Oracula Sibyllina" يعزو موت جورديان إلى خيانة لم يحدد هويتها وإن قطع بأنه قد سقط في ميدان المعركة[٢٤].

هذا خلاصة ما وصلنا من المصادر اليونانية والرومانية عن مقتل جورديان الثالث، وكلها تشير– بطريقة مباشرة أو غير مباشرة– إلى تورط فيليب بصورة أو بأخرى في اغتيال جورديان، سواءً كان ذلك على أرض المعركة أو بعيداً عنها. وقد أقر كثير من المؤرخين المحدثين خلاصة ما جاء في هذه المصادر من مسؤولية فيليب وجرمه في التخلص من جورديان[٢٥]. لكن هناك مصدراً فارسياً مهماً حول هذه القضية يتمثل في النقش المشهور للملك الفارسي "شهبور الأول" والمعروف بـ"نقش رستم" في التراث الفارسي أو "منجزات شهبور المؤله Res Gestae Divi Saporis" (RGDS)،

---

(٢٢) Ibid., 3.32.4.

(٢٣) Ammianus Marcellinus, 23.5.17.

(٢٤) Oracula Sibyllina, 13. 13-20, 17-18: "προδοψε⇐ω | φ' ∞τα⇐ρου καππϒσετ' ⁄ν τ□φει τυφψε⇐ω □⇔ψϖνι σιδ→ρ⊗ι".

(٢٥) Hans A. Pohlsander, "Philip the Arab and Christianity", Historia 29, 1980, 463ff., notes 21-28.

وهو نقش ثلاثي اللغة (البهلوية الأرساكية، والساسانية واليونانية) وعليه صور من النحت البارز تصور منجزات ذلك الملك الفارسي العظيم(٢٦). هذا النقش لا يشير إلى النصر الذي حققه جورديان في بداية حملته- حسبما ورد في HA وكان الفضل فيه لصهره تيميسيثيوس- ضد الفرس في "ريساينا" بل يذكر بالفخر ذلك النصر الحاسم الذي تحقق للملك شهبور على الرومان في موقعة "ميسيخي" ومقتل الإمبراطور جورديان في ميدان المعركة حسبما يقرر النقش ويصوِّر، كما يصور فيليب راكعاً أمام شهبور يتوسل من أجل السلام الذي تفضل عليه به شهبور في شهامة(٢٧) حسبما يذكر النقش.

إن هذا التباين بين الروايات السالفة الذكر- مع تغليب نظرية المؤامرة من جانب فيليب ضد جورديان في المصادر والمراجع- تدفعني إلى منحى- أتصوره- أكثر منطقية للأحداث، وتسير خطواته على النحو التالي. بعد أزمة شح الإمدادات والمؤن الغذائية والتي هددت بشبح مجاعة يطل برأسه على الجيش الروماني بعد موت تيميسيثيوس، استغل فيليب هذه الأزمة لصالحه ورقة ضغط يبين من خلالها مدى هشاشة الإمبراطور الشاب في مواجهة الأزمات وحاجة الجيش والإمبراطورية لقائد وإمبراطور قوى يجيد التصرف مع المحن والأزمات وأوضاع الإمبراطورية كلها. وترتب على ذلك أن تآكلت شعبية جورديان- القائمة على العاطفة(٢٨)- بين الجند، وحلت

---

(٢٦) A. T. Olmstead, "The Mid-third Century of the Christian Era", Classical Philology 37, 1942, 241-62. وفى هذه المقالة نجد ترجمة إنجليزية للنقش، أما عن النص اليوناني من هذا النقش فقد ورد معظمه في:

W. Ensslin, "Zu den Kriegen des Sassaniden Shapur I", "SB Mun. Phil. - hist. Kla., 1947, No. 5, 16 and 96.

(٢٧) Olmstead, art. cit., pp. 245-46; See: B. C. Mc Dermot, "Roman Emperors in the Sassanian Reliefs", JRS 44, 1954, 76-80; R. Göbl, Der Triumph des Sassaniden Schapur I. über die Kaiser Gordianus, Philippus und Valerianus. Die ikonographische Interpretation der Felsreliefs. Denkschr. der österreich. Akad. der Wissensch. 116, Vienna, 1974.

(٢٨) SHA, Gordians 31. 4-6; Fuit iuvenis laetus, pulcher, amabilis, gratus omnibus … Cordus dicit omnes milites eum filium appellasse, ab omni senatu filium dictum, omnem populum delicias suas Gordianum dixisse.

"لقد كان فتى جَذِلاً وسيماً محبوباً يحظى بقبول الجميع ... ويقول كوردوس أن الجنود كافة كانوا يتحدثون=

محلها شعبية قائمة على اعتبارات عملية مصلحية لمصلحة الجيش والإمبراطورية فاز بها فيليب بالضربة القاضية كما تبين من تفوقه الكاسح في تصويت الجيش- في أكثر من مرحلة[٢٩]- لصالحه وضد منافسه الذي تداعى إلى الحضيض جورديان، وقنع من التصويت الأخير بمجرد الرضا بأن يكون أحد القادة تحت زعامة فيليب وأن يبقى على قيد الحياة[٣٠]. إن تصويت الجيش قام على اعتبارات وقياسات عملية ولم ينشغل بالمنظور العنصري الذي اعتمده المؤرخون الرومان ضد ذلك "العربي".

من المعتقد أن هذا التسلسل الواقعي للأحداث- كما أورده كاتب سيرة جورديان نفسه- قد أفضى إلى تداعيات مختلفة عن سيناريو المؤامرة والقتل الصريح من جانب فيليب لجورديان كما أورده ذلك الكاتب ليكمل به روايته وكما ذكرناه أعلاه. أما التسلسل الذي أتصوره أكثر منطقية فإن جورديان بعد أن ارتضى الأمر الواقع المرير- من إمبراطور إلى مجرد قائد تحت زعامة فيليب- صار عزيز قوم ذل، وأصابته آلام وتباريح نفسية جسيمة ربما انعكست في صورة مرض جسماني وهزال شديد. ولما حان وقت المعركة الحرجة مع الفرس- في ظل نقص المؤن والإمدادات الغذائية للجيش- كان هذا القائد (الإمبراطور سابقاً) مهزوماً نفسياً- فضلاً عن أنه لم ينل صيتاً ذائعاً قائداً ومقاتلاً جسوراً من قبل- ولذلك كان من السهل اصطياده في ميدان المعركة. بهذا التصور أعتقد أن فيليب لم يكذب حين أرسل إلى روما يقول أن جورديان مات بالمرض، وكذلك صدق نقش شهبور الأول فيما ذكره وصوَّره عن مقتل (الإمبراطور) جورديان في ميدان المعركة. واتساقاً مع هذا التصور التاريخي- إن صحَّ- فمن الممكن ألا يكون فيليب قد شرح في خطابه إلى روما بقية التفاصيل من انقلاب الجند على جورديان من جهة، ومقتل جورديان في ميدان المعركة حتى

=عنه كابن لهم، وكان (أعضاء) السناتوس كافة يطلقون عليه الابن، وأن الشعب كافة كانوا يقولون أن جورديان هو محبوبهم الأثير".

(٢٩) Ibid., 30. 3-6.

(٣٠) Ibid. 30.7: ultimate preces fuerunt, ut eum Philippus pro duce haberet et pateretur vivere. ad quod quidem paene consenserat Philippus.

لا يؤثر على معنويات الشعب الروماني (الجبهة الداخلية)[٣١].

لقد تربصت المصادر الرومانية المذكورة بفيليب وشهَّرت به وشوهته عمداً لمجرد أنه "عربي" وصل إلى عرش الإمبراطورية. لقد أمعن كاتب سيرة جورديان الثالث في تصوير خبث فيليب ودهائه وسوء نيته إلى أقصى درجة، إذ يذكر أنه بعد أن قتل فيليب جورديان لم يُزل صوره أو يطيح بتماثيله أو يمحو اسمه بل كان دوماً ما ينعته بالمؤله عند الحديث عنه حتى أمام الجند الذين شاركوه في تنفيذ المؤامرة، وكان يؤدى طقوس تبجيله وتقديسه بخليط من الجدية الوقورة "ودهاء وخبث الأجانب الغرباء": serio animo et peregrine calliditate veneratus est (31.7).

ثم يختتم كاتب سيرة جورديان روايته بالقول بأن الجنود شيدوا مقبرة لجورديان قرب المعسكر في كيركيسيوم (على الفرات) داخل الحدود الفارسية ووضعوا عليها نقشاً باليونانية واللاتينية والفارسية والعبرية والمصرية حتى يقرأه الجميع ويقول النقش: "إلى جورديان المؤله الذي حقق النصر على الفرس، والمنتصر على القوط، والمنتصر على السارماتيين، ومن أخمد الفتن بين الرومان، والمنتصر على الجرمان، بيد أنه لم ينتصر على فيليبي". ويعلق كاتب السيرة على هذا النقش الذي أورده بالقول بأن العبارة الأخيرة قد أضيفت عمداً فيما يبدو لأن (جورديان) كان قد هُزم في معركة غير نظامية على أيدي قبائل اللان في سهول فيليبي (مدينة في شرق مقدونيا) واضطر إلى الانسحاب، لكن يبدو في الوقت ذاته– حسب قول كاتب السيرة– أنها تعنى أنه قد اغتيل على يد آل فيليب[٣٢].

هناك إصرار واضح ومبيت من كاتب سيرة جورديان على إدانة فيليب في قضية مقتل جورديان بكل السبل حتى غير المنطقية وغير الأخلاقية منها. إن دافيد ماجي (مترجم هذه السلسلة من "التاريخ الأغسطى" في طبعة "لويب" Loeb) يعلق على هذه الفقرة بقوله "إن النقش بصورته المسجلة هنا لا يمكن أن يكون أصلياً والقول بأنه قد دُمِّر قبل كتابة هذه السيرة

---

[٣١] أرى في هذا الطرح رداً على تساؤل Hand A. Pohlsander في مقالته: "Philip the Arab and Christianity", 465. إذ يتساءل "إذا كان جورديان قد مات في المعركة- تواطئ فيليب أو بدونه- فلماذا اضطر فيليب لأن يرسل تقريراً إلى روما عن وفاة جورديان متأثراً بمرض- حسبما أورد زوسيموس؟".

[٣٢] SHA, Gordians 34.

قول مشكوك فيه، والاستعارة (الجناس) حول "فيليبي" تتسق مع الخصائص الأسلوبية لكُتّاب هذه السير أكثر من النقوش الجنائزية. والأكثر من ذلك أنه من الصعب تصديق أن جورديان قد حارب قبائل الـلان حتى أقصى الجنوب عند منطقة فيليبي في مقدونيا"[٣٣]. إن هذا النقش المزعوم وهذا الأسلوب الدعائي الفج يبين أن الحرب الكلامية والدعائية حول قضية كيفية وصول فيليب "العربي" إلى عرش روما قد وصلت أقصى مداها سواءً على يد كاتب سيرة جورديان أو غيره من المصادر الرومانية السابقة واللاحقة للتشهير بذلك "العربي". غير أن أكثر تلك المصادر الرومانية تناقضاً وانحيازاً ضد فيليب وتشهيراً به هو مؤلف "التاريخ الأغسطي" وخصوصاً في سيرة جورديان الثالث كما رأينا، وكما أشار إلى ذلك عدد من العلماء أقدمهم جيبون ومن بعده علماء آخرون مثل يورك وبولساندر[٣٤].

ووسط هذا الزخم من الكتابات الرومانية المعادية والمناوئة لفيليب العربي نجد أطروحة في مديح أحد الأباطرة بعنوان "إلى الملك Εω βασιλΥα". هذه الأطروحة نسبها بعض العلماء إلى ايليوس أريستيديس السوفسطائي والعالم الموسوعي المثقف من منطقة ميسيا بآسيا الصغرى والذي عاش بين عامي ١١٧ - بعد ١٨١م.، وصاحب المؤلفات والأطروحات الكثيرة من تلك الفترة. واقترحوا أن الإمبراطور المعنى بهذه الأطروحة التي تفيض مدحاً وثناء هو أنطونينوس

---

(٣٣) Ibid., note 1, 446-47. أما عن مسألة تدمير هذا النقش فقد ورد في نفس هذه الفقرة أن ليكينيوس- غريم الإمبراطور قنسطنطين ومنافسه- قد دمر هذا النقش حين استولى على السلطة الإمبراطورية لأنه كان يرغب في أن يبدو على أنه من نسل آل فيليب!

(٣٤) E. Gibbon, op. cit., chapter VII, note 56; J. M. York, "The Image of Philip the Arab", Historia 21, 1972, 320-332, 325; H. A. Pohlsander art. cit, 464. بل أن هناك تغيراً كبيراً قد طرأ على رأى العلماء المحررين لسلسلة التاريخ الأغسطى (SHA) في الوقت الحالي. إذ صدرت هذه المجموعة لأول مرة عام ١٩٢٢ وكان الرأي السائد وقتها أن هذه السلسلة من سير الأباطرة قد كتبها ستة مؤلفين مختلفين وأنهم قد أخذوا عن الوثائق والسجلات العامة بصورة مكثفة. ولكن وعلى مدى القرن الأخير أثارت- بما جاء فيها- شكوكاً خطيرة تناولها علماء كثيرون. والرأي السائد الآن بين أغلب العلماء الثقاة أن هذا التأليف المتعدد الظاهري للسلسلة ما هو إلا خداع متعمد، وأن هذه السلسلة من السير هي من نتاج مؤلف واحد قام بدس الكثير من الوثائق المفبركة المزيفة في ثناياها، وأنه قام بهذا العمل حوالي عام ٣٩٥م. في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس. وهو ما يؤكد رأى دافيد ماجي في الحاشية السابقة. أنظر: SHA, vol. II, reprint 1993, The Editorial Note, 1991.

بيوس (١٣٨- ١٦١م.)، وأن هذا الحديث قد ألقى في حضرته عام ١٤٣/١٤٤م[٣٥]. بيد ان عدداً من العلماء كان لهم رأى آخر يتمثل في أن هذا المديح والثناء في هذه الأطروحة لم يكن موجهاً لأنطونينوس بيوس ولا هو من أعمال أيليوس أريستيديس، وأن تاريخه لاحق على التاريخ المقترح بنحو قرن وأن الإمبراطور الذي كيل بحقه هذا المديح هو "فيليب العربي"[٣٦]. في هذه الإطروحة المدحية يكيل مؤلفها المجهول آيات الثناء والمديح والدفاع عن فيليب- إن صدق حدس هذه المجموعة من العلماء- في عبارات توحى بأنه ربما كان واحداً من حاشية الإمبراطور المقربة.

يقول L. De Blois في مقالته المشار إليها أعلاه (ص ١٨ من المقالة) أن هذه الخطبة في مديح الإمبراطور فيليب قد ألقيت بعد وصول فيليب إلى روما من الشرق وغداة تتويج ابنه إمبراطوراً (أغسطس) مشاركاً. إن مداح الإمبراطور يذكر- عقب كلماته الافتتاحية مباشرة- أن الإمبراطور قد ارتقى العرش من خلال إنجازاته وفضائله وبموافقة الجميع، وأنه- خلافاً لمن سبقوه- قد اعتلى العرش بغير حرب ولا اغتيال ولا اضطرابات وفتن (5ff)، في إشارة إلى عهد ماكسيمينوس الطراقي (٢٣٥ – ٢٣٨م) المليء بالسلبيات والأخطاء وإراقة الدماء (21 ;20 ;16 ;5-9)، والذي استغله المداح إلى أقصى مدى لكي تبرز المقارنة إيجابيات عهد فيليب. ويُثنى المداح على نجاح الإمبراطور في لملمة شتات الجيش والعودة به إلى سوريا (14-15) في إشارة إلى عودة فيليب إلى روما عبر سوريا بعد إبرام الصلح مع شهبور الأول عقب هزيمة الرومان ومقتل جورديان الثالث. هذا الصلح الذي عقده فيليب مع شهبور لقى- حسب المصادر الرومانية اللاحقة[٣٧] معارضة قوية وغاضبة من جانب الرومان الذين قارنوه بالسلام المشين الذي أبرم عام ٣٦٤م على يد الإمبراطور جوفيان مع الفرس

---

(٣٥) C. P. Jones, "Aelius Aristides' Eis Basilea", *JRS* 62, 1972, 134-152; F. Millar, The Emperor in the Roman World, London, 1977, 528f.

(٣٦) E. Groag, "Die Kaiserreds des Pseudo-Aristides", W. St., 1918, 34ff.; L. J. Swift, "The anonymous encomium of Philip the Arab", *GRBS* 71, 1966, 288ff; G. Alföldy, "The Crisis of the Third century as seen by Contemporaries", GRBS, 1974, 94, 39ff.; R. McMullen, Roman Government's Response to Crisis, A.D. 235-337, New Haven, 1976, 10, note 32 apud L. de Blois, art. cit., 18-19, nn. 24-25.

(٣٧) Zosimus 3.32.4; Zonaras 12.19.

- حسب قول زوسيموس- واجبروا فيليب على إعادة فتح باب المفاوضات- حسب قول زوناراس- بسبب استياء الرومان من تنازل فيليب للفرس عن أرمينيا وتعهده بدفع مبلغ سنوى باهظ للفرس بمقتضى معاهدة السلام معهم. إن مداح الإمبراطور يتحدث عن موقف كهذا في لغة اعتذاريه تعليلية متحدثاً عن فوائد تجنب الحرب طالما لا يزال هناك مجال للمناورة والاتفاقات الدبلوماسية (32ff.)، وهو ما يتسق مع موقف فيليب بعد إبرام اتفاق السلام مع الفرس. ويقول المداح أن الإمبراطور أثبت أنه أفضل من أعدائه في الحكمة والذكاء σ/νεσιω والخبرة والتعلم παιδεα والشجاعة νδρεα (35).

إن كل هذه الإشارات الواردة في أطروحة المداح المجهول "إلى الملك" تكاد تتفق وتشير- من طرفي خفي- إلى ما مر به فيليب من المواقف، ومن ثم ترجح كفة العلماء الذين رأوها فيها مديحاً لفيليب وليس لأنطونينوس بيوس. والسؤال الذي يفرض نفسه هو: هل هذه الخطبة في مديح الإمبراطور قد جاءت بصورة عفوية من قبل المداح المجهول من حاشية الإمبراطور؟ أم أنها جاءت بإيعاز من الإمبراطور الذي استشعر- أو استبق- أي همهمات قد تدور في روما حول قضايا الساعة في ميدان المعركة مع الفرس وملابساتها من موت جورديان ووصوله (فيليب) إلى العرش وإبرام صلح غير مُرضٍ مع الفرس. في ظني- إن كان هذا المداح ينتمي بالفعل إلى عهد فيليب ويقصده بمديحه- أنه قد فعل ذلك بتوجيه من الإمبراطور لمجابهة معارضيه أو منتقديه مجابهة غير مباشرة يحفظ للإمبراطور هيبته ويكون بمنزلة جهاز دعاية يروج لما يريد فيليب توصيله للرومان.

ومع ذلك فإن شعور العنصرية المترسخ في أذهان عدد من الأنتلجنسيا الرومانية ظل باقياً وأفرز لنا- بعد المداح المجهول الهوية- هذه الصورة العنصرية الكريهة عن فيليب "العربي" وكيفية وصوله للحكم حسب تصويرهم. لن أناقش بالطبع في هذا البحث تقييم الجوانب المختلفة لحكم الإمبراطور فيليب العربي على مدى السنوات الخمس التي قضاها في حكم الإمبراطورية الرومانية لأن الهدف المحدد للبحث هو إبراز ومناقشة العنصرية الواضحة في المصادر الرومانية ضد الإمبراطور "العربي" الأصل، ولأن القضايا والمواقف والأحداث البارزة على مدى فترة حكم فيليب قد حظيت بمعالجات مستقلة مستفيضة سابقة يمكن الاتفاق أو الاختلاف معها أو مع بعضها في بحث أو أبحاث مستقلة. أعود الآن إلى صلب موضوع البحث- العنصرية الرومانية ضد فيليب "العربي" - لأحاول

أن أختتم هذه القضية بتقصي دوافع وبواعث هذه العنصرية ضده في المصادر الرومانية، وأراها على النحو التالي:

- أن العنصرية تجاه العرب في المصادر الرومانية أمر مشهود وواضح وعليه أدلة كثيرة سبقت الإشارة إليها[٣٨] بدءاً من شيشرون وحتى زوسيموس وما بعده. ولعل مما يناسب المقام هنا اقتباس عبارة ذات دلالة للعالم باورسوك يقول فيها "إن الإطراء والمديح المغالى فيه لمقولة عدم وجود انحياز عرقي في الإمبراطورية الرومانية يُعد من أساطير العصور الحديثة. لقد رأينا كُتَّاباً بارزين من شيشرون حتى زوسيموس متورطين وضالعين بأقصى درجة في التشهير غير المسؤول بشعوب العرب". وفى حالة فيليب "العربي" على وجه التحديد فلعل هناك سبباً "عاطفياً" أوجع الرومان وعزَّ عليهم أكثر– وهم المنحازون أصلاً ضد العرب– وهو أن تحتفل روما بالعيد الألفي لنشأتها احتفالاً فخماً مهيباً[٣٩] وهى تحت حكم إمبراطور من أصول عربية! ما زاد من وتيرة الهجوم والتشهير بهذا الإمبراطور تشهيراً غير مسبوق. لذلك شحذت أبرز المصادر التي نقلت هذه الصورة المشوهة عن فيليب كل أسلحتها ونقلت عن كتاب سابقين معروفين بعدائهم لفيليب وعنصريتهم ضده وضد العرب والشرقيين[٤٠].

- إن ما أُشيع في المصادر الكنسية بدءاً من يوسيبيوس القيصرى[٤١] حول اعتناق فيليب العربي للمسيحية – وهى قضية حظيت بنقاش وجدل واسع بين من يرون صحة ذلك ومن ينكرونه[٤٢] جعل أعداء المسيحية من الكتاب الوثنيين أمثال أميانوس ماركيللينوس وزوسيموس وغيرهم[٤٣]

---

(٣٨) أنظر الحواشي ٥ - ٧ أعلاه. أنظر كذلك: محمد السيد عبد الغنى، *شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة*، (الإسكندرية: ١٩٩٩م)، الفصل الأول من الكتاب الأول "العرب في مصر في العصرين البطلمى والروماني في ضوء الوثائق البردية والنقشية"، ٢٣.

(٣٩) SHA, Gorians 33. 1-3; Aurelius Yictor, Caesares 28.1; Eutropius, 9.3. هذا بالإضافة إلى الشواهد الكثيرة من العملة الرومانية من ذلك العصر.

(٤٠) J. M. York, art. cit., 322-23.

(٤١) Eusebius (Caesarensis), Historia Ecclesiastica, 6.34.

(٤٢) H. A. Pohlsander, art. cit., 463.

(٤٣) J. M. York, loc. cit.

يفتشون عن أية نقيصة يلصقونها بهذا الإمبراطور "المسيحي". لقد بلغ من كراهية الكتاب الوثنيين للمسيحية ومعتنقيها أن نُقل عن الإمبراطور ديكيوس (٢٤٩ – ٢٥١م) خليفة فيليب الذي أطاح به وعدو المسيحية اللدود أنه قال "إنه ليطيق بدرجة كبيرة من الصبر والتسامح أن يسمع عن وصول إمبراطور منافس له إلى العرش الإمبراطوري على أن يسمع بإقامة كرسي كهنوتي للكاهن الأعظم للرب (كرسي باباوي) في روما" حسبما نقل عن القديس كيبريان[٤٤]!.

(٤٤) Caecilii Cypriani Epistolae, 45.9.

محاولات روما السيطرة على منطقة الخليج العربي

هند محمد التركي

تعرضت منطقة الخليج العربي لمنافسات دولية وإقليمية على مر تاريخها في سبيل السيطرة والتحكم بموقعها الاستراتيجي التجاري؛ حيث إنها تتحكم في طرق التجارة، فيمر عبر سواحلها الطريق التجاري الرئيس الذي يربط جنوب الجزيرة بشمالها[1]. فقد كانت القوافل تسير من حضرموت إلى نجران، وتعبر الربع الخالي عبر الفاو[2]، ثم تأخذ بعد ذلك جهة الشمال الشرقي عن طريق الأفلاج إلى الجرهاء[3] على ساحل الخليج

---

(١) فؤاد محمد مؤمنة، *المراكز التجارية في شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام* دراسة تاريخية وحضارية مقارنة ٥٠٠ ق.م ٢٠٠م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، (جدة: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ١١٥-١١٦؛ نورة عبدالله علي النعيم، *الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق.م وحتى القرن الثالث الميلادي*، ط١، (الرياض: دار الشواف للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م)، ٢٣١.

(٢) الفاو: تقع في جنوب غرب مدينة الرياض على مسافة تبعد حوالي ٧٠٠كم من مدينة الرياض، وتشرف على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي، تردد ذكرها في النقوش العربية، وقامت بدور مهم في التجارة نظراً لإستراتيجية موقعها وحيويته. انظر: عبدالرحمن الأنصاري، *قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام*، (الرياض: ١٩٨١م)، ٣٢؛ النعيم، *الوضع الاقتصادي*، ٢٢٦.

(٣) كانت الجرهاء مركزاً تجارياً، وكان لها دور كبير في الوساطة التجارية، حاول انتيوخوس الثالث (٢٢٣-٢٨٧ ق.م) إخضاعها في عام ٢٠٥ ق.م، إلا أن أهلها اشتروا حريتهم بجزية كبيرة، رجح بعض الكتاب موقعها تحت رمال العقير، أو تحت أنقاض مدينة ثاج فيما وراء الجبيل الحالية. انظر: مها عبدالعزيز البديع، *الأنباط وعلاقتهم مع مصر في العصر الهلنستي والروماني ما بين (٣١٢ ق.م-١٠٦ م)*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب للبنات، (الرياض: ١٤١٦هـ)، ٥٦. نسب بليني Pliny إليها خليجاً أسماه باسمها (خليج الجرهاء)، وذكر في كتاباته أن مساحتها تبلغ خمسة أميال، وأن بها أبراجاً مصنوعة من =

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٢٧٧-٢٩١

العربي(٤)، وقد ذكر إسترابون أن الجرهائيين كانوا يذهبون إلى حضرموت بواسطة هذا الطريق في مدة أربعين يوماً(٥). كما يمر عبر أراضي منطقة الخليج العربي طريق تجاري فرعي طريق البتراء – خراكس(٦)؛ حيث استخدم الطريق منذ القرن الأول ق.م، وكانت مدينة فرات التابعة لخراكس المركز التجاري لها(٧).

وقد كان الخليج العربي خط الملاحة المهم الذي يربط شمال شرق الجزيرة العربية بالهند والشرق الأقصى، والطريق الرئيس للتجارة السلوقية مع الهند في القرنين الثالث والثاني ق.م. وظل الخليج العربي محتفظاً بأهميته الملاحية والاقتصادية في القرون اللاحقة؛ حيث أصبح من أكثر المنافذ البحرية نشاطاً وحركة تجارية(٨)؛ بل امتازت منطقة الخليج بأهميتها الاقتصادية والسياسية عالمياً وإقليمياً؛ حيث برزت فيها حضارتان مهمتان كان لهما دور تاريخي في تاريخ المنطقة هما: (ديلمون)، و(ماجان)، فديلمون تضم جزر البحرين وفيلكة وتاروت والساحل الشرقي للجزيرة العربية، إضافة إلى الجزر الواقعة بالقرب من الساحل، أما ماجان، فكانت تضم

=قطع مربعة من الملح. Pliny, *Natural History*, trans. B E H. Warmington, Weineman Ltd, London, 1969. vols, 2.

(٤) رسمية شاكر خيري، *تجارة شبه الجزيرة العربية وعلاقتها مع مصر في العصر الهلينستي*، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الملك سعود، (الرياض: ١٤٠٧هـ)، ٦١.

(٥) Strabo, *Geography*, trans, By: Horace Leonard Jones, William Heinemann Ltd, London 1966, 4.24.

(٦) خراكس مدينة تجارية تقع على رأس الخليج عند نقطة التقاء دجلة وكرخة، قامت بدور مهم في التجارة، وكانت لها علاقات مع تدمر والهند والبتراء والجرهاء، تأسست على يد الإسكندر الكبير الذي أنشاها عام ٣٢٤ ق.م للسيطرة على طرق المواصلات بين بلاد الرافدين والخليج العربي والهند. انظر: صراي، *منطقة الخليج العربي*، ١٩١، ١٩٩.

(٧) سامي سعيد الأحمد، *تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة إلى نهاية فترة ما قبل الإسلام* (البصرة: ١٩٨٤م)، ٣٣٢.

(٨) حمد محمد صراي، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا من ق ٣ ق.م إلى ق ٧ ق.م. الجمعية التاريخية السعودية، العدد ٢٠، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ٢٤. معاوية إبراهيم، *علاقات الخليج العربي بشمال الجزيرة العربية في العصور القديمة*، الجوبة ١٣، ٤٢- ٦١، ٤٥.

عمان وجنوب شرق إيران ومكران[٩].

وتشير نصوص بلاد الرافدين إلى تجارة نشطة بين مدن بلاد الرافدين وبين ديلمون وماجان، فكان هناك تبادل تجاري، فمن أشهر السلع التجارية: النحاس المعروف بنحاس ماجان، إضافة إلى الأخشاب. أما ديلمون، فقدم إليها تجار من بلاد الرافدين، وكانت تقوم بدور الوسيط التجاري؛ حيث يتم تبادل البضائع منها وإليها[١٠]. فالخليج العربي كان طريقاً تجارياً بين مدن بلاد الرافدين وديلمون وماجان من جهة، وبين حضارة حوض نهر السند المعروفة باسم ملوخا من جهة أخرى[١١].

ونظراً لتلك المكانة التجارية المهمة لموقع الخليج العربي، ولكونه معبراً تجارياً، فقد كان محور اهتمام لجميع القوى الحاكمة للمناطق القريبة منه، فتعددت مسمياته عند معظم الشعوب، فنجده عند السومريين البحر الجنوبي، والبحر المر عند الآشوريين والبحر المالح وبحر الشروق، أي (الذي تشرق منه الشمس)[١٢]. كذلك سمي بالبحر الأحمر تارة، والفارسي تارة أخرى؛ حيث أطلق عليه إسترابون تلك التسمية، نظراً لانتشار النفوذ الفارسي على معظم أجزائه في ذلك الوقت. وهناك من يرى أن تلك التسمية ترجع إلى أيام الإسكندر عندما أرسل (نيارخوس) لاكتشاف منطقة الخليج، فلم يكشف منها سوى الساحل الفارسي[١٣]. أما هيردوت فأطلق على الخليج العربي اسم بحر أروثري، فقد ذكر في الفقرة الحادية والتسعين من الكتاب السابع أن الفينقيين كانوا يعيشون في بحر أروثري، وهو عنده الخليج العربي، ثم نزحوا إلى ساحل سوريا.

---

(٩) أحمد محمد صابون، *دراسة تاريخية لمشكلة تحديد موقعي ماجان وملوخا*، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس: دراسات شرق أوسطية: ١٦٧، (القاهرة: ١٩٩٤م)، ٣٦.

(١٠) صراي، *العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج*، ٢٦، ٢٧.

(١١) ملوخا: أراضٍ واسعة من شبه القارة الهندية، تشمل حوض نهر السند بأكمله وشمال أفغانستان ومناطق كبيرة من شمال غرب الهند وشبة جزيرة الكواجرات، وكان لحضارة ملوخا ثلاث مراكز (هارابا، موهنجو دارو، كاليباجان). انظر: صابون، *دراسة تاريخية لمشكلة تحديد موقعي ماجان وملوخا*، ٥٤- ٦٠.

(١٢) جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٦م)، ١/١٤٠، ١٤١.

(١٣) مليحة علي عصبي الزهراني، *علاقة شبه الجزيرة العربية بجاراتها في العصر الهلينستي سياسيًا وحضاريًا من عام (٣٣٢ – ١١٥ م)*، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب للبنات، (بالدمام، ١٩٩٥م)، ٥ .

وكذلك يرى ديودورس الصقلي يرى أن بحر أروثري هو الخليج العربي عندما ذكر أن نهر الفرات يصب في البحر الأروثري[١٤].

فالخليج العربي رغم تعدد المسميات التي عرف بها منذ أقدم الأزمنة، إلا أن موقعه ومكانته الإستراتيجية، وكونه معبراً تجارياً جعلته مطمعاً لجميع القوى الموجودة في تلك الفترة الزمنية، حتى أن آرنولد ويلسون وصفه بـ "ما من بحر متداخل في اليابسة كان ولا يزال موضع اهتمام كبير للجيولوجي وعالم الآثار والمؤرخ والجغرافي والتاجر ورجل الدولة، ولدارس الإستراتيجية أكثر من المياه التي تعرف بالخليج العربي... وله مكان في تاريخ البشرية المدون أقدم من أي بحر داخلي آخر؛ حيث كان مسرحاً لأحداث عظيمة حددت اتجاه تطور الجنس البشري"[١٥].

من هذا المنطلق يتأكد دور الخليج العربي على مر العصور، والتي شهد فيها أحداثاً كثيرة، فكان الصراع بين الرومان والبارثيين للسيطرة على تجارة الشرق وطرقها عبر الخليج العربي[١٦]. ولكن لم تكن تلك هي البداية للأطماع الخارجية في السيطرة على منطقة الخليج العربي؛ بل سُبقت بأطماع واهتمامات الإسكندر المقدوني. فمنذ وصوله إلى بلاد الشرق وهو يتطلع إلى الجزيرة العربية ويخطط لضمها إلى إمبراطوريته، فقام ببناء أسطول كبير وحفر ميناءً عميقاً في بابل، ثم كلف قائده نيارخوس باستكشاف المنطقة[١٧] تمهيداً لامتلاكها، والسيطرة على تجارة

---

(١٤) مصطفى كمال عبد العليم، "هيرودوت يتحدث عن العرب وبلادهم"، *العصور* -المجلد الثاني-، ١٩٨٧م، ١/ ٨.

(١٥) السير أرنولد ت. ويلسون، الخليج العربي: *مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين*، ترجمة: عبدالقادر يوسف، (الكويت: مكتبة الأمل، د.ت)، ٣١.

(١٦) محمد الفيل، *الأهمية الإستراتيجية للخليج العربي*، (الكويت: ١٩٨٨م)، ص٢٢، ٢٣. C. E. Robinson, *A History of Rome*, London, 1971, 316.

(١٧) حول رحلة نيارخوس انظر: L Pearson, *The lost Histories of Alexander The Great*, New York, 1960, 112-149. حمد محمد صراي، *منطقة الخليج العربي من القرن الثالث ق.م إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين*، (الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ٤٢، ٤٣.

الهند وتوابلها، ولؤلؤ الخليج، وتجارة الجزيرة[١٨].

ثم أرسل ثلاث حملات استكشافية: الأولى بقيادة أرخياس (Archias)، والثانية قادها أندروسثنيس (Androsthenes)، والثالثة بقيادة هيرون (Hieron)، ما أسهم في إعطاء وصفٍ عام للمنطقة. وكان الإسكندر قد وجه هيرون بالطواف حول الجزيرة العربية حتى البحر الأحمر؛ ليصل إلى السويس، ولكنه لم يتمكن من تنفيذ هذا الأمر، إنما وصل إلى أجزاء منها. وأخبر الإسكندر أن الجزيرة العربية بحجم الهند[١٩]، كما أشار في تقريره أنه شاهد نتوءاً من اليابسة يتوسط مياه المحيط؛ حيث يمكن أن ينطبق وصفه على رأس الحد[٢٠]. بعد جمع الإسكندر المعلومات عن الخليج والجزيرة العربية قرر أن يغزو المنطقة، ولكنه لم يتمكن من تنفيذ ذلك لوفاته في بابل عام ٣٢٣ ق.م[٢١].

وبعد وفاة الإسكندر واصل السلوقيون سياسة الإسكندر وخططه للسيطرة على طريق الخليج، ومن ثم تحقيق مكاسب تجارية لهم؛ حيث إنهم جعلوا منطقة الخليج تحت نفوذهم عن طريق احتفاظهم بأسطول لهم في مياه الخليج[٢٢]، وإنشاء عدد من المدن والمستوطنات على شواطئ الخليج[٢٣]، ولكن نتيجة للصراع بين السلوقيين والبطالمة على الحدود السورية والمصرية،

---

(١٨) علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ٢/٥؛ آمال محمد الروبي، *الجزيرة العربية في كتابات الإغريق والرومان وظهور مكة مدينة مقدسة في كتاباتهم*، اللقاء العلمي السنوي للجمعية ٦، (الكويت: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ٧٥.

(١٩) لطفي عبدالوهاب يحيى، *الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية*، *مصادر تاريخ الجزيرة العربية*، جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ١/٥٥ - ٧١، ٥٧؛ أسد رستم، *تاريخ اليونان*، (بيروت: ١٩٦٩م)، ٤١؛ الروبي، *الجزيرة العربية في كتابات الرومان*، ٧٦.

(٢٠) رأس الحد: نتوء رملي يقع على بعد ٢٥كم من بلدة صور، يعد أقصى نقطة من جهة الشرق في شبه الجزيرة العربية، يفصل المحيط الهندي عن خليج عمان. انظر: مصطفى مراد الدباغ، *جغرافية جزيرة العرب*، (بيروت: ١٩٦٣م)، ١٢٢؛ صراي، *منطقة الخليج العربي*، ٥٠.

(٢١) علي، *المفصل في تاريخ العرب*، ٢/٩.

(٢٢) حول إنشاء أسطول للسلوقيين في الخليج انظر: صراي، *منطقة الخليج*، ٥٢-٥٥.

(٢٣) حول إنشاء المدن والمستوطنات انظر: صراي، *منطقة الخليج*، ٥٦- ٦٠؛ جواد علي، الخليج في كتابات اليونان واللاتين، *مجلة المؤرخ العربي*، ١٩٨٠م، ٢٨.

بدأ التنافس التجاري بين الدولتين للسيطرة على التجارة، فركز البطالمة اهتمامهم على البحر الأحمر لإضعاف تجارة الخليج؛ حيث أرسلوا حملات استكشافية لسواحله الجنوبية، وتحكموا في التجارة البحرية من مضيق باب المندب، وجنوب الجزيرة العربية إلى مصر، وتمكنوا من محاربة القراصنة، لكن نفوذهم لم يصل إلى منطقة الخليج، نظراً لقوة السلوقيين، واهتمامهم بالمنطقة[٢٤] فكانوا يسيطرون على مسالك التجارة في الخليج العربي عن طريق ساحل (ديلمون)[٢٥].

وخلال ضعف الدولة السلوقية، ظهرت قوة روما الصاعدة، التي أرادت السيطرة على سوريا بعد أن خارت قوى الدولة السلوقية وأرهقتها الحروب مع البطالمة، فتحقق لها ذلك. حيث تمكنت روما من دخول سوريا عام ٦٣ ق.م، وبمجيء الرومان إليها بدأ عصر جديد؛ حيث أعادوا النظام فيها، كما قاموا ببناء مدن جديدة[٢٦]. أما منطقة الخليج، فقد خلف البارثيون السلوقيين في حكمها بعد أن فقدوا قوتهم السياسية والتجارية، فأنشأ البارثيون دولاً صغيرة فيها مثل، ميسان وعمانا[٢٧].

فاتجهت أنظار روما إلى منطقة الخليج العربي لأهمية موقعها الاستراتيجي، وبدأوا في رسم مخططهم للسيطرة عليه، ومن أجل تحقيق ذلك عمل الرومان على إبقاء الأنباط في حكمهم لمنطقة البتراء، وذلك لسببين: محاولة رد جميل الأنباط؛ لأنهم ساعدوهم في إسقاط الدولة السلوقية من ناحية، ومن ناحية أخرى كانوا يريدون الاستفادة منهم بأن يضطلعوا بدور الدفاع عن حدود الإمبراطورية الشرقية ضد الخطر البارثي[٢٨].

---

(٢٤) علي، *المفصل في تاريخ العرب*، ٢/٢٢-٢٨؛ لطفي عبدالوهاب يحيى، *العرب في العصور القديمة*، (الإسكندرية: ١٩٨٦م)، ٤٢٣.

(٢٥) سامي سعيد الأحمد، *تاريخ الخليج العربي منذ أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي*، (البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥م)، ٣٢١.

(٢٦) Grant, Michael, *From Alexander to Cleopatra*, Weiden Feld and Nicolson, London, 1982, 56.

(٢٧) للمزيد من المعلومات عن ميسان وعمان انظر: محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: ١٩٦٠م)، ٤٧٢ - ٤٧٧، ٥٩٤، ٥٩٥؛ علي، *المفصل في تاريخ العرب*، ٢/٦٣٣؛ صراي، *منطقة الخليج العربي*، ١٩١، ٢٣٩.

(٢٨) سليمان عبد الرحمن الذييب، *تاريخ الأنباط*، ٢٨ (تحت النشر).

استكمل الرومان خططهم باقتحام مصر، وضمها إلى روما عام ٣٠ق.م[٢٩] لتصبح بذلك آخر ولايات الشرق التي تسقط في أيديهم، فحققوا عائداً تجارياً كبيراً لهم بسيطرتهم على طريق القوافل الذي كان يعبر آسيا إلى الهند والصين، والطريق المحاذي للساحل الجنوبي من البحر الأسود إلى القوقاز وبحر قزوين[٣٠]. وبعد أن حقق الرومان رغبتهم، وفرضوا سيطرتهم على سوريا ومصر، بدأ الصراع بينهم وبين البارثيين لاحتكار تجارة الشرق، نظراً لسيطرة البارثيين على الطرق البحرية عبر الخليج العربي، والطرق البرية عبر الهضبة الإيرانية (طريق الحرير)، فحاول الرومان كسر الاحتكار البارثي، والحصول على الامتيازات الاقتصادية التجارية المباشرة، ولعل اهتمام الرومان بمنطقة الخليج العربي بالذات يرجع إلى الأسباب التالية:

١. سيطرة البارثيين على تجارة الشرق وطرقها البرية والبحرية.
٢. كون الخليج العربي معبراً تجارياً لطرق القوافل التجارية .
٣. كون الخليج مصدراً من مصادر الثراء الاقتصادي والتجاري لعدد من السلع، التي كان من أهمها تجارة اللؤلؤ.

فاتبع الرومان عدداً من الوسائل والأساليب السياسية والعسكرية والاقتصادية لتحقيق أهدافهم. وفي الوقت نفسه بذل البارثيون جهوداً كبيرة لإبعاد الرومان عن طريق الخليج العربي[٣١]. وقد كان من أهم الوسائل الاهتمام بالبحر الأحمر وجنوب غرب الجزيرة العربية. حيث أعاد الرومان تشغيل الموانئ المصرية على البحر الأحمر، وتحكموا في الطريق التجاري المار بها، وأبعد الرومان القراصنة عن البحر الأحمر. كما أنشأوا أسطولاً عسكرياً لحماية السفن التجارية من غاراتهم، واتبعوا سياسة تشجيع الطريق البحري المباشر مع الهند، ومن ثم قطع

---

(٢٩) سيد أحمد الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري*، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م)، ٧٢.

(٣٠) حسن صبحي بكري، *الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني*، الطبعة الأولى، (دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م)، ٢٦٩.

(٣١) حمد محمد صراي، "الرومان ومنطقة الخليج العربي ٢٥ق.م - ٢٣٥م"، *دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية*، المجلد ٢٩، العدد ١، ٢٠٠٢م، ٢٣٠.

الطرق البرية المارة ضمن الإمبراطورية البارثية ؛ لتجنب التبادل التجاري المعتمد على أعداء روما[٣٢].

وفي سنة ٢٤ ق.م، واستكمالاً لخطة روما وسياستها، أرسل أغسطس حاكم مصر إليوس جاليوس قائداً للحملة المشهورة إلى بلاد اليمن لاحتلال المنطقة، وتأمين موانئ جديدة للتجار الرومان في طريقهم من مصر إلى الهند، والسيطرة على البحر الأحمر، وتحويله إلى بحيرة رومانيّة. ولعل أبرز الدوافع التي دفعت روما للقيام بهذه الحملة السيطرة على طريق البخور من بدايته في الموانئ الجنوبية وحتى نهايته في شواطئ البحر المتوسط[٣٣]. حيث يمر الطريق بكل من سبأ ومعين ويثرب والعلا (دادان) إلى أيلة (العقبة) حتى يصل إلى البتراء، ثم يتفرع إلى طريقين يتجه الأول إلى بلاد الشام، فموانئ البحر المتوسط، أما الثاني فيتجه غرباً إلى مصر[٣٤]. وبذلك تسيطر روما على هذا الطريق وتقطع على العرب احتكارهم للتجارة، وإشرافهم على موانئ جنوب الجزيرة العربية. وعلى الرغم من أن هذه الحملة لم تحصل على مكاسب عسكرية، إلا أنها نجحت سياسياً واقتصادياً في فتح المنطقة على العالم الخارجي[٣٥].

ومع اهتمام روما بالبحر الأحمر ومحاولتهم إبقاءه تحت سيطرتهم، إلا أن منطقة الخليج العربي ظلت في دائرة اهتمامهم، ولم يغب عن ذهنهم أبداً أهمية المنطقة ودورها الاقتصادي والسياسي في العالم، فاتبعوا عدداً من الأساليب لجعل المنطقة ضمن نفوذهم. ونتج عن ذلك عدة محاولات قام بها عدد من الأباطرة الرومان، فكان أغسطس (٢٧ق.م-١٤م) من أوائل المهتمين

---

(٣٢) سيد أحمد الناصري، *"الرومان والبحر الأحمر"*، *الدارة*، العدد ٢، ١٩٨٣م، ١٢- ٢٩.

(٣٣) أسمهان سعيد الجرو، *موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)*، (الأردن: مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، ١٩٩٦م)، ١٩٦ ؛ محمد عبدالقادر بافقيه، *تاريخ اليمن القديم*، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م)، ٧٤.

(٣٤) خيري، *تجارة شبه الجزيرة العربية*، ٦١ ؛ البديع، *الأنباط وعلاقاتهم*، ٥٣-٥٤.

(٣٥) إبراهيم يوسف أحمد الشتله، "حملات الرومان على الجزيرة العربية"، *الدارة*، العدد الثالث، ١٠٣- ١٠٩ ؛ الجرو، *موجز التاريخ السياسي*، ١٩٦ ؛ الذييب، *تاريخ الأنباط*، ٣٠ ؛ الروبي، *الجزيرة العربية في كتابات الإغريق*، ٨٢.

بذلك ؛ حيث اختار خبيراً بمنطقة الشرق (إيسادور الخراسيني)[٣٦] ليكتب معلومات وافية عن سواحل الخليج العربي[٣٧]. حيث قدم تلك المعلومات مع ما جمعه (يوبا) ملك موريتانيا[٣٨] عن منطقة الخليج العربي لـ(جايوس) كي يستفيد منها في حملته المرتقبة على الجزيرة العربية بعد الانتهاء من إخضاع أرمينيا. وقد دون إيسادور معلومات عن المسافات بين المدن والموانئ البارثية، وطرق الوصول إليها، ووصف الطرق العسكرية، وطرق القوافل من طيسفون (المدائن) إلى جنوب بلاد الرافدين عبر نهر الفرات. كما قدم معلومات وافية عن الجزيرة العربية ومنتجاتها الزراعية والاقتصادية، وطرقها واتصالها بالعالم الخارجي[٣٩]. تسلم جايوس من إيسادور ويوبا معلوماتهم عن المنطقة، وكان من المفترض أن يعقد اتفاقاً مع البارثيين، فينطلق بحملته جنوباً نحو مصب الفرات، فأعلن أنه سيضيف الشرق كله لروما، وأن بارثيا سوف تدفع الثمن[٤٠]. وفي الوقت نفسه كان أغسطس يناجي الآلهة، لكي تحفظ وتعين الأمير جايوس حفيده المتجه للشرق، وتوفقه في توسيع حدود روما حتى تصل إلى المحيط، ولكن لم يكتب لهذه الحملة النجاح ؛ حيث أصيب جايوس عند أسوار أرتاجيرا في أرمينيا، ثم توفي بعد ذلك[٤١].

وما أن اعتلى الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) عرش روما، حتى زاد الاهتمام بالتجارة الشرقية، والسيطرة على طرق القوافل التجارية. ولتحقيق تلك الرغبة، أعاد حفر القناة التي تصل بين النيل والبحر الأحمر عند خليج السويس، وهي المعروفة باسم خليج تراجان، أو (قناة تراجان)[٤٢]. كما حمى التجارة في البحر الأحمر عن طريق الأسطول الروماني في البحر، ووضع

---

(٣٦) إيسادور: مؤلف يوناني الأصل، من أهالي مدينة (خراكس) في جنوب العراق، ألف كتاباً عن الدولة البارثية، وطرق التجارة فيها حوالي عام ٢٥ ق. م. انظر: ابن صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٢.

(٣٧) Pliny, *Natural History*, 141.

(٣٨) هو: يوبا الثاني ملك موريتانيا، عينه الإمبراطور أغسطس عام ٢٥ ق.م ملكاً على موريتانيا، وبقي موالياً للرومان طوال حياته، وبقي في الحكم حتى وفاته عام ١٥ ق.م، منح حق المواطنة الرومانية.

(٣٩) صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٣.

(٤٠) T. Mommsen, *A History of Rome under the Emperors*, trans. C. Krojz, London, 1996, 232.

(٤١) صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٣.

(٤٢) الناصري، *الرومان والبحر الأحمر*، ٢١ ؛ Scriptores Historia Augustae, trans. by D. Magie, London, 1921, 13.

حاميات رومانية على طرق القوافل في الصحراء الشرقية المؤدية إلى البحر الأحمر[٤٣]. كذلك ضم الإمبراطور تراجان عام ١٠٦م مملكة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية لرغبته في امتلاك مقاطعة شرقية مرتبطة بكيان سياسي موحد، وخطوط تجارية واحدة على الطريق التجاري المار ناحية الشرق والجنوب الشرقي لكل المراكز التجارية المهمة مثل، البتراء وتدمر، وبدون وسطاء. ولم يكن ذلك ليتحقق إلا بالقضاء على الأنباط، وإزاحتهم من الطريق[٤٤]. وبعد إنشاء الولاية العربية وجعل بصرى عاصمة لها؛ أمر تراجان بتعبيد الطريق بين بصرى والبحر الأحمر لاستخدامه في التجارة، وربط جنوب سوريا بالجزء الشمالي من الجزيرة العربية[٤٥]، لكن لعل الظروف السياسية المحيطة، والتنافس البارثي مع روما كان العامل الفعال في إسقاط مملكة الأنباط والسيطرة عليها.

وكان للإمبراطور تراجان أيضاً رغبة ملحة في الحصول على الثروات والأموال التي تدرها تجارة الخليج العربي عن طريق السيطرة على القوافل، التي كان البارثيون يجنون منها أرباحاً طائلة[٤٦]. ولتحقيق تلك الرغبة قاد تراجان حملة على بارثيا؛ حيث استغل إقدام ملك البارثيين في عام ١١٠م على عزل الحاكم على أرمينيا، وهو روماني الأصل، وتعيين شخصٍ من القصر الملكي البارثي مكانه دون أن يستشير الإمبراطور الروماني، وبذلك يكون نقض الاتفاق الذي عقد مع الإمبراطور (نيرون) (٥٤- ٦٨م)[٤٧]، فكانت هذه هي الشرارة التي أشعلت نار الحرب بين روما وبارثيا.

فاتجه تراجان سنة ١١٤- ١١٥م إلى بارثيا منتهزاً فرصة النزاع الداخلي لديهم؛ حيث عبر نهر دجلة على ظهر ٥٠ سفينة، كانت أربع منها تحمل الأعلام الملكية، وقسم تراجان السفن إلى ثلاثة أقسام لتجنب الازدحام على مياه النهر، واستولى على طيسفون (المدائن)، ثم اتجه جنوباً

---

(٤٣) علي، *المفصل في تاريخ العرب*، ٢/٦٥

(٤٤) Alois Musil, *Palmyrena*, New York, 1928, 245؛ إحسان عباس، *تاريخ دولة الأنباط*، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ٦٢؛ الذييب، *تاريخ الأنباط*، ٤٢.

(٤٥) الشتلة، حملات *الرومان على الجزيرة العربية*، ١١٢.

(٤٦) صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٤

(٤٧) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية*، ٢٤٤.

حتى وصل إلى ميسان؛ حيث استقبله حاكمها (أتامبيلوس الخامس) في مدينة أباميا على الحدود الشمالية لميسان، ثم أقام حفل استقبال كبيراً في العاصمة خراكس[٤٨] ودفع (أتامبيلوس) مبالغ كبيرة لتراجان. فيكون بذلك عبر شمالي العراق القديمة مخترقاً نهري دجلة والفرات إلى نصيبين، ومن دجلة إلى جبل أرمينيا إلى الخليج العربي، حتى وصل إلى بارثيا ليكون بذلك أول قائد روماني يصل إلى تلك الأراضي البعيدة ويسجل انتصاره، ويثبت نفوذ الإمبراطور الروماني؛ حيث ضم إليها منطقة الخليج العربي ذات الأهمية الحيوية في التجارة مع الهند[٤٩].

لقد كان تراجان محارباً وفاتحاً، وكان لديه طموح عسكري، وميل إلى الشهرة؛ حيث حاول أن يخطو خطى الإسكندر الأكبر، والتشبه به، فعندما وقف على رأس الخليج العربي، نظر إلى السفن المبحرة من ميناء أبولوجوس إلى الهند، وقال "لو لم أكن متقدماً في العمر لأبحرت إلى الهند"[٥٠]. إن السيطرة على الخليج وتجارته كان حلماً يراود مخيلة الإمبراطور الروماني، ولكنه لم يستطع إكمال تحقيقه، ولكنه نظم الضرائب وفرض الرسوم الجمركية على البضائع التي تنتقل عبر دجلة والفرات، لكي يؤكد سيطرته على المنطقة.

لكن هذا التنظيم الذي قام به لم يكتمل لسبب مهم جداً، وهو ثورة اليهود في فلسطين عام ١١٦م بزعامة أحد ملوكهم، ويدعى (لوكاس)؛ حيث انسحب تراجان إلى سوريا[٥١]. ويعتقد أن للبارثيين يداً في ذلك؛ حيث كانوا يهدفون إلى شغل الرومان في داخل أراضيهم، وإبعادهم عن بلاد الرافدين، ومنطقة الخليج العربي، كما أن يهود بلاد الرافدين كانوا في حالة ثورة ضد الرومان، وعلى صلة وثيقة بيهود فلسطين[٥٢]. وكان لانتصارات تراجان على البارثيين، ووصوله إلى منطقة الخليج العربي صدى كبير في مجلس الشيوخ، وفي المجتمع الروماني

---

(٤٨) بكري، *الإغريق والرومان*، ٥١٥؛ John Matthews, *The Roman Empire of Ammianus*, Baltimore, 1989, 139

(٤٩) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية*، ٢٤٤.

(٥٠) صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٥؛ *Historiae Augustae*, I, 13, 14

(٥١) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية*، ٢٤٥.

(٥٢) صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٥؛ الشتلة، *حملات الرومان*، ١١٢؛ Matthews, *The Roman Empire*, 138.

حيث عيَّن تراجان (بارثيماسباتيس) ملكاً على بارثيا، وتم تصوير تراجان بزيه العسكري إلى جانب صورة رأس (بارثيما) رغبة في فرض التبعية والولاء. كما تلقب بلقب (بارثيكوس)، وصور انتصاراته على عدد من عملات عامي ١١٦، و١١٧م؛ إلا أن ثورة اليهود، وعدم القضاء على البارثيين قضاءً نهائياً في معركة فاصلة، دفعته للتوجه إلى سوريا مؤملاً أن يعود إلى بلاد الرافدين مرة أخرى لمواصلة تحقيق أحلامه ومطامحه، إلا أن مرضه ووفاته عام ١١٧م حالت دون ذلك[٥٣].

بعد أن تولى هادريان (١١٧ – ١٣٨م) الحكم في روما، ابتعد عن السياسة العدائية العسكرية تجاه بارثيا، وترك ما استولى عليه تراجان في بلاد الرافدين، وحاول الاحتفاظ بالسلام، وإيقاف توسع الإمبراطورية حتى لا يكلف الإمبراطورية الرومانية الكثير من الأموال، ويوقف الضرر الاقتصادي والبشري الذي أصاب الإمبراطورية زمن حملات تراجان[٥٤]. حيث اكتفى بالسياسة السلمية مع ولايات الشرق؛ ليحافظ على مكاسبها الاقتصادية، وكانت منطقة الخليج العربي من ضمنها، فحافظ على العلاقة الودية ليحقق مكاسب اقتصادية، وليضمن إشراف الرومان على طرق القوافل القادمة من منطقة الخليج العربي وبلاد الرافدين[٥٥].

ولما حكم لوسيوس فيروس (١٦١-١٦٩م) خطط للقيام بحملة على البارثيين انتقاماً منهم لمهاجمتهم القوات الرومانية في سوريا، وليحقق رصيداً عسكرياً وسياسياً كبيراً يضاهي به بطولات تراجان السابقة، ومستغلاً الأوضاع السيئة التي كان يمر بها البارثيون[٥٦]. لكنه قبل الخروج لتنفيذ الحملة على بلاد بارثيا، أصيب بمرض اضطره إلى البقاء في إنطاكية، وكلف الجنرال (أفيديوس كاسيوس) بقيادة القوات[٥٧]. فتمكن الرومان من احتلال طيسفون، وسلوقيا، وإحداث تخريب في المدينتين، وواصلوا زحفهم جنوباً صوب الخليج العربي من شمال بلاد

---

(٥٣) Mommsen, *A History of Rome*, 340.

(٥٤) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية*، ٢٦٠؛ بكري، *الإغريق والرومان*، ٥١٥؛ علي، *المفصل في تاريخ العرب*، ٢/٨٧.

(٥٥) صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٧؛ *Historiae Augustae*, I, 22, 29.

(٥٦) الشتلة، حملات *الرومان*، ١١٢؛ *Historiae Augustae*, I, 215.

(٥٧) الناصري، *تاريخ الإمبراطورية*، ٢٧٩؛ *Historiae Augustae*, I, 239.

الرافدين، ولكن نكسة كبيرة حاقت بقوات روما بالقرب من سلوقيا، فقد مات أكثر الجنود من وباء الطاعون، ما اضطرهم للعودة إلى سوريا؛ إضافة إلى نقص المؤن، وقلة الإمدادات. فتحطمت أحلام (فيروس) في الوصول إلى منطقة الخليج العربي، والقضاء على القوة البارثية. وقد كان من نتائج هذه الحملة قطع طرق التجارة وتوقف سير القوافل إلى بلاد الرافدين ورأس الخليج العربي مدة من الزمن[٥٨].

لما حكم سبتيموس سيفروس روما (١٩٣-٢١١م) خطط أيضاً للحصول على الامتيازات التي تتمتع بها منطقة الشرق والخليج العربي؛ حيث كان السبب الظاهر الانتقام من بارثيا؛ لتقديمها المساعدة للثائر (يوستوس نايجر) حاكم مقاطعة سوريا الذي أعلن نفسه إمبراطوراً منافساً للإمبراطور سيفيروس. فأنشأ سيفروس أسطولاً لعبور الفرات؛ رغبة منه في السيطرة على كل بلاد الرافدين حتى الخليج العربي، ولكن لم يواصل خططه وطريقه نحو الجنوب؛ حيث غادر طيسفون بعد الاستيلاء عليها، واتجه إلى مدينة الحضر، ولكنه فشل في احتلالها نظراً لنقص المؤن، وقلة الإمدادات لديه، وإصابة جيشه بمرض الزحار (الديزنتاريا)[٥٩].

لم تفلح حملة سيفيروس في ضم أراضٍ جديدة في جنوب بلاد الرافدين، كما لم تحقق مطامح الإمبراطور الشخصية والسياسية، إلا أن من نتائجها التأثير على التجارة؛ حيث أدت إلى قطع الطرق التجارية في غرب الدولة البارثية، ومنها الطريق القادم من الخليج العربي. ومن المرجح أن الرومان لجؤوا إلى تشجيع الطرق البعيدة عن بارثيا حتى يتجنبوا سيطرة البارثيين عليها، والاستفادة من تجارتها، ومن هذه الطرق الطريق القادم من الساحل الشمالي الشرقي للجزيرة العربية إلى الجوف، فوادي السرحان إلى سوريا[٦٠].

ولكن بعد سقوط بارثيا، وقيام الدولة الساسانية على أنقاضها، وبعد وصول الإسكندر سيفروس (٢٢٢-٢٣٥م) إلى الحكم، قرر مواجهة أطماع الساسانيين بالتوسع غرب بلاد

---

(٥٨) صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٨؛ على، *المفصل في تاريخ العرب*، ٨٧/٣.

(٥٩) علي، *المفصل في تاريخ العرب*، ٢/ ٦٨؛ Birely, *Septimiusm The African Emperor*, 129, 130; *Historiae Augustae*, II, 235.

(٦٠) محمد السيد غلاب، "التجارة في عصر ما قبل الإسلام"، *دراسات تاريخ الجزيرة العربية*، ١٨٩؛ يحيى، *الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية*، ٦٠-٦١.

الرافدين؛ حيث قضوا على الدويلات المتحالفة مع روما، مثل دولة ميسان، فأعد جيشاً كبيراً لغزو بلاد الرافدين، ثم فارس. وقبل قيامه بالحملة أرسل بعثتين دبلوماسيتين بهدف التباحث سلمياً، وعقد معاهدة مع الفرس، لكنهم رفضوا. فأرسل أردشير وفداً فارسياً إلى روما مكوناً من ٤٠٠ شخص، يطلبون منهم مغادرة سوريا وآسيا الصغرى، فأثار هذا الوفد غضب الإمبراطور، فقرر سجن هؤلاء الأربعمائة[٦١].

وفي عام ٢٣١م قاد الإمبراطور الإسكندر سيفيروس الجيش نحو بلاد الرافدين؛ حيث قسمه إلى ثلاث فرق: الأولى تتجه إلى أرمينيا، ومنها إلى ميديا وشمال إيران، والثانية تتجه جنوباً عبر نهر الفرات صوب طيسفون، ثم إلى شط العرب؛ حيث يلتقي نهرا دجلة والفرات، ومن هناك إلى رأس الخليج العربي، أما الثالثة فتتوجه إلى وسط بلاد الرافدين، وهي بقيادة الإمبراطور نفسه، وربما كان قصد الإمبراطور من ذلك التقسيم إشغال الفرس، وتشتيت فرقهم في المقاومة.

حاول سيفيروس تثبيت أقدام روما في جنوب بلاد الرافدين، والوصول إلى الخليج، ولكنه لم يتمكن من ذلك لنقص المؤن، وقلة الإمدادات، وازدياد قوة الفرس ومقاومتهم الشديدة، والأمراض التي أصابت الجيش نتيجة لاختلاف المناخ، وشدة الرطوبة، إضافة إلى أنباء وصلته عن تعرض نهر الراين لغارة من القبائل البربرية[٦٢]، كل هذه الأسباب كانت حائلاً وراء استكمال مخطط الإسكندر سيفيروس في السيطرة على منطقة الخليج العربي.

من كل ما سبق يتضح أن الرومان حاولوا السيطرة على منطقة الخليج العربي للحصول على الامتيازات والاستفادة من العائد الاقتصادي، جراء مرور القوافل التجارية عبر منطقة الخليج كونها معبراً تجارياً، ونقطة التقاء للقوافل التجارية الموجودة على أراضيها. ولكن لم تُجدِ تلك المحاولات، ولم تصل إلى نتائجها المرجوة منها، عدا حملات الإمبراطور تراجان الذي كاد

---

(٦١) صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٩؛ علي، *المفصل في تاريخ العرب*، ٦٨/٢؛ *Historiae Augustae*, II, 251.

(٦٢) صراي، *الرومان ومنطقة الخليج*، ٢٣٩؛ علي، *المفصل في تاريخ العرب*، ٦٨/٢؛ *Historiae Augustae*, II, 263.

أن يتحكم في تجارة الشرق والخليج العربي، إلا أن الظروف السياسية التي أحاطت بحكمه في تلك الفترة منعته من استكمال مخططاته.

ونظراً لتلك الحملات الرومانية، ولحركة التجارة في منطقة الخليج، فقد عثر على عدد من الآثار الرومانية في منطقة الخليج، تمثلت في جرار كانت تستخدم لحفظ النبيذ في موقع ثاج[٦٣] في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية، ومليحة[٦٤]، والدور[٦٥] بدولة الإمارات. كذلك وجد في منطقة الخليج العربي أسرجة رومانية الصنع، كانت متداولة في حوض البحر المتوسط؛ حيث كانت توقد بزيت الزيتون. وعثر على عدد من الأواني الزجاجية الرومانية، كالكؤوس في موقع مليحة والدور[٦٦]. كذلك عثر على ثلاث عملات رومانية: اثنتين في الدور وواحدة في مليحة، الأولى فضية صُوِّر على وجهها الإمبراطور (أغسطس) (٢٧ق.م -١٤م)، وعلى ظهرها صورتا حفيديه: (جايوس ولوكيوس). والثانية ذهبية عليها صورة الإمبراطور (تيبريوس) (١٤- ٣٧م) في الوجه، أما ظهر العملة فصُوِّر عليها أمه (ليفيا)، أما العملة الثالثة فهي نحاسية صُوِّر على وجهها (تيبريوس)[٦٧] وعلى ظهرها حرفا (s وc)[٦٨].

---

(٦٣) تقع ثاج على بعد ١٥٠كم شمال غرب الظهران، و ٧٢,٤كم من أقرب نقطة على ساحل الخليج العربي، عرف الموقع بأنه موقع آثاري لما وجد فيه من مخلفات آثارية، ويعني اسم ثاج (فتحة جحر الأفعى)، إلا أن حمد الجاسر يرى أنه من الصعب تفسير الاسم. انظر: حمد الجاسر، *المعجم الجغرافي للبلاد السعودية المنطقة الشرقية*، (الرياض: ١٩٧٩م)، ٣٠٧/١؛ ويرى ياقوت الحموي أن ثاج عين تقع على مسيرة ليال من البحرين. ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، تحقيق: فريد الجندي، (بيروت: ١٩٩٠م)، ٧٠/١.

(٦٤) مليحة: قرية تقع إلى الجنوب الشرقي من الشارقة، على بعد حوالي ٥٠ كم، وتقع في سهل حصوي ذي مياه جوفية، لها طرق توصلها إلى البريمي والعين، وجد فيها عدد من المكتشفات الآثارية. انظر: صراي، *منطقة الخليج العربي*، ٢٥٢-٢٥٣.

(٦٥) الدور: موقع آثاري يقع بالقرب من الطريق التي تربط رأس الخيمة والشارقة، ويبعد الدور حوالي كيلو متر واحد من الخليج، أو خور البيضاء الذي ربما كان مرفأ للسفن قديماً. انظر: صراي، *منطقة الخليج العربي*، ٢٤٩.

(٦٦) Boucharlat, and salles, J-F, *The History and Archaeology of The Gulf*, 1989, 78.

(٦٧) حمد محمد صراي، "عملات ما قبل الإسلام المكتشفة في شرق شبه الجزيرة العربية ودلائلها الشخصية والدينية والسياسية والاقتصادية"، *ندوة الثقافة والعلوم*، (دبي: ٢٠٠٣م)، ٥٩.

(٦٨) حرفا (s، c) هما اختصار لعبارة مجلس الشيوخ، مما يدل على أن هذه العملة سكت بموافقة مجلس الشيوخ. انظر: وثيق إسماعيل الصالحي، " النقود المتكشفة خلال تنقيبات (١٩٧١-١٩٧٢م)" (سومر: ١٩٧٤م)، ١٥٥/٣٠-١٦٢.

البيزنطيّون ومنطقة الخليج العربي

حمد محمد صراي

مقدّمة:

تعدّ فترة التّاريخ القديم لمنطقة الخليج العربي أطول العصور التّاريخيّة والحقب الزّمنيّة التي مرّت بالمنطقة منذ الألف السّادسة قبل الميلاد إلى القرن السّابع الميلادي. وتعتمد كثيراً في مصادرها على المعثورات الآثاريّة والكتابات والنّقوش المحلّيّة والمصادر الكلاسيكيّة وبالتّالي تتطلّب جهداً مضاعفاً في البحث والدّراسة. ومع ذلك فإنّ الكشف الآثاري الرّاهن قدّم لنا معلومات عن النّشاط الحضاري والمدني في المنطقة. أمّا فيما يخصّ العلائق مع القوى المحيطة فهي ميدان خصب للبحث والدّراسة ومنذ البروز الحضاري لبلاد الرّافدين فقد تواصلت شعوبه وممالكه مع حضارتَي ديلمون وماجان ونشأت بين الجانبين علاقات يغلب عليها الطّابع الاقتصاديّ. واحتلّتْ المنطقة مكاناً عالياً في سياسات ومخطّطات الإسكندر الكبير وخلفائه السلوقيّين. ويعد الفرس مِن أكثر الشّعوب التي اتّصلت بمنطقة الخليج العربي بين القرنين الخامس ق.م. والسّابع الميلادي. وفي أثناء ذلك حاول الرّومان الوصول إلى المنطقة خلال فترة الصّراع مع البارثيّين. ووصلت كثير مِن السّلع والبضائع الآسيويّة والهنديّة إلى حوض البحر المتوسّط عبر الخليج العربي. وهذه الدّراسة هي محاولة لتشخيص العلاقة البيزنطيّة بمنطقة الخليج العربي، وهي تهدف إلى عدّة أمور مِن أهمّها:

١. إبراز علاقات منطقة الخليج بعالم حوض البحر المتوسّط في الفترة الممتدّة بين القرنين الثّالث والسّابع الميلاديّين.

٢. توضيح الأهمية الملاحيّة للخليج العربي، ودوره مركز تواصل بين الشّرق والغرب.

٣. تبيان دور المنطقة الخليجيّة منفذاً للسّلع والبضائع الهنديّة والآسيويّة إلى الغرب.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٢٩٣–٣٢٧

٤. تحديد موضع منطقة الخليج في دائرة الصّراع السّاساني/البيزنطي وأثر ذلك على المنطقة.

٥. تبيان الوضع الدّيني للمنطقة مِن حيث الوجود النّصراني النّسطوري وصلة ذلك بالسّياسة الدّينيّة البيزنطيّة وبالسّياسة السّاسانية العامّة.

تمهيد:

تركّز أغلب المصادر البيزنطيّة على الأحداث الجارية في فلسطين وسوريا ومصر وآسيا الصغرى، أو ما له صلة مباشرة بالاحتكاكات العسكريّة بالسّاسانيّين؛ لذا فإنّ الإشارة إلى منطقة الخليج العربي في المصادر البيزنطيّة قليلة ومتناثرة. وعلى الرّغم مِن ذلك فإنّ لمنطقة الخليج العربي موقعاً بين السّياستين السّاسانية والبيزنطيّة تتّضح معالمه في طبيعة النّواحي الاقتصاديّة والملاحيّة بين الدّولتين. ولكن هل كان للبيزنطيّين الرّغبة في الوصول إلى المنطقة؟ وهل كان الخليج العربي بحيرة ساسانيّة مغلقة لم يستطع البيزنطيّون الوصول إليها؟ ومِن المعروف أنّ الصّراع ظهر مُبكِّرًا بين المتنافسَيْن، وكانت الحروب بينهما طوال قرون سِجالاً مُحتدمًا، وبالرّغم مِن تعدُّد مُعاهدات السّلام، إلا أنّ هذه المعاهدات لم تكن تصمد طويلاً؛ إذ إنّ حقب الصّراع قد تجاوزتْ بمراحلَ عدّة تلك المُددَ التي كان يسود فيها السلامُ بين المُعسكَرَيْن. لأنّ هناك حدودًا مُشتركة، ومصالح مُتشابكة؛ ومشروعات توسُّعيّة لدى كلّ طرف على حساب الآخر. واخترنا مسمّى "البيزنطيّون" وليس "الرّومان" للدّلالة على الإمبراطوريّة الرّومانيّة الشّرقيّة بعد أن أضحت بيزنطة المعروفة بالقسطنطينيّة عاصمة لهذه الدّولة[١]. وكان لمنطقة الخليج العربي موقعاً وإن كان محدوداً في الصّراع العسكري السّاساني البيزنطي مِن حيث معرفة طبيعة الحملات البيزنطيّة على فارس وهل كانت مجرّد ردّات فِعل على الحملات السّاسانية أم كان لها مآرب أخرى تتعلّق بالتّجارة وفرض السّلم؟ وكان مِن ضمن معالم هذا التّنافس هو محاولات البيزنطيّين اختراق الميدان العربي في شبه الجزيرة

---

[١] انظر مثلاً: ج. م. هسّى، *العالم البيزنطي*، ترجمة وتعليق: رأفت عبدالحميد، (القاهرة: ١٩٨٤م)، ٨٥؛ الأب جورج عطيّة، "نشوء الكنائس المشرقيّة وتراثها: (القرن الخامس- القرن الثّامن) الكنائس البيزنطيّة التّراث: الرّوم" في كتاب: *المسيحيّة*، ٢٩٢-٢٩٣؛ رأفت عبدالحميد، "الاضطهاد الرّوماني للمسيحيّين بين الاعتقاد الكنسي والفِكر السّياسي"، في كتابه: *بيزنطة بين الفكر والدّين والسّياسة*، (القاهرة: ١٩٩٧م)، ٤٠.

العربيّة، في وقت كان اعتماد بيزنطة على العون العربي في الشّام واضحاً. وتحتلّ التّحرّكات الحبشيّة موقعاً ضمن إطار السّياسة العسكريّة البيزنطيّة في الإحاطة بشبه الجزيرة العربيّة وحصر النّفوذ الفارسي في شمالها الشرقيّ وجنوبها الشّرقيّ، وهذا يفسّره الامتداد السّاساني إلى اليمن بعد ذلك.

وفي إطار التّواصل الاقتصادي بين العالم البيزنطي ومنطقة الخليج العربي نلاحظ رغبة بيزنطيّة في الحصول على سلع وبضائع آسيوية حيث توسّع المجتمع البيزنطي في وسائل التّرف والبذخ، وكانت لهذه التّجارة مساهمة كبيرة في الانتعاش الاقتصادي البيزنطي[٢]. وممّا لا شكّ فيه فإنّ الخليج العربي كان أحد طرق وصول البضائع والمنتجات الهنديّة والآسيويّة إلى بيزنطة. ولكن هل فعلاً كانت فارس محلّ تهديد للتّجارة المتّجهة نحو الغرب؟ وما هي الفائدة المرجوّة مِن تهديد التّجارة؟ وفي هذا الإطار يجب الأخذ بعين الاعتبار التّأثيرات السّلبيّة للحملات السّاسانية على الأوضاع الاقتصاديّة في الولايات البيزنطيّة الشّرقيّة. أمّا العلاقات البيزنطيّة/ الحبشيّة/ الفارسيّة فقد لعبت أيضاً دوراً غير مباشر في التّواصل البيزنطي بمنطقة الخليج. وفي الوقت نفسه فإنّه لا يُستبعد اندراج الحملة الحبشيّة على مكّة ضمن خطّة التّطويق البيزنطيّة للنّفوذ الفارسي في الخليج وفي شبه الجزيرة العربيّة.

وفي إطار العلائق البيزنطيّة مع المنطقة يندرج الوضع الدّيني النّسطوري في منطقة الخليج وعلاقة النّساطرة بالبيزنطيّين والفرس. وعلاقة ذلك بوصول المذهب النّسطوري إلى المنطقة وانتشاره بها. وهو في الوقت نفسه له صلة بالموقف البيزنطي مِن أصحاب المذاهب النّصرانيّة المخالفة للمذهب الرّسمي للإمبراطوريّة وهو الأمر الذي دفع بالنّساطرة إلى التّوجّه خارج الإطار السّياسي البيزنطي. وقد انتبه السّاسانيون لِمِثل هذه الظّروف وأفسحوا المجال للنّساطرة بالدّعوة والاستقرار في المنطقة مقابل التّعنّت البيزنطي ضدّهم. ولكن هل كان الفرس يتعاملون مع النّساطرة مِن باب التّسامح الدّيني أم مِن قَبيل السّياسة والحنكة؟ وَلِمَ سمح الفرس للنّساطرة

---

[٢] هـ. سانت ل. ب. موس، *ميلاد العصور الوسطى: ٣٩٥-٨١٥*، تحقيق: عبدالعزيز توفيق جاويد، (القاهرة: ١٩٦٧م)، ١٧. انظر كذلك: نقولا زيادة، *المسيحيّة والعرب*، (دمشق: ٢٠٠١م)، ١٤٨.

بالانتشار في المنطقة على حساب المذاهب النّصرانيّة الأخرى؟ وعلى الرّغم مِن الخلافات المذهبيّة بين الإدارة البيزنطيّة وبين العديد مِن أتباعهم في الشّام وأصدقائهم في الحبشة إلا أنّ البيزنطيّين قد اعتمدوا أيضاً على النّصرانيّة في الوصول إلى مناطق نفوذ جديدة في شبه الجزيرة العربيّة. كما تتناول هذه الدّراسة ما عُثر عليه مِن آثار في المنطقة يحتمل أنّها قدمت مِن عالم حوض البحر المتوسّط وتؤرّخ زمنيّا بتلك الحقبة.

الصّراع العسكري السّاساني/ البيزنطي، وموقع منطقة الخليج مِن الحملات العسكريّة البيزنطيّة على المملكة الفارسيّة:

قال العلاّمة جواد علي رحمه الله: إنّ العالم في تلك الفترة كان عبارة عن "جبهتين: جبهة غربيّة، وجبهة أخرى شرقيّة: الرّوم والفرس، ولكلٍّ طبّالون ومزمّرون، ويرضون أو يغضبون، ويثيبون أو يعاقبون إرضاء للجبهة التي هم فيها وزلفى إليها وتقرّبا. ولقد سخّر الرّوم كل قواهم السّياسيّة للهيمنة على جزيرة العرب أو إبعادها عن الفرس وعن الميّالين إليهم على الأقلّ. وعمل الفرس مِن جهتهم على تحطيم كلّ جبهة تميل إلى الرّوم وتؤيّد وجهة نظرهم وعلى مَنْع سفنهم مِن الدّخول إلى البحر الهندي والاتّجار مع بلاد العرب. وعمل المعسكران بكلّ جدّ وحزم على نشر وسائل الدّعاية واكتساب معركة الدّعاية والفكر، ومِن ذلك التّأثير على العقول"[٣] وقد خاضت الدّولتان الفارسيّة والبيزنطيّة صراعاً طويلاً على مناطق النّفوذ في العراق وسوريا ومصر وآسيا الصغرى. وتمثّل هذا الصّراع في العديد من الحروب الطّاحنة بين الفريقين، وكانت الحروب بينهما سجالاً. ومن المعروف أنّ السّاسانيّين والبيزنطيّين بذلا جهوداً كبيرة للوصول إلى مناطق نفوذ الطّرف الآخر إمّا بهدف إضعاف نفوذ كلّ مِنهما أو لإحلال أحدهما مكان الآخر سياسيّاً وعسكريّاً واقتصاديّا[٤].

---

[٣] *المفصّل*، ٣/٤٩٠-٤٩١.

[٤] لمزيد مِن التّفاصيل، انظر: وسام عبدالعزيز فرج، *دراسات في تاريخ الإمبراطوريّة البيزنطيّة -١- الإمبراطوريّة مِن ٣٢٤-١٠٢٥م*، ٦٨-٦٩، ٧٦. عرض رأفت عبدالحميد رحمه الله الصّراع بين الفرس والبيزنطيّين عرضا علميا جيداً بيّن فيه أسباب الصّراع بين القوتين الكبريين، ومظاهر هذا الصّراع ونتائجه=

وقد تمكّن شابور الثّاني ذو الأكتاف (Shapur II): (٣١٠ – ٣٧٩م) مِن تعزيز الدّولة داخليّاً وخارجيّاً، وأخضع مملكة كوشان الهنديّة، كما أوقف توغّل القبائل الآسيويّة وغاراتها. واستطاع كذلك أن يحدّ مِن نفوذ النّبلاء وحكّام الأقاليم. هاجم أيضاً عرب البحرين وعاملهم بعنف وقسوة[٥]. ورواية هجوم شابور على عرب البحرين هي رواية متواترة، ومِن المرجّح أنّ شابور أدرك استحالة قدرة جيوشه على فرض سيطرتها على القبائل العربيّة في بواديها فيما لو اعتمد مواصلة سياسة العنف ولذا جنح إلى التّهدئة بعد ذلك[٦]. وتروي المصادر العربيّة الإسلاميّة أنّ يوليانوس (أو كما سمّته: إِليانوس)، وهو نفسه الإمبراطور البيزنطي يوليانوس أو جوليان جمع الرّوم لغزو فارس وقتال الملك شابور، واجتمعت العرب معهم لثأرهم عند شابور بِمَن قتل مِنهم. وسار القائد البيزنطي في ١٧٠ ألفاً مِن المقاتلة حتّى دخل أرض فارس، فأحجم شابور عن لقائه لِكثرة جنده، فصبّحه العرب، وفضّوا جموعه وهرب في فَلّ عسكره، واستولى الرّوم على خزائنه وأمواله، واستولوا على طيسفون. ولكن شابور استنفر جموع مملكته وارتجع مدينته طيسفون، وأقاما متظاهريْن، وهلك يوليانوس بسهم أصابه[٧]. وقد انضمّ العرب إلى الإمبراطور

=وتأثيراته على شبه الجزيرة العربية. انظر بحثه: "الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربيّة في القرن السّادس الميلادي"، *مجلة المؤرّخ العربي*، مج١، ع٢، (١٩٩٤م)، ٢٦٣–٣٢٦. ثم أعاد نشْره في كتابه: بيزنطة بين الفكر والدّين والسّياسة، (القاهرة: ١٩٩٧م)، ١٤٥–١٩٥. انظر كذلك: عمر أبو النّصر، *تاريخ الأمة العربيّة: قصّة العرب قبل الإسلام*، (بيروت: ١٩٧٠م)، ١٥٧، ١٥٨؛ محمّد حسين هيكل، *حياة محمد* ﷺ، ط ١١، (القاهرة: ١٩٧١م)، ٨٩-٩٠.

[٥] آرثر كريستينسن، إيران في عهد السّاسانيّين، ترجمة: يحيى الخشّاب، (بيروت: ب.ت.)، ٢٢٥–٢٢٩؛ سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، *تاريخ الشرق الأدنى القديم: إيران والأناضول*، (بغداد: ب.ت.)، ١٥٨–١٥٩؛ طه باقر وفوزي رشيد ورضا الهاشمي، تاريخ إيران القديم، (بغداد: ١٩٧٩م)، ١٣٠–١٣١؛ Frye, R. N., The Heritage of Persia, 225-226; idem, "The Political History of Iran", Cambridge History of Iran, Cambridge, 1983, vol. 3 (1), 132-134, 136-141.

[٦] جواد علي، *المفصّل*، ٦٣٩/٢؛ عبدالله أبو عزّة، "قبيلة تميم عند ظهور الإسلام"، في *مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربيّة*، (الدّوحة: ١٩٧٦م)، ١٢٧/١.

[٧] ابن خلدون، *كتاب العبر (التّاريخ)*، (ضمن الموسوعة)، (القاهرة: بيروت: ١٩٩٩م)، مج٣، ٣٥٠-٣٥١.

يوليانوس في حملته على فارس ثأراً مِن الفرس وانتقاماً، وبلغت أعدادهم ١٢٠ ألفاً، وهو رقم مبالغ فيه إلا أنّه يشير إلى ضخامة أعداد العرب الذين وقفوا ضدّ الملك الفارسي[٨].

وقد حاصر الإمبراطور البيزنطي سنة ٣٦٣م. مدينة الأنبار حصاراً شديداً خانقاً، ولمّا استولى عليها جعلها ركاماً فأمر عندئذ ببناء بلدة جديدة بالقرب مِنها دعاها هيليوبوليس[٩]. وعلى الأرجح فإنّ يوليانوس كان مصرّاً على الوصول إلى جنوبي العراق. وهذا ما يشير إليه إعداده لحوالي ١١٠٠ سفينة مخصّصة للملاحة النّهريّة في الفرات إضافة إلى توجّهه بقوّاته جنوباً نحو العاصمة المدائن بصحبة هذه القوارب[١٠]. وبناء عليه فقد قرر أن يسير هذا الأسطول جنوباً في نهر الفرات لمؤازرة القوّات العربيّة الزّاحفة على المدائن. ولمّا بلغ الإمبراطور غربي الفرات استقبله سادات القبائل العربيّة هناك وأطلقوا عليه لقب: "ملك كلّ العرب" إمعاناً في النّكاية بشابور[١١]. ويبدو أنّ مِن عوامل عدم نجاح يوليانوس في حملته رغم انتصاراته في بعض المعارك هم الأدلّاء في أرض لا يعلم عن تضاريسها وبيئتها شيئاً حتّى أصبح في مأزق عسكري حيث أحاطت به جيوش الفرس ما عرّضه وجنوده لمشكلات كبيرة[١٢]. وهذا ما عبّر عنه عدد مِن المصادر العربيّة الإسلاميّة حين ذكرت أنّ العرب انتهزوا الفرصة للانتقام مِن شابور فاجتمع في عسكر يوليانوس مِن العرب مائة وسبعون ألفاً. واستولى يوليانوس على ما في العاصمة الفارسيّة مِن كنوز وأموال. وخلال المناوشات بين الفريقين أُصيب يوليانوس بسهم طائش قضى عليه. حينها استرد شابور قوّاته وأبعد الرّوم عن العراق. وزاد حقده على العرب فانتقم مِنهم بعنف وقسوة[١٣]. ومن ثم فإنّ الصّدام بين

---

(٨) عصام سخنيني، "الانتشار العربي في السّاحل الشّرقي لشبه الجزيرة العربيّة: البدايات وخصائص التّطور"، في كتاب: *ندوة مكانة الخليج العربي في التّاريخ الإسلامي*، (العين: ١٩٨٨م)، ٨٩.

(٩) جواد علي، *المفصّل*، ١٧٣/٣.

(١٠) Baynes, N., "Constantin's Successors to Jovian and the Struggle with Persia", CMH, vol. 1, 82, 83.

(١١) سليمان إبراهيم العسكري، *التّجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العبّاسي*، (الكويت: ١٩٩٨م)، ٤٧.

(١٢) رأفت عبدالحميد، الدّولة والكنيسة، ٣٤٨/٣.

(١٣) ابن الأثير، *الكامل في التّاريخ*، تحقيق: علي شيري، (بيروت: ٢٠٠٤م)، مج٢، ٢٥٤؛ ابن الجوزي، *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق: محمّد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، (بيروت: ١٩٩٢م)، ٢/٨٥-٨٦؛ الطّبري، *التّاريخ*، ٢/٥٨، ٥٩.

شابور والعرب مرّ بمرحلتين: الأولى قبل حملة يوليانوس على فارس انتقاماً مِنهم لغاراتهم على جنوبي العراق ونشر الفوضى فيه. والثّانية، وكانت أشدّ وأقسى بسبب تعاون العرب مع يوليانوس في حملته على فارس. لذا صبّ جام غضبه عليهم وأغار على البحرين وأثخن فيهم. ثمّ واصل غاراته على الولايات الشّرقيّة لبيزنطة في حملات انتقاميّة ليس إلا[١٤].

وكان الفرس على حذر شديد مِن وصول النّفوذ البيزنطي إلى عرب الخليج نظراً لِما تمثّله لهم مِن منطقة حيويّة. ولذا فإنّ ملوك الحيرة كانوا عوناً لهم في تثبيت نفوذ الفرس بين العرب، وكان النّعمان بن امرئ القيس بن عمرو مِن أكثر ملوك الحيرة غارة على الشّام[١٥]. وقد تتبّع عرفان شهيد أقوال أميانوس في هذا الموضوع حسب الأيّام والشّهور وكيفيّة انضمامهم إلى الجيش البيزنطي في مواضع مختلفة مِن مسير الحملة نحو بلاد الرّافدين. ويميل إلى اعتبار أنّ هؤلاء العرب كانوا في الأصل مِن رعايا الإمبراطوريّة البيزنطيّة في سوريا ومنطقة الجزيرة خاصّة أنّ رواية أميانوس تشير إلى قيام الإمبراطور بإرسال وفد إلى هؤلاء العرب ممّا يشي إلى نوع مِن التّبعيّة للدّولة. ويستعين شهيد بروايات المصادر العربيّة الإسلاميّة حول هذه المسألة مؤكّداً انتماءهم إلى النّفوذ السّياسي البيزنطي. ولا يُستبعد أنّهم غسّانيّون سواء كانوا مِن غسّانيي الشّام أو الحيرة. وينقل عنه أيضاً إشارته إلى شخصيّة عربيّة قياديّة هي ماليكوس (Malechus) أي مالك. ويخلص إلى أنّ هذه الشّخصيّة هي غسّانيّة أسوة بالعرب الآخرين المتعاونين مع البيزنطيّين في حملتهم على فارس[١٦].

وحين تولّى كسرى الثّاني أبرويز العرش السّاساني وضع نصب عينيه الوصول إلى السّواحل الشّرقيّة للبحر المتوسّط رغبة مِنه في بسط السّلطة الفارسيّة على سوريا ومصر وآسيا الصّغرى ووجد حادثة مقتل صديقه الإمبراطور موريق ولجوء ابنه مستنجداً به فرصة سانحة لغزو الشّام وغيرها، حيث استولت قوّاته على أنطاكية وقيصريّة وبيت المقدس ونتج عن هذه الحملات

---

(١٤) ابن الجوزي، المصدر السّابق، ٢/٨٧؛ الطّبري، *التّاريخ*، ٢/٦٠.

(١٥) ابن الجوزي، المصدر السّابق، ٢/٩٢.

(١٦) Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fourth Century, Washington D.C., 1984, 107-108, 114, 116-117, 119-120, 121, 124-132, 133, 134, 135.

العسكريّة خراباً عظيماً وفتكاً مريعاً بين عامَي ٦١٠ و٦١٥م. وواصل الفرس تقدّمهم حتّى استولوا على مصر ووقعت في قبضتهم الإسكندريّة. ولم تنجُ العاصمة القسطنطينيّة مِن غارات الفرس الذين وصلوا إليها راغبين في حصارها واحتلالها مّا أوقع الإدارة والشّعب في حيرة كبيرة. ولم تفلح محاولات البيزنطيّين في التّوصّل مع الفرس إلى حلّ سواء عن طريق المفاوضات[١٧].

وفي عهد الإمبراطور هرقل أعد ما لا يقلّ عن ستّ حملات في الفترة الممتدّة بين عامَي ٦٢٢ و٦٢٨ في محاولة لإنقاذ الإمبراطوريّة. وتمكّن مّن هزيمة الفرس في أكثر مِن موقعة[١٨]. وخلال التّقدّم البيزنطي في الأراضي الأذربيجانيّة علم بأنّ كسرى أبرويز موجود في عاصمة الإقليم كانزاك (Canzac) مع أربعين ألف مِن رجاله فاتّجه نحوه، وكان معه بعض العرب الذين تقدّموه للاستطلاع وواجهوا قوّة فارسيّة تمكّنوا مِن قتل وأَسْر بعض أفرادها حيث أتوا بهم إلى هرقل. فلمّا علم كسرى بدنوّ الجيش البيزنطي آثر مغادرة كانزاك وانسحب بجنده فلحق بهم هرقل وأدرك بعضهم قتلاً وأسراً واستولى على البلدة. واتّجه ملك فارس إلى تبريز[١٩]. وفي أثناء حملة الإمبراطور على فارس عام ٦٢٧م. تعاون معه الخزر وقدّموا له مساعدة عسكريّة كبيرة قيل: إنّها بلغت أربعين ألف جندي لدعمه في حربه ضدّ السّاسانيّين. وقد أغرت هذه المعونة هرقل على التّوغّل في أراضي الفرس رغبة مِنه في الوصول إلى أبعد مدى جغرافي في ولاية العراق، وواصل تقدّمه إلى محيط العاصمة المدائن[٢٠]. وعندما علم الإمبراطور أنّ كسرى يُعسكِر بجيشه في

---

(١٧) لمزيد مِن التّفاصيل حول هذه الحملات، انظر مثلاً: الطّبري، *التّاريخ*، ٢/١٨١-١٨٢؛ ليلى عبدالجواد إسماعيل، الدّولة البيزنطيّة في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، (القاهرة: ١٩٨٥م)، ٢٠٧-٢٣٠.

(١٨) جوزيف نسيم يوسف، *تاريخ الدّولة البيزنطيّة (٢٨٤ – ١٤٥٣م.)*، ١٠٥-١٠٦؛ محمود شيت خطّاب، *"أرمينية قبل الفتح الإسلامي وفي أيّامه"*، ٦٤، ٦٨؛ المؤلّف نفسه، *"بلاد الرّوم قبل الفتح الإسلامي وفي أيّامه -٢-"*، ١١٩؛ وانظر كذلك: ليلى عبدالجواد إسماعيل، المرجع السّابق، ٢٠٦.

(١٩) ليلى عبدالجواد إسماعيل، المرجع السّابق، ٢٤٣.

(٢٠) محمّد محمّد مرسى الشّيخ، "الخزر وعلاقتهم بالإمبراطوريّة البيزنطيّة"، *مجلّة كلّيّة العلوم الاجتماعيّة (جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة)*، ع ٤، (١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م.)، ٣٥٨. انظر كذلك: محمود شيت خطّاب، "أرمينية قبل الفتح الإسلامي وفي أيّامه"، *مجلّة المجمع العلمي العراقي*، مج٣٤، (ربيع الأوّل ١٤٠٣هـ/ يناير ١٩٨٣م)، ١/٥٠-٥١.

داستاجرد Dastagerd (المقرّ الصّيفي لكسرى) الذي يبعد عن العاصمة بسبعين كم.، سارع بمهاجمتها؛ حيث استولى عليها في ٤ يناير ٦٢٨، واضطرّ كسرى إلى الهرب مِن داستاجرد إلى المدائن(٢١). ولكن على الرّغم مِن انتصارات هرقل، إلا أنّه عرض الصّلح على كسرى، على أساس العودة إلى حدود عام ٦٠٢ م، وإطلاق سراح الأسرى، إلا أنّ كسرى رفض هذا العرض المشَرِّف له، ما كان سببًا في احتقار أتباعه له، ونقمة شعبه وجيشه عليه(٢٢). وغادر الإمبراطور هرقل داستاجرد في السّابع مِن يناير ٦٢٨ م، ثم عسْكر على بُعد اثني عشر ميلاً مِن قناة النّهروان حيث تَجَمْهر بقايا جيش الفُرس، وهو على بُعد عدّة أميال مِن العاصمة الفارسيّة، المدائن، ويبدو أنَّ البيزنطيّين كانوا يُراقبون عن كثبٍ التطوُّراتِ السّياسيّةَ في فارس، فرأوا أنّ انتصارهم يمكن أن يسهم كذلك في تغذية الانقسامات والنّزاعات داخل البيت المالك السّاساني، وهذا أكثر فائدةً مِن المخاطرة بالهُجُوم على عاصمتها الآهِلة بالسُّكّان(٢٣). وقد صحَّ ما توقّعه البيزنطيّون؛ ذلك أنّه في ربيع عام ٦٢٨ وقع ما جعل المُضيَّ في الحرب والقتال أمرًا لا داعيَ له، حيث اندلعتِ الثّورة ضدّ كسرى، وانتهتْ بعزْله(٢٤).

الخليج العربي ممرّ مناسب للسّلع والبضائع الآسيويّة والهنديّة إلى سواحل البحر المتوسّط:

أنشأ الفرس عدداً مِن الموانئ على سواحل الخليج العربي، وبالذّات على السّاحل الفارسي، وربطوا هذه الموانئ بطرق توصلها بالمناطق والمدن في إقليم فارس لنقل البضائع والسّلع مِن وإلى هذه الموانئ(٢٥). ويؤكّد المؤرخ أميانوس مارسيليوس أنّ سواحل الخليج العربي كانت

---

(٢١) آرثر كريستنس، مرجع سابق، ص٤٥١؛ انظر كذلك: هـ. سانت ل. ب. موس، المرجع السّابق، ٢٣٥.

(٢٢) جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدّولة البيزنطيّة (٢٨٤ – ١٤٥٣م)، ١٠٦، ١٠٧؛ ف. هايد، ف. هايد، تاريخ التّجارة في الشّرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمّد رضا، (القاهرة: ١٩٨٥م)، ١/٣١-٣٢.

(٢٣) The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History (AD 248-813), trans. Cyril Mango and Roger Scott, Oxford, 1997, 460.

(٢٤) جوزيف نسيم يوسف، *تاريخ الدّولة البيزنطيّة (٢٨٤–١٤٥٣م.)*، ١٠٧؛ Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, trans. Joan Hassey, London, 1968, 96.

(٢٥) Daryaee, T., "The Persian Gulf Trade in Late Antiquity", في الشبكة المعلوماتية، وقد أشرنا إليها سابقًا.

تحتشد بالمدن والقرى والموانئ، وتوجد في مياه الخليج العديد مِن السّفن المبحرة[٢٦]. ويذكر بللاديوس (Palladius)[٢٧] أنّ السّفن السّاسانيّة كانت تجوب المحيط الهندي منذ القرن الرّابع الميلادي[٢٨]. وهذه إشارة إلى ما كانت تتمتّع به المنطقة مِن نشاط اقتصاديّ كبير في القرن الرّابع الميلادي. وبصورة عامّة كان معظم التّجارة العالميّة في أيدي الفرس إذ كانت لهم سيطرة كبيرة على أسواق سيلان[٢٩].

البيزنطيّون بين الخليج العربي والبحر الأحمر:

لقد كانت طرق التّجارة الدّوليّة أحدَ أهمّ أسباب الصّراع بين القوّتين؛ وذلك لأنَّ التّحكُّمَ في التّجارة الدّوليّة وفي طرقها يعد أحدُ أهمّ مظاهر القوّة والثّراء للدّولتين. وكانت الكتلة الأساسيّة للتّجارة العالميّة في العصور الوسطى تسير مِن الشّرق الأقصى إلى البحر المتوسّط، وكانت طرق التّجارة الطّبيعيّة إلى الهند والصّين تمرّ على طول طرق القوافل عبر الأراضي البرّيّة في المملكة الفارسيّة أو عبر الطّرق البحريّة الواقعة تحت نفوذ الفرس كذلك[٣٠]. وقد حاول الإمبراطور جستنيان البحث عن طُرق بديلة للتّجارة عبر البحر الأحمر أو عبر شبه جزيرة القرم، إلا أنّ هذين البديلين لم يكونا كافيين؛ حيث إنّ طريق البحر الأحمر كان واقعاً ضمن دائرة النّفوذ الحبشي، وقد احتكره التّجّار الحبشيّون، وعلى الرّغم مِن التّقارب بين الأحباش والبيزنطيّين إلا أنّه لم يكن تحت النّفوذ البيزنطي المباشر، خاصّة أنّ الفرس كانت لهم سلطة على المحيط الهندي، كما أنّ تجارة الحرير لم تكن تمرّ عبر البحر الأحمر بل كانت تسلك طرقاً برّيّة. إضافة إلى ذلك فإنّ

---

(٢٦) Res Gestae, XXIII. 6, 11.

(٢٧) راهب وأسقف ومؤلّف، وُلد في غلاطيا بآسيا الصغرى في عام ٣٦٣ أو ٣٦٤م. وعاش جزءاً مِن حياته في الإسكندريّة، وقضى ٩ سنوات في دير النّطرون بمصر. وتدخّل في الخلافات الدّائرة بين نصارى زمانه. وقام برحلة إلى الهند ثمّ عاد إلى مصر، وكتب ما شاهده في رحلته في كتابه: Epistela de Indicis، وتوفي عام ٤٣١م. (انظر: Meyer, R. T., "Palladius of Helenopolis", NCE, vol. 10, 927-928; Palladius, The Lausiac History, trans. R. T. Meyer, London, 1965, 3-15.)

(٢٨) سامي سعيد الأحمد، *تاريخ الخليج العربي*، ٣٨٦.

(٢٩) هـ. سانت ل. ب. موس، المرجع السّابق، ١٦٣.

(٣٠) ستيفن رانسيمان، الحضارة البيزنطيّة، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، (القاهرة: ١٩٦١م)، ١٩٤؛ سليمان إبراهيم العسكري، المرجع السّابق، ٢١-٢٢.

الأحباش كانوا يفضّلون نقل البهارات والتّوابل على المتاجرة بالحرير وحتّى مع تشجيع البيزنطيّين للأحباش في نقل الحرير إلا أنّ التّجّار الأحباش لم يتمكّنوا مِن منافسة الفرس في ذلك[٣١].

ويشير المؤرّخ أميانوس مارسيليوس إلى ازدهار مدن أنطاكية واللاّذقيّة وأفامية وسلوقية بالتّجارة ووفرة السّلع الدّاخليّة والمستوردة مِن الخارج[٣٢]. وفي عهد الإمبراطور جستنيان بذلت الحكومة البيزنطيّة جهوداً مقدّرة في محاولة مِنها في التخلّص أو التّحرّر مِن الرّقابة أو السّيطرة الفارسيّة على طرق التّجارة والمتاجرة مع الشّرق والحصول على البضائع والسّلع الآسيويّة والهنديّة دون المرور بمناطق النّفوذ الفارسيّة أو على الأقلّ تجنّبها قدر المستطاع، ومِنها بطبيعة الحال منطقة الخليج العربي. وبطبيعة الحال أيضاً فإنّ البحر الأحمر وموانئه الغربيّة وميناء العقبة (أيلة) وعدداً مِن جزره إلى الحدود الحبشيّة كانت ضمن دائرة النّفوذ البيزنطي. ولِتحقيق هذه الطّموحات أو بالأحرى المخطّطات كان عليه السّيطرة على البحر الأحمر والولوج مِنه إلى عالم المحيط الهندي لبلوغ شبه القارّة والنّقل المباشر لمنتجات تلك الأصقاع إلى البحر الأحمر فميناء أيلة ثمّ فلسطين فبلاد الشّام أو إلى ميناء القلزم المصري. فبدأ أوّلاً بتنظيم أمور الجباية والجمارك في مركز جزيرة تيران، فجبى البيزنطيّون مبالغ كبيرة، وعملوا أيضاً على مقاومة التّهريب، وفي الوقت نفسه تأكيد النّفوذ العسكري في سوريا والتّواصل مع سادات القبائل العربيّة في الشّام،

---

[٣١] إدوار برّوي وآخرون، المرجع السّابق، ٦٠- ٦١ ؛ محمّد فتحي الشّاعر، المرجع السّابق، ١٧٩ ؛ هـ. سانت ل. ب. موس، المرجع السّابق، ١٦٣ ؛ وسام عبدالعزيز فرج، *دراسات في تاريخ الإمبراطوريّة البيزنطيّة - ١- الإمبراطوريّة مِن ٣٢٤-١٠٢٥م*.، ٨٠- ٨٢. انظر كذلك: خليل عبد سالم الرّفوع، *في النّصوص الجاهليّة: مظاهر الحضارة الاقتصاديّة والاجتماعيّة العربيّة*، (عَمان/العين/الكويت: ٢٠٠٥م)، ١٨٦ ؛ سيّد أحمد علي النّاصري، *الرّوم والمشرق العربي*، (القاهرة: ١٩٩٣م)، ١٠٨ ؛ عائشة سعيد أبوالجدايل، *ديانة شهداء نجران: قراءة جديدة للمصادر الأوّليّة*، (حوليّات كُلّيّة الآداب – جامعة الكويت: الرسالة: ٢٢٢، الحوليّة: ٢٥)، (الكويت: ٢٠٠٤-٢٠٠٥م)، ١٤ ؛ Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fourth Century, 15

[٣٢] ف. هايد، المرجع السّابق، ٣٥/١ ؛ نعيم فرح، "ثلاثة مصادر تلقي بعض الأضواء على جوانب مِن الحياة الاقتصاديّة في بلاد الشّام في العهد البيزنطي"، في كتاب: *النّدوة الأولى للمؤتر الدّولي الرّابع لتاريخ بلاد الشّام: بلاد الشّام في العهد البيزنطي*، تحرير: محمّد عدنان البخيت ومحمّد عصفور، (عَمّان: ١٩٨٦م)، ٢٠١-٢٠٢.

وشمال شبه الجزيرة العربية وشمالها الغربي بهدف إدراجهم في دائرة النّفوذ السّياسي البيزنطي وحملهم على نقل السلع والمنتجات نحو الغرب وإلحاق ما استطاع مِن ضرر بالتّجارة الفارسيّة. ولكن البيزنطيّين لم يكن باستطاعتهم إرسال قوّاتهم للتّوغّل في بلاد العرب مِن شمالها الغربي إلى بلاد اليمن في الجنوب نظراً لِما يترتّب على ذلك مِن تكاليف ماديّة وبشريّة. ولكن بإمكان بيزنطة الاعتماد على الحليفة الحبشة التي بإمكانها الوثوق بها سياسيّاً وعسكريّاً وملاحيّاً. كما بالإمكان استغلال عامل الأخوّة الدّينيّة الرّابطة بين الفريقين في تحقيق العمل السّياسي. إضافة إلى استغلال العامل نفسه مع سادات القبائل المتنصّرة بإرسال المبشّرين إلى بلاد العرب وتشييد الكنائس والبِيَع لِتكون مراكز تثقيف وتقريب للثّقافة البيزنطيّة[٣٣].

وقد نظرتْ فارس إلى الخليج العربي بوصفه طرفاً في معادلة الصّراع مع بيزنطة على اعتبار أنّ الخليج العربي ممرّ رئيس للتّجارة الشّرقيّة القادمة مِن الهند وشرق آسيا، ومِن هنا يأتي تأييد البيزنطيّين ودعمهم للغزو الحبشي لليمن، أو على أقلّ تقدير، الرّضا بذلك بغضّ النّظر عن الأهداف الدّينيّة المعلنة فإنّ العاملين الاقتصادي والسّياسي كان لهما تأثير كبير في السّياسة الخارجيّة البيزنطيّة؛ إذ كانت بيزنطة ترى في سيطرة الحبشية على مدخل البحر الأحمر تدعيماً لسيادتها هي على البحر الأحمر، وذلك جزء أساس في صراعها مع الدّولة السّاسانيّة[٣٤].

وممّا يشي بتواصل خليجي مع السّاحل الغربي للبحر الأحمر، قول الشّاعر النّابغة الذّبياني[٣٥]:

له بحرٌ يُقَمِّص بالعدولي وبالخُلُج المحمّلة الثّقال

مُضرٌ بالقصور يذود عنها قراقيرَ النّبيطِ إلى التّلال

وقول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد البكري:

---

(٣٣) انظر بعضاً مِن هذه الأفكار والرّؤى عند العلّامة جواد علي رحمه الله في كتابه *المفصّل*، ١٦٩/٤-١٧١، ١٧٥/٤.

(٣٤) رأفت عبدالحميد، *بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة*، ١٥٧-١٥٨، ١٧٥؛ عائشة سعيد أبو الجدايل، *الإمبراطوريّة البيزنطية في القرن السّابع الميلادي*، ١٤٧.

(٣٥) قاسم راضي مهدي، "مظاهر البيئة البحريّة في الحبشة في الشّعر الجاهلي"، *مجلّة المورد*، مج١٠، ع. ٣-٤، (١٤٠٢ هـ/١٩٨١ م)، ١٣١.

كأنّ حُدوج المالكيـــة غُـــدوة   خلايـــا سفين بالنواصف مِــن دَدِ
عَدَوْليةٌ أو مِن سَفين ابن يامنٍ   يجور بهـــا الملاّح طــوراً ويهتـدي
يشقّ حُبابَ الماء حَيزومها بهـا   كمـا قَسَمَ التُّرْبَ المفايلُ باليـــد

وقول كثيّر عزّة[٣٦] :

كأنّ عدوليّاً زهـاء حمولهـــا   غدت ترتمي الدّهنا بها والدّهالك

وقد فسّر كثيرون قوله "عدولية" أنّها نوع مِن السّفن منسوبة إلى ثغر[٣٧] أو قرية في البحرين تدعى عدولى، وقيل: إنّها تعني قبيلة مِن قبائل العرب، وقيل: "العدولى" هو الملّاح[٣٨]. ولا يُستَبعد أنّ المقصود بعدولي هو الميناء الحبشي المشهور عدوليس[٣٩] الذي كان موئلاً لطريق الملاحة الرئيس الخارج مِن موانئ مصر وفلسطين على البحر الأحمر ومِنه تبحر السّفن إلى خليج عدن والمحيط الهندي وسواحل الهند الغربيّة والشّماليّة الغربيّة وجزيرة سيلان والخليج العربي وأصبحت سفن عدولي هي السّفن المعتادة الرّسوّ في الهند وسيلان. وكان هذا الميناء موئلاً تجاريّاً يرفأ إليه التّجّار مِن مختلف الجنسيّات[٤٠]. والتّواصل بين منطقة الخليج والبحر الأحمر واضح وله

---

[٣٦] *ديوان كثّير عزّة*، شرح: مجيد طراد، (بيروت: ١٩٩٥م)، ١٣٨. "دهالك" آكام سود هناك معروفة.

[٣٧] علي محمد معطي، *تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام*، (بيروت: ٢٠٠٣م)، ١٧٤؛ محمّد عزّة دروزة، *تاريخ الجنس العربي*، (صيدا: ١٩٥٦م)، ١٨٨/٥.

[٣٨] الآلوسي، *بلوغ الأَرب في معرفة أحوال العرب* (ب.ت.)، ٣٦٥/٣.

[٣٩] أمين توفيق الطيبي، المرجع السّابق، ٤١-٤٢؛ جورج فضلو حوراني، المرجع السّابق، ٢١، ح. ❖❖❖، ٩٩؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، *الشّمال الأفريقي في العصور الوسيطة المبكّرة وعلاقاته بالجزيرة العربيّة*، ترجمة: صلاح الدّين هاشم، (عَمان: ١٩٨٩م)، ٢٢٢-٢٣٢.

[٤٠] سعيد عبدالفتّاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، (القاهرة، ١٩٧٧م)، ٢٨١؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٢٨٩- ٢٩٠؛ نعيم فرح، *"ثلاثة مصادر تلقي بعض الأضواء على جوانب مِن الحياة الاقتصاديّة في بلاد الشّام في العهد البيزنطي"*، ٢٠٦؛ Raunig, W., "Adulis to Aksum: Charting the Course of Antiquity's Most Important Trade Route in East Africa", in P. Lunde & A. Porter (eds.), Trade and Travel in the Red Sea Region: Proceedings of the Red Sea Project 1, Held in the British Museum: Oct. 2002, (BAR International Series 1269), Oxford, 2004, 87, 89.

قرائن فالجار وهو قرية وبلدة وميناء مشهور مقابل يثرب (المدينة)، يقع إلى الجنوب الشرقي مِنها، وتبعد عنها بحوالي ٢٠٠كم إذ كانت ترسو فيه السّفن القادمة مِن مصر والحبشة والبحرين واليمن والصّين والهند وغيرها مِن البلدان. وكان يأتيها تجّار الحبشة ومصر وغيرهم. وتشير الرّوايات إلى قدِم هذا الموضع وأنّه يعود إلى فترات تسبق الإسلام بأمد بعيد[٤١]. وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ السّفن الفارسيّة كانت تجوب المحيط الهندي ووصلت إلى جزيرة سيلان بل كان لها حضور في ميناء عدولي الحبشي وفي خليج عدن. وهذه مسألة حسّاسة بالنّسبة للبيزنطيّين الذين ينظرون بعين الرّيبة لهذه التّحرّكات المغلّفة بطابع اقتصادي ربما لا تخفي أهدافها السّياسيّة.

الحملة الحبشيّة على اليمن وصلتها بمنطقة الخليج العربي:

ممّا لا شكّ فيه فإنّ الحملة الحبشيّة على اليمن وإسقاط الحكم الحميري قد تمّت برضا ودعم مِن الحكومة البيزنطيّة مع اختلاف في كيفيّة هذا الدّعم[٤٢] وهل كان عن طريق تقديم سفن النّقل أو تقديم المال اللّازم أو التّحريض المباشر للغزو[٤٣]. وأنّ احتلال الأحباش لليمن هو تحقيق لمآرب

---

(٤١) الآلوسي، *بلوغ الأَرب في معرفة أحوال العرب*، 1921L-١٩٣؛ ابن الجوزي، *المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك*، تحقيق: محمّد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، (بيروت: ١٩٩٢م)، ١/١٤٣؛ أبوعبيد البكري، *المسالك والممالك*، تحقيق: جمال طلبة، (بيروت: ٢٠٠٣م)، ١/١٣٣؛ المؤلف نفسه، *معجم ما استعجم*، مج١، ٢/٥-٦؛ مؤلّف مجهول، *حدود العالم مِن المشرق إلى المغرب*، ترجمة عن الفارسيّة وحقّقه: يوسف الهادي، (القاهرة: ٢٠٠٢م)، ١٧٤؛ ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ٢/٧٠-١٠٨؛ Dietrich, A., "Al-Djar", EI^2, vol. 2, 454.

(٤٢) Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fourth Century, 15. انظر كذلك: حسنين محمّد ربيع، *دراسات في تاريخ الدّولة البيزنطيّة*، (القاهرة: ١٩٩٣م)، ٥٧؛ دي لاسي أوليري، *جزيرة العرب قبل البعثة*، ترجمة وتعليق: موسى علي الغول، (عَمّان: ١٣٧؛ سبتينو موسكاني، *الحضارات السّاميّة القديمة*، ترجمة: السّيّد يعقوب بكر، (بيروت: ١٩٨٦م)، ٢١٥- ٢١٦؛ محمّد عبدالقادر بافقيه، *تاريخ اليمن القديم*، (بيروت: ١٩٨٥م)، ١٦٨.

(٤٣) ابن الجوزي، المصدر السّابق، ٢/١١٩؛ جون باجوت جلوب، المرجع السّابق، ٣٠؛ جواد علي، *المفصّل*، ٢/٦٢٧؛ دي لاسي أوليري، المرجع السّابق، ١٦١؛ رأفت عبدالحميد، *"الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربيّة في القرن السّادس الميلادي"*، ١٥٣؛ محمّد فتحي الشّاعر، المرجع السّابق، ١٧٧؛ هـ. سانت ل. ب. موس، المرجع السّابق، ٢٠٢.

بيزنطة في السّيطرة على طريق البحر الأحمر، وتدعيم سيادتها التّجاريّة[٤٤]. على الرّغم مِن أنّ اضطهاد نصارى نجران كان هو الشّرارة التي أشعلت مِثل هذه الحملة[٤٥]. وبعد هذا الاستيلاء واستقرار حكم الأحباش بعث الإمبراطور جستنيان سفارة برئاسة رجل بيزنطي يدعى يوليان (جوليان) حوالي عام ٥٣١م. إلى ملك أكسوم وإلى السميفع الملك الحميري الذي عُيّن ملكاً على اليمن بعد احتلال الأحباش لها. يطلب مِنهما إعلان الحرب على فارس، وقطع العلاقات التّجّاريّة معهم وضرورة تولّي الأحباش تجارة الحرير الصّيني. وطلب مِن ملك حمير خاصّة أن يوافق على تعيين شخص يدعى قيس (Kaisos - Caisus) سيّدا (Phylarch) على قبيلة معد (Maddeni). وأنّ يجهّز جيشاً كبيراً يشترك مع قبيلة معد في غزو أرض فارس. ولّما التقى المندوب البيزنطي بالنّجاشي استقبله استقبالاً حسناً، وبلّغه رسالة الإمبراطور ورغبته. وعاد محمّلاً بالوعود والاستعداد لتنفيذ رغبة الإمبراطور. ولكن لم يحدث شيء في الواقع، ولم ينجز الملكان وعودهما فلم يَغْزُوَا فارس ولم يعيّن السميفع قيساً سيّدا على معد حتّى قُتل السميفع. ونظراً للصّعوبات الجمّة التي تكتنف المهمّة العسكريّة وتطلّبها لِموارد ماليّة وبشريّة هائلة إضافة إلى وعورة الطّريق البرّي وصعوبة اجتيازه فإنّها لم تنجز. كما أنّ تجارة الحرير كانت منذ زمن بعيد في أيدي تجّار فارس وقد فهموا طبيعة هذه التّجارة وخبروا كنهها فهم لا يُنافسون في ذلك. ولديهم إمكانات ملاحيّة وسفن ومرافئ وقدرات بحريّة كبيرة[٤٦]. ويقال إنّ قيساً هو قيس بن سلمة بن الحارث حفيد الحارث بن عمرو بن حجر أشهر ملوك كندة بنجد، والحفيد الأكبر لحجر آكل المرار مؤسّس

---

[٤٤] إبراهيم أحمد العدوي، *الدّولة الإسلاميّة وإمبراطوريّة الرّوم*، (القاهرة: ١٩٩٤م)، ١٣؛ جواد علي، *المفصّل*، ٦٢٦/٢. انظر كذلك: جون باجوت جلوب، المرجع السّابق، ٣١.

[٤٥] رأفت عبدالحميد، *"الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربيّة في القرن السّادس الميلادي"*، ١٥٤. ولمزيد مِن التّفاصيل حول دوافع الحملة وأهدافها، عبدالمعطي بن محمّد عبدالمعطي سمسم، *العلاقات بين شبه الجزيرة العربيّة والحبشة*، (القاهرة: ٢٠٠٨م)، ١٣١ فما بعدها.

[٤٦] جواد علي، *المفصّل*، ٤٧٢/٣-٤٧٣، ١٧١/٤-١٧٢؛ عبدالعزيز صالح، المرجع السّابق، ١٣١؛ رأفت عبدالحميد، *"الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السّادس الميلادي"*، ١٧٨-١٧٩؛ محمّد فتحي الشّاعر، المرجع السّابق، ١٨٠؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٩٥-٩٧، ٢٩٠. انظر كذلك: عبدالمعطي بن محمّد عبدالمعطي سمسم، المرجع السّابق، ١٩٧؛ ف. هايد، المرجع السّابق، ١٥/١؛ Trimingham, op.cit, 300.

الأسرة الحاكمة لكندة[٤٧]. ويبدو أنّ خلافاً نشب بين السّميفع وقيس نتيجة للمنافسة الشّخصيّة بينهما أسهمت في تعقيد إجراءات غزو الأراضي الفارسيّة في شمال شرق شبه الجزيرة العربيّة. وكانت بيزنطة بحاجة إلى مِثل هذه الحملة للتّخفيف مِن حدّة الهجوم الفارسي والغارات اللّخميّة على أراضي ومدن الشّام. وكان في ظنّ البيزنطيّين أنّ هذه الحملة العربيّة الجنوبيّة والحبشيّة على الأجزاء الشّماليّة الشّرقيّة والجنوبيّة الشّرقيّة مِن شبه الجزيرة العربيّة قد تسهم في اختراق الدّفاعات الفارسيّة الجنوبيّة. ويبدو أنّ البيزنطيّين لم يفلحوا إلا في تعيين قيس ملكاً رسميّا على معد، وتخفيف حدّة العداء بين قيس والسّميفع[٤٨].

وبعد مقتل السّميفع وتولّي أبرهه حكم اليمن كرّر الإمبراطور الطّلب بضرورة مهاجمة الأراضي التّابعة لفارس، وأرسل وفداً خاصّاً بذلك ربّما بعد عام ٥٣٢ م. أو ربّما كان عام ٥٣٩ تحديداً ترأّسه الملك الغسّاني الحارث بن جبلة، وكان أبرهه على علاقة طيّبة بقيس فقرر تنصيبه على معد. كما تحرّش بالفرس غير أنّه لم يواصل عمله هذا إذ سرعان ما كفّ عنهم[٤٩]. ويبدو أنّ هدف الإمبراطور مِن هذا التّحريض هو جرّ الفرس إلى مناوشات في منطقة الخليج العربي تشغلهم عن مواجهة البيزنطيّين على الحدود الشّرقية لبيزنطة. كما كان يرغب في إيجاد تقارب بين الأحباش في اليمن والقبائل العربيّة في نجد مثل قبيلة معد. وتشكيل تعاون بين الفريقين مِن أجل الوصول بقوّاتهما إلى شرقي شبه الجزيرة العربيّة لتهديد النّفوذ السّاساني في إقليم البحرين. والظّاهر أنّ الأحباش لم يكونوا راغبين في مواجهة الفرس ربّما خشية مِن القوّة السّاسانية، ومِن شدّة انتقام الفرس، كما أنّه لم يكن لدى الأحباش القوّة العسكريّة البحريّة الكافية أو أنّهم لم يكونوا يرغبون في الانجرار في حروب مع الفرس دون فائدة حقيقيّة ملموسة تعود عليهم بالنّفع. وفي الوقت نفسه لم تكن القبائل العربيّة النّجديّة متحمّسة لهذه المغامرة غير المأمونة[٥٠]. إضافة إلى

---

[٤٧] يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٩٨.

[٤٨] محمّد فتحي الشّاعر، المرجع السّابق، ١٧٨؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٩٩-١٠١، ١٣٦، ١٣٧.

[٤٩] جواد علي، *المفصّل*، ٤٧٣/٣، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٩٢، ١٧٢/٤؛ محمّد فتحي الشّاعر، المرجع السّابق، ١٦٧-١٦٨؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ١١٢.

[٥٠] رأفت عبدالحميد، *"الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربيّة في القرن السّادس الميلادي"*، ١٧٨-١٧٩؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٩٦، ١٠٠.

ذلك فإنّ النّفوذ السّاساني في عموم شرق شبه الجزيرة العربيّة قد تأسّس بصورة قويّة يصعب على مناوشات حدوديّة أن تجليه كما أنّ القبائل العربيّة قد دخلت في مصادمات مع فارس انتهت في أغلب الأحيان في غير صالح العرب. ومن ثم فهم بحاجة إلى تأييد قويّ ليس مِن الحبشة فحسب بل مِن بيزنطة إن أرادت الأخيرة إقلاق النّفوذ الفارسي في المنطقة. وإضافة إلى ذلك يحتمل أنّ عرب الخليج نظروا إلى تحرّكات ونشاطات البيزنطيّين بعين الرّيبة والشّك[٥١].

إذن كان المتحالفان البيزنطي والحبشي يحقّقان مصالح اقتصاديّة وسياسيّة مشتركة وبطبيعة الحال لم يكن الفرس غافلين عن هذه التّحرّكات والمحاولات البيزنطيّة خاصّة وأن الفرس قد نظروا إلى الخليج العربي بوصفه طرفاً في معادلة الصّراع مع بيزنطة على اعتبار أنّ الخليج العربي هو "طريق الشّرق" نظراً لوقوعه إلى الشّرق مِن شبه الجزيرة العربيّة، في مقابل "طريق الغرب" وهو طريق البحر الأحمر.[٥٢] وكلا الطّريقين يعدّان ممرّين رئيسين للتّجارة الآسيويّة والأفريقيّة لذا واجهوها بوسائل دبلوماسيّة وسياسيّة وعسكريّة على الجبهة السّوريّة والأرمنيّة وبالضّغط على بيزنطة ماليّاً. كما أرسلوا مبعوثاً خاصّاً لحضور الاحتفال بالانتهاء مِن ترميم سدّ مأرب على يدي أبرهة. وكانت تلك مناسبة جيّدة استغلّها الفرس لصالحهم. ومِن الجدير بالذّكر أن هذا الاحتفال الكبير حضره مندوبون مِن الحبشة وبيزنطة والحيرة وغسّان. ولا يُستَبعد أنّ أبرهة شعر بالفخر والاعتزاز أن أصبحَ في مكانة عالية يتقرّب إليه الجميع بالودّ وحُسْن العلاقات. وهو في الوقت نفسه يدرك طبيعة الصّراع بين القوّتين العظميين، ويدرك أيضاً مكانة اليمن إستراتيجيّاً واقتصاديّاً وتجاريّاً. ومِن الملاحظ أنّ ذِكر مندوب ملك الحيرة قبل مندوب ملك غسّان يشير إلى لفتة خاصّة

---

(٥١) قارن ما ذكرناه أعلاه بقول العلامة جواد علي رحمه الله: وكان من نتائج العداء الموروث بين السّاسانيّين والبيزنطيّين أن انتقلت عدواه إلى العرب أيضاً فصار أناس منهم مع الفرس وآخرون مع الرّوم وبين العربين عداوة وبغضاء مع أنهما من جنس واحد وكلاهما غريب عن السّاسانيّين والبيزنطيّين." (*المفصّل*، ٦٣١/٢).

(٥٢) انظر: رأفت عبدالحميد، "الصّراع الدولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السّادس الميلادي"، ١٥٦-١٥٧؛ عمر أبو النّصر، *تاريخ الأمة العربيّة: قصّة العرب قبل الإسلام*، (بيروت: ١٩٧٠م)، ١٥٧-١٥٨؛ محمّد حسين هيكل، *حياة محمد* ﷺ، ط١١، (القاهرة: ١٩٧١م)، ٨٩-٩٠. انظر كذلك: دي لاسي أوليري، *جزيرة العرب قبل البعثة*، ترجمة وتعليق: موسى علي الغول، (عَمّان: ١٩٩٠م)، ٧٥.

يوليها أبرهة للّخميّين تشي بتعاظم مكانتهم وتعالي أهمّيّتهم، وأبرهة يعي حقيقة أنّ سلطان الحيرة قد توطّد في منطقة الخليج العربي بل ووصل إلى أطراف الحجاز[٥٣].

ويندرج ضمن هذا الصّراع والتّنافس قيام أبرهة بحملته على مكّة وهو موضوع يقع خارج إطار هذه الدّراسة إلا فيما يتعلّق برغبة أبرهة أن يحقّق له احتلال مكّة تواصلاً مع الممتلكات البيزنطيّة في الشّام وفي الوقت نفسه يمثل تحدّياً كبيراً للدّولة السّاسانية مِن النّاحيتين السّياسيّة والاقتصاديّة[٥٤]. وهذا أمر غير مُستَبعد خاصّة إذا عرفنا أنّ أبرهة قد تمكّن مِن الحكم في اليمن. واستوعب كلّ أبعاد التّنافس بين السّاسانيّين والبيزنطيّين. ولكن كما هو معروف فإنّ الحملة على مكّة فشلت فشلاً ذريعاً وأخفقت إخفاقاً كاملاً. وكأنّني بالفرس وقد تنفَسوا الصّعداء وتخلّصوا مِن خطر يكاد يقلقهم وقرّروا التّحرّك بالاتّجاه المضادّ للوجود الحبشي في اليمن. ومِن هذا المنطلق عمل الفرس على توسيع نفوذهم إلى جنوب شبه الجزيرة العربيّة، وواتتهم الفرصة في استنجاد سيف بن ذي يزن بهم لمعاونته على طرد الأحباش مِن اليمن إذ اتّجه سيف أولاً إلى القسطنطينيّة لمقابلة الإمبراطور البيزنطي جستين الثّاني (Justin II) (٥٦٥- ٥٧٨م). للاستعانة به ضدّ الأحباش[٥٥]. وبالطّبع قوبل هذا الطّلب بالرّفض[٥٦]، فلما رفض الإمبراطور يمّم وجهه صوب

---

(٥٣) جواد علي، *المفصّل*، ٣/٤٨٩-٤٩٠؛ رأفت عبدالحميد، *بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة*، ١٧٩-١٨٠، ١٨٤؛ عبدالعزيز صالح، المرجع السّابق، ١٣٢؛ محمّد عزّة دروزة، *تاريخ الجنس العربي*، (صيدا: ١٩٥٦م)، ٥/٨٠؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ١٣٤- ١٣٥. لمزيد من التفاصيل حول وسائل السّاسانيّين في مواجهة البيزنطيّين دينيا وسياسيا وعسكريا وماليا، انظر: رأفت عبدالحميد، *بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة*، ١٣٥-١٣٦، ١٦٢-١٦٣، ١٦٤-١٦٧، ١٦٨-١٧١؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٩٦-٩٧.

(٥٤) إبراهيم أحمد العدوي، المرجع السّابق، ١٦؛ رأفت عبدالحميد، *"الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السّادس الميلادي"*، ١٨٩-١٩٠؛ عبدالعزيز صالح، المرجع السّابق، ١٣٢.

(٥٥) ابن كثير، *البداية والنهاية*، تحقيق: علي معوّض وأحمد عبدالموجود، (بيروت: ٢٠٠٢م)، مج٢، ٢/١٩٤؛ ابن هشام، المصدر السّابق، ١/١١٢.

(٥٦) انظر: الباز العريني، *الدّولة البيزنطيّة: ٣٢٣-١٠٨١م*، (بيروت: ١٩٦٥م)، ١٠٣-١٠٤؛ حسنين محمد ربيع، *دراسات في تاريخ الدّولة البيزنطيّة*، (القاهرة: ١٩٩٣م)، ٥٧؛ سيّد أحمد علي النّاصري، *الرّوم والمشرق العربي*، (القاهرة: ١٩٩٣م)، ١٦٣؛ وسام عبدالعزيز فرج، *دراسات في التّاريخ الاجتماعي والاقتصادي في العصور الوسطى*، (الإسكندرية: ١٩٨٥م)، ١٨٧-١٨٨.

فارس القوّة الموازِنة الأخرى علّه يجد عندها عوناً لم يحصل عليه في بيزنطة.

ووصل سيف إلى المدائن لمقابلة كسرى أنو شروان، وسأله أن يخرج الحبشة مِن بلاده ويبعث إليهم مَن شاء مِن الفرس فيكون له مُلك اليمن[٥٧]. وتروي عدد مِن المصادر العربيّة الإسلاميّة قصّة دراميّة حول لقاء سيف بملك فارس وعرْض طلبه عليه[٥٨]. ويبدو أنّ في القصّة شيئاً مِن صنع الخيال والتّداخل وخلط الأحداث. وبغضّ النّظر عن حيثيات اللّقاء وأحداثه إلا أنّ اندراج اليمن ضمن النّفوذ الفارسي يسهم أيضاً في امتداده إلى مكّة، والتّحكّم في تجارة الحجاز، والتدخّل في شؤونه الدّاخليّة، وكأنّهم بهذا الفِعل يردّون على البيزنطيّين دعمهم المعنوي وقبولهم بحملة الأحباش على مكّة. وممّا لا شكّ فيه فإنّه بوصول الفرس إلى اليمن قد أحكموا قبضتهم على شبه الجزيرة العربيّة مِن منطقة الخليج إلى البحر الأحمر[٥٩]. وباستيلاء الفرس على اليمن ثمّ استيلائهم على مصر في زمن كسرى الثّاني أضحى البحر الأحمر بحيرة فارسيّة[٦٠]. وتكون منطقة الخليج تبعاً لذلك قد دخلت مباشرة في أتون التّنافس بين القوّتين العظميين. وبامتداد نفوذ الفرس إلى شبه القارّة الهنديّة تحقّق لهم السّيطرة على المحيط الهندي وتجارته البحريّة، وضمنوا انسياب

---

(٥٧) ابن هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوّض، (الرياض: ١٩٩٨م)، ١/١١٢.

(٥٨) ابن كثير، *البداية والنهاية*، مج٢، ٢/١٩٤-١٩٥؛ ابن هشام، المصدر السّابق، ١/١١٢-١١٣؛ البلخي، كتاب البدء والتّاريخ، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت: ١٩٩٧م)، ١/٣٠٤-٣٠٦؛ حمزة الأصفهاني، *تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء* (بيروت: ب.ت.)، ٤٦-٤٧؛ اليعقوبي، *التّاريخ*، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (بيروت: ١٩٩٣م)، ١/٢٤٦.

(٥٩) لمزيد مِن التّفصيل، انظر مثلاً: أحمد فخري، *دراسات في تاريخ الشرق القديم* (القاهرة: ١٩٩٠م)، ١٨٧؛ جواد علي، *المفصّل*، ٣/٤٨٤، ٤٨٩؛ حمد محمّد بن صراي، *تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم*، ١٩٩-٢٠٠؛ *رأفت عبدالحميد، "الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السّادس الميلادي"*، ١٥٤-١٥٥؛ سيّد أحمد علي الناصري، المرجع السّابق، ١٨٢-١٩٤؛ محمّد فتحي الشاعر، المرجع السّابق، ١٨٠؛ Harmatta, G. L., "The Struggle for the Possession of South Arabia between Aksum and the Sasanians", Congresso Internazionale di Studi Etiopici, Rome, 10-14 April 1972, vol. 1, 95, 96-97, 101, 102, 103, 106.. انظر كذلك: Huzayyin, S. A., op.cit., 141; Munro-Hay, S. C. H, "Aksumite Overseas Interests", 413; Ricks,T. M., op.cit., pp. 342-343.

(٦٠) سيّد أحمد علي النّاصري، *الرّوم والمشرق العربي*، ١٧٣.

التّجارة إلى المنطقة. وبعد مقتل سيف(٦١) على يدي بعض حرّاسه مِن الأحباش الذين قتلوه وفرّوا إلى الجبال، خضعت اليمن للحكم الفارسي المباشر حتّى مجيء الإسلام. وتحقّق لهم كسبُ مهم في هذه المنطقة الحيويّة دون أن يلاقوا أيّة مقاومة مِن قِبل الإمبراطوريّة البيزنطيّة. وهكذا قُدّر لمملكة فارس أن تكسب الجولة قبل الأخيرة مِن جولات الصّراع بينها وبين إمبراطوريّة بيزنطة حول منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربيّة(٦٢).

التّحرّكات السّياسيّة والدّبلوماسيّة البيزنطيّة وأثرها على المنطقة:

وكما أشرنا سابقاً فإنّ الصّراع العسكري بين فارس وبيزنطة كان متواصلاً منذ القرن الثّاني إلى القرن السّابع الميلاديّين. وتركّز هذا الصّدام المسلّح على الحدود الشّماليّة والشّرقيّة لبلاد الرّافدين واشتعلت بسببه أراضي الشّام والجزيرة وأرمينيا وآسيا الصّغرى، وشغل سنوات حكم كثير مِن الملوك والأباطرة حتّى أضحى علامة فارقة للعلاقات الدّولية آنذاك. ومنذ أن تولّى جستنيان عرش بيزنطة دخل في حرب مريرة مع الفرس كان سببها المباشر رغبة كلا الطّرفين في مدّ نفوذهما على الدّول الصّغيرة الواقعة على حدودهما الشّماليّة بالقرب مِن البحر الأسود. وأمّا فيما يتعلّق بتأثير الصّراع الفارسي البيزنطي على المنطقة، فإنّ البيزنطيّين حاولوا تنشيط التّجارة في البحر الأحمر، والإبحار مباشرة إلى الهند، والتّفاهم مع حلفائهم الأحباش في هذا الأمر، ويبدو أنّهم كانوا يهدفون إلى إضعاف التّجارة في الخليج. ولكن السّاسانيّين بذلوا جهوداً كبيرة لتظلّ المنطقة في نشاط تجاريّ دائم، وبها فعاليّات اقتصاديّة متواصلة(٦٣). ولا يصحّ القول أنّ "الصّراع

---

(٦١) يرى عبدالمنعم ماجد رحمه الله أنّ الفرس هم الذين دبّروا مقتل سيف لتخلو لهم أرض اليمن. *التّاريخ السّياسي للدّولة العربيّة: عصور الجاهليّة والنّبوّة والخلفاء الرّاشدين*، (القاهرة: ١٩٨٢م)، ١/ ٧٧.

(٦٢) انظر: حمد محمّد بن صراي، *تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم*، ١٩٨- ٢٠٠؛ رأفت عبدالحميد، *"الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السّادس الميلادي"*، ١٩٥؛ السيّد عبدالعزيز سالم، *دراسات في تاريخ العرب: تاريخ العرب قبل الإسلام* (الإسكندريّة: ١٩٦٩م)، ١٥٠-١٥١؛ Shahid, I., Byzantium and the Arabs in 6th Cent., vol. 1/1, Washington D.C., 1995, 364-372.

(٦٣) حسين قاسم، *شرق الجزيرة العربية والأطماع الغربية*، (بيروت: ٢٠٠٤م)، ٨٢-٨٣؛ حمد محمّد بن صراي، *عمان من القرن الثالث ق.م. إلى القرن السابع م.*، ١٤٣-١٤٤؛ Huzayyin, S. A., op.cit., 133.

الفارسي البيزنطي السّياسي هو الآخر يعدّ عاملاً مِن عوامل إضعاف النّشاطات التّجّاريّة في منطقة الخليج العربي"[٦٤]. إذ إنّ منطقة الخليج العربي في الفترة السّاسانية لم تكن مهملة أو أنّها تعيش في عزلة سياسيّة أو في كساد اقتصادي. ومع التّنافس السياسي والعسكري إلا أن هناك حرصاً مِن الدولتين على تدفق السلع التجارية بهدف تحصيل الضرائب في المقام الأول وتلبية حاجة الطبقة العليا والدنيا من الكماليات والضروريات[٦٥]. وكان هذا الطّريق البحري/النّهري يسلك طريق البرّ بعد ذلك إلى أن تصل إحدى تفرّعاته إلى دمشق[٦٦]، ثمّ صور أو أنطاكية على ساحل البحر المتوسّط[٦٧]. ومّما يدلّ على أنّ المنطقة لم تكن تعاني كثيراً مِن سلبيّات الحروب، هو العدد الكبير مِن العملات السّاسانية المكتشفة في عموم منطقة الخليج العربي[٦٨]. ومما يدلّ على النّشاط البحري والاقتصادي الكبير في منطقة الخليج العربي في الفترة السّاسانية ما ذكره الرّاهب إبراهام (إبراهيم) الكسكري أنّه سافر مِن الهند إلى الخليج على متن سفينة مشحونة بالمسافرين والبحّارة، يبلغ عددهم ثلاثمائة شخص[٦٩].

وكان الهدف الرئيس للسّياسة البيزنطيّة في الشرق الأدنى هو محاولة الاستيلاء على المنطقة مِن البحر المتوسط إلى المحيط الهندي الذي يوفّر على الإمبراطوريّة الضرائب التي تدفع للفرس في مقابل مرور التّجارة الشرقية عبر أراضيهم، ما يجعل التّجارة الشرقية مرتهنة لفارس. بينما كان

---

(٦٤) "*مكانة الخليج العربي التّجّارية، ومصادرها خلال العصور الإسلامية الوسطى*"، ٣٦٩. انظر كذلك: حسن محمد النابودة، *تاريخ الملاحة والتّجارة*، ١.

(٦٥) حسن محمد النابودة، "مقدمة في تاريخ الخليج العربي منذ مطلع المسيحية وحتى قدوم البرتغاليين"، *مجلة شؤون اجتماعية*، ع. ٤١، س. ١١، (ربيع ١٩٩٤م)، ٢٧-٢٨؛ Shahid, I.,"The Arabs in the Peace Treaty of A.D. 561", 185, 186. انظر كذلك: Huzayyin, S. A., op.cit., 18, 23;

(٦٦) سبتينو موسكاني، المرجع السّابق، ٢٠١؛ سليمان إبراهيم العسكري، المرجع السّابق، ١٩؛ هـ. سانت ل. ب. موس، المرجع السّابق، ١٨.

(٦٧) أحمد أمين، *فجر الإسلام*، (القاهرة: ١٩٧٥م)، ١٢؛ هـ. سانت ل. ب. موس، المرجع السّابق، ١٨.

(٦٨) حمد محمّد بن صراي، *الفرس ومنطقة الخليج العربي مِن القرن الخامس ق.م. إلى القرن السابع م* (الشّارقة: ٢٠٠٧م)، ١٨٠.

(٦٩) Mingana, A., “The Early Spread of Christianity in India”, Bulletin of the John Rylands Library, vol. 10, 1926, 455. انظر كذلك: ف. هايد، المرجع السّابق، ١/٢١.

هدف السّياسة السّاسانيّة في المواجهة مع بيزنطة هو الوصول إلى السّواحل الشّرقيّة للبحر المتوسط. ومِن هاتين الرغبتين المتعارضتين نشأ ما يُعرف بمناطق النفوذ في شبه الجزيرة العربية، وضفّتَيّ البحر الأحمر ما جعلها ميداناً للصراع بين القوتين. وكان البيزنطيّون يرون في البحر الأحمر المنفذ الأقرب والأصلح والأسهل إلى المحيط الهندي[٧٠].

التّواصل البيزنطي بمنطقة الخليج:

لقد كانت إمبراطوريّة تعيش في عالم متلاطم مِن الاختلاف السّياسي والتنوّع السّكّاني والتعدّد في الممالك والشّعوب والإدارات، فكان لزاماً على الحكومة البيزنطيّة أن تعلم الكثير عن الشّعوب والأمم المجاورة لها حتّى يمكنها التّعامل معها سياسيّا وعسكريّاً واقتصاديّاً. وفي هذا الجوّ كان ولابدّ أن يحدث توافق بين الجناحين العسكري والدّبلوماسي وهو الذي أسهم في إنقاذ الإمبراطوريّة في فترة تأزّمها خلال القرنين السّادس والسّابع الميلاديّين على سبيل المثال. وفي بعض الأحايين كانت الدّبلوماسيّة تعوّض شيئاً مِن النّقص الذي كان يصيب القوّة العسكريّة[٧١]. ولا يمنع تواصل البيزنطيّين مع إمارات وقبائل منطقة الخليج العربي وإن اختلفوا معهم في المذهب النّصراني، فالبيزنطيّون أنفسهم كانوا على خلاف مذهبي مع الغساسنة اليعاقبة في الشّام إلا أنّ ذلك لم يمنعهم مِن التّعامل معهم سياسيّاً وإداريّاً وعسكريّاً[٧٢].

أ – مع مملكة الحيرة:

لقد كانت الحيرة تتمتّع باستقلال مِن نوع ما، يجعلهم في ارتباط مع فارس فيما يحقّق لهم

---

(٧٠) إدوار برّوي وآخرون، المرجع السّابق، ١١١؛ فِكتور سحّاب، المرجع السّابق، ٣٣- ٣٤، ٤٧، ٩٩، ١٠١؛ سيّد أحمد علي الناصري، *الرّوم والمشرق العربي*، (القاهرة: ١٩٩٣م)، ١٠٨؛ ف. هايد، المرجع السّابق، ١/١٨-٢١؛ محمد أحمد خلف الله، المرجع السّابق، ١٥- ١٦؛ منيرة الهمشري، "سفارات الدّولة البيزنطيّة إلى الحبشة وجنوب غرب الجزيرة العربية" *مجلّة الدراسات الأفريقية*، ع. ٢٥ (٢٠٠٢م)، ٢٠١؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٢١٧-٢١٨.

(٧١) رأفت عبدالحميد "قواعد الدّبلوماسيّة البيزنطيّة"، في كتابه: *بيزنطة بين الفكر والدّين والسّياسة*، ١٠٨-١٠٩، ١١٤.

(٧٢) جواد علي، *المفصّل*، ٢٤٣/٤؛ عبدالمنعم ماجد، *التّاريخ السّياسي للدّولة العربيّة: عصور الجاهليّة والنّبوّة والخلفاء الرّاشدين*، ١/٨٨، ٨٩.

مصالحهم وفق المعاهدات والتّحالف(٧٣). ويعد الملك أمرؤ القيس أحد أشهر ملوك العرب قبل الإسلام نظراً لِما تمتّع به مِن تحرّكات خارجيّة وصلات مع القوى العظمى آنذاك. ويخلّد نقشه المشهور شيئاً مِن تاريخ هذا الملك. وقد نال هذا النقش حظّاً وافراً مِن الدّراسة والنّقاش والبحث تغنينا عن الخوض في موضوع هذا النّقش. وفي اعتقادي أنّ عرفان شهيد أحد الباحثين الذين تمعّنوا ودقّقوا في دراسة النّقش المذكور. وسوف نتطرّق لهذا الموضوع مِن خلال عرض وجهة نظر شهيد وفيما له صلة بمنطقة الخليج العربي ؛ إذ يرد في النّص تلقيب أمرئ القيس نفسه بلقب ملك كلّ العرب. ويرى فيها شهيد أنّ هذه العبارة تتّفق مع كون الملك أحد أتباع بيزنطة ومَن يدينون لها بالولاء، فهو بهذه الصّفة يتقارب مع رغبة بيزنطة في التّأثير على عرب شبه الجزيرة. وفي الوقت نفسه يرى أنّ هذه العبارة تنطوي على بعض المبالغة مِن حيث تأكيد أمرئ القيس على امتداد سلطانه على العرب، وهو أمر لا تدعمه الوقائع التّاريخيّة، ولكن توجد بعض الإشارات الخاصّة بتمدّد سلطانه وهو في الحيرة على قبائل الأزد ونزار ومَعْد وهم يمثّلون جزءاً كبيراً مِن العرب إضافة إلى الجهة الشّرقيّة مِن شبه الجزيرة العربيّة. وبعد تغيّر ولاءاته السّياسيّة نحو بيزنطة أصبح ركنا القبائل العربيّة في شرق شبه الجزيرة وغربها يندرجان ضمن نفوذه. وكان حينها موالياً للبيزنطيّين على اعتبار أنّ صعوبات بيئيّة وتضاريسيّة وسياسيّة وعسكريّة تعيق تحرّكه مِن الحيرة إلى نجران. وهذه الحملة المفترضة تمّت عن رضا ودعم بيزنطي خاصّة أنّه كان للبيزنطيّين مصالح سياسيّة واقتصاديّة في منطقة جنوبي شبه الجزيرة العربيّة في مقابل النّفوذ السّاساني المتمركز في منطقة الخليج العربي وشمال شرق شبه الجزيرة العربيّة(٧٤).

وقد بعث الإمبراطور جستينان إلى ملك الحيرة المنذر بن ماء السّماء رسالة يمنّيه فيها بالمال والنّفوذ إن هو تخلّى عن كسرى أنو شروان، وانضمّ إليه. وحين علم كسرى بفحوى الرّسالة

---

(٧٣) أحمد أمين، المرجع السّابق، ١٧.

(٧٤) Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fourth Century, 35-41. وانظر كذلك استعراض عرفان شهيد لهذا النّقش وما يحتويه مِن إشارات تاريخيّة وسياسيّة وعسكريّة في بحثه: "حملة امرئ القيس على نجران: المصادر غير العربيّة"، في كتاب: *دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة: الكتاب الأوّل: مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة*، تحرير: عبدالرحمن الطيّب الأنصاري وآخرون، (الرّياض: ١٩٨٤م)، ١/٧٣-٧٨.

غضب، ورأى في هذه الرّسالة نقضاً للصّلح مع البيزنطيّين واتّخذها ذريعة للإغارة على الولايات الشّرقيّة للإمبراطوريّة البيزنطيّة. وحمل هذه الرّسالة السّفير البيزنطي إبراهيم بن أوفراسيوس الذي فاوض الملك على فكّ أسر بعض القادة البيزنطيّين الذين أسرهم المنذر حين إغارته على الشّام[٧٥]. واتّصال البيزنطيّين بملوك الحيرة أمر طبيعي حيث كانوا يتمتّعون باستقلال وسيادة في المناطق والقبائل التي كانت تحت سلطانهم وحكمهم[٧٦]. وكان ملوك الحيرة أيضاً يرسلون وفودهم إلى البلاط الإمبراطوري في القسطنطينيّة[٧٧].

ب – مع القبائل العربيّة في المنطقة:

لم يكن البيزنطيّون غائبين عن المنطقة إذ أقاموا صلات مع نساطرة شرقي شبه الجزيرة العربيّة[٧٨] ولعبت الدّبلوماسيّة البيزنطيّة الرّسميّة دوراً نشطاً في فارس ومملكة الحيرة في الفترة بين عامَي ٥١٨ و٥٢٦م. وكان على رأس هذه الدّبلوماسيّة القسّ أبرام الذي ينتمي إلى أسرة دبلوماسيّة عريقة إذ كان أبوه أوبور سفير بيزنطة إلى العرب، وكان هو نفسه أباً للسّفير ننّوس[٧٩]. كما لعب القسّ المونوفيزي شمعون دوراً مهمّاً في بلاد فارس حيث كان مقرّباً مِن الملك السّاساني. وبذل جهوداً كبيرة ضدّ الملك الحميري ذي نواس مرتكب مجازر نصارى نجران. ولكن هذه التّحرّكات أثارت ضدّ شمعون خصومه مِن النّساطرة، فنجحوا في إثارة ملك فارس قباذ ضدّه، وزرعوا في نفسه الرّيبة والشّكّ فأمر بسجنه في سجن نصيبين حيث ظلّ محبوساً فيه سبعة أعوام، ولم يخرج مِنه إلا بوساطة مِن ملك الحبشة كالب إذ توسّط مِن أجله سفير مملكة أكسوم في المدائن.

---

(٧٥) حسين عبدالباسط، "الصّلات السّياسيّة بين العرب والفرس قبل الإسلام"، *مجلّة كلّيّة الآداب (جامعة الإسكندريّة)*، (١٩٨٤م)، ٣٣/٤٣-٤٤؛ محمّد عزّة دروزة، *تاريخ الجنس العربي*، ٥/٤١١؛ محمّد فتحي الشّاعر، المرجع السّابق، ١٧٠-١٧١؛ Trimingham, J., Christianity among Arabs in Pre-Islamic Times, London, 1979, 195. انظر كذلك: سليمان إبراهيم العسكري، المرجع السّابق، ٤٠.

(٧٦) محمّد عزّة دروزة، *تاريخ الجنس العربي*، ٥/٤٢٥.

(٧٧) وسام عبدالعزيز فرج، دراسات في التّاريخ الاجتماعي والاقتصادي في العصور الوسطى، (الإسكندريّة: ١٩٨٥م)، ١٨٥.

(٧٨) محمّد عبدالقادر محمّد، *إيران منذ فجر التّاريخ حتّى الفتح الإسلامي*، ٢٣٦.

(٧٩) يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٥٥.

ويبدو أنّ قباذ قد راعى تجارة بلاده الرّائجة مع الحبشة، ومعركته المقبلة ضدّ المزدكيّين لذا رغب في تقديم خدمة لملك أكسوم[٨٠].

ويُروى أيضاً أنّ راهب دمشق كان يفد على هوذة بن عليّ في اليمامة، ويتحادث معه، وكان يفد إليه في كلّ عام تقريباً، ويلبث عند هوذة في كرامة ورحابة، وكان يصله ويبرّه[٨١]. وذُكر أنّ هوذة هذا كان قد أتى ملك الرّوم فنصّره وتوّجه وملّكه على قومه، وكان يتعهّده بالصّلات النّفيسة كلّ عام. وقيل: إنّ الذي توّجه وملّكه كسرى[٨٢]. ومِن المؤكّد أنّ هوذة كان نسطوريّ المذهب[٨٣]. ولا يُستبعد أن يتواصل البيزنطيّون مع متولّي اليمامة وتقديم الهدايا إليه، ومِثل هذه التّقدمات تعد سلاحاً مهماً في الدبلوماسيّة البيزنطيّة[٨٤]. وممّا لا شكّ فيه أنّ الرّغبة في الإسهام في التّجارة العالميّة المارّة عبر الخليج العربي كانت مِن أكبر عوامل الجذب للقبائل العربيّة للاستقرار في البحرين وعمان[٨٥]. كما كان مِن مصلحة السّاسانيّين أنْ تزدهر الملاحة في الخليج العربي وأنْ يصبح ذلك جزءاً متمّماً للاقتصاد البحري الفارسي[٨٦]. وكان عرب المنطقة على معرفة بصفات وأخلاق الرّوم، وهي معرفة ربّما كانت معاينة أو سماعاً، وهذا ما يُفهم مِن قول الشّاعر طرفة بن العبد حين يشير إلى مهارة الرّوم في إحكام البناء وحسن هندسة الإنشاء، مِثل تشييدهم للقناطر المحكمة المتكاملة، السّميكة[٨٧].

---

(٨٠) يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٥٦. انظر كذلك: جواد علي، المفصّل، ٣/٤٦٤-٤٦٥.

(٨١) ابن ظَفَر الصّقلّيّ، *خير البِشْر بخير البَشَر* ﷺ، تحقيق: لطيفة شوكْري وخديجة أبوري، (الرّبطة المحمّديّة للعلماء – منشورات مركز الدّراسات والأبحاث، سلسلة نوادر التّراث: ٣)، (الرّباط: ٢٠٠٨م)، ١٣٧، ١٨٤. والخبر مِن رواية الواقدي.

(٨٢) ابن ظَفَر الصّقلّيّ، المصدر السّابق، ١٣٨.

(٨٣) عرفان شهيد، "المسيحيّة قبل ظهور الإسلام" في كتاب: *المسيحيّة*، ٤٣٨. انظر كذلك: Trimingham, J., op.cit, 284-285.

(٨٤) رأفت عبدالحميد، *"قواعد الدّبلوماسيّة البيزنطيّة"*، ١٢٨.

(٨٥) عصام سخنيني، "الانتشار العربي في السّاحل الشّرقي لشبه الجزيرة العربيّة: البدايات وخصائص التّطور"، في كتاب: *ندوة مكانة الخليج العربي في التّاريخ الإسلامي*، (العين: ١٩٨٨م)، ٨٦- ٨٧.

(٨٦) Bjorkelo, A., Christain Meyer, J. & Heldaas Seland, E., op.cit., 6; Ricks, Th., op.cit., 342.

(٨٧) خليل عبد سالم الرّفوع، المرجع السّابق، ١٨٨.

كقنطرة الرّومي أقسم ربُّها لَتُكتَنفن حتّى تشاد بقرمد

الأهمّيّة الاقتصاديّة للمنطقة وأثرها على السّياسة البيزنطيّة في الشّرق:

تصدر بعض الأحكام العامّة عن سوء الأوضاع الاقتصاديّة في شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام فيقول أحد الباحثين أنّ "السّفن العربيّة سواء في الخليج العربي أو في البحر الأحمر قد قصرت إبحارها على المياه الدّاخليّة دون الخروج إلى عرض البحر والمحيط بسبب ما أصاب بلاد العرب عامّة والأجزاء الجنوبيّة خاصّة مِن اضمحلال اقتصادي في القرن السّادس الميلادي قبل ظهور الإسلام لدرجة تمكّنت فيها الحبشة مِن بَسْط سيطرتها على اليمن وظلّت كذلك إلى مجيء الإسلام"[(٨٨)]. وقال آخر: "أنّ الصّراع الفارسي البيزنطي السّياسي هو الآخر يعدّ عاملاً مِن عوامل إضعاف النّشاطات التّجاريّة في منطقة الخليج العربي......"[(٨٩)] ولكن كثيراً مِن المؤشّرات تشي بحدوث ازدهار اقتصادي في المنطقة مثل الأسواق الدّائرة بين دُور العجم والعرب، يلتقون فيها للتّسوّق، كنحو سوق الأُبُلّة وسوق بَقّة[(٩٠)] وسوق الأنبار وسوق الحيرة[(٩١)]، وكان يُعرف بسوق الخنافس وتقام كلّ سنة مرّة، ويُعرض فيها ما يُحمل إليها مِن منتجات الشّام وعمان والحجاز والبحرين والهند وفارس[(٩٢)]. وكان النّاس يأتون إليها مِن كلّ مكان بما للحيرة نفسها مِن صيت

---

(٨٨) أحمد عبدالحميد الشّامي، *"العلاقات التّجاريّة بين دول الخليج وبلدان الشّرق الأقصى وأثر ذلك في بعض الجوانب الحضاريّة في العصور الوسطى"*، في مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربيّة، (الدّوحة: ١٩٧٦م)، ٣٤١/١.

(٨٩) *"مكانة الخليج العربي التجارية ومصادرها خلال العصور الإسلامية الوسطى"*، في مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، (الدوحة: ١٩٧٦م)، ٣٦٩. انظر كذلك: سليمان إبراهيم العسكري، المرجع السّابق، ٤٣؛ عبد المنعم ماجد، المرجع السّابق، ٦٥.

(٩٠) موضع قريب مِن الحيرة، وقيل: حصن على فرسخين مِن هيت. (ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت: ١٩٩٠م)، ٥٥٩/١) ويوجد موضع بالقرب مِن أبقيق في المنطقة الشّرقيّة يدعى "بقّة". (حمد الجاسر، المرجع السّابق، ق. ١، ٢٣٧.)

(٩١) الجاحظ، *كتاب الحيوان*، تحقيق: إيمان وغريد الشّيخ محمّد، (بيروت: ٢٠٠٨م)، مج١، ١، ٤ /٨٢٨.

(٩٢) سعيد الأفغاني، *أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام*، ط٢، (بدون بلد نشر)، ٣٨٠، ٣٨٢.

ومكانة عند العرب[٩٣]. وكانت الحيرة تقع على ساحل البحر في قديم الزّمان ثمّ زال ذلك مع مرور الوقت[٩٤]. وكان يأتيها أناس مِن عرب الشّام ودومة الجندل[٩٥]. وكانت الحيرة ميناء بحرياً نهرياً[٩٦]. ومِن الجدير بالإشارة إلى أنّ الحيرة كانت مرتبطة ارتباطاً تجاريّاً وثيقاً بالفرس إضافة إلى صلات قويّة بشبه الجزيرة العربيّة والشّام فأصبحت حلقة وصل بين مناطق العالم آنذاك. كما أصبحت محطّة جذب للقبائل العربيّة[٩٧].

وبصورة عامّة كان للبيزنطيّن علاقات تجاريّة وسياسيّة وثيقة مع بلاد العرب[٩٨]. ومِن أسواق العرب ما كان نشاطه محدوداً يقتصر على ما كان يجاوره مِن الأحياء والقرى، ومَن ينزل بساحته مِن القبائل. ومِنها ما كان عامّاً تفد إليه النّاس مِن أطراف شبه الجزيرة العربيّة كلّها، مِثل أسواق دومة الجندل وصحار ودبا والشِّحر والمشقّر وعكاظ وعدن. وتميّزت الأسواق على فُرض البحر بوجود النّازلين والزّائرين الأجانب وتأثّر أهلها باختلاطهم بهم[٩٩]. وفي بلاد الشّام كانت تقع سوق بُصرى التي تقوم ٢٥ ليلة[١٠٠]. وهي محطّة لتجّار العرب كافّة يقدمون إليها بسلع الحبشة والهند واليمن[١٠١]. وكانت تنقّلات التّجّار العرب في أراضي الدّولتين تخضع لقوانين معيّنة إذ تفرض عليهم دخول أسواق معيّنة مِثل الحيرة وبصرى وغزّة، وهي بلدات تقع على أطراف

---

(٩٣) أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، مج٨، ٣٢٣/١٦؛ حسين عبد الباسط، "الصّلات التّجّاريّة بين العرب والفرس قبل الإسلام"، *مجلّة كلّيّة الآداب (جامعة الإسكندريّة)*، ط٢، (١٩٨٤م)، ٥/٣٣؛ سعيد الأفغاني، المرجع السّابق، ٢١٥، ٣٧٩.

(٩٤) القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٠م)، ١٨٦.

(٩٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، مج١، ٤٠٤/٢، مج٨، ٥٢٣/١٦.

(٩٦) ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، تحقيق: علي عاشور الجنوبي، (بيروت: ٢٠٠١م)، مج٢٠، ٢٦٩/٣٩.

(٩٧) حسين عبد الباسط، *"الصّلات التّجّاريّة بين العرب والفرس قبل الإسلام"*، ٦؛ فاروق عمر فوزي، *الخليج العربي في العصور الإسلاميّة*، (دبي: ١٩٨٣م)، ٢٤.

(٩٨) حمدان عبد المجيد الكبيسي، المرجع السّابق، ٨٦.

(٩٩) حمدان عبد المجيد الكبيسي، المرجع السّابق، ٩٢؛ سعيد الأفغاني، *أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام*، ط٢، (بدون بلد نشر)، ٢١٢.

(١٠٠) جواد علي، *المفصّل*، ٦٣٢/٢؛ حمدان عبدالمجيد الكبيسي، المرجع السّابق، ١٠٠.

(١٠١) سعيد الأفغاني، المرجع السّابق، ٣٦٦. انظر كذلك: جواد علي، *المفصّل*، ٦٥٢/٢-٦٥٣.

الدّولتين وليس في عمق أراضيهما[١٠٢]. وقد أسهم الامتداد الفارسي على اليمن على بَسْط نفوذهم على أسواق جنوب شبه الجزيرة العربيّة وشمالها الشّرقي وأصبحت أسواق البحرين واليمن وحضرموت المشهورة تحت نفوذهم، وانبسطوا في تجارتهم في هذه الأسواق[١٠٣].

وكانت موانئ البحرين منفذاً للسّلع الهنديّة والفارسيّة وسلع المنطقة الشّرقيّة نفسها، وكان يقوم بعبئها تجّار مِن عبد القيس وغيرهم مِن القبائل الشّرقيّة[١٠٤]. وكان يقام في المشقّر سوق في أوّل يوم مِن جمادى الآخرة إلى آخر الشّهر فتوافي بها فارس يقطعون البحر إليها ببياعاتهم، وكان مَن يوافي هذه السّوق مِن فارس ناس كثير[١٠٥]. وكان يقام في هجر سوق كبيرة يقصدها النّاس بعد فراغهم من سوق دومة الجندل، وتبدأ مِن غرّة ربيع الآخر، وتستمرّ طيلة ذلك الشّهر. وتعد سوق هجر أهمّ مِن سوق دومة الجندل وذلك بسبب موقع هجر المتميّز، وتعدّد موانئها التي تستقبل البضائع والسّلع المتنوّعة مِن فارس والهند والصّين، كما يقصدها التّجّار مِن مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربيّة. وكان يأتي إليها التّجّار مِن فارس ببضاعتهم[١٠٦]. وكانت هجر مِن أكثر وأطيب بلاد العرب تموراً، وكانت تجارة التّمور فيها رائجة[١٠٧]. وكانت سوق دبا وهي إحدى فرضتي العرب، يأتيها تجّار السّند والهند والصّين وأهل المشرق والمغرب. فيقوم سوقها آخر يوم مِن رجب. ويجري فيها تبادل سلع فارس والهند والحبشة واليمن والحجاز والشّام، يأتيها التّجّار مِن كل مكان ولهذا كان فيها جاليات مِن كلّ أمّة وكلّ قبيلة[١٠٨]. وكان إقليم البحرين بصورة عامّة موزّعاً على عدّة حواضر تتقاسم فيه النّشاطات الاقتصاديّة والتّجّاريّة والإداريّة والسّياسيّة والعسكريّة والمدنيّة بحيث أضحت المنطقة أشبه بشبكة مِن مراكز الأنشطة.

---

[١٠٢] صالح موسى درادكة، *بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ٩٧. انظر كذلك: برهان الدّين دلّو، المرجع السّابق، ١٤٧.

[١٠٣] حسين عبد الباسط، *"الصّلات التّجّاريّة بين العرب والفرس قبل الإسلام"*، ١٤-١٥، ١٩-٢٠.

[١٠٤] إحسان عبّاس، *"العلاقات التّجّاريّة بين مكّة والشّام حتّى بدايات الفتح الإسلامي"*، ٣٤-٣٥.

[١٠٥] ابن حبيب، *المحبّر*، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، (بيروت: ١٩٧٠م)، ٢٦٥؛ سعيد الأفغاني، *أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام*، ٢٤١- ٢٤٤.

[١٠٦] ابن حبيب، *المحبّر*، ط. ١٩٤٢م، ٢٦٥؛ سعيد الأفغاني، المرجع السّابق، ٢٥٠؛ عبدالرحمن بن عثمان آل ملا، المرجع السّابق، ١٤٥/١.

[١٠٧] سعيد الأفغاني، المرجع السّابق، ٢٤٦، ٢٥٠.

[١٠٨] ابن حبيب، *المحبّر*، ٢٦٥-٢٦٦؛ سعيد الأفغاني، المرجع السّابق، ٢٥٧.

منطقة الخليج العربي في ميدان الخلافات الدّينيّة في الإمبراطوريّة البيزنطيّة:

كانت طبيعة المسيح عليه السّلام مثار خلاف شديد بين عدد مِن الفِرق النّصرانيّة، وهل هو عليه السّلام كان إلهاً كاملاً، أم كان ذا طبيعتين إلهيّة وبشريّة أو ذا طبيعة واحدة بشرية. وكانت الحكومة البيزنطيّة على المذهب الأرثوذكسي وهو المذهب الرسميّ للدّولة. كان لهذه الانقسامات تأثير شديد في السّياسة لاختلاط السّياسة بالدّين حتّى آل الأمر إلى خروج أمم بأسرها مِن حوزة الرّوم إلى حوزة فارس. وعُقدت العديد مِن المجامع الدّينيّة للتّوفيق بين المذاهب المتشاكسة وحسم الحرب اللاّهوتيّة، إلا أنّها لم تزد الخلاف إلا اتّساعاً أدّى في النّهاية إلى حدوث بعض الاضطهادات والقمع تجاه المخالفين لمذهب الدّولة، دفعت بمجموعات مِن المخالفين إلى اللّجوء إلى فارس وغيرها مِن المناطق الواقعة خارج نفوذ الإمبراطوريّة البيزنطيّة. ولم تفلح بعض محاولات التّهدئة في التّوفيق بين المختلفين[١٠٩].

وانتشرت النّسطوريّة في عموم بلاد المشرق[١١٠]، وقد عُرف أتباعه بالسّريان أو بالنّصارى الآسيويّين[١١٢]. أو بالسّوريّين الشّرقيّين[١١٣]. وكان تسامح السّاسانيّين مع النّساطرة المخالفين للحكومة البيزنطيّة رغبة مِنهم في قطع علائق تواصل الجاليات الأخرى مع

---

[١٠٩] لمزيد مِن التّفاصيل، انظر: الأنبا بيشوي، "بلورة الفكر المسيحي: ٢. مجمعا أفسس وخلقيدونية: السّجالات الكريستولوجيّة في القرنين الرّابع والخامس" في كتاب: *المسيحيّة*، ١٩٦- ٢٠٤؛ رأفت عبدالحميد "كنيسة القدس في دائرة النّزاع الأسقفي"، في كتابه: *بيزنطة بين الفكر والدّين والسّياسة*، (القاهرة: ١٩٩٧م)، ٨٤-٨٥، ٩٠-٩١؛ المطران مار سويريوس إسحاق ساكا، "نشوء الكنائس المشرقيّة وتراثها: (القرن الخامس — القرن الثّامن) الكنائس السّريانيّة التّراث: ١. السّريان" في كتاب: *المسيحيّة*، ٢٣٧؛ وسام عبد العزيز فرج، *دراسات في تاريخ الإمبراطوريّة البيزنطيّة* -١- *الإمبراطوريّة مِن ٣٢٤-١٠٢٥م.*، ٣٣-٣٦، ٩٣- ٩٤، ٩٦.

[١١٠] ابن حزم الأندلسي الظّاهري، *الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل*، تحقيق: أحمد شمس الدّين، (بيروت: ١٩٩٩م)، ٦٥/١.

[١١١] البطريرك زكا الأوّل عيواص، *نظرات خاطفة في تاريخ كنيسة أنطاكية السّريانيّة المشترك مع الإسلام عبر العصور*، (دمشق: ١٩٩٥م)، ٨. انظر كذلك: دي لاسي أوليري، المرجع السّابق، ١٤٨.

[١١٢] هـ. جولز، *معالم تاريخ الإنسانيّة*، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، (القاهرة: ١٩٧٢م)، ٧٢٣/٣.

[١١٣] نقولا زيادة، *المسيحيّة والعرب*، ١٥٥.

البيزنطيّين[١١٤]. وقد فتح الفرس بلادهم للنّساطرة الهاربين مِن العذاب والاضطهاد وسمحوا لهم بتأسيس مدرسة جنديشابور، وعن طريقها برزت حركة علميّة نشطة كان فيها للّغة اليونانيّة وتعاليم اليونان وتقاليدهم نصيب وافر[١١٥]. وبحلول نهاية القرن الثّالث الميلادي تمكّنت النّصرانيّة مِن الاستقرار في بلاد فارس على الرّغم مِن الاضهادات التي واجهها النّصارى عام ٢٨٦[١١٦]. ونتيجة لتردّد بعض عرب البحرين على الحيرة اتصلوا بالنّصارى ما أدّى إلى اعتناق بعضهم للنّصرانيّة[١١٧]. وفي الوقت نفسه كان لنصارى الحيرة مبشّرون ينطلقون مِنها إلى منطقة الخليج العربي لنشر النّصرانيّة[١١٨].

انتشار المذهب النّسطوري في منطقة الخليج العربي:

قد أحسن يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف عندما أطلق على منطقة شمالي شرق وجنوبي شرق شبه الجزيرة العربيّة مصطلح "الولايات السّريانيّة" للدّولة السّاسانيّة[١١٩]. وأصبحت النّصرانيّة راسخة الأقدام في منطقة الخليج العربي[١٢٠]. ومِن المؤكّد أنّ النّصارى كانوا أحد مكوّنات إقليم البحرين قبل الإسلام[١٢١]. واشتهرت قبيلة عبد القيس بانتشار النّصرانيّة فيها شهرة

---

(١١٤) جواد علي، *المفصّل*، ٦٢٩/٢ ؛ دي لاسي أوليري، المرجع السّابق، ١٥١ ؛ محمّد عبد القادر محمّد، *إيران منذ فجر التّاريخ حتّى الفتح الإسلامي*، (القاهرة: ١٩٨٢م)، ١٨٢.

(١١٥) ستانلي لين بول، "فضل العرب على المدنيّة الحديثة"، ترجمة: حَسن السّلمان، *مجلّة المقتطف*، ٩٦/٣ (مارس ١٩٤٠/محرّم ١٣٥٩ هـ)، ٢٨٢.

(١١٦) بيار مارفال، "المسيحيّون في الشّرق في القرنين الثّاني والثّالث" في كتاب: *المسيحيّة*، ٦٨.

(١١٧) عبد الله أبو عزّة، المرجع السّابق، ١٣٣/١.

(١١٨) جواد علي، *المفصّل*، ١٧٢/٣ ؛ عرفان شهيد، *"المسيحيّة قبل ظهور الإسلام"*، ٤٣٨.

(١١٩) المرجع السّابق، ٢٨.

(١٢٠) أحمد محمّد الحوفي، المرجع السّابق، ١٤٢ ؛ برهان الدّين دلّو، المرجع السّابق، ٦١٣ ؛ لويس شيخو، *النّصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة*، (بيروت: ١٩٨٩م)، ٧٠-٧١؛ هـ. سانت ل. ب. موس، المرجع السّابق، ٢٠ ؛ ٢ Trimingham, J., op.cit, 279, 280.

(١٢١) محمود شيت خطّاب، "العلاء بن الحضرمي: السّفير القائد"، *مجلّة المجمع العلمي العراقي*، مج٣٤، (ربيع الأوّل ١٤٠٣ هـ/ تشرين الأوّل ١٩٨٣م)، ١٩/٤.

كبيرة[١٢٢]. وقد جاءت موجة التّبشير إلى شرق شبه الجزيرة العربيّة مِن العراق، ولا يُستبعد أنّ مَن قام بذلك هم مِن العرب الذين اتصلوا بنصارى الحيرة، وكانت هذه المنطقة تتبع إداريّاً لمملكة الحيرة[١٢٣]. ولقد كان للنّساطرة المبشّرين دور في نقل الثّقافة الآراميّة والهلّلينيّة إلى العرب، كما أنّ نشر النّصرانيّة في بلاد العرب يعدّ بصورة عامّة مِن مظاهر انتشار الثّقافة الأجنبيّة[١٢٤]. وبما أنّ منطقة الخليج العربي كانت مِن المناطق التّجاريّة النّشطة، وكان لِأهلها رحلات وأسفار تجاريّة متوالية إلى بلدان كانت على حظّ غير يسير مِن الحضارة كالشّام ومصر والحبشة والعراق واليمن كان مِن الطّبيعي أن يتأثّر الذّاهبون والعائدون مِنهم ويتأسّوا بما رأوا هناك مِن أفكار وعقائد وكتابة وقراءة[١٢٥]. وقد أصبحت الحيرة مِن المراكز المهمّة في حركة التبشير النّصراني ومِنها ذهب بعض المبشّرين إلى اليمن وأنحاء أخرى مِن شبه الجزيرة العربيّة، وفيها انعقد أحد المجامع الكنسيّة المعروف بمجمع داد يشوع سنة ٤٢٤م. وكان المذهب السّائد في الحيرة المذهب النّسطوري ثمّ المذهب اليعقوبي[١٢٦].

وبصورة عامّة فإنّ البيزنطيّين قد اتّبعوا وسائل عدّة للوصول إلى عرب شبه الجزيرة والتّأثير عليهم عن طريق نشر النّصرانيّة إذ يعد ذلك تقوية لنفوذهم وسنداً لسياستهم في نزاعهم ضدّ

---

(١٢٢) برهان الدّين دلّو، المرجع السّابق، ٦١٣؛ سلوى بالحاج صالح – العايب، *المسحيّة العربيّة وتطوّراتها*، (بيروت: ١٩٩٧م)، ٧٩؛ عرفان شهيد، *"نشوء الكنائس المشرقيّة وتراثها*، ٢٢١؛ لويس شيخو، المرجع السّابق، ٧٠؛ Trimingham, J., op.cit, 282-283

(١٢٣) عرفان شهيد، "المسيحيّة قبل ظهور الإسلام" في كتاب: *المسيحيّة*، ٤٣٨. انظر كذلك: جون باجوت جلوب، المرجع السّابق، ٣٦.

(١٢٤) أحمد أمين، المرجع السّابق، ٢٣، ٢٨؛ جرجي زيدان، *تاريخ التمدّن الإسلامي*، (بيروت: ١٩٣٠م)، ١٦/١، ١٧؛ جون باجوت جلوب، المرجع السّابق، ٣٦؛ فيليبب حتي وإدوارد جرجي وجبرائل جَبّور، *تاريخ العرب*، (بيروت: ١٩٩٠م)، ١٥٦. انظر كذلك: جواد علي، *المفصّل*، ١٦١/٤؛ هـ. سانت ل. ب. موس، المرجع السّابق، ٢٤١.

(١٢٥) انظر مِثل هذا القول للعلّامة محمّد عزّة دروزة رحمه الله حول مكّة ويثرب. *تاريخ الجنس العربي*، ١٩٨/٥، ٢٩٤.

(١٢٦) جواد علي، *المفصّل*، ١٧٢/٣؛ محمّد عزّة دروزة، *تاريخ الجنس العربي*، ٤٢١/٥، ٤٢٢؛ Trimingham, J., Christianity among Arabs in Pre-Islamic Times, London, 1979, 171.

السّاسانيّين. ولهذا شجّعوا إرسال البعثات التّبشيريّة والإرساليّات الدّينيّة إلى مناطق مختلفة مِن أفريقيا والهند وبلاد العرب. كما أنفقوا بسخاء على بناء الكنائس وعمارتها رغبة مِنهم في التّأثير على الزّائرين والمشاهدين والمؤمنين. ولذلك صارت الكنائس دوراً للعبادة ومراكز دعاية سياسيّة وثقافيّة للبيزنطيّين. وعلى الرّغم مِن أن غالبيّة العرب قد اتّبعتْ مذاهب نصرانيّة مخالفة لمعتقدات الحكومة البيزنطيّة إلا أنّها تشعر أنّها مع الرّوم على دين واحد. ولهذا لم يحفل ساسة بيزنطة كثيراً بموضوع اختلاف المذهب وإن تألّموا مِن وجوده وظهوره فساعدوا نصارى اليمن ونصارى الأقاليم الأخرى مِن بلاد العرب ليتمكّنوا بذلك مِن إيجاد محيط ثقافي سياسي يؤيّد البيزنطيّين[١٢٧]. ونظراً لاختلاف القبائل العربيّة عن الفرس في الدّيانة فإنّ ذلك كان يعرّضهم أحياناً للاضطهاد، وخصوصاً حينما يرون أنّهم كانوا يقفون أحياناً مع الرّوم النّصارى في صراعهم مع الفرس[١٢٨].

تأثيرات السّياسة البيزنطيّة على نساطرة الخليج:

فور اعتماد الإمبراطوريّة البيزنطيّة النّصرانيّة ديناً رسميّاً للدّولة منحها ذلك بُعداً دينيّاً داخليّاً وخارجيّاً. وصار في وسع بيزنطة أن تستغلّ النّصرانيّة في ميدان العلاقات الخارجيّة الاتصال بالشّعوب الأخرى وتوسيع نفوذها السّياسي. وكان الإمبراطور البيزنطي يعدّ نفسه "نائب المسيح" على الأرض، و "مبعوث الرّبّ"، وأنّ سيادة الإمبراطور تسع العالم كلّه[١٢٩]. وفي هذا القبيل يُروى أنّ ذا نواس الحميري كتب إلى المنذر الثّالث ملك الحيرة يحرّضه على النّصارى في مملكته،

---

(١٢٧) جواد علي، *المفصّل*، ٦٢٧/٢، ٦٢٨.

(١٢٨) توماس و. أرنولد، الدّعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النجرواي، (القاهرة: ١٩٧٠م)، ٢٣٥-٢٣٦؛ عبدالعزيز بن إبراهيم العمري، *"نصارى العرب في العراق وموقفهم مِن الفتوح الإسلاميّة في عهد الرّاشدين"*، ١٦٨-١٦٩.

(١٢٩) انظر أ.د. رأفت عبدالحميد رحمه الله في فاتحة كتابه: *بيزنطة بين الفكر والدّين والسّياسة*، ٦؛ المؤلّف نفسه، *"الاضطهاد الرّوماني للمسيحيّين بين الاعتقاد الكنسي والفِكر السّياسي"*، ٤٠، ٤٤-٤٧ فما بعدها؛ المؤلّف نفسه، "قواعد الدّبلوماسيّة البيزنطيّة"، ١١٥؛ المؤلّف نفسه، *"الصّراع الدولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السّادس الميلادي"*، ١٦٠. وانظر كذلك: محمّد فتحي الشّاعر، المرجع السّابق، ٦٨، ٧٢-٧٣؛ نورمان ف. كانتور، *تاريخ العصور الوسطى: قصّة حياة حضارة ونهايتها*، ترجمة: قاسم عبده قاسم، مراجعة: علي الغمرواي، (القاهرة: ١٩٧٧م)، ١٧٤/١، ١٧٦.

وهي فكرة غير مستبعدة حيث إنّ المنافسات الدّينيّة في ذلك الوقت كانت تشغل حيّزاً مهماً مِن سياسة الدّول وحركات الجماعات الدّينيّة المتخالفة. وتواصل الملك الحميري بالملك اللّخمي دليل على فهم ذي نواس للسّياسة العالميّة آنذاك، ورغبة مِنه في إيجاد حليف له في حالة تعرّضه لضغط أو لعدوان مِن قِبل الأحباش النّصارى أو ربّما مِن قِبل حلفائهم البيزنطيّين[١٣٠]. وإن وُجد نوع مِن التّعاطف مِن ملك الحيرة تجاه الملك الحميري إلا أنّ ذلك لا يعدو كونه تعاطفاً سلبيّاً لم يتعدّ حدّ الأمنيات الطيبات، ولم يتخذ المنذر الثّالث سياسة مماثلة ضدّ نصارى الحيرة. كما أنّ هذا التصرّف مِن ذي نواس مع التّجّار الأحباش والرّومان لم يكن بتحريض مِن الفرس واللّخميّين وبالتّأكيد فإنّ مِثل هذا التّصرّف كان بدافع شخصي وسياسي مِن ملك حمير بغضّ النّظر عن الضّغوطات التي كان يتعرّض لها[١٣١]. ولو افترضنا أنّ تجّاراً روماناً أو أحباشاً وصلوا الأراضي الفارسيّة واللّخميّة فمِن المؤكّد أنّهم لن يلاقوا المصير نفسه لأنّهم أكثر تعقّلاً وإحاطة بالوضع السّياسي آنذاك.

وتعدّ رحلة ثيوفيلوس الهندي (Theophilus) إلى جنوبي شبه الجزيرة العربيّة أحد الشّواهد على تأريخ العلاقات البيزنطيّة العربيّة والبيزنطيّة السّاسانيّة في المنطقة. وكانت هذه الرّحلة بتشجيع مِن الإدارة البيزنطيّة بطبيعة الحال[١٣٢]. وخلال هذه المهمّة شيّد ثيوفيلوس ثلاث كنائس واحدة بُنيت في العاصمة الحميريّة ظفار. والثّانية في محيط ميناء عدن لِتكون مقرّا دينيّاً للتّجّار الرّومان المارّين والنّازلين في الميناء الذي أصبح نقطة الوصل بين البحر الأحمر والمحيط الهندي[١٣٣]. والكنيسة الثّالثة وهي التي يعدّ إنشاؤها علامة دينيّة وتاريخيّة فارقة ومهمّة مِن حيث موضع بنائها في منطقة الخليج العربي، وتحديداً بالقرب مِن مدخل الخليج إذ إنّ موضعها الجغرافي

---

(١٣٠) رأفت عبدالحميد، "الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربيّة في القرن السّادس الميلادي"، في كتابه: *بيزنطة بين الفكر والدّين والسّياسة*، ١٤٧، ١٥٠-١٥١؛ محمّد عزّة دروزة، *تاريخ الجنس العربي*، ٤١١/٥؛ يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٥٠.

(١٣١) رأفت عبدالحميد، *"الصّراع الدّولي حول شبه الجزيرة العربيّة في القرن السّادس الميلادي"*، ١٥١-١٥٢.

(١٣٢) Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fourth Century, pp. 87, 96, 97, 99.

(١٣٣) يوري ميخايلوفتش كوبيشّانوف، المرجع السّابق، ٢٨؛ Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fourth Century, 89, 528; Trimingham, J., op.cit, 292.

يشي بتوجّه بيزنطي معيّن يقترب مِن منطقة النّفوذ السّاساني بل يمسّها مباشرة. ويشير أيضاً بلوغ النّفوذ البيزنطي إلى مدخل الخليج إلى امتداده على سواحل المحيط الهندي ما قد يحدث نوعاً مِن الاحتكاك العسكري البحري بين فارس وبيزنطة[١٣٤]. ولم يُتبيّن في أيّ موضع بنيت الكنيسة الثّالثة، ويترجّح لدينا أنّ موضع بلدة دبا هي أحد أنسب الأماكن لإنشاء هذه الكنيسة. ويشي مسمّى "دبا البيعة" إحدى ضواحي بلدة دبا الحاليّة الواقعة في دولة الإمارات وسلطنة عمان إلى شيء مِن التّوافق بين "البيعة" و "الكنيسة"[١٣٥]. وقيل: إنّ الكنيسة الثّالثة أنشِئت في جزيرة هرمز[١٣٦]. ولا يُستبعد أنّ مِثل هذه الكنائس قد أنشئت لخدمة الزّوار البيزنطيّين لهذه الأماكن[١٣٧].

الدّلائل الآثاريّة:

عُثر على نصْف درهم فضّي بيزنطي في الموقع (١٥) بجواثى[١٣٨]. وعُثر في سيراف كذلك على عملة برونزيّة بيزنطيّة مسكوكة في الإسكندريّة تعود لعهد الملك ثيودوسيوس (Theodosius)، (٣٩٣- ٣٩٥م). وعملة ذهبيّة مسكوكة في القسطنطينيّة بين عامَي ٦٥١ و٦٥٩ م. تعود لعهد الملك قسطنطين الثّاني (٦٤١-٦٦٨م)[١٣٩]. ومِن المؤكّد أنّ إقليم البحرين كان يتعامل بالمسكوكات العالميّة المعروفة آنذاك[١٤٠]. وقد اكتُشِف في سيراف مخبأ به أحجار أختام كان مِن ضمنها جوهرة منقوشة بطراز روماني لشخص معتمر خوذة لها ريشة[١٤١].

---

(١٣٤) Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fourth Century,. 89-90, 95.

(١٣٥) Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fourth Century, 98-99, 528, 529.

(١٣٦) عبد المعطي بن محمّد عبدالمعطي سمسم، المرجع السّابق، ١٥٥ ؛ لويس شيخو، المرجع السّابق، ٥٧.

(١٣٧) أحمد محمّد الحوفي، المرجع السّابق، ١٤٥ ؛ عائشة سعيد أبو الجدايل، *ديانة شهداء نجران: قراءة جديدة للمصادر الأوّليّة*، ١٨ ؛ Trimingham, J., op.cit, p. 293

(١٣٨) علي بن صالح المغنم، *جواثى ومسجدها: دراسة توثيقيّة آثاريّة*، ٦٥٣/٢.

(١٣٩) Lowick, N. M., Siraf XV: The Coins and Monumental Inscriptions, (British Institute of Persian Studies), London, 1984, p. 11; Whitehouse, D. & Williamson, A., “Sasanian Maritime Trade”, Iran, vol. 11 (1973), p. 35.

(١٤٠) علي بن صالح المغنم، *جواثى ومسجدها: دراسة توثيقيّة آثاريّة*، ٦٣٦/٢، ٧٨١، ٨٣٧، ٨٧٩.

(١٤١) سامي سعيد الأحمد، *تاريخ الخليج العربي*، ٣٨٣.

أمّا الفخاريات وهي التي أطلق عليها علي المغنم: "الفخّار التّنوخي المعاصر للرّوماني" و"الفخّار التّنوخي المعاصر للسّاساني"، ويعني به الفخّار الذي استُخدم خلال فترات ازدهار المراكز الحضاريّة بشرق شبه الجزيرة العربيّة عندما هاجرت بعض القبائل العربيّة الجنوبيّة واستقرّت في شرقها، ويؤرّخ إلى ما بين النّصف الثّاني مِن القرن الثّالث إلى النّصف الأوّل مِن القرن السّابع، ويتزامن هذا التّأريخ مع الفترات الرّومانيّة والبيزنطيّة والسّاسانيّة[١٤٢]. وهي مصطلح يشمل أنواعاً مِن الأواني الفخّاريّة كالزّبديّات والجرار والأكواب والفناجين ذات أشكال مختلفة، وعلى بعضها زخارف هندسيّة غائرة، وبعضها مزخرف بزخرفة الدّحرجة (roulette decoration)، وهو نوع عُرف خلال الفترة الرّومانيّة[١٤٣]. وعُثر أثناء إجراء التّنقيبات في مسجد جواثى على كسر فخّاريّة صلبة ورقيقة ناعمة، طينته ركليّة خفيفة، مبطّنة بلون أخضر قشدي مِن الخارج، مخروطيّة الشّكل، تماثل الفخّار البيزنطي. ويوجد على خارج القاعدة خطّان رفيعان محزوزان وهي زخرفة على نمط الزّخارف الرّومانيّة[١٤٤].

اختصارات:

- المسيحية، تحرير: حبيب بدر وسعاد سليم وجوزيف أبو نهرا، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجلس كنائس الشرق الأوسط، (برنامج الدراسات والأبحاث)، مراجعة وتدقيق: وديعة جبارة بدر ونسيب عون، القاهرة: ٢٠٠٢م.
- NCMH: New Cambridge Medieval History, ed. Paul Fouracre, Cambridge, 1995.

---

[١٤٢] علي بن صالح المغنم، جواثى ومسجدها: *دراسة توثيقيّة آثاريّة*، ٤٥٥/٢.

[١٤٣] علي بن صالح المغنم، جواثى ومسجدها: *دراسة توثيقيّة آثاريّة*، ١٨١/١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦-٢٧٧، ٣٧٢، ٣٧٧، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٧٥/٢.

[١٤٤] علي بن صالح المغنم، جواثى ومسجدها: *دراسة توثيقيّة آثاريّة*، ٧٢٠/٢، رقم: ٨٨.

التنوخيون في سوريا وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية بين القرنين الثالث والسابع الميلاديين

خالد عبدالبديع رضوان محمود

أصل التنوخيين وظروف هجرتهم إلى سوريا:

غلب الغموض على معظم الهجرات القبلية التي وقعت في الجزيرة العربية، سواء جاءت هذه الهجرات من الجنوب إلى الوسط حيث الحجاز أم إلى الأطراف الشرقية أو الشمالية، فكانت القبائل العربية في حركة متواصلة، تسوق أمامها قطعان الإبل والأغنام، وتستقر حيثما تجد المراعى والمياه. وقد لازم العربي قديمًا الصحراء، وارتبط في ظروف معيشته بالإبل والخيل والأغنام، ولكن استخدام الإبل على وجه الخصوص هو الذي ماز العربي عن غيره من الشعوب الرعوية، حيث استفاد منها في التنقل والمأكل والملبس على السواء[1].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، (بيروت: ٢٠٠١م)، ١٥١ وما بعدها؛ ويزيد المؤرخ الفرنسي ديسو الأمر شمولاً إذ يقول أن لفظة العرب تطلق على سكان وسط الجزيرة العربية وشمالها، وهي تعني في نظره البدو الذين ارتبطت حياتهم بصفة رئيسة بالإبل، كما يعمم المؤرخ نفسه اسم البدو على القبائل العربية التي هاجرت إلى سوريا، وواصلت الحياة هناك بالطريقة نفسها التي سلكتها الجزيرة، لمزيد من التفاصيل راجع: R. Dussaud, *Les arabes en Syrie avant l`Islam,* Paris, 1907, 2- 3. ويتخذ فيليب حتى نفس النظرة تقريبًا، انظر كتابه: العرب، تاريخ موجز، (بيروت: ١٩٩١م)، ١٨- ١٩؛ وورد في موسوعة كمبردج ودائرة المعارف الإسلامية أن البداوة ارتبطت في الأصل برعي الإبل، وأنها عرفت طريقها قديمًا إلى سكان الجزيرة العربية، وتركستان، وأجزاء من إيران، وسكان شمال أفريقيا، والسودان، انظر: I. Shahîd, *Pre- Islamic Arabia*, the Camb. Hist. of Islam, (2000) vol. I (A), 4- 5; *Ency. of Islam*, vol. 1, Leiden, 1986, 872- 877. ومما لا شك فيه أن العربي استخدم الإبل تمشيًا مع البيئة القاسية في الجزيرة العربية، ولا يعني هذا تخلف العرب كما يحلو للبعض وعلى رأسهم ابن خلدون القول.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٣٢٩-٣٦١

وكانت"تنوخ"[٢] من تلك القبائل العربية دائمة التنقل والهجرة، إذ خرجت من إقليم تهامة في الساحل الغربي للجزيرة العربية[٣]، واستقرت في البحرين، حيث حملت إسم "تنوخ"، وقد دعم هذا القول ما ورد في نقش سَبَئِي حيث تضمن إشارات عن هجرات هذه القبائل[٤].

ولا يشير اسم "تنوخ" إلى قبيلة بعينها، ولكن إلى عدة قبائل تجمعت وتحالفت في البحرين[٥]، وأهم هذه القبائل: الأزد[٦]، وقضاعة[٧]، ولخم[٨]. وقد جمع بين هذه القبائل نسب مشترك، حيث تبادل زعماؤها المصاهرة لتدعيم أواصر التحالف والتعاون فيما بينهم[٩].

وهذا التعدد القبلي هو ما دفع المؤرخين العرب إلى التضارب حول نسب قبائل تنوخ،

---

(٢) وردت مادة "تنخ" أو "تنأ" بمعنى أقام، وتانخ أو تانئ تعنى مقيم، وتنخ في الأمر أي رسخ فيه، وثبت وأقام، انظر: ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة: ب.ت) ١/ ٤٥٠، مادة "تنخ"؛ ويخالف البعض هذا الرأي، ويذهب إلى قلب حروف مادة "تنخ" لتكون "نتخ" فيصبح معنى الكلمة انتشر وتشتت، وليس استقر، انظر: أحمد عبدالباسط حسن، *دراسات في تاريخ سكان الجزيرة العربية القديم (١)*، (إسكندرية: ٢٠١٠م)، ١/ ٩٠- ٩١.

(٣) إقليم "تهامة" بكسر التاء يغطى الساحل الغربي من جزيرة العرب، يمتد من خليج العقبة شمالاً حتى باب المندب جنوبًا وهو حاليًا مقسم إلى ثلاثة أقسام: تهامة الحجاز، وتهامة عسير، وتهامة اليمن، انظر: *Ency. of Islam*, vol. 10, Leiden, 2000, 481.

(٤) Shahîd, *Tanukh*, Art. 190- 192, Ency. of Islam, vol. 10, 190.

(٥) السمعاني، الأنساب، تحقيق: الشيخ عبدالرحمن بن يحي المعلمي، (الهند: ١٩٦٣م)، ٣/ ٩٠ وما بعدها.

(٦) أبو جعفر الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، (القاهرة: ب.ت)، ١/ ٦٠٩.

(٧) ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، تحقيق: أبى الفداء عبدالله القاضي، (بيروت: ١٩٨٧م)، ١/ ٢٦١، المطهر بن طاهر المقدسي، *كتاب البدء والتاريخ*، (القاهرة: ب.ت)، ٤/ ١١٨، وقد اختلف المؤرخون العرب في نسب قضاعة، فأرجعه البعض إلى قبائل اليمن، في حين أرجعه آخرون إلى بطون غيرها في الجزيرة، انظر: ابن الكلبي، *نسب معد واليمن الكبير*، تحقيق: ناجى حسن، (القاهرة: ١٩٨٨م)، ٢/ ٥٥١ وما بعدها؛ ابن حزم الأندلسي، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق: عبدالسلام هارون، (القاهرة: ١٩٩٢م)، ٨؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: ١٩٩٧م)، ٣/ ١٠٢ وما بعدها، ويرى البعض أن هذا التضارب حول نسب قضاعة يعود إلى تنقلات أبناء هذه القبيلة بين اليمن وتهامة ونجد، عن ذلك انظر: حسن، *دراسات في تاريخ سكان الجزيرة*، ٤٣-٤٤.

(٨) الطبري، *تاريخ*، ١/ ٦١٠.

(٩) Shahîd, *Tanukh*, 190.

فمنهم من ذكر أنهم خرجوا من اليمن، وذلك اعتمادًا على وجود قبيلة الأزد[١٠]، ومنهم من أشار إلى أنهم ينتمون إلى "تهامة" أو "نجد" وذلك للاختلاف حول نسب قبيلة قضاعة، ما يهم في الأمر أن التنوخيين كانوا ائتلافاً قبليًا، تحالفوا على التناصر[١١]، وعاشوا على بداوتهم ردحًا من الزمن في القسم الشرقي من الجزيرة العربية[١٢].

وغير معروف متى هاجرت قبائل تنوخ إلى البحرين، ولكن يبدو أن ذلك جرى بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلاديين، وذلك لأن مؤرخين ينتميان إلى العصر الكلاسيكي، وهما سترابون وبليني، لم يشيرا إلى التنوخيين من بين القبائل العربية التي استوطنت منطقة الخليج الفارسي، علمًا بأن أولهما أنهى كتابه في سنة ٢٣م، والثاني في سنة ٧٧م[١٣]، في حين

---

[١٠] ابن حوقل، *كتاب صورة الأرض*، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢م)، ٢٩.

[١١] ابن الأثير الجزرى، *اللباب في تهذيب الأنساب*، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، (القاهرة: ب.ت)، ٢٥٨/١.

[١٢] مما يذكره القلقشندى أن جميع قبائل العرب راجعة إلى أب واحد سوى ثلاث قبائل، وهى: تنوخ، والعتق، وغسان، فإن كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون، انظر: *التعريف بقبائل عرب الزمان*، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة: ١٩٦٣م)، ٢٠.

[١٣] ولد سترابون في آسيا الصغرى في مدينة أماسيا بين سنتي ٦٤ و٦٣ ق.م، ودرج في حياة وثقافة يونانيتين، وقد زار روما أول مرة سنة ٤٤ ق.م.، ثم توالت زياراته لها ولكل الولايات التي خضعت لها، مثل اليونان وسوريا، ومصر فضلاً عن مدن آسيا الصغرى، والخليج الفارسي، فقضى جل حياته في الترحال، ثم عاد إلى موطنه أماسيا ليحرر سفره المهم عن جغرافية العالم القديم، حيث ضمنه خلاصة ما شاهده في أسفاره، انظر: Strabo, *the Geography*, En. trans. by H. L. Jones, London, 1960, see, the *introduction,* xiv- xxii. أما بليني فيأخذ لقب الأكبر تمييزًا له عن ابن أخيه الشاعر والخطيب المفوه بليني الأصغر، وولد بين سنتي ٢٣/ ٢٤م في إيطاليا، وتلقى تعليمه في روما. قضي حوالي اثني عشر عامًا من حياته في الجيش، وكتب تاريخًا عن حملات الرومان ضد الجرمان. تقلد وظائف عسكرية مهمة في عهد الإمبراطور فسباسيان (٦٩- ٧٩م)، وقضي نحبه سنة ٧٩م إثر إصابته بقذيفة بركانية. من أهم مؤلفاته التاريخ الطبيعي Natural History الذي صدر في سبعة وثلاثين كتابًا أورد فيه كل ما عرفه في العالم القديم عن نشأة الكون، والجغرافيا، والنبات، والإنسان، والحيوان، والطب، وحتى المعادن والأحجار الكريمة. وتنعكس أهمية هذا الكتاب فيما تضمنه من معلومات جغرافية وتاريخية عن القرن الأول الميلادي، لكن يؤخذ عليه تركيزه على الأمور العلمية كالطب والنبات رغم أن المؤلف لم يدرس ذلك ولم يشتغل به، غير أنه اعتمد على الملاحظة في كثير مما ذكر، انظر: *The Oxford Classical Dictionary*, Ed. N. G. l. Hammond & H. Scullard, Oxford, 1979, 845- 846.

وردت الإشارة الأولى عن "تنوخ" في كتاب الجغرافي اليوناني بطليموس الذي أتم مؤلفه حوالي سنة ١٥٠م[١٤]، وقد ذكرهم باسم Thanouite ، كما لاحقهم بأسماء عربية أخرى من قبيل "Abucaei" وهى تعنى "عبد القيس"، و"Ioleisitai" وتعنى "بنو الياس"[١٥]، وعلى ذلك يرى الباحث أن هجرة التنوخيين إلى البحرين تكون قد وقعت بعد عام ٧٧م، وقبل عام ١٥٠م.

وقد رحل التنوخيون - ربما في مطلع القرن الثالث- إلى إقليم الجزيرة بالعراق (أو ما بين النهرين "ميسوبوتاميا Mesopotamia")[١٦]، حيث استقروا في الحضر، ثم انتقلوا إلى جنوب شرق سوريا، وبسطوا مقامهم فيما حول مدينة حلب. وقد ساعدت ظروف هذه الفترة على سرعة انتشارهم واستقرارهم بين العراق وسوريا، فمن ناحية كان الوهن قد أصاب حكم البارثيين الذين ساسوا فيما مضي دولةً امتدت من إيران إلى أدنى العراق، ثم تقاسم الدولة من بعدهم مجموعة من الحكام[١٧]، أطلق عليهم المؤرخون المسلمون اسم "ملوك الطوائف"[١٨]، ومن

---

(١٤) كلوديوس بطليموس السكندري عاش بين سنتي ١٣٠- ١٧٥م، هو فلكي ورياضي وجغرافي. ترك كتابًا مهمًا في الجغرافيا اسماه العرب "الماجسطي"، ينقسم إلى ٣٠ كتاباً، تناول فيه المؤلف الأمور الفلكية: الشمس، والكواكب وغير ذلك، كما قسم العالم القديم إلى أقسام جغرافية متحدثًا عن شعوبها أيضًا، وعلى الرغم من أن تقسيمات بطليموس ينقصها الدقة فيما يخص دوائر العرض والطول، غير أن كتابه يظل الأكثر أهمية وشهرة إذ اعتمد عليه الجغرافيون والفلكيون العرب في العصور الوسطي، انظر: *The Oxford Classical Dictionary*, 897- 898.

(١٥) R. Hoyland, *Arabia and the Arabs: From the Bronze Age to the Coming of Islam*, London, 2001, 26.

(١٦) يعنى إقليم ميسوبوتاميا أراضى مابين النهرين، وهو اسم جغرافي أطلق على كل المنطقة الممتدة بين نهرى الفرات ودجلة. وقد استعمل البيزنطيون الاسم ليشيروا به إلى ولاية ميسوباتاميا، وأيضًا إلى ثغر حمل نفس الاسم، حيث كان يفصل بين الإمبراطورية البيزنطية، والإمبراطورية الفارسية، انظر: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, 1348- 1349.

(١٧) خرج البارثيون من شمال شرق إيران، وهم لا ينتمون إلى الجنس الفارسي، ولكنهم استولوا على إيران في القرن الأول قبل الميلاد، ووصلوا إلى نهر الفرات في العراق، ثم اصطدموا بالرومان بدءًا من النصف الثاني في القرن الأول قبل الميلاد، وخاضوا معهم صراعًا شرسًا حتى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، عندما ضعف البارثيون، وورثت دولتهم الأسرة الساسانية في سنة ٢٢٤ م، B. Dignas & E. Winter, *Rome and Persia in late Antiquity*, Cambridge, 2007, 15- 16, 18- 19.

(١٨) الطبري، *تاريخ*، ١/٦١٠- ٦١١ ؛ ابن الأثير، *الكامل*، ١/ ٢٦١- ٢٦٢ ؛ ابن كثير، *البداية*، ٣/ ١٠٢- ١٠٣.

ناحية ثانية، تشجع التنوخيون بوجود حكام عرب كانوا قد أسسوا إمارات لهم في العراق وسوريا[١٩]، ما جعلهم مقصدًا لقبائل عربية أخرى مهاجرة، تبحث عن وسائل أفضل للحياة، وكانت تنوخ من بين هذه القبائل[٢٠].

استقر المقام بالتنوخيين في إقليم ما بين النهرين، حيث توزعوا بين جنوب الإقليم وشماله، فأسس فرع منهم، وهم اللخميون، مدينة الحيرة في الجنوب، بينما أقام الباقون قرب مدينة "الحضر" في الشمال[٢١]. وقد اعتمد بعض الباحثين في نقل هذه الأخبار على ما ورد في مصدر سرياني يعود إلى القرن السادس الميلادى[٢٢]، على أن المقام لم يطل بالفرع التنوخي في "الحضر"، فانتقل مجددًا إلى خالكيس "Chalkis" وهى مدينة قنسرين التي تقع جنوب مدينة حلب في سوريا، حيث اتخذوا منها قاعدة رئيسة لهم[٢٣].

ولا نعرف على التحقيق الفترات التاريخية التي شهدت تنقلات التنوخيين، ولا الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، ولكن ربما يزيل بعض الغموض ما ورد لدى المؤرخين العرب من إشارات عن ضغط الفرس على القبائل العربية التي كانت منتشرة على شاطئ الفرات، ما جعل بعض

---

(١٩) أطلق ديسو اسم الصحراء السورية على الإقليم بين شمال الجزيرة العربية وحتى نهر الفرات، وعمم صفة البداوة على سكانه: Dussaud, *Les arabes en Syrie avant l`Islam,* 3.

(٢٠) ظهرت إمارات وممالك عربية على ساحل الخليج الفارسي ومنطقة الهلال الخصيب، بقي منها في القرن الثاني الميلادي، إمارة الجرهاء، ومملكة الشراسنة، وخاراكس، والحضر، وتدمر، فضلاً عن أسرة أبجر العربية التي حكمت في الرها، لمزيد من التفاصيل انظر: جرجى زيدان، *العرب قبل الإسلام*، (القاهرة: ١٩٢٢م) ١/ ٨٣- ٩٣؛ أحمد عبدالباسط حسن، *دراسات...*، ٨٠- ٨٧؛ Hoyland, *Arabia and the Arabs,* 24- 26.

(٢١) Shahîd, *Tanukh*, 191.؛ قسم الطبري العرب الذين أقاموا في العراق إلى ثلاثة أقسام: ثلث تنوخ الذي سكن الخيام في غربي العراق بين الحيرة والأنبار، وقسمى العباد والأحلاف اللذان أقاما في الحيرة، انظر: *تاريخ الرسل والملوك*، ٢/ ٤٣.

(٢٢) Shahîd, *Tanukh*, 191.

(٢٣) W. Ball, *Rome in the East: the Transformation of an Empire*, London, 2000, 98; D. Whitcomb, *From Pastoral Peasantry to Tribal Urbanites: Arab Tribes and the Foundation of the Islamic State in Syria*, art. pp. 241- 259, in: Nomads, Tribes, and the State in the Ancient Near East, Ed. J. Szuchman, U. S. A., 1984, 241.

هذه القبائل مثل "لخم" يدخل في تحالف مع الفرس، في حين فضل الآخرون من بقية قبائل تنوخ أن يرحلوا عن الحضر (أو الأنبار)، ويستقروا في سوريا- كما سبق وأن ذكرنا- حيث دخلوا في نطاق الإمبراطورية الرومانية[٢٤].

وقد كان من العسير تحديد أسماء شيوخ تنوخ وضبط فترات حكمهم، وذلك للخلط الشديد الذي وقع فيه المؤرخون المسلمون، حيث تداخلت رواياتهم كثيرًا بين أخبار قبائل تنوخ من الأزد، ولخم، وقضاعة، وغيرهم. علي أن النقوش الأثرية سجلت أسماء بعض زعماء تنوخ، وعلى رأسهم "جذيمة" الأبرش (أو الأبرص)[٢٥]، فورد اسمه في نقوش كتبت باللغات الآرامية، واليونانية، فضلاً عن النبطية، وقد عثر علي أحد هذه النقوش في مدينة "أم الجمال" في الأردن، ويتضح منها أن هذا الشيخ عاش في القرن الثالث الميلادي، وحمل لقب "ملك التنوخيين"[٢٦].

وينتمي "جذيمة" إلى قبيلة الأزد اليمانية، وقد ذكر المؤرخون العرب روايات عنه تصل إلى حد الأساطير، ولكن نستخلص منهم أنه دخل في علاقات مصاهرة مع كل القبائل التي شكلت ائتلاف "تنوخ"، فقد تزوج من "لميس" شقيقة "مالك بن زهير" سيد قضاعة، ثم زوج شقيقته "الرقاش" من "عمرو بن عدى"، مؤسس أسرة لخم النصرية، التي حكمت في إقليم الحيرة،

---

[٢٤] أشار الطبري وغيره إلى حملة عسكرية قام بها الملك الفارسي الساساني أردشير الأول (٢٢٤- ٢٤٠)، تمكن بها من ضم العراق ، مما اضطر الكثير من قبائل تنوخ إلى الرحيل عن الأنبار واللحاق بسوريا، وكان أهم تلك القبائل قضاعة، انظر: الطبري، *تاريخ*، ٤٢/٢ ؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٢٩٦/١ ؛ولمزيد من التفاصيل عن حملة أردشير، انظر: J. Wiesehofer, *Ancient Persia: from 550 BC to 650 AD*, En. trans. by A. Azodi, London, 153; B. Dignas & E. Winter, *Rome and Persia*, 19-21.

[٢٥] أطلق عليه ابن حبيب لقب الوضاح، وذكر أنه كان ملك العراق، انظر: *كتاب المحبر*، (بيروت: ب.ت)، ٢٩٩ ؛ وقد أورد الطبري أسماء ملكين سبقا جذيمة الأبرش، وهما: أبوه مالك بن فهم، وعمه عمرو بن فهم، ولكن لا توجد نقوش تدعم هذا القول، انظر: *تاريخ الرسل والملوك*، ٦١٢/١.

[٢٦] هذا النص موجود باللغة اليونانية في قطعة من شاهد قبر يعود تقريبًا إلى منتصف القرن الثالث الميلادي، وقد عثر علي النص نفسه مكتوبًا على القطعة الأخرى من الشاهد في نواحي جبل حوران بالأردن ولكن مكتوب بحروف نبطية عربية، انظر: رمزي بعلبكي، *الكتابة العربية والسامية*، (بيروت: ١٩٨١م)، ١٤٣- ١٤٨، وأيضًا ملحق رقم (١).

ودخلت في تحالف مع دولة فارس[٢٧].

ويتضح مما سبق أن التنوخيين هم ائتلاف قبلي، ساعدتهم عدة ظروف صعبة ومتداخلة مع بعضها البعض، لكي يهاجروا إلى الشام حيث استقروا بين العراق وسوريا، ودخلوا على إثر ذلك في علاقات مع الفرس والرومان حتى حظي شيخهم "جذيمة" بلقب "ملك".

تحالف التنوخيين مع الإمبراطورية الرومانية:

استولى الرومان على سوريا سنة ٦٤ ق. م، بعد أن أطاحوا بآخر سلالة الأسرة السليوقية، وأصبحوا بعد ذلك وجهًا لوجه أمام الدولة البارثية التي شملت معظم إيران، ومعظم إقليم العراق[٢٨]. وأدرك الرومان أنهم بحاجة إلى تأمين حدودهم الشرقية بإزاء البارثيين، ولذلك سعوا إلى استقطاب القبائل العربية المنتشرة بين سوريا والعراق، وبذل البارثيون من جهتهم المحاولة نفسها، لتدعيم سلطانهم، وحماية حدودهم الغربية ناحية الرومان[٢٩].

وقد دعم المؤرخ الجغرافي "سترابون" ذلك بقوله[٣٠]: "مثل نهر الفرات والأراضي الواقعة خلفه حدود الإمبراطورية البارثية، ولكن استولوا الرومان أيضًا على أجزاء من ذلك النهر، وكان هناك بعض شيوخ العرب، الذين استقروا حول الفرات حتى مدينة بابل، فانحاز بعض هؤلاء الزعماء إلى البارثيين، بينما قصد البعض الآخر الجانب الروماني".

ويري "ديسو" أن الإمبراطورية الرومانية رحبت بهجرات القبائل القادمة من الجزيرة العربية، وبادرت إلى إنشاء نقاط تحصينية على حدود الصحراء السورية، وأوكلت إلى القبائل الوافدة حماية هذه التحصينات، وكان غرض الرومان هو أن يضمنوا إقرار السلام على حدودهم، سواء أكان ذلك بينهم وبين الفرس، أم بينهم وبين القبائل العربية الأخرى في سوريا وبادية الشام[٣١].

---

(٢٧) ابن الأثير، *الكامل*، ١/ ٢٦١- ٢٦٣.

(٢٨) Hoyland, *Arabia and the Arabs*, 21; J. Wiesehofer, *Ancient Persia*, 117.

(٢٩) F. Millar, *the Roman Near East: 31 BC- AD 337*, U. S. A., 2001, 127- 128.

(٣٠) Strabo, *the Geography*, vol. 7, 16. 1. 28, 235- 236.

(٣١) Dussaud, *Les Arabes en Syrie avant l`Islam*, 4- 5.

من هنا برزت أهمية الوجود العربي بين الدولتين الكبريين، فانحازت إمارات عربية إلى الرومان إما بطريق القوة أو عن طريق التحالف، مثل الإمارات العربية في تدمر، وحمص، وخلقدونية، فضلاً عن قبائل ربيعة، والغمر، وتيم اللات، وغيرها[٣٢]. في حين اجتذب البارثيون إلى جانبهم عرب الحيرة، وغيرهم من القبائل العربية التي استقرت على جانبي نهر الفرات[٣٣].

وقد واصلت روما وفارس سياستهما بعد تغير نظام الحكم في كل منهما، فالرومان تحولوا إلى نظام الحكم الإمبراطوري، وعانى الأباطرة من اتساع الدولة، وامتداد حدودها، ولذلك واصلوا سياسة استقطاب سكان المناطق الحدودية، وتألفهم للدخول في تحالف مع الإمبراطورية بدلاً من أن يكونوا أعداءً لها، فسعوا إلى تشكيل كيانات سياسية حاجزة "Buffer States"من القبائل العربية التي استقرت على حدودها الشرقية سواء أكانت مع فارس أم مع الجزيرة العربية[٣٤]، كما واصل الرومان السياسة نفسها بعد أن سرى الضعف في أوصال إمبراطوريتهم مع نهاية القرن الثاني حيث تعرضت لغزوات شرسة من الجرمان، فتقرب الأباطرة من هؤلاء الجرمان، وجعلوا منهم حلفاء لهم[٣٥].

وحدث المثل في دولة فارس عندما ورث الساسانيون الحكم فيها في سنة ٢٢٤ م، فواصلوا سياسة البارثيين في التقرب من القبائل العربية التي سبق واستقرت على حدود الدولة، كما سعوا إلى إعادة توزيع هذه القبائل بما لا يسمح لها أن تمثل خطرًا على سلامة الدولة[٣٦].

ولما استقر التنوخيون في العراق في القرن الثالث الميلاد، حاول كل من الفرس والرومان

---

(٣٢) أ. م. جونز، *مدن بلاد الشام عندما كانت ولاية رومانية*، ترجمة: إحسان عباس، عمان، (الأردن: ١٩٨٧م)، ٦١- ٦٢؛ وعن مواقع التنوخيين واللخميين بين العراق وسوريا، انظر خريطة تفصيلية في ملاحق الدراسة، ملحق (٤).

(٣٣) Hoyland, *Arabia and the Arabs*, 26.

(٣٤) J. Hell, *the Arab Civilization*, En. trans. by K. Bakhsh, London, 1943, 9- 10.

(٣٥) M. Sartre, *the Middle East under Rome*, U. S. A., 2001, 361.

(٣٦) راجع، نزار الحديثي، *العراق عند مجيء الإسلام*، مقال ٧- ٢٦، في: موسوعة حضارة العراق، (بغداد: ١٩٨٥م)، ٥/ ٧-١٠.

التحالف معهم، فنجح الفرس في استقطاب فرع لخم من تنوخ، وهو الفرع الذي أسس دولة العرب في الحيرة[٣٧]. أما الرومان فتحالفوا مع الفرع السوري من قبائل تنوخ، تلك القبائل التي استقرت في مدينة قنسرين، وحول مدينة حلب، فشكل الرومان منهم حلفاء تابعين " Client States" أو "Foederati"[٣٨].

ولم تحدد الروايات التاريخية متى عقد التحالف بين الرومان والتنوخيين، ولكنه كان على الأرجح في القرن الثالث الميلادي حيث شارك رجال تنوخ مع الرومان في غزو مدينة تدمر سنة ٢٧٢م، وربما جرى عقد التحالف في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، بعد أن نزح التنوخيون من مدينة الحضر عقب حملة الملك الفارسي أردشير الأول على العراق بعد سنة ٢٣٥م[٣٩]، إذ اضطر عندها قسم كبير من التنوخيين إلى الرحيل والاستقرار في سوريا.

ومما لا شك فيه أن هناك التزامات متبادلة بين الرومان والتنوخيين لإتمام شروط التحالف فيما بينهم: فقد التزم التنوخيون بالدفاع عن حدود الإمبراطورية ضد الفرس، وضد القبائل العربية الأخرى، غير المتحالفة مع الرومان، كما التزموا بتقديم جنود مقاتلين لمساعدة الإمبراطور- متى طلب منهم ذلك- في أية حرب يخوضها، وفى المقابل منح الإمبراطور الروماني شيخ قبائل تنوخ لقب (فيلارخ Phylarch)، كما تعهد بأن يدفع إليه سنويًا قدرًا من المال، هذا فضلاً عن موافقته على إقامة التنوخيين في منطقة من أملاك الإمبراطورية، والسماح لهم باستغلال أراضيها للسكن، ولرعى قطعانهم من الإبل والخيل والأغنام[٤٠].

وقد تدفعنا معرفة هذه الامتيازات التي منحها الرومان إلى التنوخيين للاعتقاد بأن الشيخ التنوخى جذيمة الأبرش هو أول من عقد تحالفاً مع الإمبراطورية[٤١]، وذلك لاعتبارات منها: أن

---

(٣٧) Ball, *Rome in the East*, 97.

(٣٨) Ball, *Rome in the East*, 96.

(٣٩) Dignas & Winter, *Rome and Persia*, 19- 21.

(٤٠) S. Parker, *Romans and Saracens: A History of the Arabian Frontier (1),* U. S. A., 1986, 150; Ball, *Rome in the East*, 96; Hell, *the Arab Civilization*, 9- 10; See also: A. Kazhdan and others*, the Oxford Dictionary of Byzantium*, Oxford, 1991, 2010.

(٤١) See the details, Sartre, *The Middle East under Rome*, 360- 361.

هذا الشيخ حمل لقب "فيلارخ" (Phylarch)، وهذا اللقب لا يمنحه إلا الرومان، لأن الفرس في ذلك الوقت كانوا يمنحون حلفاءهم لقب ساتراب (Satrap) وذلك في عهد البارثيين، أو منحوهم لقب أمير كما جرى في عهد الساسانيين(٤٢)، ولم يمنحوا لقب "فيلارخ" كما كان يفعل الرومان. كما يفترض أن جذيمة قد ترك العراق على رأس رجاله بعد حملة أردشير الفارسي، حسبما ذكر المؤرخون العرب(٤٣). ثم يبقى أن نأخذ بعين الاعتبار اللغة التي كتب بها أثر "أم الجمال"- الذي سبقت الإشارة إليه- حيث كتب باليونانية والنبطية، وهذه مؤثرات وجدت بالأساس في الأقاليم التي كانت تتبع الإمبراطورية الرومانية، في سوريا والأردن ولبنان وفلسطين، ومن ثم يرجح بنا الظن أن جذيمة هذا كان أول من حالف الرومان من شيوخ قبائل تنوخ(٤٤).

ومن الجدير بالذكر أن التنوخيين قدموا للرومان خدمات جليلة، فقد عاونوهم ببسالة على غزو مدينة تدمر في سنة ٢٧٢م. وقد نسب المؤرخون العرب هذه الحرب كلها إلى التنوخيين، وذكروا أنهم دمروا المدينة وقتلوا الزباء (زنوبيا) صاحبتها- وهي سيدة عربية- دون أية إشارة للرومان أصحاب القضية الفعليين(٤٥)، وفي هذا بلا شك مبالغة، غير أنه لا يمنع مثول حقيقة واضحة، وهي أن التنوخيين بذلوا دورًا فعالاً في هذه الحرب.

كانت إمارة تدمر قد بلغت شأنًا عظيمًا في عهد حاكمها "أذينة بن حيران" والذي عرف عند

---

(٤٢) Wiesehofer, *Ancient Persia*, 144- 145.

(٤٣) يظهر التضارب في روايات المؤرخين العرب عن جذيمة الأبرش، فيذكرون أنه عاش وأقام حكمه في الأنبار (أو في الحضر)، ثم عادوا فذكروا أن التنوخيين رحلوا عن العراق بعد حملة أردشير، وأقاموا في الشام (سوريا)، كما أشاروا أن جذيمة حارب عمرو بن الظرب والد الزباء (زنوبيا)، المرأة الشهيرة صاحبة تدمر، التي قتلت جذيمة في النهاية، فكيف إذا صح وقوع هذه الحرب أن يفعل جذيمة هذا وهو لازال مقيمًا في الحضر؟، للمزيد انظر: أبو الحسن المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت: ١٩٧٣م)، ٢/ ٩٣-٩٨؛ حمزة الأصفهاني، *تاريخ ملوك الأرض*، كلكته، ١٨٦٦، ٨٤؛ ابن الأثير، *الكامل*، ١/ ٢٦٥ وما بعدها؛ ابن خلدون، *تاريخ*، ٣١٣/٢.

(٤٤) ويؤكد البعض أن التنوخيين كانوا أقرب للتأثر بالمظاهر اليونانية، وهذا بدا جليًا في نقش أم الجمال، انظر: Ball, *Rome in the East*, 96- 97.

(٤٥) نسبت هذه الحرب إلى عمرو بن عدى اللخمى، إذ انتقم لخاله جذيمة الأبرش الذي قتل على يد الزباء، انظر: الطبري، *تاريخ*، ١/ ٦١٧ وما بعدها.

الرومان باسم سبتميوس أوديناتوس "Septimius Othenatos"[٤٦]. وقد بلغ هذا الحاكم مكانة مهمة في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، حتى منحه الإمبراطور الروماني جالينوس (٢٦٠- ٢٦٨م) لقب إمبراطور، وذلك لما قدمه من خدمات عظيمة لروما، حيث تصدى لمهمة الدفاع عن الحدود الشرقية للإمبراطورية، وشارك في حروب متواصلة ضد فارس، حتى وفاته سنة ٢٦٧م[٤٧].

صارت مقاليد السلطة في تدمر إلى أيدي "زنوبيا" أرملة "أذينة"، والتي فرضت الوصاية على ابنها الصغير "وهب اللات" والذي عرفه الرومان أيضًا باسم " Julius Septimius Vapallatus Athenodorus"، وقد أوتيت هذه المرأة من الذكاء والطموح والتصميم ما جعلها تقرر الخروج عن سيادة روما، بل وبناء إمبراطورية مترامية الأطراف، فاستولت على معظم إقليم سوريا، وتمكنت من دخول مصر في سنة ٢٧٢م، ولم تكتف بهذا، بل أقامت علاقات تجارية وسياسية مع فارس، العدو اللدود لروما[٤٨].

قاد الإمبراطور الروماني أورليان (٢٧١- ٢٧٥م) جيشه إلى سوريا عام ٢٧٢م للتصدي لهذا الخطر، وفى سوريا انضمت له فرق عربية مقاتلة وعلى رأسها قبائل تنوخ، التي شاركت بحماس في القتال ضد التدمريين، حتى نجح الإمبراطور في دخول مدينة تدمر العام نفسه، وألحق الخراب بها، أما زنوبيا فوقعت في أسره حينما كانت تحاول الفرار إلى فارس[٤٩].

---

[٤٦] يذهب البعض إلى أن هذا الحاكم كان من أصل آرامي، انظر: J. Teixider, *Palmyra in the Third Century,* Art. 181- 247, in, A Journey to Palmyra: Collected Essays to Remember D. R. Hillers, ed. E. Cussini, Leiden- Boston, 2005, 192- 198.

[٤٧] W. Sinnigen & E. Boak, *A History of Rome to AD 565*, U. S. A., 1977, 393-394.

[٤٨] A. Watson, *Aurelian and the Third Century,* U. K., 1999, 59- 67; Teixider, *Palmyra in the Third Century,* 198- 220.

[٤٩] Zosimus, *Historia Nova*, En. trans. By R. Pearse, U. K., 2002, Book, I, 25- 30؛ وقد أشار المؤرخ اليونانى زوسيموس إلى مشاركة التنوخيين في هذه الحرب ، وأطلق عليهم اسم Tyaneans. وزوسيموس هذا عاش بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ويعد آخر مؤرخي روما الذين دافعوا عن الوثنية، فهاجم المسيحية وعدها من أسباب انهيار الإمبراطورية، ووضع كتابًا باسم التاريخ الجديد، بدأه من عصر أغسطس (٢٧ ق.م.-١٤م) وانتهى به إلى سنة ٤١٠م السنة التي غزا فيها ألاريك القوطي روما، عدها مؤرخنا نهاية الإمبراطورية، *Oxford Dictionary of Byzantium,* 2231.

ومما يشار إليه أن التنوخيين كانوا خير حلفاء لروما في هذه الحرب، ولكن كانت لهم أسبابهم الخفية التي جعلتهم يتحمسون للقتال ضد تدمر، منها: أنهم فعلوا ذلك انتقامًا من زنوبيا لأنها قتلت شيخهم جذيمة الأبرش، حسبما تروى المصادر العربية، غير أن هناك سببًا آخر جدير بالاعتبار ذكره بعض المؤرخين المحدثين، وهو أن التنوخيين نقموا على تدمر موقعها التجاري المهم، حيث كانت ملتقى لخطوط التجارة بين الشرق والغرب، وكانت تقيم على أرضها سوقًا تجاريًا، كان يعد من أعظم أسواق الشرق وأهمها، وهذا كان يعود على المدينة بوافر الربح(٥٠)، ولذلك طمع التنوخيون في أن يحلوا محل تدمر في النشاط التجاري، لا سيما وهم يحتلون مواقع متميزة حول مدينة حلب(٥١).

والواضح أن الرومان أدركوا أهمية مواقع التنوخيين في سوريا، ومدى قوة فرسانهم، وبسالتهم في القتال، فضلاً عن الأساليب الحربية التي عرفوا بها، حيث كانوا مهرة في ركوب الخيل، والقتال بخفة من فوق صهواتها، متبعين طريقة الكر والفر المعروفة لدى العرب، كما برع التنوخيون في استخدام الرماح التي كانوا يقذفونها بسهولة ودقة من فوق ظهور الخيل(٥٢)، ولذلك اعتمد الأباطرة اللاحقون على أولئك المقاتلين الأشداء في مهام عسكرية أخرى.

أفاد الأباطرة الرومان بعمل دروع بشرية من قبائل تنوخ، وذلك على الحدود الشرقية فيما حول مدينة حلب، حيث اتخذوا مدينة قنسرين- جنوب حلب- مركزًا رئيسًا لهم، كما شكل منهم الإمبراطور دقلديانوس قواعد دفاعية لحماية مدينة أنطاكية من الهجمات الفارسية(٥٣).

صارت زعامة التنوخيين في القرن الرابع الميلادي إلى امرئ القيس، وهو ابن عمرو بن عدى مؤسس البيت اللخمي النصرى الذي حكم في مدينة الحيرة في جنوب العراق. وقد حظي هذا الشيخ العربي بشهرة واسعة في المصادر العربية، بسبب الحروب الكثيرة التي خاضها مع

(٥٠) F. Millar, *Rome, the Greek World and the East,* Vol. 3, U. S. A., 2006, 284- 285.

(٥١) Ball, *Rome in the East*, 80- 81, 97.

(٥٢) Ball, *Rome in the East*, 99.

(٥٣) Ball, *Rome in the East*, 98.

جيرانه من العرب في سوريا والجزيرة العربية[٥٤]، كما دخل في علاقة مصاهرة مع الأسرة الأبجرية العربية التي حكمت في مدينة الرها شمال سوريا[٥٥].

وأهم ما فعل أمرؤ القيس من أعمال، كان تخليه عن الديانة الزرادشتية، واعتناقه المسيحية، فقد ذكرت المصادر العربية "أنه أول من تنصر من ملوك الحيرة"[٥٦]. ويعتقد "عرفان شهيد" أن هذا التغير جاء نتيجة تأثير أسرة الأبجريين العربية في الرها والتي كانت مسيحية، وكانت قريبة بحكم الموقع من التنوخيين في الجزيرة، فأمكن للمبشرين الرهاوية أن ينشروا المسيحية بين هذه القبائل[٥٧].

ولا ريب أن هذه الخطوة قلبت موازين القوى على الحدود بين الفرس والرومان، مما أقلق الجار الفارسي الذي كان مطمئنًا لتبعية عرب الحيرة، وهذا دفع سابور الثاني "ذا الأكتاف" (٣٠٩- ٣٧٩م) للقيام بحملة ضد العرب اللخميين في سنة ٣٢٦م ما اضطر امرئ القيس إلى مغادرة الحيرة، والذهاب إلى القسم السوري التابع للإمبراطورية الرومانية، حيث انضم إلى بني عمومته من التنوخيين، وتوج ملكًا عليهم[٥٨].

---

(٥٤) أخذ في المصادر لقب أمرؤ القيس البدء (الأول)، انظر: اليعقوبي، *تاريخه*، (ليدن: ١٨٨٣م)، ١/ ٢٣٨؛ الأصفهاني، *تاريخ*، ٨٦.

(٥٥) R. Frye, *The History of Ancient Iran*, Munich, 1984, 307؛ يذهب البعض إلى أن أسرة أبجر (أو الأبجريين) كانت من أصول عربية، وقد حكمت في الرها في القرن الأول قبل الميلاد، ثم تحالفت هذه الأسرة مع الرومان بعد استيلائهم على سوريا سنة ٦٤ ق.م.، وظلت في تحالف معهم حتى القرن الرابع الميلادي، ويبدو أن لفظ أبجر كان لقبًا لحكام الرها من العرب، مثل ألقاب الأسر الأخرى، من قبيل أكاسرة، أو أباطرة، أو قياصرة، انظر: Shahîd, *Rome and the Arabs: A prolegomenon to the study of Byzantium and the Arabs*, U. S. A., 1984, 95- 96.

(٥٦) الطبري، *تاريخ*، ٢/ ٥٣؛ ابن الأثير، *الكامل*، ١/ ٣٠٠؛ ابن خلدون، *تاريخ*، ٢/ ٣١٥.

(٥٧) I. Shahîd, *Byzantium and the Arabs in the fourth century*, U. S. A., 2006, 224- 225.

(٥٨) أشار المؤرخون العرب إلى حملة سابور التي قادها ضد العرب ولكن لم يذكروا صراحة أنها كانت ضد لخم وتنوخ أو أنها كانت بسبب اعتناق امرئ القيس للمسيحية، ولكن مما رواه هؤلاء أن سابور هاجم القبائل العربية بين بادية الشام والعراق، وأعمل قتلاً في "عرب الجزيرة فأبادهم إلا من لحق منهم بأرض الروم"، راجع: الطبري، *تاريخ*، ٢/ ٥٥-٥٧؛ المسعودي، *المروج*، ١/ ٢٥٩؛ ابن الأثير، *الكامل*، ١/ ٣٠٢-٣٠٣.

وقد أثارت هذه الأحداث فضلاً عن شخصية امرئ القيس نفسه اختلافًا في الآراء بين المؤرخين المحدثين حول قضية ولاء هذا الشيخ: هل كان للفرس أم للرومان؟ فذكر ديسو(٥٩) أن امرأ القيس انحاز إلى الرومان، واستشهد بوجود قبره في النمارة حيث الأملاك الرومانية، لكن "ديسو" ألقى الضوء على كلمة وردت في النقش على شاهد القبر وهي "ذو التاج"، وذكر أن كلمة "تاج" هي في الأصل فارسية، وهذا في نظر المؤرخ يلقى بظلال الشك حول ولاء امرئ القيس عند وفاته: هل كان للفرس أم للرومان؟

وتشكك المؤرخة بغيوليفسكيا في أن يكون امرؤ القيس قد خضع للإمبراطورية الرومانية، وتؤكد أنه كان من القوة بحيث وحد تحت كلمته العديد من القبائل العربية في سوريا والحجاز(٦٠). ولا يجد الباحث ما يمنع من مجاراة هذا القول إذا وضعنا في الاعتبار أن العلاقة قامت بين الرومان والتنوخيين في هذا الوقت على التحالف Feoderati وليس التبعية، ولكن بعيدًا عن العقل في رأي الباحث ما ذكرته المؤرخة نفسها من أن امرأ القيس كان من القوة بحيث لم يدخل في تحالف مع الرومان، لأن الإمبراطورية كانت قوية ومتماسكة في ذلك الوقت تحت حكم قنسطنطين الكبير(٣٠٥- ٣٣٧).

ويدعم هذا القول ما ذكره باورسوك(٦١) من أن الأباطرة الرومان ركزوا أنظارهم على

---

(٥٩) Dussoud, *Les Arabes en Syrie*, 34- 35؛ وقبر أمرئ القيس موجود في قرية النمارة Nemara على بعد ٣٠ كم شرقًا من جبل حوران، إلى الجنوب الغربي من دمشق وإلى الشمال الغربي من مدينة بصري، في منتصف المسافة بين المدينتين تقريبًا حيث توجد آثار مبعثرة تحمل نقوشاً رومانية عسكرية، وشاهد القبر يحوي خمسة أسطر بحروف نبطية، ولكن كلماته تنطق في صورة عربية، وقد اكتشفه المؤرخ والأثاري الفرنسي ديسو، عن تفاصيل ذلك انظر: R. Dussaud, *Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne*, Paris, 1903, 314- 323؛ أ. ولفنسون، *تاريخ اللغات السامية*، (بيروت: دار القلم للطباعة والنشر، ب.ت)، ١٦٦- ١٦٧؛ نينا فكتورفنا بغيوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران: من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة: عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي، (الكويت: ١٩٨٥م)، ٤٠- ٤١، أيضًا انظر ملاحق الدراسة (٢).

(٦٠) انظر: بغيوليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة*، ٤٢-٤٤، ٤٦- ٤٨.

(٦١) G. Bowersock, *Roman Arabia*, U. S. A., 1994, 138- 140.

النواحي الشرقية من الإمبراطورية وبخاصة منذ ثورة تدمر، فجاءت جهود دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م) لتقسيم الدولة إلى أربعة أقسام إدارية، وإقامته هو شخصيًا في آسيا الصغرى بغرض التصدي سريعًا لأية اضطرابات في الشرق، ثم اتخذ قنسطنطين عاصمته في بيزنطة للغرض نفسه، لذا كان طبيعيًا أن يجري تحالف بين هذا الإمبراطور وبين التنوخيين، بل ولا يسمح لهم بالبقاء مستقلين بعيدًا عنه كما زعمت بغيوليفسكيا.

ويوافق ذلك ما ذكره يوزيبيوس القيصري مؤرخ سيرة قنسطنطين من أن هذا الإمبراطور سعي إلى بسط سيادته على كل حدود الإمبراطورية من أقصي الغرب حيث بريطانيا وساحل المحيط الأطلسي على امتداده نحو الجنوب، ومن الشمال حيث الشعوب الجرمانية الضاربة بين الراين والدانوب، ثم الحدود الشرقية حيث سوريا والخليج الفارسي، ثم ساحل المحيط الهندي على امتداده نحو الجنوب حتى اليمن، مرورًا بالمضيق حتى أثيوبيا[٦٢].

وتؤيد اليزابيث فودن ما ذكره يوزيبيوس، بل وتضيف أن الإمبراطور قنسطنطين التمس بعد الانفراد بحكم الإمبراطورية سنة ٣٢٤م مد نفوذ روما على الأقاليم التي تنحصر بين جبال طوروس شمالاً والخليج الفارسي شرقًا وجبال اليمن والبحر الأحمر في جنوب وغرب الجزيرة العربية، وبذلك تدخل اليمن والجزيرة العربية وسوريا حتى حدود الأناضول ضمن هذه الأقاليم، كما حاول قنسطنطين ممارسة نفوذه حاكماً للعالم المسيحي، فتدخل في شؤون أرمينيا وأثيوبيا.

---

(٦٢) Eusebius of Caesarea, *Life of Constantine the Great*, En. Trans. Ph. Schaff & H. Wace, New York, 1890- 1900, Book, 1. ch. 8, 782.؛ ويوزيبيوس القيصري ولد حوالي سنة ٢٦٠م، وتوفي بين سنتي ٣٣٩/ ٣٤٠م. هو كنسي وباحث، تلقي تعليمه الديني علي يد أسقف قيصرية في آسيا الصغرى. فر إلى صور إبان اضطهاد المسيحيين سنة ٣٠٩م. صار أسقفاً لقيصرية سنة ٣١٣م بعد الاعتراف بالمسيحية. أصبح مقربًا من الإمبراطور قنسطنطين، وكتب عنه واحد من أعماله هو "حياة قنسطنطين العظيم"، وله أعمال أخري منها التاريخ الكنسي Church History وكتابه التاريخ Chronicle، ويؤخذ عليه تركيزه على الأمور الدينية إذ أرجع كل الحوادث المهمة في تاريخ الإمبراطورية إلى مشيئة المسيح ورضاه وغضبه، غير أن أعماله التاريخية جاءت مهمة لأنها حوت وثائق وخطابات في غاية الأهمية، ولذلك تعد كتب يوزيبيوس من المصادر الرئيسية في القرون الأولى لظهور المسيحية، انظر: *The Oxford Dictionary of Byzantine*, 751- 752.

وتسوق اليزابيث عدة براهين لتؤكد أن قنسطنطين كان يهدف من وراء مخططه إلى مجابهة النفوذ الفارسي، لا سيما وأن الملك الفارسي سابور الثاني كان يخطط من وراء حملته العسكرية على البحرين وإقليم الجزيرة إلى التوغل في عمق جزيرة العرب، وتضيف الباحثة أن قسطنطين وجد بغيته في شخص امرئ القيس ليكون حليفه وتابعه الذي ينبغي أن يؤمن للإمبراطورية حدودها في سوريا بإزاء الفرس، كما يمهد لها أن تبسط نفوذها في الجزيرة العربية[٦٣].

ولا تقف هذه الباحثة كثيرًا عند لغة النقش الذي لم يفصل في انحياز امرئ القيس لأي من القوتين: روما أم فارس، بل ترجح انحيازه إلى روما وإن كانت تميل إلى أن ذلك جرى في السنوات الأخيرة من حياته[٦٤]. وهناك من يساير هذه الآراء بقوله أن امرأ القيس ربما انحاز في بداية عهده إلى الفرس، ولكنه حتمًا أخذ فيما بعد جانب الرومان، وتوفي حليفًا لهم[٦٥].

ويحسم "بول" هذه القضية بخلوصه إلى نتائج منها: أن الحملة الفارسية على جزيرة العراق كان من أهدافها القضاء على امرئ القيس غداة دخوله المسيحية، لأن الفرس خشوا من انضمامه إلى الرومان، وأن هذا الشيخ لجأ إلى الرومان فرارًا من الملك الفارسي[٦٦]. ويتفق الباحث مع "بول" فيما ذهب إليه، ولا يجد ما يمنع من اعتقاد أن امرأ القيس رغم انضمامه إلى الرومان، احتفظ بالألقاب الفارسية ومنها "ذو التاج".

مهما يكن من أمر فإن الإمبراطور قنسطنطين اغتبط كثيرًا بانضمام هذا الزعيم العربى مع أعداد غفيرة من رجاله اللخميين إليه، لأن الإمبراطور أدرك جيدًا أن ذلك سوف يوهن من قوة فارس، ويؤثر سلباً على سلامة حدودها مع الإمبراطورية الرومانية. ولذلك أحاط قنسطنطين حليفه الجديد بالرعاية، ومنحه لقبًا جديدًا ذلك الذي كتب على شاهد قبر امرئ القيس بعد وفاته في ٧ ديسمبر سنة ٣٢٨ م: " ملك كل العرب" TYNPS MR LQYS BR MRW L

---

(٦٣) E. K. Fowden, *Constantine and the Peoples of the Eastern Frontier,* Art. 377- 455, in: the Cambridge Companion to the Age of Constantine, Cambridge, 2006.

(٦٤) Fowden, *Constantine and the Peoples of the Eastern Frontier,* 386.

(٦٥) M. Sartre, *the Middle East,* 361-362.

(٦٦) W. Ball, *Rome in the East*, 98.

RBKLH، كما احتفى الإمبراطور قنسطنطين بهذا النصر السياسي على فارس، فأضاف إلى ألقابه هو شخصيًا لقب "عربي" Arabicus[٦٧].

الحياة الاجتماعية والاقتصادية لعشائر تنوخ:

عاش التنوخيون حياة ميسرة، سواء في العراق أو في سوريا. ومن غير شك في أن بعض التنوخيين تأثروا بالدول المتحضرة التي جاوروها أي الفرس والرومان، فسكنوا بيوتًا من الحجارة، وصنعوا قبورًا وضعوا عليها شواهد، ومع هذا سكن آخرون في خيام مصنوعة من وبر الجمال أو شعر الأغنام على خلاف أولئك الذين أقاموا في بيوت من حجر[٦٨].

ويبدو أن التنوخيين لم يكتفوا بالإقامة في مدينة قنسرين التي منحها لهم الرومان، وانتشروا حول مدينة حلب، جنوبًا وغربًا وشرقًا، يرعون إبلهم وأغنامهم[٦٩]، واعتمدوا بصفة رئيسة على الإبل التي أكلوا لحومها، وشربوا ألبانها، واستخدموها في أسفارهم وحروبهم.

وقد وصف المؤرخ والضابط ماركيللينوس في القرن الرابع حياة القبائل العربية التي انتشرت بين نهر الفرات في العراق ونهر النيل في مصر، وكان التنوخيون بطبيعة الحال من بين هذه القبائل، فذكر: أنهم لم يعرفوا زراعة ولا حرفة، وإنما كانوا يسيحون في الأرض، بحثًا عن الكلأ لرعى قطعانهم، ولم يكتفوا بمنطقة واحدة، بل كانوا دائمي التنقل والترحال.

وكان التنوخي -على حد ذكر ماركيللينوس- يرتدى اليسير من الملبس، حيث كان جسده عارياً إلا من قطعة من الثياب تغطي وسطه، كما كان يكتسي في أوقات أخرى بعباءة مصبوغة، مصنوعة من وبر الجمال، كما ارتدى عمامة من الوبر أيضًا، وكان يمتطي جمالاً ضامرة، وخيولاً سريعة، وفرت له سرعة التنقل في أوقات السلام والحروب على السواء، كما كان يتناول ما تيسر من المأكل؛ حيث اعتمد على لحم الطريدة، وشرب ألبان الإبل والأغنام، واعتمد أيضًا

---

[٦٧] Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 58- 59, 63- 64.

[٦٨] انظر: الطبري، *تاريخ*، ٤٣/٢.

[٦٩] Ball, *Rome in the East*, 98.

على التمر الذي صنع منه الخمر[٧٠]. والواضح أن ماركيللينوس اقتصر في روايته على وصف العشائر التي اختارت الإقامة في الفلاة دون التقيد بأسوار المدن، فغلبت المبالغة على أخباره، ولم ترق إلى ذكر الحقيقة كاملة.

ودليل ذلك أن التنوخيين مارسوا نشاطًا تجاريًا ملموسًا في سوريا- فكما سبق وأن ذكرنا- هم نقموا على تدمر موقعها المتفرد، وتحكمها في الطرق والأسواق التجارية، والثروات التي عادت عليها من وراء ذلك، وعليه سعوا إلى مشاركة التدمريين في مكاسبهم. وقد أحكم التنوخيون أيديهم على التجارة التي كانت تمر من خلال مدينة بصرى ووادي سرحان في جنوب سوريا، ولم يلبثوا أن شاركوا الرومان في غزو مدينة تدمر وتخريبها، لكي يستفيدوا من تحويل الطريق التجاري الذي كان يمر بهذه المدينة إلى القسم الشمالي من إقليم ما بين النهرين[٧١]، ومن ثم بات للتنوخيين دورٌ مهم في النشاط التجاري الذي ازدهر في سوريا في القرن الرابع[٧٢]، وهذا مهد لهم طورًا من الحضارة التي نعموا فيها خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين.

---

(٧٠) Ammianus Marcellinus, *the Roman History,* En. trans. by Loeb Classical Library, London, 1939, vol. I, Book. 14, 27, 29؛ وقد ولد ماركيللينوس حوالي سنة ٣٣٠م في مدينة أنطاكية لعائلة نبيلة من أصل يوناني، والتحق بالجيش الروماني حتى صار من كبار ضباطه، وشهد بنفسه معارك الإمبراطور جوليان في أوربا، كما رافقه في حملته الفارسية، وعندما تقاعد عن الخدمة في الجيش لحق بمدينة روما وبقي فيها حتى وفاته بعد سنة ٣٩٢م. وقد وضع تاريخًا عامًا للإمبراطورية الرومانية، يعد مكملاً لتاريخ تاكيتوس حيث غطي الفترة بين سنتي (٩٦- ٣٧٨م)، وماركيللينوس مؤرخ واسع الاطلاع، واضح الفكر ونزيه الحكم، قدم في تاريخه وصفًا جيداً للمعارك التي شهدها أو سمع عنها، على الرغم من كونه وثنيًا إلا أنه عالج باعتدال الكثير من القضايا ذات الصلة بالمسيحية، انظر: Rosser, *Historical Dictionary of Byzantium*, 58- 59; *The Oxford Dictionary of Byzantium, 78.*

(٧١) كان هذا الطريق يمر في البداية من خلال مدينة بصرى ووادي سرحان وذلك تحت رعاية دولة الأنباط، واستمر كذلك حتى سقوط دولتهم تحت سيادة الرومان مطلع القرن الثاني، وقد حولت تدمر هذا الطريق إليها في القرن الثالث، وسعى التنوخيون بدورهم إلى إعادته سيرته الأولى، See the Details in, M. Sartre, *Bostra. Des Origines à l'Islam*, Paris, 1985, 54- 56. "في الأصل شمال وصوبناه جنوب. وهذا الوادي يقع في منطقة الجوف في شمال المملكة العربية السعودية، وتعاقب عليه عدد من الأسماء على مدى التاريخ ومنها: بياض قرقر في القرون الإسلامية المبكرة، وآخرها وادي السرحان نسبة إلى قبيلة السارحين وهي فرع من قبيلة كلب الكبيرة. المحرر".

(٧٢) G. Young, *Rome's Eastern Trade,* London, 2001, 164- 165.

انتشار المسيحية بين التنوخيين وأثر ذلك على علاقتهم بالرومان:

عبد التنوخيون الأوثان مثلهم مثل بقية العرب، وعكفوا على الوثنية زمن ملكهم جذيمة الأبرش، وربما طوال القرن الثالث الميلادي[٧٣]. ويجئ التاريخ الحاسم لدخول جموع التنوخيين المسيحية في الربع الأول من القرن الرابع الميلادي، وذلك لعاملين: أولهما أن المسيحية قبل سنة ٣١٣م لم يكن معترفًا بها في الإمبراطورية الرومانية، وثانيهما اعتناق الملك التنوخي امرئ القيس للمسيحية قبل سنة ٣٢٦م كما أشرنا من قبل.

وقد زاد اعتناق التنوخيين للمسيحية من تقاربهم من الإمبراطورية الرومانية، فواصلوا تقديم خدماتهم العسكرية لها، كما تصدوا للدفاع عن حدودها أمام الفرس الذين لم يبيتوا الآن أعداءً للرومان فحسب، بل كفارًا وملحدين أيضًا.

غير أن فترة حكم الإمبراطور جوليان المرتد (٣٦١- ٣٦٣م) كانت ولا شك محنة لقبائل تنوخ، لأن هذا الإمبراطور اضطهد المسيحيين في أرجاء دولته، ومن جهة ثانية يذكر ماركيللينوس أن العرب في سوريا نقموا على جوليان لأنه جردهم من الامتيازات التي كان قد منحها لهم الأباطرة السابقون[٧٤]، ولذلك تخاذل التنوخيون عن نصرته في حملته التي قادها ضد فارس سنة ٣٦٣م[٧٥]، بل واتهمهم البعض أنهم من دبر قتله قبل إنهاء حربه في الشرق[٧٦].

---

(٧٣) أشار المؤرخون العرب إلى أن الشيخ التنوخي جذيمة الأبرش اتخذ في الأنبار صنمين يقال لهما الضيزنان أو الضيرتان، كان يستسقى بهما، ويستنصر بهما على أعدائه، للمزيد، انظر: الطبري، *تاريخ*، ١/٦١٤؛ ابن الأثير، *الكامل*، ١/ ٢٦٣؛ ابن خلدون، *تاريخ*، ٢/ ٣١٢.

(٧٤) Marcellinus, *the Roman History,* vol. II, Book, 25, 527.

(٧٥) ذكر المؤرخون العرب أن جوليان حشد في جيشه الكثير من جنود العرب الذين كانوا يرغبون في الانتقام من الملك الفارسي سابور لما فعله بهم من تشريد وتنكيل، انظر: الطبري، *تاريخ*، ٢/ ٥٨- ٥٩؛ ابن الأثير، *الكامل*، ١/ ٣٠٣- ٣٠٤؛ ولكن الباحث يري أن هذا لا ينطبق على التنوخيين الذين كرهوا جوليان؛ لأنه حرمهم من امتيازاتهم.

(٧٦) اتهم ليبانيوس - المؤرخ الرئيس لحملة جوليان، والصديق المقرب من الإمبراطور- فرقة أمداد عربية بأنها ضللت الإمبراطور، ودفعته في مجاهل لا يعرفها ما أدى إلى مقتله في النهاية، ولذلك كان ليبانيوس من أشد المعارضين لتحالف الرومان مع قبائل عربية، بما فيها قبائل تنوخ، انظر: Libanius, *Funeral Oration for Julian,* En. trans. by G. Downey, U. S. A., 1959, 24. 6- 8.؛ كان ليبانيوس أستاذًا=

وقد حاول "عرفان شهيد" أن يعلل لتصرف الإمبراطور جوليان، فذكر أنه كان ينظر إلى الجنود العرب على أنهم مرتزقة يستدعيهم متى دعت الحاجة إلى ذلك، وعليه بعد أن تراجع عن حصار العاصمة الفارسية طيسفون في يونية سنة ٣٦٣م، وجد أن هؤلاء الجنود أصبحوا عديمي الفائدة، فأوقف الأموال والعطايا التي كانوا يحصلون عليها[٧٧]، وبما أن التنوخيين كانوا من أهم القبائل العربية هناك، وعادّين أنفسهم محالفين للرومان Feoderati وليسوا مرتزقة، كما أنهم كانوا مسيحيين، فمن الطبيعي أن ينظروا بعين العداء إلى جوليان الذي حرمهم امتيازاتهم[٧٨].

ويتضح من أخبار ماركيللينوس-وهو المؤرخ المعاصر الذي شارك في حملة جوليان- مدى كراهية العرب للرومان وإمبراطورهم، وكيف انحازوا إلى الفرس وألحقوا الكثير من الخسائر بالفرق الرومانية، ولكن مع هذا لم يتهم ماركيللينوس العرب بقتل جوليان[٧٩].

=للبلاغة، ولد في مدينة أنطاكية، ويعد من المدافعين الشرسين عن الوثنية، والأدب الكلاسيكي. ألقى دروسه في مدينة نيقوميديا حيث تعرف على الفيلسوف الوثني الكبير بازيل العظيم، كما تعرف على جوليان الذي صار إمبراطورًا واقتنع بآراء ليبانيوس عن الوثنية، وطبقها في أرجاء الإمبراطورية. وبعد وفاة جوليان سنة ٣٦٣ م، بقى ليبانيوس في الظل حتى وفاة الإمبراطور فالنز سنة ٣٧٨م، ثم عاد إلى نشاطه أستاذاً ومبشراً للثقافة الوثنية، وألقى خطبه في مختلف مدن الإمبراطورية حتى قبل وفاته سنة ٣٩٣ م، وقد صاغ هذه الخطب في كتاب قبل وفاته بسنة، وأهداه إلى روح الإمبراطور جوليان، انظر: *Historical Dictionary of Byzantium*, p. 246.

(٧٧) Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 111- 115.

(٧٨) مما يذكر أن جوليان توعد المسيحيين في أنطاكية بإنزال العذاب بهم بعد رجوعه من حملته الفارسية، وربما خشي التنوخيون من أن يلحق بهم الشر نفسه، انظر: Gregory Nazianzen, *Select Orations*, En trans. Ch. Browne, New York, 1894, p.194

(٧٩) Marcellinus, *the Roman History,* vol. II, Book, 25, 493, 525, 527؛ وقد ذكر ثيودوريت أن قاتل جوليان ربما كان أحد البدو "الإسماعليين" من الذين أقاموا في سوريا، انظر: Theodoret of Cyrrhus, *the Ecclesiastical History*, En. Trans. B. Jackson, New York, 1890- 1900, Book, 3, ch. 20, 214؛ وثيودوريت مؤرخ كنسي ولد في أنطاكية حوالي سنة ٣٩٣م، ومات نحو سنة ٤٦٦م. لحق منذ طفولته بالسلك الكنسي حتى أصبح أسقفًا لمدينة كيروس بدءًا من سنة ٤٢٣م، وقد ارتبط اسمه بعد ذلك بهذه المدينة. دافع ثيودوريت في كتاباته عن نسطوريوس في خلافه الديني مع كيرلس السكندري. وتاريخه الكنسي يغطي الفترة بين ٣٢٣- ٤٢٨م، وكتبه بين سنتي ٤٤٤- ٤٥٠م، ودافع فيه عن الأرثذوكسيه ضد الأريوسية. ورغم أهمية هذا الكتاب لمعاصرته لأحداث مهمة مثل ثورة الملكة ماوية، =

على أن المؤرخ ليبانيوس ذكر حول مقتل جوليان روايتين: أشار في إحداهما إلى أن الإمبراطور قتل بأيد مسيحية، واتهم في الثانية العرب صراحة بارتكاب هذه الفعلة، وقد أشار هذا المؤرخ كثيرًا إلى قبيلة عربية اسمها Taienoi – وأصله اليوناني ταϊηνός– وألقى تبعة قتل الإمبراطور على عاتق أحد أفرادها[٨٠]. ولا يستبعد "عرفان شهيد" أن الاسم الذي أورده ليبانيوس يشير إلى "تنوخ Tanukh"، وعليه تتحمل هذه القبيلة في نظره مسؤولية موت جوليان. ويرجح "عرفان" صدق هذا الاتهام مشيرًا إلى أن التنوخيين كرهوا هذا الإمبراطور الوثني وهم كانوا مسيحيين، كما حقدوا عليه؛ لأنه منعهم الأموال التي كانوا يحصلون عليها سنويًا من الإمبراطورية[٨١]، وبذلك يمكن القول بأن اليد التي اغتالت جوليان كانت مسيحية عربية.

ومن الجدير بالذكر أن الفترة التالية على موت جوليان شهدت حربًا بين التنوخيين والإمبراطورية الرومانية، وتحديدًا في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي، فقد توفى أحد ملوك تنوخ – وهو غير معروف الاسم– بين سنتي ٣٧٥/٣٧٦م، ولم يخلف وريثًا يلي الحكم من

=غير أنه يؤخذ عليه تركيزه على الشؤون الدينية دون النواحي الزمنية، انظر: *The Oxford dictionary of Byzantium*, 2049؛ وأشار المؤرخ السرياني ميخائيل إلي أن الذي قتل جوليان ربما كان أحد العرب الذين حاربوا في الجيش الروماني، انظر: Michel le Syrien, *Chronique*, trad. française par: J- B. Chabot, Paris, 1899, vol. I, liv. 7, 281- 282؛ وقد ولد ميخائيل سنة ١١٢٦م في مدينة ملطية، وتوفي سنة ١١٩٩م. لحق بالسلك الديني حتى أصبح بطريركًا في أنطاكية من سنة ١١٦٦م. تناول في كتابه تاريخ العالم منذ بدء الخلق وحتى سنة ١١٩٥م. وشمل كتابه النواحي الدينية والعلمانية. وامتاز ميخائيل بملكة النقد والدقة في ذكر الأحداث تباعًا. وقد اعتمد في تاريخه على ما سبقه من مصادر. ويعكس تاريخه أهمية كبيرة فيما يخص علاقات بيزنطة والعرب والسريان، فضلاً عن حقبة الحروب الصليبية، انظر: *The Oxford dictionary of Byzantium*, 1362- 1363؛ وقد ذكر المؤرخون العرب أن جوليان قتل بسهم طائش لم يعرف أحد مصدره، كما أكدوا أن الجنود العرب ظلوا يقاتلون في جيش جوليان ضد الفرس، انظر: الطبري، *تاريخ الرسل*، ٥٩/٢؛ ابن الأثير، *الكامل*، ١/ ٣٠٣؛ وهناك من لا يثق فيما أورد الرواة العرب حول هذه القضية ويذكر أن كلاً من الطبري وابن الأثير كانا بعيدين زمنيًا عن الأحداث، انظر: صلاح محمد ضبيع، حملة جوليان المرتد على بلاد فارس عام ٣٦٣م، مقال مجلة كلية الآداب- جامعة حلوان، العدد ١٣/ ١٤- سنة ٢٠٠٣م، ٧٢٥- ٧٢٦.

(٨٠) Libanius, *Funeral Oration for Julian,* 24. 6-8.؛ ولمزيد من التفاصيل عن حادثة مقتل الإمبراطور جوليان، راجع: R. Browning, *The Emperor Julian,* U. S. A., 1978, 212- 215.

(٨١) Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 127- 129.

بعده[٨٢]، فبادر الإمبراطور فالنز (٣٦٤- ٣٧٨م) إلى إلغاء معاهدة التحالف مع التنوخيين، وحرمهم الامتيازات التي كانت من حقهم بمقتضى هذه المعاهدة، وكان من نتيجة ذلك أن ثاروا ضد الإمبراطورية، وخاضوا معها حربًا شرسة[٨٣].

ويقرر كل من "شهيد" و"بول" أن الذي دفع الإمبراطور فالنز لاتخاذ هذا الإجراء هو أن التنوخيين كانوا من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة " مونوفيزتيين صادقين"، على عكس الإمبراطور الذي كان أريوسيًا متعصبًا، وقد أثار هؤلاء العرب غضبه حين رفضوا استقبال أسقفٍ آريوسي أرسلته القسطنطينية، ما جعله يلغي معاهدة التحالف معهم[٨٤].

لم يقبل التنوخيون ما فعله الإمبراطور فالنز، فالتفوا حول زوجة ملكهم الراحل واسمها "ماوية" Mavia، وأعلنوها ملكة عليهم، وأوكلوا إليها قيادة ثورتهم ضد الإمبراطورية، وقد حازت هذه المرأة شهرة واسعة لدى مؤرخي الغرب بسبب ثورتها ضد الرومان[٨٥].

---

(٨٢) اسم هذا الملك غير معروف، فلم يعثر على نقش يشير إليه، كما لم يجد الباحث أخبارًا عنه لدى المؤرخين العرب، أو لدى مؤرخي الغرب، الذين اكتفوا بالإشارة إلى وفاته، واهتموا بالحديث عن زوجته الملكة "ماوية".

(٨٣) Sozomenus, *Ecclesiastical History from A.D 323- 425*, En. trans. by Ch. D; Hartranft, New York, 1890, vol. 6. ch. 38؛ أفرد المؤرخ سوزومينوس صفحات عديدة من كتابه لذكر اخبار ماوية، وهذا المؤرخ عاش في القرن الخامس الميلادي، ووضع تاريخه الكنسي تكملة لتاريخ يوزيبيوس القيصرى، فغطى الفترة بين سنتي ٣٢٤م و٤٢٥ م، وقد اعتمد في أخباره على مصادر كنسية ، انظر: *Historical Dictionary of Byzantium*, 366.

(٨٤) Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 173- 175; W. Ball, *Rome in the East*, 99.

(٨٥) Socrates, *Ecclesiastical History from A.D. 305- 439*, En. trans. by A. C. Zenos, New York, 1890, vol. 4, ch. 36; Theodoret, *the Ecclesiastical History* Book 4, ch. 20, 251; Michel le Syrien, *chronique*, vol. I, liv. 7, 294؛ وقد اختلف المؤرخون سواء الغربيين أو المسلمين حول أصل الملكة ماوية فذكر ميخائيل السرياني أنها من أصل روماني، وكانت مسيحية، وعلى قدر من الجمال مما جعل الملك التنوخي يتزوجها، ويرفعها إلى سدة الحكم، انظر: Michel le Syrien, *chronique*, vol. I, liv. 7, 294;. وإن كان هذا الرأي مبالغ فيه؛ لأن قيام ماوية بمحاربة الرومان بهذه الضراوة - حسب اعتراف المؤرخين الغربيين انفسهم- وإصرارها على تعيين عربي في وظيفة أسقف، كل ذلك يجعلنا نسلم بأنها كانت عربية، انظر: Socrates, *Ecclesiastical History,* vol. 4, ch. 36; Sozomenus, *Ecclesiastical History,* vol. 6. ch. 38؛ ويؤيد هذا ما ذكره =

على أية حال انسحبت الملكة "ماوية" مع رجالها جنوبًا إلى بادية شبه جزيرة العرب حيث انحاز إليها الكثير من القبائل العربية، فضلاً عن عرب سوريا، وشنت على رأس قواتها غارات مدمرة على الدفاعات الرومانية " فخربت مدن فينيقية وفلسطين وامتدت هجماتها حتى الناحية الشمالية الشرقية من مصر التي كانت تعرف بـ "إقليم العرب"[٨٦].

أرسل الإمبراطور فالنز جنوده لإخماد هذه الثورة، ولكن الرومان كانوا دون المقاتلين العرب كفاءًة، ولم يجاروهم في خفتهم، وبراعتهم، ومناوراتهم القتالية، فهزموا مرتين أمامهم، ما اضطر الإمبراطور لأن يطلب عقد السلام[٨٧].

ومما لا شك فيه أن هناك عوامل جعلت التنوخيين يتفوقون على الرومان، منها: براعة مقاتليهم في أساليب القتال، وإتباعهم أسلوب الكر والفر الذي حقق نتائج مبهرة أمام الفرق الرومانية الثقيلة، كما استخدم التنوخيون الحراب الطويلة التي بدا الرومان عاجزين عن التصدي لها، في الوقت نفسه قدمت الصحراء ملاذًا آمنًا لهم، حيث كانوا ينسحبون إليها بسهولة على ظهور جمالهم، لكي يعودوا بعد ذلك لمهاجمة الجنود الرومان، الذين لاقوا بالغ المشقة والمعاناة في متابعة المقاتلين العرب إلى عمق الصحراء، وهم لم يألفوا مثل هذه البيئة القاسية، كما أنهم لم يعتادوا ركوب الجمال. ويبقى بعد ذلك أن نشير إلى عامل مهم ساعد التنوخيين على تحقيق النصر، وهو انضمام الكثير من سكان سوريا إليهم، لأنهم سخطوا من جراء سياسة فالنز الأريوسية، ولذلك انضموا إلى أعدائه[٨٨].

مهما يكن من أمر فرضت الملكة "ماوية" شروطًا لعقد السلام، منها: أن تعود قبائل تنوخ إلى تحالفها القديم مع الإمبراطورية، وأن تعود إليها الامتيازات التي سبق وألغاها فالنز، لكن أهم ما طلبت "ماوية" تنفيذه: كان تعيين أسقفًا مونوفيزتيًا بين رعاياها، واختارت لتلك المهمة أسقفًا

=الأصفهاني من أن ماوية كانت تنتمي إلى الأزد، انظر: الأصفهاني، *تاريخ ملوك الأرض*، ٨٦ وما بعدها، ولمزيد من التفاصيل عن هذه القضية راجع: بغيوليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة*، ٥٦، ٥٨.

(٨٦) Sozomenus, *Ecclesiastical History,* vol. 6. ch. 38.

(٨٧) Sozomenus, *Ecclesiastical History,* vol. 6. ch. 38.

(٨٨) Ball, *Rome in the East*, 99.

عربيًا يدعى موسى[٨٩]، وهذه كانت السابقة الأولى أن تفرض قبائل عربية على الرومان اختيار أسقفًا بعينه، ولم يكن أمام الإمبراطور فالنز بدًا من التسليم، والقبول بشروط السلام، فالتمس من قبائل تنوخ العودة إلى مواضعهم في سوريا، وحرص على توطيد أواصر السلام معهم، فزوج أحد ضباطه الكبار ويدعى "فيكتور" من ابنة الملكة "ماوية" نفسها[٩٠]، وبذلك حقق التنوخيون النصر والسلام معًا في أول حرب خاضوها مع الرومان، والتي كان سببها بالأساس دينيًا، وقد استغرقت بين سنتي (٣٧٦- ٣٧٨م).

دور التنوخيين في حروب الرومان مع جيرانهم:

مما يشار إليه أن الإمبراطور فالنز عجل عقد الصلح مع التنوخيين، ذلك لأنه كان بحاجة إلى محاربيهم الأكفاء، ليعاونوه في التصدي لهجمات الجرمان في القسم الشرقي من أوربا، وهذا في الحقيقة ما كانت تقتضيه سياسة الإمبراطورية "التي كانت موجهة نحو إحلال الوفاق ما أمكن مع القبائل العربية، وربطهم بمعاهدات واتفاقيات تجعل منهم حلفاء حتى يكونوا في وضع يمكنهم من تقديم العون لها في كفاحها ضد البرابرة الآخرين"[٩١].

وقد كان القوط الغربيين من أولئك البرابرة الذين مثلوا خطرًا على الإمبراطورية الرومانية، إذ أثاروا الاضطرابات في إقليم تراقيا، ونشروا الفزع حول نهر الدانوب، ما سبب مشكلة كبيرة للفرق الرومانية المرابطة على الحدود، فحشد فالنز -وكان مقيمًا في أنطاكية- جيشه، واعتمد فيه على قواته الشرقية، ورجال القبائل في سوريا، ومضى إلى حرب القوط، ولكنه هزم أمامهم، وسقط قتيلاً في موقعة أدريانوبل سنة ٣٧٨م[٩٢].

ومما ذكره المؤرخ "سقراط" أن الملكة التنوخية "ماوية" أرسلت الكثير من محاربيها الشجعان

---

(٨٩) Socrates, *Eccles. History,* vol. 4, ch. 36; Theodoret, *the Eccles. History.* Book. 4, ch. 20, 251.

(٩٠) Socrates, *Ecclesiastical History*, vol. 4, ch. 36.

(٩١) بغيوليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة*، ٥٧.

(٩٢) السيد الباز العريني، *الدولة البيزنطية*، (القاهرة: ١٩٦٠م)، ٣٤؛ حسنين محمد ربيع، *تاريخ الدولة البيزنطية*، (القاهرة: ١٩٨٩م)، ٤٠- ٤١؛ محمد محمد مرسي الشيخ، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، (القاهرة: ٢٠٠٦م)، ٨٨- ٨٩.

لمساعدة الرومان في التصدي لخطر القوط(٩٣). كما أثنى المؤرخ نفسه فضلاً عن مؤرخ آخر هو "زوسيموس" على البطولات التي أظهرها التنوخيون في الدفاع عن أسوار القسطنطينية أثناء حصار القوط لها بعد موقعة أدرنة(٩٤). وروى أميانوس ماركيللينوس بإعجاب كيف صمد الجنود العرب في قتال القوط، وكيف سقط قتلى منهم حتى استنفذت قواتهم، واضطروا إلى العودة أدراجهم في الشرق، بعد أن كبدوا القوط خسائر فادحة(٩٥).

على أية حال لم يُقدر الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩- ٣٩٥م) ما قدمه التنوخيون من مساعدة فعالة في قتال القوط الغربيين، بل على العكس اعتمد هذا الإمبراطور على القوط أنفسهم، واتخذ منهم مرتزقة أدخلهم في جيوشه، ولذلك سجلت فترة حكمه ركودًا جديدًا في علاقة الإمبراطورية مع التنوخيين، وكان من نتيجة ذلك أن ثار هؤلاء مجددًا في سنة ٣٨٣م.

ويذكر البعض أن المؤرخ الأنطاكى ليبانيوس -صديق الإمبراطور جوليان- كان له دورُ في إثارة المشاعر الرومانية ضد البدو التنوخيين، فوجه نداءً إلى الإمبراطور ثيودوسيوس سنة ٣٧٩م يحثه على الانتقام من العرب " التنوخيين" الذين قتلوا جوليان قبل ستة عشر عامًا(٩٦).

ولا ريب أن الإمبراطور ثيودوسيوس كانت لديه دوافع أخرى أكثر أهمية من التفكير في الانتقام لمقتل رجلٍ وثني، فهو لم يعد يكترث بقبائل تنوخ بعد خسارتهم خيرة رجالهم في حرب القوط، بمعنى أن التحالف التنوخى فقد أهميته بالنسبة للإمبراطور، ولذلك وجه أنظاره إلى

---

(٩٣) Socrates, *Ecclesiastical History*, vol. 5, ch. 1 ؛ وسقراط هو مؤرخ كنسي ولد في القسطنطينية حوالي سنة ٣٨٠م، ومات بعد سنة ٤٣٩م. وقد تميز بتاريخه الكنسي الذي جاء مكملاً لتاريخ يوزيبيوس القيصري، فتناول الفترة بين سنتي ٣٠٥- ٤٣٩م. وسقراط كان مؤرخًا ناقدًا، وكاتبًا جيدًا، اطلع بعناية على ما سبقه من مصادر مثل يوزيبيوس، وثيودوريت، وسوزومينوس، ولم يقتصر في كتابه على الشئون الدينية، بل تعداه إلى النواحي الزمنية، انظر: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, 1923; *the Historical Dictionary of Byzantium*, 365.

(٩٤) Zosimus, *Historia Nova*, Book. 4, 105; See also: Shahîd, *Byzantium and the Arabs in the 4th century,* 178- 183.

(٩٥) Marcellinus, *the Roman History,* vol. III, Book. 31, 502- 503.

(٩٦) Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 208- 209.

إئتلاف قبلي آخر تزعمته قبيلة "سليح" التي كانت استقرت في الأردن[٩٧]، من ثم لم يكن غريبًا أن تعقد هذه القبيلة تحالفًا مع ابنه ووريثه في القسم الشرقي من الإمبراطورية، وهو أركاديوس (٣٩٥- ٤٠٨م)[٩٨].

وقد أتى ثيودوسيوس من الأعمال ما أثار حفيظة التنوخيين، فقد دخل في علاقات ودية مع القوط الغربيين، حتى انتهى إلى عقد اتفاق معهم سنة ٣٨٢م صاروا على إثره حلفاءً للإمبراطورية Feodus[٩٩]، كما عقد ثيودوسيوس قبل ذلك مجلسًا كنسيًا في القسطنطينية سنة ٣٨١م، وتجاهل دعوة الأسقف التنوخي موسي لحضوره، ولم يكتف الإمبراطور بذلك بل عين بعض قادة الجرمان في وظائف عليا magistri في الدولة، ومنهم من أرسل للعمل في الشرق، أي بقرب نفوذ التنوخيين، من كل ذلك سخط هؤلاء على ثيودوسيوس فثاروا ضده[١٠٠].

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن ثيودوسيوس لم ينس أن التنوخيين هزموا جيوش الإمبراطورية في عهد فالنز، ولذلك جردهم من امتيازاتهم في سنة ٣٨٣ م، فما كان منهم إلا أن ثاروا ضد الإمبراطورية، ولكنهم هزموا هذه المرة في العام نفسه على يد الماجستيروس (كبير الموظفين) ريكومار Richomer[١٠١].

---

(٩٧) Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 203- 205; سليح بطن من بطون قضاعة، ورغم صلة القرابة والنسب بينها وبين قبائل تنوخ، إلا أنها كانت معادية لها، وقد اتخذت سليح مساكنها في الأردن، انظر: اليعقوبي، *تاريخه*، ١/ ٢٣١؛ المسعودي، *التنبيه والإشراف*، (دمشق: ٢٠٠٠م)، ٣١٣/١.

(٩٨) K. Butcher, *Roman Syria and the Near East*, U. K., 2003, 70.

(٩٩) H. Wolfram, *History of the Goths,* En. Trans, T. J. Dunlap, U. S. A., 1988, 132- 133; L. Musset, *Les Invasions: Les Vagues Germaniques*, Paris, 1994, 84.

(١٠٠) Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 205- 208.

(١٠١) Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 210- 214; وماجستيروس لقب كان يطلق على رئيس إدارة محلية مركزية في أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية، وظهر هذا اللقب أول مرة سنة ٣٢٠م في عهد قنسطنطين الأول. تدريجيًا أصبح صاحب هذه الوظيفة عضوًا رئيسًا في البلاط الملكي، وبات من اختصاصه النظر في شئون الدولة، وإدارة المفاوضات الدبلوماسية، والنظر في الأمور العسكرية، وريكومار المشار إليه هو من أصل فرنجي، دخل في خدمة بيزنطة وتوفي بعد سنة ٣٩٥م، انظر: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, 1267.

وليس واضحًا هل كانت هذه الحرب الأخيرة تحت قيادة الملكة ماوية؟ كما لا يعلم أحد إلى أي مصير انتهت هذه السيدة(١٠٢)؟ ولكن بقيت نتائج خلفت الأحداث السابقة: منها أن التنوخيين لم يعودوا بالقوة نفسها ولا المكانة التي منها يمكنهم مواجهة الإمبراطورية ثانية، كما أنه لا يستبعد انسحاب قسم من قبيلة تنوخ وعودته أدراجه إلى اللخميين في الحيرة حيث دخلوا في طاعة الفرس مجددًا، أما من بقى من التنوخيين فقد ظلوا حلفاء للرومان الذين بدورهم لم يتخلوا عنهم رغم انصرافهم إلى قبائل السليح، فسمحوا لهم بالبقاء في سوريا حيث قاموا بأعباء دفاعية لتأمين الحدود ناحية فارس(١٠٣).

ومما يشار إليه أن العلاقة بين الرومان والفرس شهدت هدوءًا نسبيًا في القرن الخامس الميلادى، ما جعل الرومان يركزون جهودهم غربًا للتصدى لهجمات الجرمان، وكان من نتيجة ذلك أن تجاهلوا إلى حد ما القبائل العربية المقيمة في سوريا ومنها تنوخ(١٠٤). ولكن الإمبراطورية مع ذلك حافظت على تحالفها مع هذه القبائل بهدف حماية حدودها من القبائل العربية الأخرى التي قد تهاجر إلى الشام من الجزيرة العربية، وتمثل خطرًا على حدود الإمبراطورية، ولذلك دخل الرومان في تحالف جديد مع قبائل الغساسنة الذين تغلبوا على قبائل "سليح" في أواخر القرن الخامس الميلادى، واستفاد الرومان من تأسيس دولة للغساسنة في الأردن، لتكون في مواجهة دولة الحيرة التي كانت تابعة وحليفة لفارس(١٠٥).

---

(١٠٢) ذكر عرفان شهيد أن ماوية انسحبت إلى مدينة خناصرة Anasartha في شرقي حلب حيث بقيت في عزلة حتى وفاتها سنة ٤٢٥ م، وقد اعتمد في رأيه هذا على وجود نقش هناك يحمل اسمها في التاريخ المشار إليه، انظر: Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 214، في حين ذكر بول رأياً آخر وهو أن النقش لا يخص الملكة ماوية، وإنما اسمًا مشابهًا لها، واستبعد أن تعيش هذه الملكة حتى سنة ٤٢٥م، انظر: W. Ball, *Rome in the East*, 101.

(١٠٣) Butcher, *Roman Syria and the Near East*, 70؛ ولا يستبعد أن يكون ثيودوسيوس قد سمح بإدراج فرق من تنوخ للمشاركة في التشكيلات الدفاعية التي أحاط بها أنطاكية، وقد تحدث ليبانيوس عن رجال القبائل الذين شكلوا فرقة في الجيش الروماني المرابط عند أنطاكية، كما تحدث عن استخدام هؤلاء للجمال، التي أدخلها ثيودوسيوس أيضًا في جيوشه، لمزيد من التفاصيل، انظر: جلانفيل داوني، *أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير*، (بيروت: ١٩٦٨م)، ١٢٧-١٢٨.

(١٠٤) Ball, *Rome in the East*, 101.

(١٠٥) المسعودى، *التنبيه*، ١/ ٣١٣؛ أيضًا انظر: Shahîd, *Byzantium and the Arabs*, 215- 216; K. Butcher, *Roman Syria*, 70.

ولكن مع انصراف الرومان تمامًا عن حدودهم الشرقية، وجد الفرس في النصف الأول من القرن السادس الميلادي فرصة لمعاودة الحرب معهم، فهاجم ملكهم خسرو الأول (٥٣١- ٥٧٩م) حدود الإمبراطورية الرومانية، ما اضطر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧- ٥٦٥م) إلى أن يطلب عقد السلام معه في سنة ٥٤٥م[١٠٦]. ويبدو أن هذه الفترة شهدت نشاطًا وافرًا للتنوخيين وبقية قبائل العرب، إذ نفهم من رواية لبروكوبيوس -المؤرخ المعاصر لجستنيان- أن هذا الإمبراطور دفع جزية سنوية إلى تلك القبائل، لتتطلع بالدفاع عن الحدود الشرقية بإزاء فارس[١٠٧]، كما اتخذ فرقًا منهم من ركاب الجمال لتقوم بتلك المهام الدفاعية[١٠٨].

ويتضح من ذلك أن التنوخيين واصلوا سياستهم الرامية إلى التحالف مع الرومان، واستفادوا من هجوم الفرس على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، فطلبوا جزية سنوية من الإمبراطور جستنيان في مقابل دفاعهم عن حدود دولته. ولم يتخل التنوخيون عن هذا الدور حتى القرن السابع الميلادي، بل ظلوا خير حلفاء لبيزنطة، حتى أنهم قاتلوا المسلمين عندما بدأوا فتوحاتهم في بلاد الشام[١٠٩].

وقد واجه الرومان صعوبة كبيرة في التصدي للمد الإسلامي القادم من الجزيرة العربية، إذ تمكن المسلمون في فترة وجيزة من التوغل في العراق وسوريا على حساب الجارتين القويتين: فارس وبيزنطة. وقد تهاوت المدن البيزنطية في الشام تباعًا أمام المسلمين، حتى انتزعوا كل سوريا في فترة لم تتعد خمس سنوات (١٣هـ/ ٦٣٣م- ١٧هـ/ ٦٣٨م)[١١٠].

---

(١٠٦) Ch. Diehl, *Justinian's Government in the East,* Art. 25- 52, in: C. M. H., vol. II, New York, 1913, 28- 30; B. Dingas & E. Winter, *Rome and Persia, 38*- 40.

(١٠٧) Procopius of Caesarea, *History of the wars,* En. trans. by H. B. Dewing, Gutenberg E- Book, by. Ted Garvin, Book II. 10; See also, I. Shahid, *Byzantium and the Arabs in the 6th century*, U. S. A., 1995, 210- 222.

(١٠٨) A. D. Lee, *the Empire at War,* Art. pp. 113- 133, in: the Cambridge Companion to the Age of Justinian, Cambridge, 2005, 124.

(١٠٩) Shahîd, *Tanukh*, 191.

(١١٠) B. Dingas & E. Winter, *Rome and Persia*, 48- 49 ؛ ولمزيد من التفاصيل راجع: W. Kaegi, *Byzantium and the Early Islamic Conquests*, Cambridge, 2000; D. Nicolle,=

والحقيقة أن التنوخيين ظلوا أوفياء لتحالفهم مع الرومان، فقاتلوا إلى جوارهم ضد بني عمومتهم من العرب المسلمين غداة فتوحاتهم في الشام؛ ففي مطلع سنة ٨ هـ/ ٦٢٨م تصدت قبيلة قضاعة -وهي من بطون تنوخ- لسرية كان أرسلها الرسول ﷺ بقيادة كعب بن عمير إلى مشارف الشام[١١١]. وفي السنة نفسها عندما أرسل الرسول ﷺ جيشًا إلى مؤتة لقتال الروم، انحاز إلى هؤلاء مقاتلة من لخم وجذام وقضاعة وغيرهم من عرب سوريا[١١٢]. وفي سنة ١٣هـ/ ٦٣٣م عندما أرسل الخليفة أبوبكر (١١هـ/٦٣١م- ١٣هـ/ ٦٣٣م) قائده خالد بن سعيد لمحاربة الروم، فاندفع إلى مكان يسمى "تيماء"[١١٣]، وجد قبائل عربية قد انضمت إلى الروم، هي: كلب، وسليح، ولخم، وتنوخ، وجذام، وغسان، وانتهى اللقاء بانسحاب الروم وحلفائهم[١١٤].

وظل التنوخيون -وغيرهم من عرب سوريا- على صمودهم أمام المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣هـ/ ٦٣٣ م- ٢٣هـ/ ٦٤٣م)، حتى سقط آخر حصونهم وهو مدينة قنسرين في سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م[١١٥]، ولم يلبث بعد ذلك أن سقط إقليم الجزيرة في أيدي المسلمين سنة ١٧هـ/ ٦٣٧ م، فدخل التنوخيون الإسلام، واندرجوا في كيان الدولة الجديدة[١١٦].

=*Yarmuk AD 636: the Muslim Conquest of Syria,* U. K., 2002; D. Nicolle, *the Great Islamic Conquests AD 632- 750*, U. K., 2009.

(١١١) ابن كثير، *البداية*، ٦/ ٤١١.

(١١٢) ابن خلدون، *التاريخ*، ٢/ ٤٥٦ وما بعدها؛ ومؤتة بضم الميم وواو مهموزة ساكنة وتاء مثناة من فوقها قرية بمشارف الشام، انظر: ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، (بيروت: ١٩٧٩م)، المجلد الأول، ٤٨٩؛ ابن منظور، *لسان العرب*، ٦/ ٤٢٩٧.

(١١٣) تيماء بالفتح والمد هي بلد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، انظر: ياقوت، معجم *البلدان*، ٢/ ٦٧. "وهي الأن مدينة عامرة في شمال المملكة العربية السعودية. المحرر".

(١١٤) الطبرى، *تاريخ الرسل*، ٣/ ٣٨٨- ٣٨٩.

(١١٥) الطبري، *تاريخ*، ٣/ ٦٠١- ٦٠٢.

(١١٦) الطبري، *تاريخ*، ٤/ ٥٣- ٥٥؛ راجع أيضًا المقال المهم: C. H. Becker, *The Expansion of Saracens- the East*, Art. pp. 329- 364, C. M. H., V. II, New York, 1913.

ملحق (١)

نقش أم الجمال الأول: شاهد قبر ملك تنوخ جذيمة[١١٧]

هو شاهد قبر يرجع تقريبًا إلى منتصف القرن الثالث الميلادي، وليس مكتوباً عليه تاريخٌ محددٌ. والنقش ينقسم إلى قسمين: أحدهما نبطي- عربي، والأخر يوناني، والاثنان متطابقان في المعنى تمامًا. وقد اكتشف النص النبطي- العربي قبل اليوناني في مكانين مختلفين من أعمال مدينة أم الجمال في شرق الأردن قرب جبل حوران، ولكن تطابقهما لا يدع مجالاً للشك في أنهما يمثلان أثراً واحداً.

والنقش كتب بحروف نبطية ولكن نطقها آرامي لزيادة واو في نهاية كل كلمة، وقد كتب في القسم النبطي- العربي ثلاثة أسطر، هي كما يلي:

١. دنه نفشو فهرو
٢. برشلي ربو جديمت
٣. ملك تنوخ

أما القسم اليوناني فكتب عليه:

1- Hé stélé hauté pherou
2- Solleou tropheys Gadımathos
3- basıleys Thanouénón

وترجمته كما يلي:

١. هذا قبر فهر
٢. ابن سلي مربي جديمت
٣. ملك تنوخ

وقد اتفق الآثاريون والدراسون في التاريخ على أن جديمت الذي ورد ذكره في النقش هو

---

[١١٧] هذه النصوص وترجمة ما ورد فيها وما كتب عنها من تحليلات مأخوذة من: ولفنسون، *تاريخ اللغات السامية*، ١٢٤-١٢٦؛ بعلبكي، *الكتابة العربية والسامية*، ١٤٣-١٤٨.

جذيمة الأبرش أول ملوك تنوخ في سوريا، ولكنهم اختلفوا حول مربيه فهر ابن سلي، فالبعض ذكر أن أصله عربي، وهو اختصار لاسم سليم القبيلة المعروفة، مستدلاً على وجود اسم فهر بين العرب، إذ تنسب قريش نفسها إلى فهر ابن مالك.

وذكر أخر أن اسم "سلي" ربما اشتق من الاسم اليوناني سليؤس Sullaius. ولكن أهمية هذا النقش على أية حال، تأتي من كونه دليلاً على وجود جذيمة الأبرش، وعلى مكانته البارزة بين العرب، حتى أعطوه لقب "ملك".

ملحق (٢)

نقش النمارة: شاهد قبر امرئ القيس سنة ٣٢٨م[١١٨]

هو شاهد قبر عثر عليه في قرية النمارة الواقعة إلى الجنوب الغربي من دمشق، وإلى الشمال الغربي من مدينة بصرى، في منتصف المسافة بين المدينتين تقريبًا. وهذا النقش مكتوب على لوحة من البازلت مقاسها ١١٦×٣٣ سم، وهي محفوظة الآن بمتحف اللوفر. ويكتسب هذا النقش أهميته من كونه أول محاولة للكتابة باللغة العربية وأن كانت الحروف نبطية. وقد ورد في النقش خمسة أسطر، وترجمتها كالتالي:

١. هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي عقد التاج
٢. وأخضع أسد ونزار وملوكهم وأجبر مذحج على الهرب إلى اليوم وتوجه
٣. إلى نواحي نجران مدينة شمر وأخضع معدًا وقسم بنيه
٤. القبائل وأوكلهن للفرس وللروم فلم يبلغ ملك مكانته
٥. إلى اليوم مات عام ٢٢٣ يوم ٧ من كسلول للذي يسعد ولده.

وقد اتفق الجميع على أن النقش ينسب إلى امرئ القيس "البدء" بن عمرو بن عدي، وهو

---

[١١٨] راجع صورة الأثر، وترجمنه، وما ورد حوله من تحليلات في الكتب التالية: ولفنسون، *تاريخ اللغات السامية*، ١٦٦-١٦٧؛ بغيوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران، ٤٠-٤٨؛ بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ١٦٠-١٦٢؛ Bowersock, G. W, Roman Arabia, 138- 140; Shahid, Byzantium and the Arabs in the 4th century, 58- 59, 63- 64.

من أشهر ملوك اللخميين في الحيرة، ثم ترأس على قبائل تنوخ في سوريا. وقد اعتنق هذا الملك المسيحية ودخل في علاقات مع الإمبراطورية الرومانية. وتاريخ النقش المدون يساوي السابع من ديسمبر سنة ٣٢٨م، حسب تقويم مدينة بصرى في ذلك الوقت.

وحسبما يتضح من الكلام على النقش كان امرؤ القيس وافر النشاط، ظاهر الطموح، حتى إنه فرض نفوذه على بادية الشام، وربما تعمق في الجزيرة العربية نفسها، لكن لا يفوتنا هنا أن نذكر بالمبالغات التي درج العرب على ذكرها في تواريخهم.

ملحق (٣)

رسوم حجرية توضح ملابس العرب قديمًا وطريقة قتالهم من فوق ظهور الإبل[١١٩]

هذه رسوم توضح طريقة قتال العرب قديمًا، واعتمادهم في القتال على الإبل، كما يتضح منها ملابس العرب، وكيف كانت يسيرة، إذ اعتمدوا فقط ما يستر عوراتهم، في حين ظلوا عراة الصدور.

عثر على الحجر بأعلى في مدينة نينوى في العراق، وربما يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وهو محفوظ الآن في المتحف البريطاني تحت رقم (Or. Dr. 7. 28)، والرسم على هذا الحجر يظهر الجنود العرب حاملين الأقواس والسيوف القصيرة، وواضح في الصورة جليًا عدد من الجمال.

أما الحجر الأخر بأسفل فينتمي إلى المكان نفسه تقريبًا، ويعود إلى حوالي سنة ٦٥٠ ق.م، وهو محفوظ أيضًا في المتحف البريطاني تحت رقم (124926)، ويظهر من الرسم عليه انسحاب الجنود العرب على ظهر الجمال، وكيف يمتطي اثنان منهم بمهارة ظهر جمل واحد يجري في سرعة، في الوقت الذي يقوده أحد راكبيه، بينما الأخر يرمي أعداءه بالسهام.

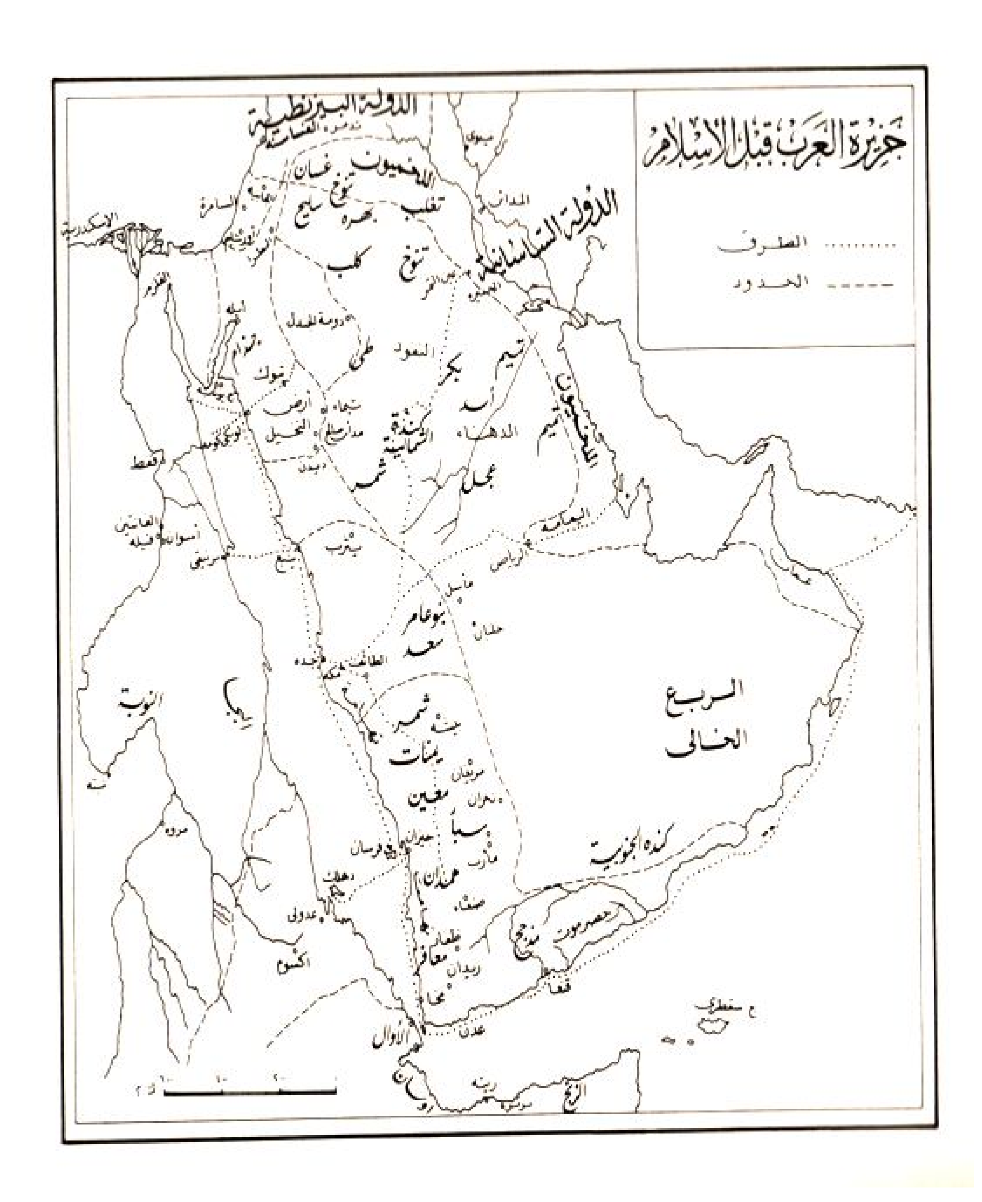
والحقيقة أن مثل هذه الصور تعكس أهمية الإبل في حياة العربي قديمًا، فاعتمدها في أوقات الحرب والسلم أيضًا، إذ استفاد منها في نقل بضائعه وقوافله التجارية.

---

(١١٩) Hoyland, Arabia and the Arabs, 190- 191.

ملحق (٤)

خريطة توضح مواقع التنوخيين في سوريا[١٢٠].



---

[١٢٠] انظر: بغيوليفسكيا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران*، ٣٣٩.

ملاحظات حول الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والفرس على طريق الحرير الجنوبي خلال عهد الإمبراطور جستنيان ٥٢٧-٥٦٥م

محمد نصر عبدالرحمن

مقدمة:

شغل الصراع بين البيزنطين والفرس جانباً كبيراً من تاريخ العصور الوسطى، وهو أمر بدهي، بوصفهما القوتين العظميين اللتين تقاسمتا السيطرة على العالم القديم خلال تلك الفترة. ولم يقتصر الصراع بينهما على مناطق الحدود والتخوم المشتركة شمالاً في قارتي أوربا وآسيا، بل امتد جنوباً ليشمل الشمال الشرقي الإفريقي وجنوب شبه الجزيرة العربية.

وتتناول هذه الدراسة الصراع الذي دار بين الدولة البيزنطية والفرس في المنطقة الجنوبية. وقد حظيت المنافسة حول هذه المنطقة بعناية بعض الباحثين، فظهرت بعض الدراسات حول الوجود البيزنطي في جنوب شبه الجزيرة العربية مثل دراستي عرفان شهيد[١]، أو حول التنافس حول منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية بوجه عام مثل دراستي كوبشيانوف[٢] ورأفت عبدالحميد[٣]. وهذه الدراسات تناولت هذا الصراع بعامة لفترة زمنية عريضة من التاريخ البيزنطي

---

(١) انظر: I. Shahid, *Byzantium in South Arabia*, in (Dumbarton Oaks Paper), XXXIII, 1979; idem, *Byzantium and the Arabs in the Sixth century*, (Washington, D. C. 1995).

(٢) كوبشيانوف، *الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسطى المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف السابع*، ترجمة: صلاح الدين عثمان، (عمان: ١٩٨٨م).

(٣) رأفت عبدالحميد، *الصراع الدولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي*، ضمن كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، (القاهرة: ١٩٩٧م)، ١٤٥-١٩٥.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٣٦٣-٣٧٦

مع تفصيلات كثيرة ومعقدة، لذلك عندما وقع اختيار الباحث على موضوع الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والفرس اتجه لناحية محددة فيها، وهى الصراع بينهما حول طريق الحرير الجنوبي، وفى فترة زمنية قصيرة هي عهد الإمبراطور جستنيان الأول Justnian I ٥٢٧–٥٦٥م، في محاولة لرسم صورة أوضح لطبيعة هذا الصراع وتطوراته ممثلة في تلك الحقبة الزمنية.

كان الحرير يمثل أهم سلعة في حياة الإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان وفى عهود من سبقه ومن لحقه من الأباطرة . وقد ازداد الإقبال عليه بصورة مضطردة مع ازدياد أسباب الترف، وأصبح لبس ثياب الحرير الخالص في هذا العصر مألوفاً في الحياة المنزلية، كما أخذت الكنيسة ترحب بهدايا من هذه المادة الثمينة لاستعمالها في ملابس رجال الدين والستر والأغطية وتزيين المذابح، بعد أن كانت ترفض في بداية الأمر استخدام الحرير في الأغراض الدينية[٤]، لكن بعد أن ابتعدت الكنيسة المسيحية عن يسرها الأول، أخذت تستخدم الأستار الحريرية المزركشة وكان كثير منها مطرزاً بالذهب والفضة . كما صار الحرير يستخدم أكفاناً في الطريقة المسيحية الجديدة لدفن الموتى[٥].

يضاف لذلك حاجة الإمبراطورية الماسة دائماً لهذا الحرير لإهدائه إلى زعماء الشعوب القبلية، دليلاً على المودة بينهم، فقد كان البلاط البيزنطي حريصاً على أن يعرض على أنظار برابرة الشمال صلاته التجارية مع البلدين، الهند والصين. وكلما ضعف إمكان الإيهام باستعراض مظاهر القوة والجبروت، زادت الحاجة إلى استخدام مثل هذه الوسائل لتأكيد تفوق الإمبراطورية البيزنطية، ومهما كانت روابط الصداقة بين أمير بربري وبين بيزنطة ضعيفة فإن هذه كانت تهدى إليه أو إلى مبعوثيه أقمشة حريرية وأحجاراً كريمة وتوابل، كذلك كانت كميات كبيرة من الحرير تذهب إلى الغرب يهديها الإمبراطور إلى الكنائس أو إلى رؤساء الأساقفة فيها أو إلى بعض الأمراء ليصنعوا منها ثيابهم، إعلاء لهيبة البلاط[٦].

---

(٤) نورمان بينز، *الإمبراطورية البيزنطية*، ترجمة: حسين مؤنس، محمود يوسف، (القاهرة: ١٩٥٠م)، ٢٧٠-٢٧١ ؛ اسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان، (جدة: ١٩٧٧م)، ٥٤.

(٥) براونستون فرانك، *طريق الحرير*، ترجمة: أحمد محمود، (القاهرة: ١٩٩٧م)، ٢٠٦.

(٦) ف. هايد، *تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، ترجمة: أحمد محمد رضا، (القاهرة: ١٩٨٥م)، ١/٣٢-٣٣.

على أن الإمبراطورية البيزنطية عانت الكثير في سبيل نقل الحرير من الصين حيث كان الطريق البرى للصين يمر عبر الأراضي الفارسية. كما كان الطريق البحري الجنوبي عبر المحيط الهندي يسيطر عليه كذلك التجار الفرس الذين يبحرون من الخليج العربي إلى سيلان حيث تتجمع البضائع الآتية من الصين[٧].

وهكذا وجد جستنيان نفسه في مواجهة جديدة مع الفرس، وهو الذي أجبرته الظروف على الدخول معهم في جولتين من الحروب عرفت بالحرب الفارسية الأولى (٥٢٧-٥٣٢م)، والحرب الفارسية الثانية (٥٤٠-٥٦٢م). وقد حاول في كل مرة منهما أن ينتهي الأمر بالسلم حتى لو كان ذلك لقاء مبلغ ضخم من المال يدفعه للفرس مقابل السلام حتى يتفرغ لمشاريعه التوسعيه في الغرب الأوربي[٨].

وكان في احتكار تجارة الحرير خطر استطاع جستنيان أن يستغله. فالواقع أن هذا الأمر كان بالنسبة للبيزنطيين المضطرين للحصول على هذه المادة عبئاً ثقيلاً؛ إذ لم يكن في هذه التجارة وسطاء سوى الفرس، ولم يكن ثمة أمة كأمة الفرس تكثر الحروب بينها وبينهم: ترى ألم يكن يهمهم أن يروا تجارهم يحملون إلى أعدائهم المبالغ الضخمة المخصصة لشراء المنسوجات الحريرية؟ وهل كان عليهم أن يقبلوا بهدوء انقطاع هذه التجارة بسبب حالة الحرب؟[٩].

يضاف لذلك أن الحروب المستمرة مع الفرس أدت لارتفاع ثمن الحرير الخام ارتفاعاً كبيراً، جعل الإمبراطور يتدخل ويصدر منشوراً يحظر فيه أن يباع الحرير بسعر يزيد عن خمسة

---

(٧) انظر: G. Ostrogorosky, *History of the Byzantine State*, English trans. Oxford, 1968, 74.

(٨) للمزيد من التفاصيل عن هذه الحروب انظر، بروكوبيوس، *التاريخ السري*، ترجمة: صبري سليم، (القاهرة: ٢٠٠١م)، ١١١؛ أرثر كريستنسن، *إيران في عهد الساسانيين*، ترجمة: يحيى الخشاب، (القاهرة: ١٩٩٨م)، ٣٤١-٣٤٢؛ J. Moorhead, *Justinian*, London, 1994, 22–24, 63–98, and 101–9; G. Greatrex, "Byzantium and the East in the Sixth Century" in: Michael Maas (ed.). *The Cambridge Companion to the Age of Justinian*, Cambridge, 2005, 477–509.

(٩) هايد، *تاريخ التجارة*، ١/١٨.

عشر صولدياً ذهبياً للرطل الواحد. غير أن النتيجة الوحيدة التي ترتبت على هذا المنشور هي أن رفض تجار الفرس بيع بضائعهم رفضاً باتاً ؛ ونتج عن ذلك إفلاس صناع الحرير وتوقفت تجارته تماماً. واضطرت الدولة إزاء هذه الكارثة أن تخضع لمطالب الوسطاء الفرس[١٠].

وكانت إدارة الخارجية البيزنطية تعلم يقيناً أن جهودها لحرمان الفرس من الحصول على الأرباح الهائلة التي يجنونها بقيامهم بدور الوسطاء في تجارة الحرير عبر الطريق البرى لن تحقق النجاح الذي ترتجيه، ولذا كانت تتحين الفرص للبحث عن طريق آخر يصلها مباشرة مع مراكز بيع الحرير، وسرعان ما جاءتها هذه الفرصة على غير توقع، عندما وضع الأحباش أقدامهم في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية[١١]، وبدأ الأمر حينما تهود الملك الحميري ذو نواس ثم شرع في اضطهاد المسيحيين في مملكته وتخييرهم بين الدخول في اليهودية أو القتل، فلما تمسكوا بدينهم ألقاهم في أخاديد عميقة مشتعلة بالنار[١٢]. وانتهز النجاشي Negus حاكم مملكة أكسوم Axum الحبشية تلك الفرصة ليغزو اليمن بحجة الانتقام لما حدث للمسيحيين هناك من اضطهاد وقتل[١٣].

وتذكر بعض المصادر[١٤] أن بعض الناجين من هذا الاضطهاد اتجه لجستنيان يطلب نجدته، فأرسل الأخير إلى النجاشي يطلب منه نجدتهم، وأمدهم ببعض السفن والعتاد لإنجاز تلك المهمة. فلم تكن سفن النجاشي تسمح له بنقل أعداد كبيرة من الجنود إلى الساحل العربي، لذلك تكفل بهذه المهمة سفن الأسطول البيزنطي الراسية في موانئ البحر الأحمر[١٥].

---

(١٠) بينز، *الإمبراطورية البيزنطية*، ١٧١-١٧٢ ؛ فرانك، طريق الحرير، ٢٠٨.

(١١) عبدالحميد، *الصراع الدولي حول شبه الجزيرة العربية*، ١٧٥.

(١٢) أدولف جرومان وآخرون، *التاريخ العربي القديم*، ترجمة: فؤاد حسنين، (القاهرة: ١٩٥٨م)، ٣٠٣ ؛ كوبشيانوف، *الشمال الشرقي الأفريقي*، ٤٦-٤٧ ؛ A. Jones, E. Monroe, *History of Abyssinia*, London, 2003, 30. وقد ورد ذكر هذه الأحداث في القرآن الكريم فى سورة البروج في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦)...﴾.

(١٣) أنظر، Cosmas, Indicopleustes, *Topographie chrétienne*. Trans. by Wanda Wolska Paris, 1968, 141.

(١٤) الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: ١٩٨٥م)، ١٠٥/٢ ؛ ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، (بيروت: ١٩٩٤م)، ٤٦٦/٤ ؛ Malalas, *Chronographia*, ed. Dindrof, Bonn, 1831, 458.

(١٥) كوبشيانوف، *الشمال الشرقي الأفريقي*، ٨٥.

وقد حاول ذو نواس، وقد وجد هذا التحالف بين بيزنطة وأكسوم، أن يبحث عن حليف قوى يواجههم به فيمم وجهه شطر الفرس وحلفائهم من عرب مملكة الحيرة مستغلاً العداء التقليدي بين هؤلاء وهؤلاء، لكن الدبلوماسية البيزنطية نجحت في منع أي عون يقدم له من هذه الناحية(١٦).

والواقع أن الدافع الديني كان هو السبب الظاهر، أما الدافع الحقيقي فكان دافعاً اقتصادياً، إذ تذكر بعض المصادر أن ذا نواس كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده وبنهب أموالهم، انتقاماً من الروم الذين أساءوا في بلادهم معاملة اليهود واضطهدوهم، فتجنب التجار الروم الذهاب إلى اليمن أو إلى الحبشة وإلى المناطق القريبة من حمير Homeritae، فتأثرت التجارة مع الحبشة، وتضررت مملكة أكسوم، ورفض ذو نواس أي محاولة لرأب هذا الصدع في العلاقات مع الحبشة، ما جعل النجاشي يفكر حثيثاً في غزو اليمن والقضاء على مملكة حمير لإعادة الأمور لنصابها(١٧). ولم تتوان القسطنطينية عن تأييد الغزو الحبشي عسكرياً ومعنوياً؛ فقد كانت سيادة حلفائها الأحباش على طرفي البحر الأحمر عند مدخله، تضمن لهم طريقاً بحرياً آمناً، كما أملوا، في الحصول على الحرير الصيني بعيداً عن السيادة الفارسية(١٨).

وسرعان ما حاول البيزنطيون استثمار الوضع الجديد، فأرسل جستنيان عام ٥٣١م وفداً إلى النجاشي وطلب منه أن يتولى الأحباش نقل الحرير القادم من الصين والهند ويبيعونه للبيزنطيين بدلاً من الفرس، فاقتنع النجاشي بذلك وحض عليه تجاره(١٩)، لكن التجار الأحباش لم يتمكنوا من مواجهة نفوذ التجار الفرس في الموانئ الهندية، حيث قام التجار الفرس بشراء كل

---

(١٦) انظر R. Fry, "The political history of Iran under the Sasanians", in: *Cambridge History of Iran*, Cambridge, 1983, 3/157.

(١٧) انظر، Malalas, *Chronographia*, 433; J. Bury, *History of the later Roman Empire*, II, London, 1931, 322.

(١٨) عبدالحميد، *الصراع الدولي*، ١٧٥؛ Frye, "The political history of Iran", 157.

(١٩) أسد رستم، *الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب*، (بيروت: ١٩٥٥م)، ١/١٧٧؛ محمود سعيد عمران، *معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية*، (الإسكندرية: ٢٠٠٠م)، ٥٣؛ A. Vasiliev, *History of the Byzantine Empire, 324–1453*, Madison, 1952, 167.

شحنات الحرير القادمة من الصين، فلم يجد تجار الأحباش ما يشترونه، بالإضافة إلى أن العلاقة الوثيقة بين سكان الموانئ الهندية والتجار الفرس منعتهم من بيع سلعتهم النفيسة للتجار الجدد[٢٠].

لم يفت هذا الفشل في عضد جستنيان فعزز سفارته الأولى بسفارة ثانية في العام نفسه وجهها برئاسة مبعوثه جوليان Julian إلى النجاشي في الحبشة والسميفع Esimiphaeus ملك حمير التابع له، بجانب عرب كندة والمعديين يطلب منهم إعلان الحرب على الفرس وقطع العلاقات التجارية معهم[٢١]. ولم يكتف بذلك بل سعى جاهداً ليحقق تقارباً بين قوات الأحباش في اليمن والقوات العربية في نجد مثل قبيلة معد ليزيد من الضغط على الجبهة الفارسية، لذلك طلب من السميفع أن يعين أحد سادات العرب ويدعى (قيس) سيداً على قبيلة معد حتى يكتسب الإمبراطور حليفاً قوياً ييسر له مد نفوذه على القبائل العربية في نجد، وأن يتعاون مع الأخير في إعداد جيش كبير يغزو به بلاد فارس[٢٢]. وكان يستند في طلبه للنجاشي إلى خلفيتين؛ الأولى هي الرابطة الدينية المشتركة بينهما مسيحيين ضد الفرس عدوهم المشترك. والثانية هي الرغبة في إنهاء سيطرة التجار الفرس على طريق التجارة مع الهند والشرق الأقصى[٢٣].

وقد أعطانا بروكوبيوس[٢٤] انطباعاً سلبياً عن نجاح هذه المهمة، إذ يذكر أنه على الرغم من أن السفير حصل على وعود لمليكه بتحقيق هذه المطالب إلا أن أياً من هذه الوعود لم يتحقق. فالأحباش لم يحركوا ساكناً صوب الفرس، أما السميفع فلم يكن على استعداد لأن يغامر بجيوشه عبر طرق طويلة وصحارى مقفرة ليواجه في النهاية جيوشاً تفوقه عدداً وعدة . بجانب أنه رفض تعيين قيس زعيماً للمعديين -الخاضعين لسلطته- لأن الأخير تورط في مقتل أحد أقارب السميفع.

---

(٢٠) انظر، Procopius, *De Bello Persico*, ed. and trans. by Dewing, London, 1914, 193-195.

(٢١) انظر، Malalas, *Chronographia*, 456; Jones, *History of Abyssina*, 32.

(٢٢) انظر، Procopius, *Bello Persico*, 193.

(٢٣) انظر I. Shahid, *Byzantium and the Arabs in the Sixth century*, Washington, D. C. 1995, 145.

(٢٤) انظر، Procopius, *Bello Persico*, 193.

وعلى العكس منه نجد أن مؤرخاً آخر مثل ملالاس[٢٥] يرجح نجاح السفارة، ويذكر أن النجاشي قبل على الفور عرض التحالف الذي عرضه جستنيان وأعلن الحرب على الفرس، وبدأ بعمليات عسكرية ضدهم بمساعدة القبائل العربية. كما رحبت حمير بهذا التحالف على أساس أن جستنيان صار صديقاً لهم منذ أن دعم النجاشي في حملته ضد ذي نواس، وحول اليمن للمسيحية بجانب رغبتهم في إنشاء قنوات اتصال تجارى مباشر مع الهند، وليس عبر الوسطاء الفرس. وهو الأمر الأقرب للصواب حيث نجد ما يدعم هذا الرأي في الشعر الجاهلي المعاصر لتلك الفترة[٢٦].

غير أن هذه الجهود الدبلوماسية البيزنطية المكثفة مع مملكة أكسوم وشيوخ القبائل العربية في شبه الجزيرة، لم تكن لتغيب عن أعين الساسانيين في فارس، وهم يقدرون تماماً مدى خطورة امتداد النفوذ البيزنطي إلى قرب حدودهم الجنوبية الغربية. وإذا كانوا قد ضمنوا سيطرتهم الاحتكارية على طريق الحرير عبر وسط آسيا، وحققوا نجاحاً كبيراً في استنزاف الخزانة البيزنطية عن طريق المكوس الجمركية على هذه التجارة وغيرها، والجزية السنوية التي يحصلون عليها، فإنه لا ضير أيضاً أن يمدوا أصابعهم وأنفهم إلى هذه المنطقة، حتى تكتمل حلقات الحصار الاقتصادي مستغلين أهم سلعة بالنسبة لبيزنطة في زمانها. حول عدوهم التقليدي الإمبراطورية البيزنطية[٢٧].

لذلك سارعت وفودهم لاهثة صوب اليمن لتشارك في مراسم الاحتفال بترميم سد مأرب حوالي عام ٥٤٣/٥٤٢م وتقدم التهنئة إلى أبرهة Abramos، الذى صار الحاكم الفعلى لليمن بعد أن أزاح السميفع من الحكم[٢٨]. ولم يقف جستنيان مكتوف الأيدي إزاء ذلك فحرص أن يكون له مقعد على طاولة الاحتفال، فأرسل وفداً ملكياً يحيط به حلفاؤه من زعماء القبائل العربية كالحارث بن جبلة زعيم الغساسنة وأبى كرب بن جبلة شيخ عرب فلسطين[٢٩]. وقد

(٢٥) انظر، Malalas, *Chronographia*, 456.

(٢٦) انظر، Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 146.

(٢٧) رأفت عبد الحميد، *الصراع الدولي*، ١٧٩.

(٢٨) انظر، Procopius, *Bello Persico*, 191-193; Bury, *later Roman Empire*, II, 325.

(٢٩) أحمد أمين سليم، *معالم تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: ب.ت)، ١٠٣.

حرص أبرهة على أن يسجل تفاصيل هذا الحفل وضيوفه في نص كبير نقش على سد مأرب، حرص فيه على إبراز أهمية رسل النجاشي وجستنيان مقارنة بباقي الرسل، وهو أمر بدهي فرضته ظروف التبعية والملة الواحدة[٣٠].

ولم يكن مجيء هؤلاء المبعوثين إلى أبرهة لمجرد التهنئة أو التسلية أو المجاملة أو ما شاكل ذلك من كلمات في معجمات السياسة. ولكن لأمور أخرى أبعد من هذه وأهم، هي جر أبرهة إلى هذا المعسكر أو ذلك، وترجيح كفة على أخرى، وخنق التجارة في البحر الأحمر، أو توسيعها، ومن وراء ذلك إما نكبة تحل بمؤسسات الروم وتجاراتهم، وإما ربح وافر يصيبهم بما لا يقدر. لقد كان العالم إذ ذاك كما هو الآن، جبهتين: جبهة غربية، وجبهة أخرى شرقية: الروم والفرس. ولكل طبالون ومزمرون من الممالك الصغيرة وسادات القبائل يطبلون ويزمرون، ويرضون أو يغضبون، ويثيبون أو يعاقبون إرضاء للجبهة التي هم فيها. لقد سخرت الإمبراطورية البيزنطية كل قواها السياسية للهيمنة على جزيرة العرب، أو إبعادها عن الفرس وعن الميل إليهم على الأقل. وعمل الفرس من جهتهم على تحطيم كل جبهة تميل للبيزنطيين وتؤيد وجهة نظرهم وعلى منع سفنهم من الدخول إلى المحيط الهندي، والاتجار مع بلاد العرب[٣١].

وعلى الرغم من أنه في عام ٥٥٢م بدا أن متاعب بيزنطة في حصولها على الحرير قد انتهت، حين وصل إلى القسطنطينية راهبان نسطوريان يحملان في عكازيهما دودة القز وبيضها، وبدأت تنتشر تربيتها في أنحاء الإمبراطورية؛ ما أوحى للجميع أن بيزنطة غدت قادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي من الحرير والتخلص من قبضة الفرس[٣٢]. لكن المصانع البيزنطية لم تتمكن من إنتاج قدر من الحرير الخام يكفي مطالبها كلها، لذلك ظلت لسنوات بعد ذلك في حاجة لشرائه، ومن ثم الخضوع مجدداً لسطوة الفرس[٣٣].

---

[٣٠] جرومان، *التاريخ العربي القديم*، ٣٠٤.

[٣١] جواد علي، *تاريخ العرب*، ٣/٤٩٠-٤٩١.

[٣٢] بينز، *الإمبراطورية البيزنطية*، ٢٧٧-٢٧٨؛ كريستنسن، *إيران في عهد الساسانيين*، ١١٧؛ اسمت غنيم، جستنيان، ٥٦؛ Bury, *Later Roman Empire*, II, 330.

[٣٣] هايد، *تاريخ التجارة*، ٢٥/١.

ولا شك أن أبرهة كان يدرك أهمية موقع مملكته، تلك الأهمية التي دفعت هؤلاء وهؤلاء إلى التودد إليه، لكنه كان يميل إلى الجانب البيزنطي بحكم وحدة العقيدة والتقاء المصالح وهذا ما وضح في نقش سد مأرب، وبدا أن الرياح أتت بما تشتهيه سفن جستنيان في إحكام سيطرته على طريق الحرير الجنوبي، إلا أن الخلاف سرعان ما دب بينه وبين أبرهة ولم يكن سياسياً أو اقتصادياً هذه المرة بل كان خلافاً عقدياً.

وكان مبعث هذا الخلاف راجعاً إلي اختلاف وجهتي نظرهما حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام، ففي الوقت الذي اعتنق فيه جستنيان مذهب الطبيعتين، كان أبرهة والكنائس الشرقية في مصر والشام وفلسطين يدينون بمذهب الطبيعة الواحدة monophysite[٣٤] ويتبعون في ذلك كنيسة الإسكندرية[٣٥]، لذلك رفض أبرهة ومن قبله ملك أكسوم تعيين أسقف جديد يدين بمذهب الطبيعتين كان قد أرسله جستنيان بعد وفاة الأسقف القديم، بل وصل الأمر إلى حد قتل الأسقف الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي إلى أكسوم بعد وصوله إليها بوقت قصير[٣٦].

وبرغم هذا السلوك المعادى من جانب أبرهة والنجاشي، إلا أن جستنيان لم يحاول في بادئ الأمر فرض مذهبه عليهم، ربما لأنه كان يبدى بعض العطف على المونوفيزتيين بسبب انضمام زوجته ثيودورا إلى معسكرهم[٣٧]، أو لحرصه على كسب ولاء هذه المنطقة الحساسة من العالم القديم في ظل صراعه المرير مع الفرس، لذلك حرص على وضع حلول يرضي بها

---

(٣٤) المذهب المونوفيزيتي Monophysitism الذي يقول بوجود طبيعة واحدة في المسيح هي الطبيعة الإلهية لذلك عُرف أتباعه بأصحاب الطبيعة الواحدة أو المنافزة. ويقابله المذهب النسطوري Nestorianism الذي يقول بوجود طبيعتين منفصلتين في المسيح إحداهما إلهية والأخرى بشرية. والمذهب الملكاني أو المركاني نسبة إلى الإمبراطور مرقيانوس Marcia (457 –450) كما عُرف أيضاً بالمذهب الخلقيدوني نسبة إلى مجمع خلقدونية ويقول بوجود طبيعتين متحدتين في المسيح وعُرف أتباعه باسم الملكانيين أو الخلقيدونيين. انظر، الشهرستانى، *الملل والنحل*، تحقيق محمد عبدالقادر، (بيروت: ٢٠٠٣م)، ٧/ ١٧٨؛ عزيز سوريال عطية، *تاريخ المسيحية الشرقية*، ت. اسحق عبيد، (القاهرة: ٢٠٠٥م)، ٢١٦-٢١٧.

(٣٥) غنيم، *جستنيان*، ٩٨.

(٣٦) عبد الحميد، *الصراع الدولي*، ١٨٢.

(٣٧) عن دور ثيودورا في مساندة وحماية أتباع المذهب المونوفيزيتى انظر، ميخائيل السرياني، *تاريخ ميخائيل السرياني*، ت. غريغوريوس شمعون، (حلب: ١٩٩٦م)، ٢/ ٧٢، ٧٨، ٧٩ T. Greogry, *A history of Byzantium*, (London, 2010), 149.

أصحاب الطبيعة الواحدة، وفى نفس الوقت لا يحيد عن أرثوذكسيته[٣٨].

لكن جستينان سرعان ما حاد عن هذه السياسة بعد أن تسارعت الأمور إلى صالحه بوفاة الملك الفارسي قباذ الأول Kavadh I (488–531)، وسعى خليفته كسرى أنوشروان Khosrau I (531–579) للتفاوض مع بيزنطة لوقف نزيف الدماء بين الطرفين، وانتهاء الوضع بتوقيع معاهدة سلام دائم بين الجانبين عام ٥٣٢[٣٩]. وأدى هذا الوضع الجديد إلى تخلى جستينان عن مهادنته للمونوفيزتيين، خاصة وأن توقف الحرب مع الفرس جعله يبدأ في مشروعه الضخم لاسترداد ولايات الغرب، ولما كان هذا المشروع يحتاج تأييد البابا في روما، والذي كانت كنيسته تدين بمذهب الطبيعتين، حرص جستينان على إرضاء البابوية وراح يعزل الأساقفة المنافزة في القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية، ويحل محلهم أساقفة خلقدونيين[٤٠].

وبرغم أن واقع الحال كان ينبئ بتوتر العلاقات بين جستينان وأبرهة خاصة بعد رفض الأول تعيين أسقف مونوفيزتى في اليمن، إلا أن أبرهة حرص على أن تظل علاقته طيبه ببيزنطة، خاصة وأنه لم يكن يأمن جانب ملك أكسوم بعد أن انفرد بحكم اليمن[٤١]، فلم يترك الفرصة لهذه الخلافات المذهبية بين صنعاء والقسطنطينية أن تؤثر في طبيعة العلاقات بين الحليفين، بل ربما يكون قبل في نهاية الأمر أمام إصرار جستينان، وحتى لا يفقد صداقته، وجود أسقف خلقيدوني في مملكته[٤٢].

---

(٣٨) انظر، Vasiliev, *History of the Byzantine Empire*, 150

(٣٩) انظر، Malalas, *Chronographia*, 435; Shahid, B*yzantium and the Arabs,* 147-148; Greogry, *A History of Byzantium*, 135.

(٤٠) عبدالحميد، *الصراع الدولي*، ١٨٣.

(٤١) كان مرجع الخلاف بين النجاشي وأبرهة أن النجاشي كان قد أرسل جيشاً للاستيلاء على اليمن بقيادة أبرهة ومعه قائد آخر يسمى أرياط، فلما تمكنا من الأمر انقلب أبرهة على أرياط فقتله وانفرد بحكم اليمن، ولكي يتجنب أبرهة غضب النجاشي أرسل إليه يعلن تبعيته ويسترضيه فوافق النجاشي خاصة وأنه حاول القضاء على أبرهة لكنه فشل في ذلك، وإن ظلت الأمور بينهما يشوبها الحذر. انظر، ابن هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة: ١٩٣٦م)، ٢٦/١؛ ابن قتيبة، *المعارف*، (القاهرة: ١٩٦٩م)، ٣١٢؛ جواد على، *تاريخ العرب*، ٤٨٢/٣؛ Procopius, *Bello Persico*, 197.

(٤٢) عبدالحميد، *الصراع الدولي*، ١٨٤.

بعد أن وطد أبرهة علاقته بكل من جستينان والنجاشي، سعى لمد نفوذه شمالاً ليؤمن الطريق التجاري الذي يصل اليمن بالشام، وقد بدأ الأمر بالقضاء على تمرد قبيلة معد وأعاد إخضاعها لسلطانه[٤٣]، ثم مد بصره نحو مكة طامعاً في الاستيلاء على مكانتها التجارية في المنطقة، لكنه كان يدرك أن مكانة مكة الاقتصادية تلازمها مكانة دينية أعمق وأقوى، وأن التعرض لها يعنى انقلاب القبائل العربية الوثنية ضده، وهو أمر كان في غنى عنه، فهداه تفكيره إلى ضرب هذه المكانة بمحاولة صرف نظر العرب عنها فبنى في صنعاء كنيسة ضخمة عرفت باسم القليس جمع لها العمال المهرة وخصص لها من الأموال ومواد البناء ما جعل منها آية للناظرين بحسب وصف المؤرخين[٤٤].

وكان أبرهة قد منى نفسه بنجاح مشروعه وضرب مكانة مكة، وقد توقع أن يحظى هذا المشروع بمباركة جستنيان، لأن تحقيقه يعنى تخلص البيزنطيين من الخضوع للأسعار العالية التي يفرضها التجار الفرس علي السلع التجارية النادرة والمطلوبة، والتي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم، إذ سترد إليهم من الهند وسيلان رأساً عن طريق بلاد العرب. لكن الرياح أتت بما لا تشتهيه سفنه، ولم يحرك العرب ساكناً صوب كنيسته، فعزم على التحرك وتدمير الكعبة للقضاء نهائياً على مكانة مكة، وأعد لذلك جيشاً ضخماً تحرك به صوب الحجاز، لكن حملته باءت بالفشل وقضي على أغلب جيشه ومات بعدها سريعاً[٤٥].

ولاشك أن نجاح أبرهة في مد نفوذه إلى مكة، ووصل ما بينه وبين ممتلكات البيزنطيين في الشام، ونفوذهم في أقصى شمال شبه الجزيرة العربية، كان يمثل للدولة الفارسية تحدياً خطيراً من

---

(٤٣) جواد على، *تاريخ العرب*، ٤٩٣/٣.

(٤٤) الأزرقي، *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*، (ألمانيا: ١٩٥٨م)، ٨٢/١-٨٤، محمد عبدالقادر بافقيه، *تاريخ اليمن القديم*، (بيروت: ١٩٨٥م)، ١٦٣.

(٤٥) وقد ورد ذكر هذه الحملة في القرآن الكريم في سورة الفيل في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ(٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ(٥)﴾. وللمزيد عن هذه الحملة انظر، ابن هشام، *السيرة النبوية*، ٣٦/١؛ اغناطيوس غويدي، *تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام*، ترجمة: إبراهيم السامرائى، (بيروت: ١٩٨٦م)، ٩٤-٩٥.

الناحيتين السياسية والاقتصادية، إذ تصبح هذه القوة الجديدة خصماً مخيفاً لفارس، خاصة إذا دانت القبائل العربية في نجد والمناطق المجاورة لها على ساحل الخليج بالسيادة للبيزنطيين والأحباش. ولهذا كانت فارس تنظر بعين الحذر الدائم والقلق والترقب، لكل ما يجرى حولها في منطقة شبه الجزيرة العربية[٤٦]. لذلك كان فشل تلك الحملة بلا ريب مصدر سعادة للفرس جعلتهم يتنفسون الصعداء ويستعدون لجولة أخيرة قد يكون الحسم فيها لصالحهم.

ولم تقتصر خسائر تلك الحملة على وفاة أبرهة وهزيمة جيشه فقط، بل تعدتها إلى تشجيع القبائل العربية على طرد الأحباش من اليمن خاصة مع ضعف خلفاء أبرهة. وقد تزعم حركة المقاومة أحد قادة حمير ويدعى سيف بن ذي يزن الحميري، الذي أخذ على عاتقه هذه المهمة، وكان يدرك أنه لن يتمكن من تحقيقها إلا بالاستعانة بإحدى القوتين، البيزنطيين أو الفرس واختار أن يبدأ بالبيزنطيين فشد رحاله نحو القسطنطينية يعرض ولائه في مقابل المساعدة العسكرية في التخلص من الأحباش في اليمن[٤٧].

ومن نافلة القول أنه كان اختياراً خاطئاً من جانب سيف بن ذي يزن، فلم تكن روابط العقيدة والتحالف السياسي بين البيزنطيين والأحباش لتجعلهم يتحالفون ضدهم، أو يقدمون المساعدة لأعدائهم، لذلك كما كان متوقعاً جاء جواب جستنيان بالرفض[٤٨]. لذلك وجه وجهه شطر الطرف الآخر ونعنى بهم الفرس، على الرغم من أنه لم يبدأ بهم -بحسب المنطق- لأنهم سبق ولم يقدموا يد المساعدة لأبيه حين طلبها منهم[٤٩]، ووجد ضالته عند الملك الفارسي كسرى أنوشروان الذي أرسل معه جيشاً بقيادة قائده وهرز Wahriz تمكن من هزيمة ابن أبرهة وتنصيب سيف بن ذي يزن على عرش مملكة حمير مقابل أدائه الجزية للفرس[٥٠].

---

(٤٦) عبدالحميد، *الصراع الدولي*، ١٩٠.

(٤٧) ابن قتيبة، *المعارف*، ٣١٢؛ عبدالمنعم ماجد، *التاريخ السياسي للدولة العربية*، (القاهرة: ١٩٦٠م)، ٧٥/١.

(٤٨) ابن خلدون، *العبر وديوان المبتدأ والخبر*، (بيروت: ١٩٥٧م)، ٦٣/٢.

(٤٩) الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ١٣٦/٢؛ Fry, "The political history of Iran", 158.

(٥٠) جواد على، *تاريخ العرب*، ٥٢٣/٣-٥٢٤؛ غويدى، *تاريخ اليمن والجزيرة العربية*، ٩٦.

جاءت الفرصة إذاً للفرس ليضعوا قدماً لهم في جنوب الجزيرة العربية، وهو أمر تاقوا إليه طويلاً، على أن سيادتهم على اليمن لم تكن كاملة على الحقيقة، إلا أنهم كانوا يتحينون الفرصة للاستيلاء عليها. وواتهم الفرصة بعد ثورة بقايا الأحباش في اليمن ضد سيف بن ذي يزن ومقتله، إذ عاد وهرز بجيوش الفرس مرة أخرى واستولى على اليمن لمصلحة مليكه كسرى[٥١]. وساعد الفرس على مد نفوذهم في شبه الجزيرة العربية الضعف الذي أصاب بيزنطة خاصة مع وفاة جستينان عام ٥٦٥[٥٢]، بحيث تبدل النفوذ البيزنطي هناك بالنفوذ الفارسي ولكن حتى حين.

من خلال رصد الصراع السابق يمكننا أن نقف على الملاحظات التالية:

- كان الصراع بين البيزنطيين والفرس حول طريق الحرير الجنوبي خلال عهد جستنيان جزءاً لا يتجزأ من الصراع بين القوتين عسكرياً واقتصادياً، إذ ارتبط بالصراع الذي دار بينهما شمالاً حول طريق الحرير والذي كانت الغلبة فيه للفرس، فكانت محاولة بيزنطية للتخلص من السيطرة الفارسية على هذه السلعة الحيوية بالنسبة لهم.

- بعكس الصراع الذي دار شمالاً بين الطرفين واتسم الصدام العسكري في بعض الأحيان والتفاهم الدبلوماسي في أحيان أخرى، نجد أن الصراع جنوباً اتخذ الطابع الدبلوماسي بشكل كامل، ولم تحدث مواجهات عسكرية مباشرة بين الجانبين هناك. ولم يحرص البيزنطيون على التدخل العسكري في المنطقة ربما خوفاً من التدخل الفارسي أيضاً؛ ما كان يعنى فتح جبهة حربية جديدة لم يكن جستنيان على استعداد لها في ظل مشروعاته التوسعية في الغرب الأوربي.

- برغم أن الشواهد كانت تؤكد نجاح الدبلوماسية البيزنطية في حسم السيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية ومدخل البحر الأحمر، من خلال تحالفها مع مملكة أكسوم الحبشية، ومملكة حمير في اليمن، ومن ثم السيطرة على طريق الحرير الجنوبي. إلا أن هذه السيطرة لم تنجح

---

[٥١] الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ١٤٨/٢.

[٥٢] عبدالحميد، *الصراع الدولي*، ١٩٥.

في كسر احتكار الفرس لتجارة الحرير عبر الجنوب أيضاً، إذ ظل تجارهم يتحكمون في تجارة الحرير المار بهذا الطريق أيضاً، ومن ثم ذهبت مجهودات جستنيان في هذا المجال سدى.

- إذا كانت بداية هذه الصراع قد شهدت نجاحاً دبلوماسياً بيزنطياً تمثل في تحالفها مع القوى السياسية في المنطقة، فإن نهايته شهدت نجاحاً عسكرياً فارسياً تمثل في استيلائهم على اليمن، فعوض الفرس بذلك تأخرهم في مواجهة البيزنطيين في الجنوب بشكل حاسم.

سفارة عمرو بن هند (ملك الحيرة) إلى بلاط الإمبراطور جستين الثاني حسب رواية المؤرخ البيزنطي منندار(Menander)

نورة بنت عبدالله النعيم

المقدمة:

يتناول هذا البحث موضوع الإعانات التي قدمتها بيزنطة منذ عهد الإمبراطور جستنيان (Justinian) (٥٢٧-٥٦٥م) لملك الحيرة المنذر الثالث بن ماء السماء (٥٠٦-٥٥٤م)، التي قدرها منندار بمائة رطل من الذهب. إلا أن تلك الإعانات لم تستمر طويلاً؛ إذ بعد وفاة جستنيان عام٥٦٥م وتولي الإمبراطور جستين الثاني (Justin) قطعت تلك الإعانات لملك الحيرة عمرو بن هند (٥٥٤-٥٩٦م)، الذي خلف والده في إمارة الحيرة. وأصبح موضوع إعادة دفعها أحد القضايا التي طرحت في لقاءات المفاوضات التي دارت بين الجانبين الفارسي والبيزنطي لعقد صلح. لكن الأطراف المتفاوضة فشلت في التوصل إلى حل لتلك المسألة الشائكة، وتمثلت إحدى تلك المحاولات في إقناع الإمبراطور جستين الثاني بإعادتها، هو إرسال سفارة عربية من رجال الحيرة لمناقشة الأمر مباشرة مع الإمبراطور بدلاً من الاعتماد على المفاوض الفارسي.

وتأتي أهمية الموضوع في أنه سيلقي الضوء على الدبلوماسية العربية في القرن السادس الميلادي، كما يهدف إلى مناقشة الأسباب التي دعت الإمبراطور جستنيان إلى منح المنذر الثالث إعانات مالية تقدر بمائة رطل من الذهب، على الرغم من أن المنذر الثالث يدين بالتبعية للفرس أعداء الدولة البيزنطية من جهة، ومن جهة أخرى كان له نشاط حربي طويل ضد الدولة البيزنطية وأتباعها الغساسنة، حيث اجتاز إلى سوريا عدة مرات، وخرب العديد من المدن وأسر العديد من سكان المنطقة بأمر من الملك الفارسي أو تحقيقاً لرغبته الشخصية.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٣٧٧-٣٩٤

كما يتناول البحث أسباب حرص الجانب الفارسي وإصراره على طرح هذا الموضوع في جميع اللقاءات التي تمت بينه وبين الجانب البيزنطي؛ وبيان أسباب رفض جستين الثاني الاستمرار في دفعها كما فعل سلفه، وأخيرا يتطرق للسفارة التي أرسلها الملك اللخمي عمرو بن هند إلى الإمبراطور البيزنطي لمناقشة الأمر معه، وزمن إرسالها؟ ومن كان صاحب فكرة إرسالها؟ ومن ترأس هذه السفارة؟ وهل كانت المرة الأولى التي يصل فيها عرب الحيرة إلى العاصمة البيزنطية في مهمة رسمية كهذه؟ وما النتائج التي أسفرت عنها تلك السفارة؟ وذلك من خلال رواية المؤرخ "منندار" الذي تفرد بذكر تفاصيل تلك الأحداث.

المؤرخ مننذار (Menander)

مننذار من مؤرخي القرن السادس الميلادي، تناول تاريخه الفترة الممتدة من تولي الإمبراطور جستنيان وحتى عهد الإمبراطور موريس، الذي شجعه على كتابة التاريخ كما ذكر هو نفسه ذلك. ومننذار من أهالي القسطنطينية، فيها عاش ودرس القانون، مع العلم أنه لم يمارسه مهنةً لكنه وحسب ما ذكر عمل حامياً (Protector)[١]. اهتم بكتابة التاريخ، ويعد المؤرخ الرئيس المكمل لتاريخ اجاثايس (Agathias)[٢]، ولقي تشجيعا من الإمبراطور موريس (Maurice) ٥٨٢-٦٠٢م[٣]. ساعده على ذلك تمكنه واستفادته من الأرشيف الإمبراطوري، واطلاعه على وثائق الفترة المعاصرة لتاريخه[٤]. حيث إن جميع معلوماته عن المفاوضات، جاءت من الأرشيفات والمراسلات، ومحاضر الدعاوى، ومن اتصاله بالمفاوضين والمندوبين الذين شاركوا فيها[٥]. بقى من كتابه حوالي ١٠٠ صفحة تمثل ١٠٪ من كتابه الأصلي،[٦] وقد غطى في

---

(١) R.C. Blockley, *The history of Menander The Guardsman*, Cambridge-2006, 1.

(٢) مؤرخ بيزنطي كتب في التاريخ للمزيد عنه أنظر: A. Cameron, *Agathias*, Oxford-2003

(٣) M. Whitby, *Greek Historical Writing after Procopius: Variety and Vitality* , In: *The Byzantine and Early Islamic Near East*, ed by A. Cameron -L. Conrad, Princeton, 1992, 39.

(٤) Blockley, *The History of Menander,* 19.

(٥) Blockley, *The History of Menander*, 19, Whitby, *Greek Historical Writing*, 39.

(٦) Whitby, *Greek Historical Writing*, 40.

كتابة الفترة الممتدة من ٥٥٨-٥٨١م وهي فترة امتازت بنشاط الدبلوماسية البيزنطية وتطورها مع جيرانها[٧].

وتفرد مننذار باهتمامه بالأقوام الذين تعامل معهم البيزنطيون[٨]، إذ يمثل كتابه عرضاً للدبلوماسية؛ لذا يستحق التقدير، لما أورده من معلومات دبلوماسية، فضل بها غيره من الكتاب الكلاسيكيين وساعدته في ذلك خبراته الإدارية السابقة، نظراً لأنه عمل حامياً (Protector) مع العلم أن هناك من يرى أن لقبه هذا شرفي مكافأة له على تدوينه للتاريخ، وتمكنه من الإطلاع على الوثائق الرسمية، وكان لديه المقدرة على التحليل والنقد لتلك الوثائق، وتفهم لروح الدبلوماسية البيزنطية المتأخرة[٩]. كما امتاز أيضًا بإبداء رأيه في بعض المواقف كأن يؤيد رأي المفاوض البيزنطي، أو ينتقده أحيانا أخرى، مثل ما حدث عندما أدان مندوب جستنين الثاني الإمبراطور جستنيان في تكرمه على عرب الفرس[١٠]. كما كان ينتقد سياسة جستين الثاني وتصرفاته خاصة مع رئيس الوفد الفارسي المفاوض (Sebokhth)، وتهديده غير الواقعي لكسرى، واستفزازه للفرس[١١]، كما كان مؤيداً لحالة السلام بين الفرس وبيزنطة، لأنه يعتقد أن من الأفضل توجيه جهود الإمبراطورية الحربية لمواجهة أعدائهم الآفار[١٢].

علاقة ملك الحيرة المنذر الثالث بالإمبراطورية البيزنطية والخلفية التاريخية للإعانات المالية له:

تعود العلاقات بين المنذر الثالث ملك الحيرة وبيزنطة إلى عهد جستين الأول؛ حيث تمكن المنذر في الفترة من (٥٠٦-٥٥٤م) من شن هجوم على الأراضي البيزنطية، وكان يقتل ويأسر أعداداً كبيرة منهم، وتضطر الإمبراطورية البيزنطية إلى دفع أموال مقابل إطلاق سراح الأسرى،

---

(٧) Whitby, *Greek Historical Writing*, 40.

(٨) *Barry, "Menander Protector", Dumbarton Oak Papers, Trustees for* Baldwin, *Harvard University*, Vo, 32, 1978, 41, 42.

(٩) *Baldwin, "Menander Protector", 41-42.*

(١٠) Blockley, *The History of Menander,* 3.

(١١) Blockley, *The History of Menander* , 24.

(١٢) Blockley, *The History of Menander,* 24.

وقد وصفه بروكوبيوس (Procopius) بأنه ملك على العرب ولم يتمكن أحد من صد هجماته[١٣]، وفي إحدى غارته أسر اثنين من القادة البيزنطيين هما ثيموستراتوس (Timostratus son of Silvanus)، ويوحنا (John son of Lucas)[١٤]. فأرسل الإمبراطور جستين الأول مفاوضه أبراهام نونوس (Abraham the son of Nonnosus) ومعه وفد كبير للتفاوض مع المنذر في أمر إطلاق سراح الأسيرين، ولعقد معاهدة سلام بينهما[١٥]. وكانت هذه المرحلة الأولى التي بدأت فيها المفاوضات المباشرة بين بيزنطة والحيرة دون تدخل الفرس الساسانيين فيها. وقد كان اللقاء بين المندوب البيزنطي والمنذر في منطقة الرملة[١٦]، حيث كان المنذر الثالث مقيماً فيها. وقد وصفت تلك المفاوضات بأنها كانت تحمل طابعاً ودياً، وتم عقد اتفاق بينهما. وما يدل على حدوث تقارب بين الطرفين ما ذكره مننداد بان المنذر أصبح يتسلم من الإمبراطورية البيزنطية مساعدات وذلك عندما لا ينحاز إلى جانب الفرس، وكان متفقاً مع الرومان على أن لا يهاجم الأراضي البيزنطية[١٧]. ولعل هذا التقارب هو الذي أدى إلى سوء العلاقة بين المنذر والملك الساساني قباذ؛ ما جعل قباذ يطرد المنذر من الحيرة، ويولي الحارث الكندي. الحقيقة أن قباذ في هذه الفترة لم يكن في مركز قوة يسمح له بالاعتراض على سياسة المنذر[١٨].

فهل هذا التقارب بين الحيرة وبيزنطة هو البداية للإعانات المالية ؟ وهل استمرت تلك الإعانات حتى عهد الإمبراطور جستنيان؟ خاصة أن رواية مننداد تشير إلى الإعانات المالية التي كان يدفعها الإمبراطور جستنيان، أم هي هدايا وعطايا متبادلة في حينها؟ لكن مهما تكن طبيعة

---

(١٣) Procopius, *History of Wars*, trans by H.B. Dewing London 1914, BKI, xvii, 37-43, 157-159; *The Chronicle of Pseudo-Joshua the Stylist,* trans by F. R. Thombley and J. W., Watt, Liverpool, 2000, xxxiii.

(١٤) Procopius, *History of Wars* , xvii,43-48, 159.

(١٥) I. Shahid, *Byzantium and the Arabs in the 6th Century*, Washington D.C.1995, 40.

(١٦) الرملة محلة خربت نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد، أنظر الحموي، *ياقوت معجم البلدان*، العربي، (بيروت: ١٩٧٩م)، ٦٩/٣.

(١٧) Shahid, *Byzantium and the Arabs,* 43, 277.

(١٨) عن هذا الخلاف أنظر: على، جواد، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: ١٩٨٠م)، ٣٣٣، ٣٤٠-٣.

تلك الأموال فمن المؤكد أنها لم تستمر طيلة عهد جستين الأول أو جستنيان، لأن المنذر وإن كف فترات قصيرة عن مهاجمة بيزنطة إلا إنه عاود هذا الهجوم، حيث وصفه بروكوبيوس (Procopius) أنه أخطر أعداء الرومان بسبب سيطرته على كل العرب التابعين للفرس فزادت قوته، ولا أدل على قوة هذا الملك العربي من أن جميع القوى المحيطة، تقربت إليه حيث وصلته وفود من بيزنطة وحمير وأثيوبيا وفارس تطلب وده أثناء إقامته في الرملة عام ٥٢٤م، وأثناء مفاوضات الصلح الدائرة بين بيزنطة والدولة الساسانية[١٩]. وعلى افتراض أن جستنيان دفع للمنذر إعانات مالية، أو أعاد دفع ما كان يأخذه من جستين الأول بعد توقفها مدة من الزمن، بسبب تعدي المنذر على الدولة البيزنطية، وعدم التزامه بالاتفاق القائم بينهما. متى إذاً بدأ جستنيان بذلك؟ هل بعد توليه عرش الإمبراطورية في عام ٥٢٧م أي بعد صلح الرملة، أم في أواخر عهد جستين الأول؛ حيث كان جستنيان هو الحاكم الفعلي في تلك الفترة[٢٠]. وفي هذه الحالة لا يستبعد أن هذا الاتفاق تم أثناء عقد صلح الرملة عندما كان المنذر في أوج قوته، هذا وتشير المصادر إلى أن ملك الحيرة لم يكف عن مهاجمة أراضي الدولة البيزنطية، حتى بعد عقد صلح الرملة ووجود فترات سلم بين الدولة الساسانية وبيزنطة، محققاً بذلك أهدافه الخاصة؛ لذا لا نجد مبالغة في قول بروكوبيوس، بأن المنذر خلال خمسين عاماً، قد أذل الروم وإن لم يكن الفرس والروم في حالة حرب، وكانت الدولة البيزنطية في نهاية كل هجوم تلجأ إلى مفاوضة المنذر حول إطلاق الأسرى وتدفع له مبالغ طائلة مقابل ذلك. ولعل ذلك ما شجع المنذر على تكرار هجماته، إذ أنه يحصل على الكثير من الغنائم أثناء ذلك، بالإضافة إلى ما تدفعه بيزنطة من أموال فدية للأسرى[٢١]. وتخلل هذه الفترة عدة محاولات للوصول إلى صلح بينهما، كما حدث عندما أرسل المنذر أحد الأساقفة سيرجيوس (Serigous) إلى جستنيان يطلب منه الصلح، ورغم عدم نجاح المحاولة إلا أن هذا المندوب عاد للمنذر وهو محمل بالهدايا الثمينة[٢٢].

---

(١٩) I. Shahid,*"Byzantino-Arabica :The Conference of Ramla, A.D 52"4, In: Byzantium and the Semitic Orient, Before the Rise of Islam*, London, 1988, VI, 131.

(٢٠) G. Ostrogorsky, *History of the Byzantine state*, New Jersey, 1969, 69.

(٢١) Procopius, *History of Wars,* BK 1, Xvii, 43-48, 159.

(٢٢) نينا بيغوليفيسكا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران، من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي*، ترجمة: صلاح الدين هاشم، (الكويت: ١٩٨٥م)، ١١٣.

كما أشارت المصادر إلى محاولة جستنيان مصادقة المنذر في فترة لاحقة، وعرض عليه أموالاً طائلةً، وكان كسرى قد انتقد سياسة جستنيان تلك واتهمه بمحاولة إبعاد المنذر عن ولائه للفرس بإرسال مندوبه سوموس (Summus) سراً للمنذر، وعرضه عليه أمولاً طائلة، ولقد وقع في يد كسرى مكاتبات من جستنيان يحاول فيها استمالة المنذر إلى جانبه(٢٣)، فهل هذه المحاولات أساسُ دفع تلك الإعانات والتي كان يهدف من ورائها ضمان عدم مهاجمة المنذر لأراضي الدولة؟.

والرأي الآخر أن تلك الإعانات اتفق عليها في أعقاب النزاع الذي دار بين كل من الملكين العربيين المنذر الثالث والحارث الغساني عام ٥٣٩م حول جباية ضرائب أراضي المراعي الواقعة جنوب تدمر المعروفة (Strata)، حيث ادعى كل منهما أن له حق جباية ضرائبها(٢٤). وعندما اشتكي الملك الساساني كسرى أنو شروان إلى جستنيان تعدي تابعه الملك الغساني، وأن هذا يعد نقضاً لما بين الدولتين من صلح، وخشية أن ينتقض هذا الصلح حاول جستنيان حل الأزمة ودياً، فأرسل مندوبين أحدهما عسكري يدعى سوموس وآخر مدني يعمل مستشاراً مالياً لدى جستنيان يدعى استراتيجوس (Strategius)، من قبله ليتفاوض مع المنذر، لإيجاد حل لهذه المسألة، خاصة أنه مشغول بحروبه في إيطاليا، ويبدو أن مندوبي جستنيان اختلفا في كيفية التعامل مع هذه المشكلة إذ أن سوموس نصح الإمبراطور بعدم التنازل عن هذه الأراضي للمنذر بينما نصحه الآخر بعدم إعطاء الفرس سبباً للبدء بالحرب ،خاصة أن تلك الأراضي صحراوية لا فائدة منها، وكان جستنيان يدرك مدى طمع المنذر بالنقود البيزنطية، يظهر ذلك من الرسالة التي حملها سوموس من جستنيان للمنذر، يعده فيها بمبالغ كثيرة، ويبدو أن إرسال جستنيان لمستشار مالي يعكس رغبته في حل المسألة سلمياً، وإن تطلب ذلك شراء المنذر بأموال، ولم تكن هذه المرة الأولى التي يحاول جستنيان رشوة المنذر، فقد سبق وأن فعل ذلك عام ٥٢٨م. لذا من المحتمل أن الإعانات المالية التي جرى النقاش حولها في المرحلة التالية بدأ دفعها للمنذر بعد تلك المفاوضات. خاصة أن كسرى عدَّ مفاوضات جستنيان مع المنذر إخلالاً بالسلم بينهما؛ حيث هاجم بقواته

---

(٢٣) Procopius, *History of Wars*, BK II, 1,6-12, 263; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 278.

(٢٤) عن هذا النزاع أنظر: Procopius, *History of Wars*, BK Iii, 6-12, 261-263

أراضي الدولة البيزنطية دون أن يكون للمنذر دور بارز فيها[٢٥]، ولعل هذا بسبب الاتفاق بينه وبين جستنيان. هكذا نرى أن الإعانات المالية التي دُفعت للمنذر لم تكن مستمرة طوال حكم كل من المنذر الثالث والإمبراطور، بل دفعت في فترات مختلفة، وحسب الظروف ولعل من أهم أسباب دفعها:

- ازدياد قوة المنذر الثالث التي برزت بصفة خاصة في فترة ضعف الدولة الساسانية أثناء حكم قباذ الأول.
- زيادة هجماته الضارية على الأراضي البيزنطية وما أحدثه من خراب وسلب ونهب، وكان يخرج من تلك الهجمات منتصراً ويحصل منها على الأموال الطائلة سواءً أ كانت غنائم أو أموالاً تسلم له فداء للأسرى الرومان؛ لذا لجأ جستنيان إلى محاولات شراء تهدئة تلك الجبهة وكف يد المنذر عن الهجوم على أراضي الدولة البيزنطية، وهذه سياسة دأبت الدولة البيزنطية على ممارستها مع عدد من الأقوام المجاورين لها في حالة تهديدها للدولة.
- انشغال الإمبراطور جستنيان في مشروعاته الحربية في الغرب وشمال أفريقيا، والتي كان يهدف منها إعادة إحياء الإمبراطورية الرومانية بإعادة ضم الولايات الغربية.

وهكذا رأينا طبيعة تلك الإعانات وأسباب دفعها للمنذر، والتي توقفت وأصبحت محط نقاش طويل استمر فترة طويلة بين الفرس والبيزنطيين. والسؤال متى أوقف دفع هذه الأموال؟ ولماذا؟.

الإعانات المالية في المفاوضات الساسانية والبيزنطية:

يبدو من رواية "منندار" التي تلقي الضوء على هذه المسألة، في الفترة السابقة لعقد صلح عام ٥٦١م والفترة التي أعقبته، أن موضوع الإعانات أثير عدة مرات. الأولى كما يبدو من روايته أثناء مفاوضات صلح عام ٥٦١م، وفي هذه الحالة يكون ذلك في عهد الإمبراطور جستنيان[٢٦]، وليس جستين الثاني الذي لم يصبح إمبراطوراً إلا عام ٥٦٥م بعد وفاة جستنيان. وكان المنذر

---

[٢٥] حول دور المنذر في هذه الحروب Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 227-231

[٢٦] Blockley, *The History of Menander*, fr.6,1, 69.

الثالث قد قُتل في عام ٥٥٤م وتولى بعده ابنه عمرو بن هند الذي كان ممتعضاً من انقطاع تلك الأموال التي كان والده يتلقاها من الإمبراطور، ومما يؤكد إثارة هذه المسألة في عهد جستنيان ذكر الكاتب توقيع الصلح الذي كان من بنوده التزام العرب الموالين لكل من الدولتين بعدم مهاجمة أراضي الدولة الأخرى[٢٧]، وذلك بعد الانتهاء من المفاوضات.

وأثيرت هذه المسألة مرة ثانية عندما قابل المفاوض البيزنطي كسرى في بيت أرامية[٢٨] شمال شرق طيفسون[٢٩] لمناقشة أمر نقل تبعية سوانيه (Suania)[٣٠] لبيزنطة. عندها أثار كسرى موضوع الإعانة المالية لعرب الحيرة، وذكر أن عمراً ملك العرب غضب من المفاوض الفارسي لأنه في أثناء مفاوضات الصلح لم يصر على حقوق الملك العربي. وكان رد بطرس (Peter) أن الأموال التي تلقاها المنذر والد عمرو من الإمبراطور لم تكن تعويضاً أو بموجب اتفاقية بينهما، وإنما هي هدايا متبادلة بين الطرفين. كما ذكر أنها لم تكن سنوية، ومع أنها استمرت فترة طويلة إلا أنها انقطعت مدة خمس سنوات[٣١]، كما أظهر سوء نوايا المنذر تجاه الفرس بقبوله هذه الإعانات إذ علل دفعها له شريطة ألا يرفع سيفه ضّد بيزنطة في حالة حدوث حرب بين الفرس وبيزنطة[٣٢]. وأردف المفاوض البيزنطي قائلاً استمر هذا الحال حتى عقدت الهدنة بين الفرس وبيزنطة والتي نصت بنودها على التزام العرب الموالين لكل منهما بعدم مهاجمة أراضي الدولة الأخرى؛ لذا لم يعد هناك حاجة لاستمرار دفع هذه الإعانات. لكن كسرى على ما يبدو لم يكن مقتنعاً بمسوغات المفاوض، ورد بما أنه قد تم تبادل الهدايا وزيارات المندوبين بين الطرفين العربي والبيزنطي قبل عقد الصلح، فمن رأيه أن تستمر بعد حلول السلام في المنطقة. لكن هذا النقاش الذي دار بين الملك الفارسي والمفاوض البيزنطي بطرس بخصوص الإعانات لم يأت بنتيجة

---

(٢٧) Blockley, *The History of Menander*, FR, 6, 1, 71-13; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 266-273.

(٢٨) بيت أرامية مدينة تقع شمال غرب بابل في المنطقة بين دجلة والفرات بالقرب من العاصمة الساسانية طيفسون؛ Shahid, Byzantium and the Arabs, 414.

(٢٩) طيفسون: هي المدائن عاصمة الدولة الساسانية.

(٣٠) سوانيه: مقاطعة في لازيكا في أسيا الصغرى.

(٣١) Blockley, *The History of Menander,* FR, 6, 1, 83.

(٣٢) Blockley, *The History of Menander*, 83.

مرضية، وعاد الطرفان لنقاش أمور أخرى كانت مازالت عالقة منذ عقد الصلح بينهما[٣٣].

هذه الإشارات السالفة الذكر تؤكد أن الالتزامات المالية التي دُفعت للمنذر من قبل جستنيان توقفت قبل عقد الصلح عام ٥٦١م، حينما كان جستنيان على قيد الحياة، وبعد وفاة المنذر في ٥٥٤م أي قبل عقد الصلح وقبل إثارة هذه القضية؛ ولذا يمكن أن يكون سبب قطعها هو:

- عدم التزام المنذر قبل وفاته بما اتفق عليه من عدم المشاركة في الحرب ضّد بيزنطة مع العلم أنه لم يكن له دور واضح في المعارك التي دارت بين الفرس والبيزنطيين عام ٥٤١م وعام ٥٤٢م، لكنه دخل في قتال متصل مع الغساسنة أتباع بيزنطة، الذين كانوا في حالة تقارب مع الدولة البيزنطية حتى أن الحارث بن جبلة الغساني شارك في حرب بيزنطة ضد الفرس عام (٥٤١-٥٤٢م)[٣٤].
- تبدل السلطة في الحيرة بعد مقتل المنذر الثالث عام ٥٥٤م وتولي ابنه عمرو بن هند السلطة خلفا له، لأن الاتفاق -لو كان بالفعل هناك اتفاق- كان مع والده المنذر لذا انتهى بموته التزام بيزنطة نحوه.
- إتمام عقد الصلح عام ٥٦١م بين الفرس وبيزنطة الذي بموجبه التزم العرب التابعون للطرفين بعدم مهاجمة الطرف الآخر، وبهذا لم يعد هناك حاجة للاتفاق مع عرب الحيرة على حدة.

لكن موضوع الإعانات المالية أطل برأسه مرة أخرى بعد وفاة جستنيان وتولي جستين الثاني عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ٥٦٥م حيث ذكر المؤرخ منندار أن جستين الثاني بعد إعتلائه عرش الإمبراطورية أرسل المدعو "يوحنا بن دومنينتولوس" (John the son of Domnentiolus) إلى طيفسون، العاصمة الساسانية، لإعلان تقلده السلطة في بيزنطة عام ٥٦٧م. وفي أثناء لقاء السفير البيزنطي مع كسرى أثار كسرى موضوع الإعانات المالية، وكرر

---

(٣٣) Blockley, *The History of Menander,* 85.

(٣٤) Procopius, *History of Wars* BK1.xviii, 1-7, 161-163,BK11, xix,8-15, 421; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 226-231

الأسباب نفسها التي سبق وأن ذكرها للمفاوض البيزنطي السابق "بطرس" بأن على بيزنطة التزامات نحو عرب الفرس، كانت تدفع لهم مقابل المحافظة على السلم في المنطقة، والكف عن مهاجمة أراضي الدولة البيزنطية، والآن يتوجب عليهم دفع ما كانوا يرسلونه لهم من أموال في السابق، وهنا رد يوحنا بأن كرم ونبل جستنيان هو ما دفعه في فترات السلم إلى تقديم هدايا مالية لعرب الفرس، وأضاف بأن جستنيان كان يدفع تلك الأموال لعرب الفرس، لكونه محباً للعطاء، وعن طيب خاطر دون أن يكون هناك اتفاق أو شروط. ومما يدل على ذلك أن ملك العرب (المنذر) كان بالمقابل يرسل الهدايا للإمبراطور جستنيان. وأضاف يوحنا قائلاً، حتى لو سلمنا بأن جستنيان دفع تلك الأموال نتيجة لاتفاقية بين الطرفين فإنها تظل سارية طوال حياته، أما بعد موته فتنتهي تلك الاتفاقية. فإن الإمبراطور جستين الثاني منعته كرامته وعدم إحساسه بأهمية هؤلاء العرب الذين اتسموا بالطمع رأوا في إيقاف هذه الأموال وقفًا لدخلهم، وحملوا الملك الساساني بصفتهم أتباعه مسؤولية إعادتها[٣٥]. وعاتب يوحنا كسرى على اهتمامه بهذا وتصديقه للعرب في إدعائهم هذا، وذكر أن جستين يريد أن يلتزم العرب بالسلم ليس بدفع الأموال لهم بل بسبب هيبته وخوفهم منه[٣٦]. وعاد المندوب البيزنطي إلى بلاده دون حل قضية سوانيه أو قضية أموال عرب الحيرة .

سفارة عمرو بن هند للبلاط البيزنطي:

أرسل كسرى في فترة لاحقة الموبذان إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور جستين الثاني لإنهاء مسألة مقاطعة سوانيه المختلف عليها بين الطرفين، وقضية أموال عرب الحيرة، وكان يرافق المندوب الفارسي وفد يتكون من أربعين رجلاً من رجالات الحيرة بأمر من الملك عمرو بن هند لمقابلة الإمبراطور نفسه ومحاولة شرح قضيتهم له مباشرة على ما يبدو لعله يتفهم الأمر ويعيد دفع المال لهم من جديد[٣٧]. لكن الإمبراطور لم يقابل المندوب الفارسي مقابلة حسنة، بل وبين له أنه

---

(٣٥) Blockley, *History of Wars*, Fr, 9, 1, 99-103

(٣٦) Blockley, *History of Wars*, Fr9.1, 101

(٣٧) Blockley, *History of Wars*,107.

لن يوافق على مطالبه، ومع ذلك طلب المندوب الفارسي الإذن من الإمبراطور بالسماح للعرب بمقابلته شخصياً وشرح القضية له. لكن الإمبراطور أعطى الإذن لواحد من هؤلاء العرب فقط لمقابلته، لأنه، وحسب ما ذكر "منندار"، كان مدركاً بأن هذا الرجل سوف يرفض أن ينفرد بمقابلة الإمبراطور دون بقية الوفد لمخالفة هذا لعادات العرب. وكان توقع جستين في محله إذ رفض رئيس السفارة العربية أن يقابل الإمبراطور منفرداً لأنه لا يريد أن يتحدث باسمهم[٣٨].

ثم عاد المندوب الفارسي بعد عدة أيام وطلب مقابلة الوفد العربي للإمبراطور، وإن من حقه أن يعطى المعاملة نفسها التي عومل بها المندوب الفارسي الذي زار بلاط جستنيان، وكان معه سفارة عربية من قبل والد عمرو وقد سمح لهم الإمبراطور بمقابلتهم جميعاً، لكن جستين أصر على موقفه، بل إنه رفض اقتراح المندوب الفارسي منح الوفد العربي شيئاً من الهدايا قبل رحيلهم[٣٩].

وهكذا فشل المندوب الفارسي في إقناع الإمبراطور بمقابلة الوفد العربي. وعاد المندوب الفارسي والسفارة العربية دون تحقيق أي تقدم في مسألة الأموال، وبطبيعة الحال كان ردة فعل عمرو بن هند على هذا أن أوكل لأخيه قابوس مهاجمة الغساسنة أتباع بيزنطة، لكي لا يظهر هذا إخلالاً بمعاهدة صلح عام ٥٦١م[٤٠].

بعد استعراض تلك الأحداث المتعلقة بتلك الإعانات يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات، لماذا أصر الفرس على مناقشة الأمر مع بيزنطة عدة مرات سواءً مباشرة مع الإمبراطور أو مع أحد مندوبيه؟ ولم أصر جستين الثاني على رفض طلب الفرس والعرب إعادة الإعانات المالية السابقة؟ ولماذا حرص ملك الحيرة عمرو بن هند أن يظل يحصل على تلك الإعانات المالية؟ لماذا أرسل عمرو بن هند هذه السفارة؟ ولماذا ضمت سفارة العرب هذا العدد الكبير؟ وما سبب رفض كبير العرب مقابلة الإمبراطور وحده دون مرافقيه، حسبما طلب الإمبراطور، ومن هو هذا الرجل الذي تزعم تلك السفارة؟

---

(٣٨) Blockley, *History of Wars*, 109.

(٣٩) Blockley, *History of Wars,* 111.

(٤٠) بيغوليفيسكا، *العرب على حدود بيزنطة*، ١٤٢.

سنحاول فيما يأتي الإجابة على التساؤلات السابقة .

- إن إصرار الفرس على استمرار بيزنطة في دفع الأموال لملك الحيرة هو حرصهم على إرضاء أتباعهم عرب الحيرة للعلاقة القائمة بينهم، حيث أدى هؤلاء للفرس خدمات كثيرة فقد حاربوا إلى جانبهم ضّد الدولة البيزنطية، كما صدوا الهجمات البيزنطية عن الأراضي الساسانية، بالإضافة إلى إخضاعهم للعديد من القبائل العربية للسلطة الساسانية، وإن كان هذا بطريقة غير مباشرة، كما خدموا مصالح الدولة الساسانية داخل الجزيرة العربية، خاصة المناطق التي لم يكن للدولة الساسانية نفوذ مباشر فيها.

- إن حصول الحيرة على تلك الأموال، سوف يخفف من التزامات الدولة الساسانية نحوهم، هناك من يرى أن الحيرة لم تكن تستلم أموالاً من الدولة الساسانية على غرار ما كان يدفعه البيزنطيون لأتباعهم عرب الغساسنة.

- رغبة الفرس في تحويل تلك الإعانات إلى إرث في أسرة آل لخم، كما فعلوا في أمر تولي السلطة في الحيرة.

- وأخيراً حرص الفرس على استمرار الصلح مع بيزنطة، خاصة أنهم حصلوا مقابل هذا الصلح على أموال طائلة إما مقابل ما تنازلوا عنه، أو ما استلموه بحسبانه جزءاً من مشاركة بيزنطة في حماية ممرات القوقاز.

- إدراك الفرس بأن عدم استمرار بيزنطة في دفع الأموال لعمرو بن هند سوف يهدد هذا الصلح، ويؤدي إلى مهاجمة عمرو بن هند لأراضي الدولة البيزنطية.

أما سبب رفض جستين إعادة دفع الأموال لملك الحيرة، ليس في اعتقادي ما كرره كل من "بطرس" و"يوحنا" مندوبي بيزنطة أو حتى ما ذكره الإمبراطور ذاته من أن تلك الأموال كانت عبارة عن هدايا متبادلة بين جستنيان والمنذر في أوقات السلم، و أنها نابعة من كرم الإمبراطور، وليس كما يدعي العرب حسب اتفاقية، لكن يبدو أن أسباب ذلك هي:

- احتقار جستين للعرب (Saracens) ويظهر ذلك من الصفات السيئة التي ألحقها بهم في أثناء

حواره مع الموبذ في القسطنطينية[٤١].

- أما السبب الحقيقي هو أن خزينة الإمبراطورية كانت خاوية نتيجة للحروب التي خاضها جستنيان في الغرب وأنهكت الخزينة، والدليل على ذلك رفض جستين منح الآفار الهدايا التي اعتادت الدولة البيزنطية إعطاءها لهم، وعندما قدم وفد من الآفار لمناقشة الإمبراطور حول إعادتها، قابل الوفد المفاوض بفظاظة لا تقل عن فظاظته مع المندوب الفارسي والسفارة العربية[٤٢].

أما لِمَ حرص عمرو بن هند على الحصول على مائة رطل من الذهب، كان والده يتسلمها من جستنيان؟ فبسبب:

- رغبته في الحصول على الذهب خاصة أن مصادر دخل الحيرة، وحسب ما أوردتها المصادر تتكون من ربع الغنائم التي يحصلون عليها من الغزو، ومن الضرائب المفروضة على القبائل التابعة لهم، والتجارة والإقطاعيات التي يحصلون عليها من الأكاسرة وفي مجملها مصادر عينية وليست عملات أو ذهباً[٤٣]، بينما كانت الدولة البيزنطية تدفع لأتباعها من العرب الذهب والفضة[٤٤]، وكانت تلك الإعانات وكما قدرها "مننددار" مائة رطل من الذهب.

- معاهدة صلح عام ٥٦١م التي نصت على التزام العرب التابعين لكل من الفرس وبيزنطة بعدم مهاجمة أراضي الدولتين؛ ما حرم عرب الحيرة من أحد مصادر دخلهم من خلال الغارات، التي كانوا يشنونها على أراضي الدولة البيزنطية وما كانوا يحصلون عليه من غنائم

---

(٤١) على أن هناك من يرى أن ما أورده مننددار على لسان جستين الثاني إنما هو يعكس وجهة نظر: Blockley, *History of Wars* , 111؛ الكاتب وليس الإمبراطور، عن هذا انظر: Baldwin, *"Menander Protector"*, 118.

(٤٢) Baldwin, *"Menander Protector"*, 93-97.

(٤٣) عن مصادر دخل ملوك الحيرة انظر: أبو البقاء، هبة الله الحلي، *المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية*، تحقيق: محمد خريسات وصالح موسى درادكة، (العين: ٢٠٠٠م)، ٢ / ٥٠٧؛ Kister, M. J., *Studies in Jahiliyah and Early Islam*, Hampshire 1980, part, III, 159.

(٤٤) Blockley, *History of Wars*, 93-97.

في تلك الغارات خاصة ما كانوا يحملونه من أموال الكنائس ونفائسها. كما اعتادت بيزنطة على دفع أموال لهم فدية للأسرى الذين يقعون في أيديهم ،كما ذكرنا سابقاً في عهد المنذر الثالث والإمبراطور جستنيان.

- أما سبب إرسال عمرو بن هند لهذه السفارة، فهو عدم ثقة الملك الحيرى بقدرة المفاوض الفارسي على إقناع الإمبراطور بأحقيته بهذه الأموال، حيث فشلت كل المحاولات السابقة ولم يتوان عن انتقاد وتأنيب المفاوض الفارسي في مرحلة سابقة، وغضب من عدم مقدرته على إقناع المندوب البيزنطي "بطرس". كما أن كل المحاولات التي قام بها الجانب الفارسي بالنيابة عن العرب حتى التي كان كسرى طرفاً فيها فشلت في تحقيق تقدم في هذه المسألة. لذا رأى ملك الحيرة إرسال سفارة ترافق المندوب الفارسي إلى القسطنطينية، ليحاول أفرادها مقابلة الإمبراطور وإقناعه بأهمية إعادة صرف الأموال لهم كما كان في السابق. وحسب رواية "مننداز" يتبين أن هذه لم تكن السفارة الأولى التي سبق للحيرة إرسالها للقسطنطينية لمقابلة الإمبراطور، ولا الأخيرة، حيث سبق للمنذر الثالث أن أرسل وبرفقة المفاوض الفارسي سفارة على ما يبدو كان حظها أفضل من التالية إذ تمكن أفرادها من مقابلة الإمبراطور، على الرغم من أن مننداز لم يذكر زمن إرسالها وسببه[٤٥].
- وأما عدد أفراد السفارة وكثرتهم فربما كان لإظهار مدى قوة الحيرة لكل من الفرس والبيزنطيين.

لم يشر "مننداز" إلى وجود رئيس للسفارة العربية، ولكن يفهم من سياق الحديث الذي دار بين المفاوض الفارسي وجستين أن هناك من ترأسها وهو الذي وافق الإمبراطور على مقابلته، ولم يرد اسمه لدى مننداز، لكن من هو رئيس تلك السفارة؟ وبما أن هذه السفارة لم تكن الأولى كما أشرنا سابقاً، فهل هذا دليل على وجود أسرة عمل أفرادها دبلوماسيين لملوك الحيرة؟ يرجح أحد الباحثين أن تلك الأسرة هي أسرة بني أيوب المسيحية التي كانت في خدمة ملوك الفرس

(٤٥) Blockley, *History of Wars*, 93-97.

والحيرة(٤٦). وأن رئيس سفارة عمرو بن هند للإمبراطور جستين الثاني عام ٥٦٧م هو عدي بن زيد الذي عمل مسؤولاً عن شؤون العرب في بلاط كسرى، كما كان مترجماً له لإجادته اللغتين العربية والفارسية، وله خبرة في العمل الدبلوماسي حيث تذكر المصادر أن كسرى أرسله في سفارة للإمبراطور البيزنطي ومعه هدايا نادرة، واستقبله الإمبراطور بحفاوة، وعندما قرر العودة حمله الإمبراطور بهدايا لكسرى(٤٧).

لذا فقد اكتسب خبرة في العمل الدبلوماسي الذي لم يكن غريباً عن أسرته؛ حيث كان والده زيد أحد الدبلوماسيين الذين رافقوا المنذر الثالث أثناء مفاوضات صلح الرملة في ٥٢٠م. ولكونه يدين بالمسيحية يرجح اختياره ليرأس هذه السفارة، ونظراً لخبرته الدبلوماسية(٤٨) أرسله الملك الفارسي إلى قيصر الروم في مرحلة تالية، دون أن تحدد المصادر متى كانت تلك السفارة(٤٩)، وأشارت إلى تكريم القيصر له وتحميله هدايا للملك الفارسي.

أما لماذا رفض هذا الفرد مقابلة الإمبراطور ومناقشته بخصوص الإعانات المالية؟ لأنه عد هذا مخالفاً للتقليد الذي اتبع أيام الإمبراطور جستنيان بمقابلته لجميع الشخصيات المرافقة للسفير، كما أنه مخالف للتقاليد العربية، لكن في الواقع السبب لم يكن هو أن عادات العرب تمنعه من أن يتحدث باسم الآخرين، بل الحقيقة أن السبب وراء رفضه هو الخوف الشديد من غضب الملك عمرو بن هند وهو من عرف عنه سرعة الغضب والحماقة وقسوته الشديدة، فقد صب جام غضبه على كثيرين وقتلوا بسبب ذلك.(٥٠)

---

(٤٦) عن دور هذه الأسرة أنظر: Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 315-318

(٤٧) لكن صاحب الأغاني لم يذكر اسم الملك الفارسي الذي أطلق عليه كسرى، مع العلم أن المصادر الإسلامية أطلقت اسم كسرى، *على ملوك الدولة الساسانية*. أنظر: الأصفهاني، أبو الفرج على بن الحسين (ت: ٣٥٦)، *الأغاني*، شرح عبد أعلى جابر، ط٤، (بيروت: ٢٠٠٢م)، ٢٩/٤.

(٤٨) عن دور عدي بن زيد، أنظر الأصفهاني، *الأغاني*، ٢/ ٩٤؛ Horovitz, J, *ᶜADI IBN ZEYD*, *The Poet of Hira*, *Islamic Culture*, 4, 1930, 38-39.

(٤٩) عن هذه السفارة، انظر الأصفهاني، *الأغاني*، ٨٥/٢.

(٥٠) عن وحشية عمرو بن هند وقسوته أنظر أمثلة لذلك في الأصفهاني، *الأغاني*، ١٩٣/٢٢- ١٩٤، وغيرها، بل إن عمرو بن هند قتل بسبب حماقته.

ولذا قدر هذا الرجل في حالة دخوله على الإمبراطور ومناقشته في الأمر، وفشله في تحقيق تقدم فيه أن ذلك سيغضب الملك الحيري الذي بدوره سيلقي باللوم عليه كما فعل عندما فشل المفاوض الفارسي في تحقيق تقدم في مسألة الإعانات أثناء مفاوضته مع المندوب البيزنطي بطرس، عندها ألقى باللوم عليه ولم يتردد في إطلاع كسرى على ذلك، وربما يؤدي فشله إلى انتقام الملك منه وقتله.

أهم النتائج:

توصل البحث إلى عدد من النتائج هي:

- بلغت الحيرة على عهد ملكها المنذر الثالث أقصى ازدهارها وقوتها العسكرية، وتمتعت بنفوذ واسع وسط القبائل العربية، ومع الفرس والروم.
- أصبحت الحيرة في القرن السادس الميلادي خطراً على الولايات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ما جعل الإمبراطور البيزنطي جستنيان في أكثر من مرة يتقرب من المنذر الثالث، محاولاً شراء ولائه ليصرفه عن ولاء الفرس، أو شراء هدوئه وكف يده عن الغارات التي دمرت الأراضي البيزنطية في المنطقة الممتدة من مصر وحتى الجزيرة الفراتية.
- اتباع بيزنطة لسياسة شراء السلام مقابل دفع أموال طائلة، إذ اتبعت بيزنطة هذه السياسة مع العديد من الأقوام المجاورين لها.
- أولت الدولة الساسانية اهتماماً كبيراً لشؤون إمارة الحيرة، يظهر ذلك من المحاولات المتكررة التي قامت بها الدولة الساسانية للمطالبة بحقوق ملك الحيرة، وإثارة الموضوع في حلقات المفاوضات التي تمت بين الطرفين، نظرا لأهمية القوة العسكرية للحيرة، خاصة في عهد كلا الملكين المنذر الثالث وابنه عمرو بن هند.
- دور عرب الحيرة في الدبلوماسية السياسية في القرن السادس الميلادي، إذ شارك هؤلاء في أكثر من سفارة، كما استقبل ملوكها العديد من السفارات البيزنطية التي تناولت الكثير من الأمور مثل إطلاق الأسرى، أو تحقيق السلام وغيرها. ويبدو أن أسرة حماد بن أيوب والتي من أفرادها عدي بن زيد خبرت العمل الدبلوماسي.

- حرص ملوك الحيرة على مصالحهم الشخصية، ولذا نجد إصرارهم على المطالبة بتلك الإعانات في مرات عديدة ما جعلهم يلقون باللوم على المفاوض الفارسي لفشله في تحقيق نجاح في مسألة إعادة صرف الإعانات المالية.
- تمثل هذه المرحلة حقبة جديدة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية تختلف عما سبق خاصة في مجال علاقتها بالعرب.

خريطة (١) توضح بعض المواقع الواردة في البحث



الدينار البيزنطي (الهرقلي) المتداول في الجزيرة العربية في صدر الإسلام وأثره في حركة التعريب

عاطف منصور محمد رمضان

تمتعت شبه الجزيرة العربية بموقع مهم بين بلدان العالم القديم، وكان يمر بها العديد من طرق التجارة العالمية آنذاك، والتي كان ينقل من خلالها العديد من السلع المهمة، ما أتاح لها الاتصال التجاري بالعديد من البلدان مثل بلاد الرافدين ومصر ودول البحر المتوسط (الإغريق- الرومان). وكان من نتيجة هذا الاتصال التجاري أن عرف العرب المسكوكات منذ وقت مبكر -في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا- حيث تعاملوا بالنقود الإغريقية، ثم بدأ العرب في إصدار المسكوكات بعد ذلك في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد[١].

وقلد العرب الطراز الإغريقي في المسكوكات والذي يحمل بالوجه رأس المعبودة أثينا والتي ترتدي خوذة مزينة من الأمام بغصن زيتون، تتدلى منه ثلاث ورقات، وقد ربط شعر أثينا بعصابة. أما الظهر فنقش عليه رسم لبومة تتجه إلى اليمين وخلفها غصن زيتون. وهذا النمط من المسكوكات المعروف بطراز أثينا ضرب في بلاد الإغريق، وبدأ تداوله في سنة ٥٧٥ ق.م. تقريبا[٢].

---

(١) جواد على، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: دار العلم للملايين، بغداد: مكتبة النهضة، ٤٩٠/٧ ؛ فرج الله أحمد يوسف، مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام، *مجلة أدوماتو*، العدد الخامس، ذو القعدة، ١٤٢٢هـ/ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٢م، ٧٣- ١٠٢ ؛ Sedov, Alexander V., "The Coinage of pre-Islamic Yemen: General *Remarks*", *Adumatu*, Vol 3. Jun. 2001, 27-38, 28.

(٢) عزت زكى حامد قادوس، *العملات اليونانية والهللنيستية*، ط١، (الإسكندرية: ١٩٩٩م)، ٧٥- ٧٦.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٣٩٥-٤١١

وقد ضربت العديد من الممالك في شبه الجزيرة العربية مسكوكات خاصة بها، ففي جنوب الجزيرة العربية ضربت بعض الممالك المسكوكات، مثل مملكة قتبان[٣]، مملكة سبأ[٤]، مملكة معين[٥]، مملكة حضرموت[٦]، مملكة حمير[٧].

وقد عرفت المسكوكات في ممالك وسط وشمال الجزيرة العربية أيضا، حيث سكتْ أنواعاً مختلفة منها، ومن هذه الممالك مملكة ديدان ولحيان[٨]، ومملكة الأنباط[٩]. وكذلك وصلنا مسكوكات من مملكة كندة[١٠]، ومدن شرق الجزيرة العربية التي ضربت مسكوكاتها تقليداً لنقود الإسكندر الأكبر، ومن أهم مراكز سك النقود في شرق الجزيرة العربية: عمان (الدور) وتقع في

---

(٣) انظر لمزيد من التفصيل: يوسف: *مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام*، ٧٨؛ De Morgan, J., *Manual de numismatique orientale, L'Antiquite et du mayen âge*. Chicago, 1979, 246; Sedov, The Coinage of pre-Islamic, 29-30.

(٤) يوسف، *مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام*، ٧٩؛ وانظر أيضًا: Cesare, A., *Il Yemen Nella Storia e Nella Leggenda*. Rome, 1933. 43-48, pl.20-21- Sedov, *The Coinage of pre-Islamic*, 30- 31.

(٥) يوسف، *مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام*، ٨٣.

(٦) انظر لمزيد من التفصيل: ستورات منرو هاى، عملات شبوة وعملات متحف عدن الوطني. شبوة: عاصمة حضرموت القديمة. نتائج أعمال البعثة الفرنسية اليمنية. المركز الفرنسى للدراسات اليمنية بصنعاء، (صنعاء: ١٩٩٦م)، ١٦٠-١٦٦؛ يوسف، *مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام*، ٨٤؛ Sedov, *The Coinage of pre-Islamic*, 32.

(٧) يوسف، *مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام*، ٨٥- ٨٦؛ Mitchiner, Michael: *Oriental Coins and Their Values, II. The Ancient, and Classical World, 600 B.C.- A-D. 650, London,1978*, 95- 96, Nos. 362- 373. Sedov, *The Coinage of pre-Islamic*, 33-34.

(٨) ف. كاسكل، المسكوكات اللحيانية، ترجمة: منذر البكر، *مجلة المسكوكات*، العدد ٥، ١٩٧٤م، ١٠٠. De Morgan, *Manual de Numismatique Orientale*, 258- 259; Korlsthnuitt- Korte, *Nabataen Coinage- part II: New Coin Types and Variants.* Numismatic Chronicle *London1990*, 107-124.

(٩) انظر يوسف، *مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام*، ٨٩ وما بعدها.

(١٠) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، *قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية*، جامعة الرياض، (١٩٨٢م)، ٢٨.

إمارة أم القوين، ومليحة، وفيلكا، وثاج، وكنزان، والجرهاء، وغيرها[١١].

ويلاحظ على كثير من هذه المسكوكات أنها عملات محلية كان يقتصر تداولها داخل المملكة التي أصدرتها، ما عدا بعض المسكوكات اليمنية (سبأ وحمير) والتيكانت تصل إلى بلاد الحجاز في التجارة، وكذا بعض المسكوكات النبطية والتيكانت متداولة مع الأقاليم المجاورة لدولة الأنباط.

أما بلاد الحجاز فإنه لم يعثر حتى الآن على مسكوكات خاصة بها. وكانت مكة مركزاً تجاريا عظيماً ولها صلات تجارية واسعة في الشمال والجنوب، وهو ما عبر عنه القرآن في سورة قريش: ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

وكانت هذه التجارة وسيلة مهمة لجلب النقود المختلفة إلى أسواق مكة فتعامل أهل الحجاز قبل الإسلام بالدنانير البيزنطية، والدراهم الساسانية، وهذان النقدان (الدنانير البيزنطية والدراهم الساسانية) كانا يمثلان النقود الدولية، والأداة فوق الإقليمية في التجارة آنذاك. هذا بالإضافة إلى بعض النقود العربية مثل النقود اليمنية، و أيضا بعض النقود الحبشية[١٢]. ولعل توافر هذه المسكوكات في مكة كان كافياً لإجراء العمليات التجارية، والرواج الاقتصادي، فلم يكن هناك ضرورة لإصدار مسكوكات خاصة بأهل مكة. وقد ظلت هذه المسكوكات متداولة في بلاد الحجاز حتى بعثة الرسول ﷺ[١٣].

---

[١١] د.ت. بوتس، مسكوكات ما قبل الإسلام في شرق الجزيرة العربية، ترجمة: د. صباح عبود جاسم، (الشارقة: ١٩٩٨م)، ١٧-٢٢؛ Morkholm, Otta, *Greek Coins from Failaka*. Kuml, 1960؛ وترجم بواسطة وزارة الإرشاد والأنباء بدولة الكويت تحت عنوان: نقود يونانية من جزيرة فيلكا، مطبعة جامعة الكويت.

[١٢] جواد علي، *المفصل*، ٧/٤٩٥-٤٩٦؛ فكتور سحاب، *إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف*، ط١، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م)، ٢٥٤.

[١٣] البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ)، *فتوح البلدان*، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت: ١٩٨٣م). الجزء الخاص بأمر النقود، تحقيق: Eustache, Daniel: *Hesperis Tamuda*, Vol. IX, Rabat, 1968, 77؛ وانظر مع مزيد من التفصيل في هذا الأمر: المقريزي، تقي الدين=

الدنانير الهرقلية:

تداول العرب النقود الذهبية البيزنطية (السوليدوس)، والتي عبر عنها المؤرخون العرب بالدنانير الرومية، أو الهرقلية، نسبة إلى الإمبراطور هرقل، والذي تولى الحكم في الخامس من أكتوبر سنة ٦١٠م، حتى وفاته في الحادي عشر من فبراير سنة ٦٤١م (٢٠هـ). وفي حقيقة الأمر إن الدينار البيزنطي كان متداولاً في شبه الجزيرة العربية قبل عصر الإمبراطور هرقل، ولكن شهرة الدينار الهرقلي والرواج التجاري الواسع له كان سبباً لنسبة الدنانير البيزنطية إليه، وارتبط اسم الدينار البيزنطي باسم الإمبراطور هرقل[١٤] -والذي كان معاصراً لظهور الإسلام وحتى سنة ٢٠هـ- وهو ما عبر عنه العرب بالدنانير الرومية، أو الهرقلية[١٥]، وقال فيه الشاعر كثير عزة[١٦]:

يروق العيون الناظرات كأنه ... هرقلي وزن أحمر التبر راجح

وكان التداول النقدي للدينار البيزنطي قد انحسر قليلاً في عهد الإمبراطور فوكاس (٦٠٢-٦١٠م) ولكنه أخذ اتجاهاً جديداً وشهرة واسعة في عهد الإمبراطور هرقل[١٧]، والذي ضرب بعض الطرز المختلفة من هذه الدنانير، ولاقت رواجاً كبيراً في التجارة في ذلك الوقت، ومن أشهرها الطراز الأول الذي ضرب بعد توليه الحكم مباشرة في سنة ٦١٠م، والذي حمل بالوجه صورة نصفية للإمبراطور هرقل، وعلى الظهر صورة إله النصر[١٨].

=أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ)، *النقود القديمة والإسلامية*، *شذور العقود في ذكر النقود*، تحقيق: رأفت محمد النبراوي، مجلة العصور، يناير ١٩٨٨م، ٩٩ - ١٠١.

(١٤) انظر عن نقود هرقل الذهبية: Wroth,W.,*Catalogue of the Imperial Byzantine Coins in the British Museum*, 2 Vols. London 1908, Vol .1, xxiii-xxvii; Grieson, Philip, *Catalogue of the Byzantine Coins in the Dumbarton Oaks Collection and in the Whittemore Collection,* II, I, Washington, D. C. 1968, 224, type IV b; Hahn, Wolfgang*, Moneta Imprii Byzantini von Heraclius bis Leo III. Alleinregierung, 610- 720, Osterreichische Akademie der Wissenschoften*, Vienna, 1981, 86

(١٥) البلاذري، *أمر النقود*، ٧٧؛ الخطابي، أبو سليمان أحمد بن محمد (ت: ٣٨٨هـ)، *معالم السنن*، طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ، (حلب: المطبعة العلمية، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)، ٣/٦٢-٦٣.

(١٦) الخطابي، *معالم السنن*، ٦٣.

(١٧) انظر: Wroth ,*Catalogue of the Imperial Byzantine Coins*, 1/xxiii

(١٨) انظر: Wroth, *Catalogue of the Imperial Byzantine Coins*, 1/184, No.1, pl.xxiii,1

الطراز الثاني بدأ سكه بين عامي ٦١٠م و٦١٣م، ويحمل بالوجه صورة نصفية للإمبراطور هرقل، وعلى الظهر الصليب القائم علي ثلاث درجات(١٩).

الطراز الثالث بدأ سكه في عام ٦١٣م حيث ظهر بالوجه صورة نصفية لكل من هرقل (يسار)، وابنه هرقل قسطنطين (إلى اليمين)، وكان هرقل قسطنطين قد ولد في ٣ مايو سنة٦١٢م، وعين ولياً للعهد في ٢٢ يناير سنة٦١٣م (وكانت وفاته في ٢٤ مايو سنة ٦٤١م)، وعلى الظهر الصليب القائم على ثلاث درجات(٢٠).

والطراز الأخير الذي نعرض له وهو أكثرها شهرة ورواجاً في التداول والذي بدأ سكه في سنة ٦٣٨م تقريباً، ويحمل بالوجه صورة هرقل وولديه هرقل قسطنطين وهرقليوناس، وكان الأخير قد ولد في سنة ٦١٥م وعين ولياً للعهد في ٤ يوليو سنة ٦٣٨م. حيث نجد بالوجه نقشاً يمثل صورة الإمبراطور هرقل (في الوسط) وولديه هرقل قسطنطين (إلي اليمين) وهرقليوناس (إلى اليسار) بيد كل منهم صليب، وعلى رأس كل منهم صليب. أما الظهر فنجد صليباً مرفوعاً على أربع درجات تحتها نقش اختصار دار سك CONOB (القسطنطينية)، وعلى يمين الصليب الحرف I، ومن اليسار الرمز h ، بينما يحيط بالظهر كتابة هامشية بالحروف اللاتينية AVCμ VICTORIA(٢١).

---

(١٩) انظر: Wroth, *Catalogue of the Imperial Byzantine Coins* Vol.1, p.185, No.2

(٢٠) انظر: Wroth ,*Catalogue of the Imperial Byzantine Coins*, 1/186, No.10; Classical Numismatic Group, Triton XI, In Conjunction with the 37th Annual New York International *Numismatic Convention*, January 2009, No.810-811.

(٢١) نايف القسوس، مسكوكات الأمويين في بلاد الشام، (عمان: ١٩٩٦م)، ٤٣، لوحة ١٦. مايكل ل. بيتس"، مسكوكات سورية في فترة الخلافة الأموية، ترجمة، د. نايف القسوس، *مجلة اليرموك*، مجلد٢، عدد ١، ١٩٩٠م، ص١٦؛ Michael L. Bates, *The Coinage of Syria Under the Umayyads*, 692- 750A. D. The Fourth International Conference on the History of Biled Al Sham during the Umayyad Period. Proceeding of the third symposium 2-7. Rabi I, 1408, A. H. 24-29 October 1987, edited by M. Adnan Bikhit & Robert Schick, Amman, 1989, 192-228, 196; Classical Numismatic Group, Triton XI, In Conjunction with the 37th Annual New York International *Numismatic Convention*, January, 2009, No.812.

النقود في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين:

ظل تداول النقود البيزنطية والساسانية في عهد الرسول ﷺ بالإضافة إلى بعض النقود المحلية الأخرى، مثل الدراهم الفضية الحميرية. وقد ورد في القرآن الكريم أسماء بعض النقود المتداولة مثل الدينار، وذلك في سورة آل عمران: آية ٧٥ ﴿ومِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ومِنْهُم مَّنْ إن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾ . ومن المعروف أن كلمة "دينار" هي كلمة أجنبية عن اللغة العربية، فهي ترجع إلى الأصل اللاتيني Dinarius Aureus ثم عربت إلى دينار[٢٢]، ومن ثم وردت هذه الكلمة في القرآن بعد استخدام العرب لها بهذا الاسم للدلالة على وحدة النقود الذهبية.

كما ورد ذكر الدرهم في القرآن الكريم في سورة يوسف آية ٢٠: ﴿وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾. والدرهم مشتق من الدراخمة اليونانية والتي اشتقت في الأصل من كلمة "درم" الفارسية، وهو الاسم الذي أطلق على النقود الفضية، وشاع استعماله لدى العرب[٢٣].

كذلك وردت كلمة الورق في سورة الكهف الآية ١٩: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ...﴾ والورق تطلق على الدراهم الفضية المسكوكة[٢٤].

وقد أقر الرسول ﷺ هذا النظام النقدي المتداول، وتعامل بهذه النقود وفرض الزكاة بها، وقد روى عن الإمام على بن أبى طالب ؓ أنه قال: "زوجني رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام

---

(٢٢) انظر لمزيد من التفصيل عن الدينار ونشأته وتطوره: ناصر النقشبندي، *الدينار الإسلامي*، مجلة سومر، السنة الأولى، ١٩٤٥، ١/١١٥- ١٣٥، وانظر أيضا: ناصر السيد محمود النقشبندي، *الدينار الإسلامي في المتحف العراقي*، (بغداد: ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)، ٩ - ١٠.

(٢٣) انظر: يوسف غنيمة، النقود العباسية، *مجلة سومر* ١٩٥٣م، ١١٥.

(٢٤) ابن يوسف الحكيم (كان حياً في ق٧- ٨هـ)، *الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة*، تحقيق: د. حسين مؤنس، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٦م)، ٣٩.

على أربعمائة وثمانين درهما وزن ستة دوانيق"[٢٥]. كذلك قسم الرسول ﷺ الدنانير التي أرسلها إليه هرقل بين أصحابه[٢٦].

ولعل هذا يؤكد قبول الرسول ﷺ التعامل بهذه النقود الدولية والتي كانت شائعة في العالم القديم آنذاك. ولم يُحدث الرسول ﷺ أي تغيير على هذه النقود من حيث الشكل أو المضمون أو الوزن، ولكنه حث المسلمين على الالتزام بوزن هذه النقود وعدم الغش فيها، فروى أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن عبدالله بن عمرو المازني قال: "نهى رسول الله ﷺ أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس"، وزاد الحاكم: "نهى أن تكسر الدراهم فتجعل فضة وتكسر الدنانير فتجعل ذهبا"[٢٧].

تداول الدينار البيزنطي:

كان العرب يتعاملون قبل الإسلام بالدنانير البيزنطية-كما سبق القول- ثم بقي الحال على ذلك في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، وعلى الرغم من سيطرة المسلمين في غضون سنوات قلائل على ممتلكات الدولة البيزنطية في مصر والشام إلا أنهم ابقوا على تداول الدنانير البيزنطية دون إحداث أي تغييرات عليها، على العكس من الدراهم الساسانية، التي بدأ العرب في سكها مع صبغها بالطابع الإسلامي منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وتجدر الإشارة إلى رواية الكاتب القبطي بسندي أسقف قفط والذي كان معاصراً للفتح العربي في عهد عمر بن الخطاب، حيث ذكر في كتابه إلى أساقفة أمته: "إن العرب أخذوا النقود الذهبية المنقوش عليها الصليب المقدس وصورة السيد المسيح وأزالوا الصليب وصورة المسيح وأحلوا محلهما اسم نبيهم محمد الذي يتبعون تعاليمه واسم الخليفة ونقشوا الاسمين معا على السكة الذهبية"[٢٨].

---

(٢٥) ابن سلام، أبي القاسم (ت: ٢٢٤هـ)، *كتاب الأموال*، تحقيق: عمر خليل هراش، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية - دار الفكر، ١٩٧٥م)، ٦٣١.

(٢٦) ابن سلام، *كتاب الأموال*، ٣٢٤.

(٢٧) أحمد صفي الدين عوض، النقود في الإسلام، تاريخها - حكمها، *مجلة أضواء الشريعة*، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٣، ١٤٠٢هـ، ٢٠٧- ٢٣٥.

(٢٨) عبدالرحمن فهمي محمد، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، *فجر السكة العربية*، (القاهرة: دار=

وفي حقيقة الأمر أن رواية بسندي ينقصها الدقة، لأن الأدلة الأثرية والتاريخية تنفي وجود سكة مصرية ذهبية عند الفتح العربي تحمل صورة السيد المسيح، لأن هذا النوع ظهر في عهد الإمبراطور جستنيان الثاني (٦٨٥- ٦٩٥م) إبان الصراع بين الدولة البيزنطية والدولة الأموية في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان[٢٩]. كما يصعب قبول أن يقوم المسلمون بعد فتحهم مصر بإصدار السكة الذهبية في تلك المرحلة المبكرة، ولكن الصحيح هو قبول المسلمين لتداول الدنانير البيزنطية والتعامل بها، وهو الأمر الذي كان قائماً منذ عهد الرسول ﷺ.

وقد بقي الحال بالنسبة للدنانير في أوائل عهد الدولة الأموية وحتى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان. وذلك على الرغم من رواية المؤرخ المقريزي عن ضرب معاوية بن أبى سفيان الدنانير، حيث قال المقريزي: "وضرب معاوية أيضا دنانير عليها تمثاله متقلداً سيفاً، فوقع منها دينار رديء في يد شيخ من الجند فجاء به معاوية ورماه به وقال: "يا معاوية إنا وجدنا ضربك شر ضرب"، فقال له معاوية: "لأحرمنك عطاءك ولأكسونك القطيفة"[٣٠].

وفي حقيقة الأمر أن الرواية التي ذكرها المؤرخ المقريزي بعيدة عن الحقيقة تماماً، وتفتقد إلى الأدلة المادية التي تؤكدها، لأنه لم يصلنا أي دنانير من عهد معاوية بن أبى سفيان، ويبدو أن الأمر التبس على المقريزي في نسبة الدنانير التي سكها الخليفة عبدالملك بن مروان، ونقش عليها صورته واقفاً متقلداً سيفه إلى معاوية بن سفيان.

ولكن الظروف التي عاشتها الخلافة الأموية أثناء تأسيسها على يد معاوية لم تكن مهيأة لمثل هذا التطور النقدي المهم، بسبب الصراعات الداخلية والخارجية التي واكبت قيامها، كما أن ضرب معاوية الدنانير ونقش صورته عليها، وتخلى الدولة الأموية عن الدنانير البيزنطية كان سيحدث نزاعاً -بلا شك- مماثلاً للنزاع الذي نشب بين عبدالملك وجستنيان بسبب ضرب

=الكتب، ١٩٦٥م)، ٥٨؛ Quatremire; *Memoires geographiques et hisetoriques sur l'Egypte*, Paris, 1811, T. I, 343- 344.

(٢٩) فهمي، *موسوعة النقود العربية وعلم النميات*، ٥٨ - ٥٩.

(٣٠) المقريزي، *شذور العقود*، ١١٤.

عبدالملك الدنانير ونقش عليها صورته[٣١]. ولو أننا قبلنا ما ذكره المقريزي فإن الدنانير التي سكها معاوية محدودة وقليلة الانتشار وهو الأمر الذي أدركته الدولة البيزنطية فلم تنزعج من هذا الإصدار لأنها عدته إصداراً محلياً وغير مؤثر على الدنانير البيزنطية المتداولة.

وفي حقيقة الأمر فإن الدولة الأموية لم تقدم على إحداث تغييرات جوهرية في النظام النقدي المتداول إلا في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان، وبصفة خاصة بعد استقرار أموره بالقضاء على حركة عبدالله بن الزبير، ولم يفكر خليفة قبل ذلك في إحداث تغيير على الدنانير خاصة، خشية إثارة غضب الإمبراطورية البيزنطية التي فقدت ممتلكاتها في الشام ومصر لصالح العرب، وارتضت –ولو شكلياً– بتبعيتهم الاقتصادية لها من خلال تعاملهم بالدنانير البيزنطية، والتي كانت تحقق مكسباً اقتصادياً للدولة البيزنطية، كانت ترى فيه تعويضاً عن فقدان أهم ممتلكاتها، كما أنها ترضى غرور الإمبراطورية البيزنطية في تعامل العرب بدنانير تحمل صورة الإمبراطور البيزنطي.

تقليد الدينار البيزنطي (الهرقلي):

نفذ الخليفة عبد الملك بن مروان حركة إصلاح واسعة في النظم الإدارية والاقتصادية، يهمنا منها حركة تعريب النقود، والتي سارت وفقاً لخطوات منظمة، تدريجية، وسوف نعرض هنا فقط لتعريب النقود الذهبية، وتقليد عبد الملك للدينار البيزنطي، خاصة الدينار الهرقلي. فقد اتخذ الخليفة عبد الملك بن مروان دينار الإمبراطور البيزنطي هرقل، والذي ضرب في القسطنطينية في السنوات الأخيرة لحكمه (٦٣٦– ٦٣٩م)، (أو من سنة ٦٣٨– ٦٤١م)، نموذجاً لتقليده[٣٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى التساؤل الذي طرحه مايكل بيتس بشأن اختيار المسلمين لهذا النموذج من دنانير هرقل لتقليده، حيث يقول: "من الصعب أن نعرف لماذا قام العرب بتقليد وجه

---

[٣١] محمد عبدالستار عثمان، دلالات سياسية دعائية للآثار الإسلامية في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان، *مجلة العصور*، مجلد٤ ، يناير ١٩٨٩م، جمادى الأولى ١٤٠٩هـ، ٣٩/١.

[٣٢] القسوس، *مسكوكات الأمويين في بلاد الشام*، ٤٣، لوحة ١٦ ؛ بيتس، *مسكوكات سورية في فترة الخلافة الأموية*، ١٦ ؛ Bates, *The Coinage of Syria*, p.196

هذه الطراز ، ففي القرن السابق لذلك كان قد سك إصدار واحد فقط يحمل صورة ثلاثة أشخاص هم هرقل وولديه ، وهو الإصدار الذهبي الوحيد في تلك الفترة الذي صدر عن القسطنطينية ويحمل صور أشخاص تظهر أجسامهم كاملة وهم وقوف بدلاً من الصور النصفية ، والسؤال لم إصدار واحد فقط؟ ، ولماذا اختير هذا الإصدار من بين جميع هذه الإصدارات؟ أهو بمحض الصدفة ، أم أن هناك مغزى لاختيار طراز ذي ثلاثة أشخاص؟ ترى من تمثل هذه الصور المعربة؟ أمن الممكن أن تمثل هذه الصور ثلاثة أشخاص عرباً؟ كما أنه لم يكن في الإسلام ترتيب لوجود خليفة مساعد كنظام الأغستاي (جمع أغسطس) والقياصرة الأقل رتبة ، الذي نجده منقوشاً على العديد من المسكوكات البيزنطية ، إنما كان الأمويون يعينون واحداً أو اثنين من أبنائهم ورثاء لهم في الخلافة يحملون لقب ولى العهد ، ففي فترة إصدار المسكوكات العربية الجديدة (وحتى وفاة عبدالملك بن مروان) كان أخوه عبدالعزيز هو المعين للخلافة حسب مشيئة أبيهم مروان ، ولم يكن هناك ولى عهد ثان ، وكما هو معروف فإنه لم يتم تعيين ابني عبدالملك وهما الوليد وسليمان إلا بعد وفاة عبدالعزيز[٣٣]".

وفي حقيقة الأمر أن الإجابة عن هذه التساؤلات التي طرحها مايكل بيتس تعد أمراً صعباً في ظل الغموض الذي يحيط بقضية التعريب ، واختلاف الروايات حولها ، وسوف نحاول الآن أن نذكر بعض الإجابات حول التساؤلات السابقة وهى تقوم على الفرض في المقام الأول. فقد تساءل مايكل بيتس عن اختيار العرب لدنانير الإمبراطور البيزنطي هرقل لتقليدها؟ ونضيف نحن تساؤلا آخر لماذا هذا الإمبراطور بالذات دون غيره؟ ، ولماذا لم يقلد العرب دنانير جستنيان الثاني الذي كان معاصراً لمرحلة التعريب؟.

ويمكن القول إن المصادر العربية قد أشارت إلى أن الدنانير البيزنطية التي كانت شائعة في التداول في عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين هي الدنانير الهرقلية -كما سبق أن ذكرت- فهي الدنانير التي كانت معروفة للعرب والمسلمين جيدا ، وكانت تلقى رواجاً تجارياً كبيراً بينهم.

ولعل هذا يلقى الضوء أيضاً على عدم تقليد عبدالملك دنانير الإمبراطور البيزنطي المعاصر

---

[٣٣] بيتس ، *مسكوكات سورية* ، ٣٩ ، هامش ٢.

جستنيان الثاني، ولعل ذلك كان بسبب الصراع السياسي والعسكري والديني بين الخليفة عبدالملك والإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني، لذلك مال عبدالملك إلى تقليد الطراز الهرقلي الشهير بدلا من تقليد دنانير عدوه اللدود الذي كان يرى في تعامل العرب بدنانير الدولة البيزنطية التي تحمل صورته -أي جستنيان- إرضاءاً لغروره السياسي وانتصاراً اقتصادياً مهماً لبلاده، وأيضاً إثباتاً لعقيدته المسيحية من خلال تلك العلامات الدالة عليها والمنقوشة على النقود.

ويغلب على الظن أن اختيار عبدالملك لدنانير الإمبراطور هرقل بالذات لتقليدها كان لأمرين مهمين، الأمر الأول وهو اقتصادي -سبق توضيحه- وهو أن الدنانير الهرقلية كانت المعروفة والشائعة لدى العرب، وكان لها قبول تجارى واسع. أما الأمر الثاني فهو دعائي سياسي وديني، لأن الإمبراطور هرقل كان معاصراً للرسول ﷺ وقد أرسل إليه الرسول ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وتكاد تجمع الروايات العربية على أن هرقل كاد أن يعتنق الإسلام لولا خوفه على نفسه من بطش الروم، وأنه أحسن الرد على رسول الله ﷺ، وبعث إليه بهدايا[٣٤]، كان من بينها دنانيره والتي قسمها الرسول ﷺ بين أصحابه[٣٥].

ولعل عبدالملك قصد من نقش صورة هرقل بالذات على دنانيره المقلدة تعريضاً بالإمبراطور جستنيان، عدوه اللدود، وأن اختيار عبدالملك لدنانير هرقل كان لحسن علاقته بالرسول ﷺ والمسلمين من قبل. ولعل من أسباب تعاطف المسلمين والعرب مع الإمبراطور هرقل، ورواج دنانيره أيضاً، وهو ما دفع عبدالملك لتقليد دنانيره أن الإمبراطور هرقل هو صاحب الانتصار علي الفرس والذي ورد ذكره في القرآن الكريم سورة الروم (آية ١-٧) وهو الانتصار الذي كان يأمله المسلمون لأن الروم أهل كتاب، ولكون المشركين قد فرحوا بانتصار الفرس على الروم، فأخبر الرسول ﷺ عن انتصار الروم علي الفرس في بضع سنين وهو ما تحقق - بفضل الله- على يد الإمبراطور هرقل[٣٦].

---

[٣٤] انظر عن دعوة الرسول ﷺ لهرقل إلى الإسلام: ابن الأثير، على بن أحمد (ت: ٦٣٠هـ)، *الكامل في التاريخ*، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ١١ جزء، (بيروت: ١٩٩٨م)، ٢/٩٥-٩٦.

[٣٥] ابن سلام، كتاب *الأموال*، ٣٢٤.

[٣٦] انظر تفسير هذه الآيات: ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل (ت: ٧٧٤ هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، ط١، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، ٢٠٠٠م)، ١١/٥- ١٥.

ويبدو من إحدى الروايات البيزنطية أن الإمبراطور جستنيان رفض الإصدارات العربية من هذه الدنانير، فيقول المؤرخ البيزنطي "ثيوفانيس" في حولياته عن سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، أن "جستنيان رفض قبول الذهب الذي قدمه العرب ضريبة له"[٣٧]. ولعل الذهب الذي قصده المؤرخ البيزنطي هي الدنانير التي سكها عبدالملك ونقش عليها صورة هرقل وبعض الكتابات العربية. ولعل رفض جستنيان لهذه الدنانير يرجع إلى أمرين، الأمر الأول يتعلق بالناحية الاقتصادية وهى قيام العرب بضرب الدنانير الذهبية والتعدي على حق الإمبراطور البيزنطي والدولة البيزنطية في هذا الشأن، والذي كان معروفاً منذ سنوات طويلة حين احتكرت الدولة البيزنطية إصدار السكة الذهبية، وعقدت لذلك اتفاقية مع الدولة الساسانية في سنة ٥٣٣م في عهد كل من جستنيان الأول (٥٢٧-٥٦٥م) وكسرى الفرس أنوشروان، وتمنح هذه الاتفاقية الدولة البيزنطية الحق وحدها -دون غيرها- في إصدار السكة الذهبية، وألا تتداول الدولة الساسانية إلا الدنانير البيزنطية، وأن يقتصر حق الدولة الساسانية علي إصدار الدراهم الفضية فقط[٣٨].

هذا بالإضافة إلى الخسائر الاقتصادية التي ستتكبدها الدولة البيزنطية من جراء إصدار العرب لسكة خاصة بهم، وعدم التعامل بالدنانير التي كانت تنتجها الدولة البيزنطية، وتحقق من وراء تعامل العرب بها ربحاً وفيراً. خاصة وأن الدنانير التي سكها عبدالملك كانت على وزن السوليدوس البيزنطي، وحاول عبدالملك أن يستخدمها نقوداً رئيسة في التعامل مع الدولة البيزنطية بدلاً من الدنانير البيزنطية، وهو الأمر الذي أثار مخاوف الإمبراطور البيزنطي من أن تلقى دنانير العرب الجديدة رواجاً تجارياً يهدد مكانة الدينار البيزنطي صاحب السمعة العالمية.

أما الأمر الثاني والذي سبقت الإشارة إليه وهو أن تداول العرب للدنانير التي تحمل صورة الإمبراطور البيزنطي كانت تمثل إرضاءً للغرور السياسي للدولة البيزنطية، فكان الإمبراطور البيزنطي يرى في تداول العرب لهذه الدنانير شيئاً من الخضوع له ولدولته، فلما سك عبدالملك هذه الدنانير وسجل عليها بعض الكتابات العربية الإسلامية، وحذف رسوم الصلبان، ونقش

---

(٣٧) *The Chronicle of Theophanes, trans.* Harry Turtledove, Philadelphia, 1982, 63- 64.

(٣٨) فهمي، *موسوعة النقود العربية وعلم النميات*، ٣٤.

صورة الإمبراطور هرقل – وليس جستنيان – وجد الإمبراطور جستنيان أن ذلك يمثل تحدياً سافراً له، فرفض قبول هذه الدنانير عندما أراد العرب دفعها في الأموال المقررة عليهم سنويا للدولة البيزنطية. وهنا تلقى الرواية العربية الضوء على جانب من هذا الصراع حين تشير رواية البيهقي إلى تهديد جستنيان لعبدالملك بن مروان بضرب دنانير عليها سب النبي ﷺ – في حالة عدم عودته إلى تداول الدنانير البيزنطية، والكف عن سك الدنانير في بلاده[٣٩].

تعريب الدينار البيزنطي:

اتخذ الخليفة عبد الملك بن مروان دينار الإمبراطور البيزنطي هرقل، والذي ضرب في القسطنطينية في السنوات الأخيرة لحكمه (٦٣٦– ٦٣٩م)، (أو من سنة ٦٣٨– ٦٤١م)، نموذجاً لتقليده، والذي يظهر عليه بالوجه نقش يمثل صورة الإمبراطور هرقل وولديه بيد كل منهم صليب، وعلى رأس كل منهم صليب. أما الظهر فنجد صليبًا مرفوعًا على أربع درجات تحتها نقش اختصار دار سك CONOB (القسطنطينية)، وعلى يمين الصليب الحرف I، ومن اليسار الرمز h، بينما يحيط بالظهر كتابة هامشية بالحروف اللاتينية[٤٠].

وقد ضُرب في المرحلة الأولي لتعريب الدينار(٧٢–٧٤هـ/ ٦٩٢–٦٩٤م) نمطان من النقود الذهبية تقليداً لهذا النموذج، النمط الأول مماثل للنموذج الأصلي تماماً، غير أن الصلبان الموجودة بأيدي الأشخاص على الوجه وفوق رؤوسهم، وكذا الصليب المرفوع على المدرجات بالظهر قد حورت حيث حذفت عارضتها العليا، وأصبحت على شكل حرف T وذلك لإبطال المغزى الديني لها. وقد وصلنا من هذا النمط أربعة نماذج تحمل أرقاماً يونانية مختلفة، النموذج

---

(٣٩) البيهقي، إبراهيم بن محمد من علماء القرن الخامس الهجري، *المحاسن والمساوئ*، (بيروت: ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م)، ٤٦٧- ٤٧٠؛ وانظر أيضا روايات مشابهة: الدميري، كمال الدين (ت: ٨٠٨هـ)، *حياة الحيوان الكبرى*، (القاهرة: ١٩٥٤م)، ٦٢/١- ٦٤؛ المناوي، محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين على (ت: ١٠٣١هـ)، *النقود والمكاييل والموازين*، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، (بغداد: ١٩٨١م)، ٦٢- ٦٣.

(٤٠) القسوس، *مسكوكات الأمويين*، ٤٣، لوحة ١٦؛ بيتس، *مسكوكات سورية في فترة الخلافة الأموية*، ١٦؛ Bates, *The Coinage of Syria*, 196.

الأول يحمل حرف إيوتا فيدل على الرقم عشرة إلى اليمين من العمود القائم بالظهر، في حين نقش الرمز الذي ظهر على النموذج الأصلي إلى اليسار(٤١). أما النموذج الثاني فيحمل "إيوتا ألفا" لتدل على الرقم ١١ (أيوتا إلى اليمين، ألفا إلى الشمال)(٤٢). والنموذج الثالث نقش عليه "أيوتا بيتا" لتدل على الرقم ١٢ (ايوتا إلى الشمال، وبيتا إلى اليمين)(٤٣) بينما نقش على النموذج الرابع "إيوتا جاما" لتدل على الرقم ١٣ (إيوتا إلى الشمال، وجاما إلى اليمين)(٤٤).

أما النمط الثاني من الدنانير المقلدة لدينار هرقل وولديه فهو يحمل في الوجه صورة لثلاثة أشخاص يرتدون ملابس عربية، تختلف عن الملابس البيزنطية التي تظهر في النمط السابق، وكذا الموجودة بالنموذج الأصلي. أما على الظهر فنجد عموداً قائماً على مدرجات أربعة ينتهي في أعلاه بكرة صغيرة، وإلى اليمين واليسار كتابة يونانية "إيوتا بيتا" لتدل على الرقم ١٢، ويحيط بهذا العمود هامش من الكتابة العربية بالخط الكوفي البسيط نصها: "بسم الله لا اله إلا الله وحده محمد رسول الله"(٤٥).

---

(٤١) بيتس، *مسكوكات سورية*، ١٦؛ القسوس، *مسكوكات الأمويين*، ٤٤؛ Bates: *The Coinage of Syria*, 197; Spink, *Important collection of Islamic Coins*, Auction Sale 18, Zurich, 18th, February 1986. No. 86,

(٤٢) انظر أمثلة لهذا النموذج: *Numismatic Fine Arts* (Encino, California) Auction II, 25- 26 March, 1976, No.513; Bates, *The Coinage of Syria*, 197.

(٤٣) *Walker, John, A Catalogue of Muhammadan Coins in The British Museum: Vol. II - Arab - Byzantine and Post - Reform Umaiyad Coins, London, 1956*, 18, No. 54; Miles, George C., *'The Earliest Arab Gold Coinage,' Museum Notes 13,* The American Numismatic Society, New York, 1967, 209, No. 4.

(٤٤) Spink, *Coins of the Arabe World, other Important Islamic Coins. In Gold, Silver and Copper.* Auction 22, Tuesday 17th, March, 1987, No. 153, Spink*, Coins of Islamic World in Gold Coins. Silver and Copper.* Auction 27, Wednesday 1st June, 1988, No. I.

(٤٥) بيتس، مسكوكات سورية، ١٦-١٧؛ نايف القسوس، مسكوكات الأمويين، ١١، لوحة ١٨؛ *Walker, A Catalogue of Muhammadan Coins,* 18, No. B.2; Bates, *The Coinage of Syria*, 197; Andrew Burnett: *British Museun Keys to the Part: The Coins of late Antiquity AD 400- 700.* London, 1977, 16, No. 38.

وفي المرحلة الثانية (٧٤- ٧٧هـ/٦٩٤- ٦٩٧م) سك عبدالملك بن مروان الدنانير ونقش عليها صورته بدلاً من صورة الإمبراطور البيزنطي، ونلاحظ التأثر الكبير بالدينار الهرقلي من خلال نقش صورة عبدالملك على هذه الدنانير والتي كانت قريبة الشبه بصورة الإمبراطور هرقل على الدنانير السابقة ما عدا بعض التفاصيل الدقيقة، حيث نجد بمركز الوجه صورة تمثل الخليفة عبدالملك واقفاً بملابسه العربية، تعلو رأسه كوفية، ويضع يده اليمنى على مقبض سيفه يهم باستلاله. وحول الصورة هامش من الكتابة بالخط الكوفي البسيط نصها: "بسم الله لا إله إلا الله وحده، محمد رسول الله"، وهى نفس العبارات التي ظهرت على دنانير المرحلة السابقة. أما على الظهر فيوجد عمود قائم على مدرجات أربعة ينتهي في أعلاه بكرة، ويحيط به (بالعمود) هامش من الكتابة الكوفية نصها: "بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ....". ٧٤هـ[٤٦]، ٧٥هـ[٤٧]، ، ٧٦هـ[٤٨]، ٧٧هـ[٤٩].

وقد أشار مايلز إلى أن السبب في إصدار عبدالملك لدنانيره على هذا الطراز هو قيام الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني بإصدار دنانير في سنة ٧٢هـ/ ٦٩٢م عليها صورته واقفاً يحمل صليباً، وعلى الظهر الصليب المرفوع على المدرجات، لذلك رد عبدالملك بإصدار هذه الدنانير ونقش عليها صورته، وهو يمسك بمقبض سيفه يهم باستلاله[٥٠]. والسيف هو رمز الإمامة

---

(٤٦) يوجد نموذج وحيد مؤرخ بسنة ٧٤هـ محفوظ بمتحف كراتشي انظر: Miles, George C., *The Earliest Arab Gold Coinage*. 212, No. 141, pl. XLVI, fig, 2.

(٤٧) يوجد نموذجان من دنانير سنة ٧٥هـ الأول محفوظ بجمعية النميات الأمريكية انظر: Miles, *The Earliest Arab Gold Coinage*, 212, No. 15, pl. XLVI, fig. 3.

(٤٨) يوجد نموذجان من سنة ٧٦هـ، الأول محفوظ بالمكتبة الأهلية في باريس: Lavoix, Henre, Catalogue des monnaies musulmanes de la biblitheque nationale, Vol. I: khalifes Orientaux. Paris 1887. No.1677;

والثاني في المتحف البريطاني بلندن: Walker, *A* Catalogue of Muhammadan Coins, 42, No. 13, pl. VIII.

(٤٩) هناك نماذج متعددة من سنة ٧٧هـ، منها نموذج نشره شتيكل في مجموعة جامعة جينا بألمانيا: Stickel, J.G., *Handbuch Zur Morgentandischen Munzkunde,* 1845-1870, pl. II, No. 34; ونموذج بالمتحف البريطاني Walker: *A Catalogue of Muhammadan Coins*, 43.

(٥٠) Miles, *The Earliest Arab Gold Coinage*, 214-216.

والجهاد عند المسلمين- ولعل ظهور عبدالملك في هذا الوضع فيه تهديد غير ظاهر لجستنيان الثاني بأن عبدالملك سيواصل جهاده ضد البيزنطيين، لذلك فهو على أهبة الاستعداد لقتالهم، كما يتضح من خلال وضع يده على مقبض السيف ليهم باستلاله.

غير أن مايكل بيتس لا يوافق على رأى مايلز معتقداً بأن التاريخ الذي صدر فيه دينار جستنيان الثاني وهو سنة ٦٩٢م غير مؤكد ويعتمد على التخمين[٥١].

انتهت مراحل التعريب السابقة إلى ضرب أول دينار عربي إسلامي حيث اختفت تماما التأثيرات البيزنطية، وحمل الدينار الجديد ملامح شخصية الدولة الإسلامية الدينية والسياسية، وكان أول إصدار لهذا الدينار العربي الإسلامي في سنة ٧٧هـ[٥٢]، وجاءت نصوص كتاباته على النحو التالي:

الوجه:	الظهر:
مركز: لا إله إلا	مركز: الله أحد الله
الله وحده	الصمد لم يلد
لا شريك له	ولم يولد
هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.	هامش: بسم الله ضرب هذا الدينر (في) سنة سبع وسبعين.

ويلاحظ على كتابات هذا الدينار أنه يحمل شهادة التوحيد كاملة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" بكتابات المركز، وهى تمثل الركن الأول في العقيدة الإسلامية ولا يصح الإسلام إلا بها. كما جاء بكتابات الهامش الاقتباس القرآني من سورة الفتح: آية ٢٨، الصف: آية ٩،

---

[٥١] بيتس، *مسكوكات سورية*، ١٨- ١٩.

[٥٢] وليم قازان، *المسكوكات الإسلامية*، (بيروت: ١٩٨٣م)، رقم ١؛ محمد أبو الفرج العش، *النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني*، ج١، (الدوحة: ١٩٨٤م)، رقم ٢٠٠؛ Walker: *A Catalogue of Muhammadan Coins*, 48, No. 186.

ونصه: ﴿محمد رسول الله أَرَسلَهُ بِالْهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وهذا الاقتباس يشير إلى الرسالة المحمدية والمتمثل الركن الثاني للعقيدة الإسلامية، ولا يصح إسلام المرء بدونها أيضاً.

أما كتابات الظهر فنجد أن المركز نقش به الاقتباس القرآني من سورة الإخلاص "الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد"، ويشير هذا الاقتباس إلى تفرد المولى سبحانه وتعالى بالوحدانية وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وذلك أيضا من أساس العقيدة الإسلامية[٥٣]، وقد جعل الرسول ﷺ قراءة سورة الإخلاص أنها توازى ثلث القرآن الكريم، لأنها تشتمل على أهم مبادئ العقيدة الإسلامية. أما كتابات هامش الظهر فدون بها البسملة غير كاملة وتاريخ الضرب.

ولم تكن الكتابات التي سجلت على الدينار (والدرهم) الإسلامي عند تعريب عبدالملك للنقود ذات دلالة دينية فقط، ولكن كان لها دلالات سياسية بالغة الأهمية، حيث كان نقش هذه الكتابات يمثل تعريضاً بالدولة البيزنطية وعقيدتها، والتي سبق أن تعامل المسلمون بنقودها بما تحمله من رموز مسيحية. وتشير شهادة التوحيد بمركز الوجه، والاقتباس القرآني من سورة الإخلاص بمركز الظهر إلى الوحدانية المطلقة لله سبحانه وتعالى، وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وفي ذلك رد على عقيدة الدولة البيزنطية التي تزعم بأن الله –سبحانه وتعالى– ثالث ثلاثة (الأب والابن والروح القدس)، كما تزعم أيضا بأن المسيح هو ابن الله. كما أن الاقتباس القرآني ﴿محمد رسول الله أَرَسلَهُ بِالْهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ يشير إلى أن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وصاحب الدين الحق الذي أظهره الله على سائر الأديان والمعتقدات، ولو كره المشركون، والجاحدون لرسالته.

---

(٥٣) انظر دراسة مفصلة عن هذا الأمر: محمد عبدالستار عثمان، *دلالات سياسية دعائية للآثار الإسلامية في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان*، ٥٦-٦٣.

ملخصات الأبحاث الإنجليزية والفرنسية

وثيقتان يونانية وعربية غير منشورتين من قبل

علية حنفي

الهدف من هذه الورقة هو التعامل مع وثائق البردي اليونانية والعربية التي كُتِبت لليونانيين والعرب الذين عاشوا على أرض مصر في العصرين اليوناني والروماني والفترة المبكرة للعصر العربي. وسوف نرى جزءا من حياتهم من خلال الكتابة الفعلية الخاصة بها على أوراق البردي.

١- **قائمة بأشخاص مع ذكر أعمارهم**: هذه الوثيقة من وثائق المتحف المصري، وهى من القرن الثاني الميلادي. وهى الجزء الأوسط من وثيقة أكبر تندرج تحت نوع من الوثائق الرسمية التي يسجل فيها الأشخاص، وهي جزء من سجلات بأسماء عبيد وأعمارهم، ولا يعرف مكان اكتشافها. وليس هناك الكثير مما يمكن استخلاصه بشأن طبيعتها والغرض من تسجيلها، وربما كان تسجيلهم بغرض فرض ضرائب. ويمكننا القول أن النص ينقسم إلى عدد من الأعمدة، كل منها يبدأ بخط ثم تسجيل اسم الشخص وعمره. وقد كتبت الوثيقة بخط متصل الحروف وظهرها خال من الكتابة.

٢- **قائمة أسماء عربية**: هذا البردية تنتمي إلى مجموعة المرحوم الدكتور حسن رجب وهى محفوظة الآن في جامعة عين شمس، بمركز الدراسات البردية والنقوش (ACPSI) وقد كتب على وجه الوثيقة قائمة بأسماء لأشخاص كلهم من المسلمين. والغرض من هذه القائمة غير معروف، وربما تخص ضريبة من الضرائب. وهى تسجل اسم الشخص ووالده. وقد كتب على ظهر الوثيقة رسالة خاصة، ربما قد تؤرخ بالقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

التبشير المسيحي في جنوب الجزيرة في القرن السادس بعد الميلاد – حقيقة وأسطورة

ألبرت بيرجر

لم تكن البلاد العربية قبل الإسلام موحدة في ديانتها ؛ وذلك لأن معظم سكانها قد توارثوا العادات العربية القديمة، وكانت هناك أقلية من اليهود الذين عاشوا في أماكن متفرقة من الجزيرة ومجموعة من المسيحيين الذين تمركزوا – في المقام الأول ـ في مدينة نجران. في سنة ٥٢٢ احتل الملك اليهودي ذو نواس (يوسف) نجران وأمر بذبح السكان المسيحيين وزعيمهم اريتاس (حارث بن كعب). وفي سنة ٥٢٣ أرسل الأحباش –كرد فعل– حملة إلي اليمن أطاحت بذي نواس، ونصب ملك مسيحي جديد على ظفار. وبعد فترة الحكم الطويلة للملك أبرهة وبنيه (٥٣٠–٥٥٨)، انتهى الحكم الحبشي سنة ٥٧٠ وأصبح الجنوب العربي تحت الحكم الفارسي حتى مطلع الإسلام.

إن مصادرنا الرئيسة لهذه الأحداث هو "استشهاد الحارث"الذي يعد وثيقة معاصرة لحياة جريجينتيوس (سيرة قديس) –قد كتبت في القرن العاشر في اسطنبول– تصف رحلة التبشير في اليمن بعد الحملة الحبشية. ومن الجلي هنا أنها قد استخدمت مصدراً قديماً فيما يتعلق بهذه الأحداث في اليمن، ولكن من الواضح أن جريجينتيوس أول أسقف أو رئيس الأساقفة لظفار هو شخصية وهمية تماما.

بتحليل هذا النص ومقارنته بمصادر أخرى يتضح أن اعتناق اليمنيين للمسيحية ليس إلا نتاج خيال الكتاب المسيحيين المتأخرين. فالمسيحية لم تكن أبدا مسيطرة على أي مدينة عربية عدا نجران ثم انتهت تقريبا كليا بطرد أهلها وإقامتهم بالقرب من الكوفة بين النهرين في السنوات التالية لعام ٦٣٨.

أصداء الفتوحات العربية الإسلامية في النصوص البيزنطية وتطور العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين

محمد الطاهر المنصوري

نظر البيزنطيون والأرمن إلى الفتوحات الإسلامية في إطار نظرة تطورية غير ثابتة مرتبطة الاحتكاك بين الطرفين ومرتبطة بتقدم معرفة الآخر. وفي هذا الإطار مرت الفتوحات العربية الإسلامية في عيون البيزنطيين والأرمن من صورة العقاب الإلهي إلى المؤامرة اليهودية إلى الاعتراف بالإسلام دينًا وبمحمد عليه السلام نبيًا وهو ما سهل عملية الفتح.

وقد تمت هذه العملية بعد المصادمات الأولى بشكل يغلب عليه الطابع السلمي في إطار تفاوضي. وقد دارت أغلب هذه المفاوضات بين قواد الحملات الإسلامية ورؤساء الكنائس، ودون الرجوع إلى السلطة المركزية البيزنطية، وقد نتج عن ذلك دمج بلاد الشام في بوتقة العالم الإسلامي وهو ما سيكون له أثره على تمادي العرب في الفتوح، وعلى نشوء مجتمع مختلط فيه المسلمون والمسيحيون الشيء الذي سيسهم في تطور العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين.

فعلى الرغم من حالة الصراع الدائمة على الحدود بين عالمين مختلفين، نشأت علاقات ودية على المستوى الرسمي، ممثلة في تبادل السفارات والهدايا وفي تحسن لغة الخطاب بين الطرفين، كما عرفت المناطق الحدودية تمازجا بين السكان بفعل التزاوج المختلط والذي حفظت لنا منه الآداب البيزنطية كما الآداب العربية بعض الخطوط العريضة لهذا التعايش، الذي يمكن أن نسميه تعايش الثغور.

ونتيجة لهذا التطور في العلاقات تطورت النظرة المتبادلة بين الطرفين، وانتقل الفكر في كلا المجالين من مرحلة "الاستعلاء الثقافي" إلى مرحلة الاعتراف بالآخر المختلف.

الجزيرة العربية في المصادر الرومانية: الأدلة في الشعر اللاتيني

ماجدة النويعمي

يتناول هذا البحث كيف كانت الجزيرة العربية دائمة الحضور في الفكر الروماني القديم، حيث كان لها إسهامها في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للحياة الرومانية قديما.

يميل الدارسون في العصر الحديث إلى التركيز على الكتابات الكلاسيكية النثرية التي تتناول الجزيرة العربية، وأبرز مثال على ذلك كتابات الكاتب الروماني بلينيوس الأكبر. ولكن في تصوري أنه من الضروري أن نوجه اهتمامنا كذلك إلى المعالجات الشعرية الرومانية للجزيرة العربية، بوصفها سندًا إضافيًا للمؤرخ، طالما أن الشعراء الرومان -وخاصة في العصر الأوغسطي- استخدموا الشعر للتعبير عن آراء صحيحة، خاصة عن المنطقة التي أطلقوا عليها "العربية السعيدة".

وخطتي في بحثي الحالي أن أتناول عددا من القصائد اللاتينية، بوصفها دليلا من نوع آخر من المصادر الكلاسيكية يختلف أيما اختلاف عن تلك التي يهتم المؤرخون دوما بها، وإن اتفقت جميعها في المعلومات.

وقد كان لأقوال الشعراء الرومان عن الجزيرة العربية مغزى واضح على علاقات روما بها، وإفادتها الكبيرة منها. وقد اتضح أن الشعراء الرومان كان لديهم ولع شديد بالحديث عن هذه المنطقة. ومن هذا الاهتمام اتخذت نقطة بداية انطلقت منها إلى إيضاح أمور ثلاثة في المعالجات الشعرية الرومانية:

أولاً: الفكرة الملحة عن ثراء الجزيرة العربية، وهذا هو لب القضية بالنسبة للرومان.

ثانيًا: إسهام الجزيرة العربية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية للحياة الرومانية.

ثالثًا: حملة الوالي الروماني إيليوس جالوس على الجزيرة العربية.

القلزم في مصادر العرب الأدبية والوثائقية

طارق منصور

يحتل ميناء القلزم مكانة مهمة على ساحل خليج هيرونوبوليس، حيث كان يقع على بعد ٤٠كم شمال السويس قديما، فمنذ إنشائه كانت السفن التجارية المصرية تخرج منه إلى بلاد الهند والصين والحبشة وبلاد العرب؛ ثم سرعان ما أضيف إليه نشاط جديد بعد انتشار الإسلام، حيث أصبح محطة رئيسة لنقل الحجاج القادمين من بلاد المغرب ومصر إلى بلاد الحجاز؛ ومع ازدياد التوسع البحري العربي أضيفت إليه مهمة جديدة أيضا، حيث أصبح ترسانة بحرية لتصنيع السفن للأسطول العربي، فأصبحت به دار لتصنيع السفن إلى جانب الإسكندرية وتنيس.

ولم تظل تلك الأهمية لميناء القلزم ثابتة، بل تأرجحت من عصر إلى آخر، فمع انحسار قناة أمير المؤمنين (تراجان سابقا) التي كانت تربط بين نهر النيل قبالة الفسطاط والبحيرات المرة شمال القلزم، والمجاعات والشدائد التي حلت بمصر من حين إلى آخر، وهجمات قطاع الطرق واللصوص على القلزم، وازدهار ميناء عيذاب في جنوب مصر على ساحل البحر الأحمر في العصر المملوكي وسحبه البساط من تحت أقدام القلزم، وأخيرا ظهور الصليبيين في مياه البحر الأحمر ومدينة أيلة، كل هذه العوامل أدت إلى انهيار الميناء وتلاشي أهميته وسرعان ما انتهى به الحال إلى خرائب في القرنين الحادي عشر والثاني عشر. ولعل مما زاد الأمر سوءًا هو ظهور ميناء السويس الحديث في العصر المملوكي الثاني أيضا.

ويكمن الحافز وراء إعداد هذه الدراسة هو أن جزءًا من مادته العلمية، أعنى المادة الوثائقية، مدونة باليونانية والقبطية في الوثائق البردية، وأغلبها لا توجد له ترجمة بلغة حديثة، وهي الوثائق الرسمية الصادرة عن ديوان الوالي في الفسطاط، والتي توفر مادة علمية غزيرة عن هذا الميناء.

وقد تطلبت الدراسة تخصيص محور في مستهل البحث عن القلزم في مصادر ما قبل العصر الإسلامي، لتلقي الضوء على هذا الميناء من خلال المصادر البيزنطية اليونانية واللاتينية الغربية؛ يليه المحاور التالية: القلزم ميناءً تجاريًا، القلزم ميناء للحج الإسلامي، القلزم دارًا لصناعة السفن.

مصادر المعلومات عند البيزنطيين عن الجزيرة العربية في حقبة ما قبل الإسلام

بانايوتيس يانوبولوس

اهتم المؤرخون والإخباريون البيزنطيون الأوائل الذين ذكروا شبه الجزيرة العربية بعدد من الموضوعات، مثل البلاد، والأقوام، والأديان، والعلاقات بين العرب والإمبراطورية البيزنطية، والعلاقات بين القبائل العربية. وتمثل عملية التحقق من هذه المعلومات القيمة التاريخية لها، كما أن مقارنة النصوص التاريخية يسمح بتصنيف للمصادر إلى قسمين: المصادر غير الأصلية والمصادر الأصلية.

إن المعلومات الواردة في المجموعة الأولى من هذه المصادر محدودة القيمة.لأن الكتّاب اكتفوا بإيراد معلومات يسيرة وعامّة (أواغر، وزوسيموس، وأوسابيوس من قيصرية)، أو عمدوا إلى نقلها عن مصادر أخرى (تيوفيل سيموكاتا، وجون سكايلتزس...). ولا نجد سوى أربعة مصادر فقط قدّمت معلومات مهمّة غير واردة في كتب أخرى، وكتابها هم كل من بروكوبيوس، وكوزماس، وجان مالالاس، وتيوفان.

وبروكوبيوس(٤٩٠/٥٠٧– ٥٦٢) هو المؤرخ الرسمي للإمبراطور جوستنيانوس الأوّل، كان قد رافق بيليسير في الحرب الأولى بين الإمبراطورية وفارس (٥٢٧– ٥٣١) بصفة مراقب، ذكر في تاريخه معلومات عن عرب الشمال، الذين شاركوا في الحرب حلفاء للأطراف المتقاتلة، وقد جاءت هذه المعطيات خاصة به، علما أن بروكوبيوس خصص فصلين لسكان ضفتي البحر (العرب والأحباش). تبيّن دقّة المعلومات أنها مستقاة من وثيقة رسميّة، وبالتأكيد من تقارير السفراء، بما أن بروكوبيوس يمكنه الوصول إلى مثل هذه الوثائق.

إن حوليات ثيوفان (٧٥٩– ٨١٨) تبدو الأكثر بعداً عن الوقائع التاريخية، لكنها تمثّل المصدر الأكثر ثراء بالمعلومات عن العرب. وبخصوص مرحلة ما قبل الإسلام استمدّ المؤلف مادته من بروكوبيوس وأواغر ومالالاس وتيوفيل. أما مصدر نسب الرسول فيبقى غامضا. وهذا ما يطرح مشكلة المصادر المفقودة حاليا، والتي تتحدث عن شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. ومن بين الفرضيات المحتملة، أرجحها أن يكون المصدر سوريًا.

تقدم العرب في القسم الجنوبي من طريق الحرير، فروم جيسار وفو لين المصادر الصينية

استفانوس إم. كردوسس

لقد قاوم كل من الأتراك وHephthalite الذين يقطنون زابُلستان تقدم العرب نحو مناطق جنوب نهر أوكسس. وكان كل من فولن كيبو أو فرومو سيزرو الذي حكم Kapisa منذ عام ٧٣٨م وحتى عام٧٤٥م وابن الملك التركي في Kapisa أوسان أبرز منظمي المقاومة. وقد صادف بلوغاسم أو لقب فورمو سيزر أو جروجو سيزر الشرق الأوسط وجوده أيضا في الملاحم الشفوية للتبت ومنغوليا.

ولم يعد اسم أو لقب فولن (روما- بيزنطيين) كما أصبح معروفا منذ فترة قريبة مرتبطا بلقب الإمبراطور البيزنطي، أو بسمعة الانتصار العظيم ضد العرب عام٧١٧م، أو اعتماد Hephthalite. الذين يعدون أنفسهم ورثة الحضارة الإغريقية للقب كما اقتُرح سابقا؛ بل كان مرتبطًا بوجود منطقة Kapisa والتي كانت تحمل اسم فلن (الدولة الرومانية) والتي ارتبطت بتسمية محلية لأرضي وانا أويونا (أرض الإغريق). وقد أصبح من المؤكد الآن أن اسم فلن فرومو قيصر ملك Kapisa التركي مرتبط ارتباطًا غير مباشر بالغرب (روما) ولكنه نشأ بشكل مباشر من منطقة القوقاز (هندوكوش) في الهند المكان الذي يمكن من خلاله تتبع السكان الإغريقيين في القرون النصرانية الأولى.

يبدو أن أسطورة فرومو سيزر انتشرت في آسيا الوسطى والشرق الأقصى من خلال التقاليد البوذية، عندما كان فرومو يعد أحد أبناء السماء الأربعة. وبهذا يمكننا أن نفسر وجود فرومو سيزر في الشمال لدى هذه المعتقدات. يلتقي مفترق الطرق التجارية ذات الأهمية القصوى في المنطقة الأوسع من Kapisa. كما يتقاطع الطريق الذي يربط الغرب بالهند عن طريق الإسكندرية مع الطريق الذي يربط آسيا الوسطى والصين بالهند عن طريق شمال باكستان الحالية.

وهذه الحقيقة جعلت الصينيين ينسبون أهمية كبيرة لـ Kapisa وأن يحاولوا السيطرة عليها بكل الطرق الممكنة، وفي الوقت نفسه أخذ التدابير اللازمة لتجنب وقوعها تحت تأثير العرب والتبت.

البلاط البيزنطي والخلافة العربية:
محاولات التقارب المتبادلة في ذروة الصراع البيزنطي- العربي في القرنين (٩ – ١٠م)
صوفيا باتورا

هناك أمثلة كثيرة جدا عن العلاقات السلمية بين العرب والبيزنطيين والتي لا يمكن تلخيصها في ورقة واحدة. ومع ذلك، تسمح الأمثلة المشار إليها هنا باستخلاص استنتاجات عامة معينة.

فيما يخص موضوع السجناء، فإن النقطة المرجعية الأساس في هذا العرض، على ما يبدو، استخدام مبدأ التبادل الرسمي ودفع الفدية وسيلة تكتيكية من قبل الطرفين، وطريقة للحفاظ على التوازن ما بين القوتين. واستخدم أيضا وسيلة لكسب التأييد لضرورة استمرار الحوار المتواصل، وإنشاء خطوط اتصال بين العالمين على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية.

وعليه يمكن أن يلاحظ أن العلاقات الدبلوماسية العربية -البيزنطية تحركت على محورين منفصلين ومتمايزين: إحداها الدبلوماسية القاسية في سياق اختيار السفراء، وبعث الخطابات والهدايا وأحيانا السجناء من إمبراطورية إلى أخرى بهدف التفاوض على معاهدات السلام، والهدن وتبادل الأسرى أو دفع الفدية عنهم، ولكن كان هناك أيضا دبلوماسية أكثر تحررا، وأكثر مرونة والتي كانت تجري مبدئيا على مستوى الاتفاقيات، وشملت النشاطات الثقافية وعلاقات الصداقة من قبل الجانبين، وحتى جهود تطوير الحوار الفكري والروحي المبني على الاختلافات العقدية بين العالمين المسيحي والإسلامي. ونتيجة للحرب وأثرها -والتي كانت خطرة ومؤلمة بنفس النسبة لكلا الجانبين – وبالإضافة إلى الاعتراف المتبادل بحجم الدولة الأخرى وقوتها، فقد شيد البلاط البيزنطي والخلافة العربية الثوابت التي على ضوئها قامت العلاقات السلمية والصديقة -وكذلك العلاقات المعادية- بين الطرفين.

المراجع البيزنطية عن النباتات والحيوانات من شبه الجزيرة والتقاليد الكلاسيكية اليونانية (من ٤ إلى ١٢ م)

ماريا لونتسي

عبر الكتاب البيزنطيون أمثال أجدادهم المثقفين من اليونان في كثير من الأحيان عن إعجابهم بالبضاعة الفاخرة سواء المواد الأولية منها مثل الحرير والعاج والأحجار الكريمة أو البضائع الثمينة مثل العطور والتوابل أو الحيوانات الغريبة. وأن التعطش لاستيراد البضائع الفاخرة روي من خلال التجارة مع الشرق. ويبدو أن التعاملات التجارية مع الشرق استمرت، كما قام طبقة علية القوم في الإمبراطورية البيزنطية طيلة فترة وجودها بشراء الكميات الضخمة من تلك السلع. وقامت كل من الدبلوماسية الإمبراطورية والسياسات المالية بتنظيم وإدارة كمية ونوعية تلك السلع المستوردة بهدف المحافظة على إيرادات تلك السلع وتعزيزها وزيادة تدفقها للمناطق التابعة لها. وصفت التدابير ذات العلاقة بالتجارة الشرقية في النصوص القانونية البيزنطينية المختلفة، بينما تدل القرارات الصادرة من أجل الإشراف على النقابات في القسطنطينية على أن المواد الأولية والتي منشؤها الشرق تمد سوق العاصمة البيزنطية. المعلومات ذات الصلة بأصول تلك البضائع غامضة أحيانا، وذلك لأن الأعمال التاريخية والأدبية نادرا ما تذكر مثل هذه الأنشطة. وعلاوة على ذلك يؤدي تطابق أسماء المناطق والبلدان أو المناطق الواسعة من الشرق في النصوص إلى خلط البيانات الجغرافية القديمة على الأقل من حيث تعاريف عصرنا الحديث.

أخذت عمليات الثناء على البضاعة الغريبة الدخيلة في النصوص القديمة الطابع الكلاسيكي واتبعت أسلوب التقليد والمحاكاة الأدبية ضمن الإطار الأدبي. تضم المعلومات الأثرية بالتوازي مع الأعمال التاريخية وبخاصة السجلات المدرجة في الروايات التحليلية المروية في موسوعاتهم حول أماكن وبلدان الشرق معلومات بيئية حقيقية أو وهمية في بعض الأحيان بما في ذلك بيانات عن النباتات والحيوانات. قدمت بعض الروايات التي اتبعت روح التقاليد البابوية بعضاً من هذه الأماكن وملحقات من المناظر الطبيعية السماوية على الأرض. كما قدم المؤرخون الدينيون معلومات عن النباتات والحيوانات في الأراضي الشرقية والجنوبية. وقد عملت الإشارة إلى النباتات والحيوانات في النصوص البيزنطية على استمرار الصورة المثالية لوفرة المصادر الحيوانية والنباتية في أراضي اليمن السعيد.

العلاقات الشرقية في الأدب البيزنطي الوسيط: حقيقة الاختيار

نيك كوتراكو

إن مفهوم وجود طريق بحري عبر المحيطات تمر منه المنتجات الفاخرة من الهند نحو بيزنطة، ولا سيما من شبه الجزيرة العربية وأعالي جنوب النيل ومصر، والذي يؤدى إلى توسيع نطاق مفهوم العلاقة الفاخرة الشرقية، لم يتوقف خلال القرون البيزنطية الوسطى، وبقيت حية من خلال النصوص الأدبية، والقصص الرومانسية، وأعمال سير القديسين. وخصوصا القواميس والمختارات التي تعود إلى مصدر هذا النوع من المعرفة، مثل الجغرافيين اليونانيين القدامى الذين كانت أعمالهم معروفة وكان يدرسها العلماء البيزنطيون واستخدمت في التعليم. وفي نفس الوقت ثُبِّت هذا المفهوم ليس فقط في المراجع القديمة حين يلمح إلى الأحداث المعاصرة (مثلا شرح تقريبي لتطابق شخصيات وهوية الأسماء والشعوب القديمة مع الحقائق البيزنطية المعاصرة، كما هو في حالة المؤرخ عندما أشار إلى توماس أتباع السلافونية كما هو مذكور أعلاه) ولكن أيضاً عن طريق المنتجات الشرقية والحيوانات الغريبة التي وجدت طريقها إلى الإمبراطورية، حتى لو كانت بعدد أقل عن ما كانت عليه في العصور القديمة. هذا التصور طابق الواقع مرة أخرى في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين من خلال نمو التجارة بين الإمبراطورية البيزنطية والأراضي الإسلامية، ولا سيما مصر الفاطمية. وعثر بين الكتابات الأدبية على براهين جديدة تثبت صحة المنتجات الفاخرة التي وصلت مرة أخرى إلى العاصمة البيزنطية عن طريق التوابل القديمة. كان هذا بمنزلة إعادة تأكيد (في واقع آخر للتجارة، على أن المركز انتقل أكثر إلى الشرق)، على الربط مع الهند، وحال التوابل العربية ومصر في نوع من العلاقة الشرقية الفاخرة في العقلية البيزنطية.

روما وشبه الجزيرة العربية. الدور الآرامي

جون ف. هيلي

يمكن لنا تسمية المنطقة الواقعة بين الإمبراطورية الرومانية وشبه الجزيرة العربية خلال القرن الأول الميلادي بالهلال الآرامي، المعادل لمصطلح الهلال الخصيب. وهذه المنطقة استوطنت خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى الخامس الميلادي بأقوام تحدثت باللغة الآرامية؛ ومعظم هؤلاء كانوا في المدن مثل: الرها، وتدمر، والحضر حيث ورث هؤلاء اللغة والثقافة الآرامية التي كانت متأصلة بالمنطقة لمدة طويلة.

ويظهر أن هناك أقواماً أخرى -من أصول عربية شمالية تبنت الثقافة واللغة الآرامية ويمثلها بكل وضوح الشعب النبطي؛ كما أن اللغة الآرامية -كما تشير النقوش الحديثة- قد انتشرت في الخليج العربي.

وتهدف الورقة إلى إلقاء الضوء على الدور الآرامي بين الإمبراطورية الرومانية وشبه الجزيرة العربية مع توضيح هذا الدور وجذوره القديمة وحتى الفترتين البيزنطية والإسلامية. وكان قد اُقترح أن الآرامية وتلك الثقافات المرتبطة بها كان لها الدور الأكبر في التأثير المتبادل بين روما وشبه الجزيرة العربية.

وهكذا كما كان في الفترات الآشورية والبابلية والفارسية أدى الهلال الآرامي دورا متميزا في التقاء الثقافات.

امتداد بسيط في الأرض وتأثيره على التقنيات البحرية: مقارنة للملاحة التقليدية في البحر الأحمر والمحيط الهندي والبحر المتوسط

الكيفياديس جيناليس

إن من بين أحد المظاهر الأساسية والمهمة في تاريخ الصناعة البحرية هو مسألة تطور بناء السفن وممارساتها قي مناطق معينة. وهذا التحول لم يحدث بشكل مستمر ولا في وقت قصير. ففي البحر المتوسط والبحر الأحمر إضافة إلى المحيط الهندي وبخاصة في الفترة بين القرن السادس/ السابع إلى القرن الحادي عشر الميلادي يمكن أن ننظر إليها بوصفها فترة انتقالية لبناء السفن، وبخاصة تحول بَدن السفينة وتطور الأشرعة، واستخدام الأسلحة.

وقد تأثر تطور التقنية البحرية وارتبطت ارتباطاً كبيراً في هذه الفترة بتاريخ فترة وصراع البيزنطيين مع العالم الغربي. وكان الغزو الغربي شرقاً للاستيلاء على دمشق عام٦٣٥م، وعلى الإسكندرية عام٦٤٢ ميلادي، ومن ثم توسعهم حول البحر المتوسط خلال القرن السابع حتى القرن التاسع الميلاديين لم يسبب تغيرات سياسية واقتصادية حاسمة فحسب، ولكنه تطلب حتى الحاجة إلى التقدم التكنولوجي في البحر وبخاصة تاريخ القرن التاسع والعاشر الميلاديين اللذين يتميزان بالصراع بين البيزنطيين والعرب،والصراع على البحر المتوسط ومواقعه العسكرية، والإستراتيجية الاقتصادية الحتمية، ولكن للأسف لا نزال بحاجة إلى معلومات عن علاقاتهم فيما يتعلق بتاريخ بناء السفن.

كيف استطاع العرب أن يتدبروا أمرهم لتهديد القوة البحرية البيزنطية في مثل هذا الوقت القصير الذي يثير الذهول؟ وهل التطور العربي السريع في الصناعة البحرية وبناء السفن في البحر المتوسط وما وراء ذلك تأثر بالبيزنطيين؟ أو بالعكس فهل العرب بظهورهم في عالم البحر المتوسط جلب تقنيات ومعرفة جديدة من البحر الأحمر والمحيط الهندي؟

الإبحار في البحر الأحمر والمحيط الهندي
مخلوقات وهمية في بعض المخطوطات البيزنطية والعربية: اليونيكورن

فاسيليوس خريستيذيس

الهدف من هذا البحث هو تقديم المصادر الأدبية الأكثر أهمية وهي المصادر البيزنطية والعربية التي تصف السفر عبر البحر الأريتيري (البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي) في عصر ما قبل الإسلام. والأعمال هي كالآتي: طبوغرافيا انديكوبليتس القزماني المسيحي وعجائب الهند لابن شهريار. الكاتبان المذكوران أعلاه ليسا جغرافيين مثقفين يبحثان عن الوصف الدقيق للبلدان التي تقع على ساحل البحر الأحمر، كما أنهما ليسا مؤرخين يكملان رواياتهما التاريخية باستخدامهما المعلومات الجغرافية.

وجدير بالملاحظة أن انديكوبليتس القزماني تابع رواياته للرحلات البحرية الإغريقية التقليدية والتي تبرز بشكل رئيس في الإسكندرية الرومانية والإغريقية. وقد ألفت تلك الروايات جنبا إلى جنب مع الأعمال الجغرافية ذات الصلة وأشهرها جغرافية بطليموس (القرن الثاني الميلادي). كما ألف النموذج الأصلي للجغرافي رومانس الكسندر اليوناني والذي يحتوي على العديد من الرحلات البحرية في الشرق الأقصى والتي دمجت فيها كل من الحكايات الخرافية والروايات المتكررة مع الخيال المبدع ومثال على ذلك أرض الأمازون.

قام انديكوبليتس في القرن السادس الميلادي بكتابة عمله المستوحى من رغبته في تأكيد كوزموغرافية الكتاب المقدس. وصحة عمله تكمن في المعلومات التي قدمها، والمأخوذة بشكل رئيس وليس حصري من سفرياته عبر موانئ البحر الأحمر إلى سيلان وما وراءها. ورسوماته المرفقة مع النص والتي ربما رسمها بنفسه هي ذات أهمية خاصة.

يعرف العمل العربي المشابه لطبوغرافية انديكوبليتس القزماني المسيحي بغرائب الهند. كتب هذا العمل الأدبي ذا العلاقة بالسفريات عبر المحيط الهندي ابن شهريار الذي اتبع فيه الأسلوب الخيالي المبدع. تنم سلسلة الأحداث المرتبطة من غير تنظيم عن سعي المؤلف لتحقيق الأحاسيس، ولكنها تعد في الوقت نفسه شاهد عيان للمراقبة البحرية. وتاريخ النموذج الأصلي

لهذا العمل غير معروف ولكنه من الأرجح أنه يعود للقرن العاشر الميلادي. لم تدرس الرسوم التوضيحية ذات العلاقة بعجائب الهند والتي أضيفت منفصلة عن النص دراسة دقيقة. ولقد تم في هذا البحث دراسة علاقة تلك الرسوم التوضيحية المتعلقة بنص عجائب الهند والمنشورة في عمل القزويني في النسخة الرابعة عشر برسوم انديكوبليتس القزماني.

الرَيسْ بيري: التأثيرات اليونانية والعربية في تنفيذ جداول وخرائط الإمبراطورية العثمانية

جورج تسوتسوس – خريستوس تيزيس

تكمن أهمية هذا البحث في حقيقة أن بيريرَيسْ الذي كتب عن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في عصره قام بابتكار رسوم بيانية وخرائط لصنع البحرية العثمانية.

كما يعتقد على نطاق واسع أن بيريرَيسْ استخدم مواد اسبانية وبرتغالية في رسمه لخرائط ورسوم بيانية للإمبراطورية العثمانية. وهدفنا هو إظهار اعتماد ريس الكبير على المصادر العربية. كما ادعى رَيسْ نفسه أن ثمانية من أهم رسوماته البيانية وخرائطه استندت على مواد أخذها من الملك الفاتح الإسكندر الكبير. وعدلت المواد الأصلية استنادا إلى خبرة ريس بوصفه ملاحاً عظيماً. وينبغي علينا تقديم وثائق عن الإمبراطورية العثمانية في محاولتنا لإثبات وجهة نظرنا الأساسية.

شبه الجزيرة العربية، ومصر وسوريا في أعمال سير القديسين البيزنطيين خلال العصر البيزنطي والأيوبي المتأخر

إليونورا كونتورا جلاكي

تعد كتب سير القديسين (hagiographical) مصادر معلوماتية قيمة حول العصور الوسطى. وقد كُتبت هذه النصوص لمدح الأشخاص بسبب حياتهم الفاضلة، وأحياناً بسبب مشاركتهم في الأحداث المهمة أطلق عليهم اسم قديسين. وتروي تلك النصوص الحياة الفاضلة والأعمال المجيدة لأبطالهم، كما أنها ذات صلة بحياة كل شخص في العصر الوسيط. كما يصف المؤلفون بين الحين والآخر آراء ورؤى البلدان الأجنبية والدول التي كانت خارج الحكم البيزنطي. فهم عادة لم يقدموا دلائل حقيقية عن هذه البلدان وأقوامها وبالذات ما يختص بالعرب، لكنهم حاولوا أن يتحققوا من هويتهم عن طريق الرجوع إلى المراجع القديمة.

وفي نفس الوقت فإن الكتاب البيزنطيين من ذوي العلم بنصوص سير القديسين. ومن خلال جهلهم بالأجانب ومن دون إعطاء أي معلومات محددة للموقف السياسي المعاصر لهم، فقد حاولوا بطريقة غير مباشرة أن يظهروا تفرد الإمبراطورية البيزنطية وتفوقها. هنالك سير قليلة جداً تقدم معلومات قيمة تتعلق بالتعايش السلس بين المسلمين والنصارى في مجالات لم تعد تنتمي إلى البيزنطيين. كما عكست العلاقات الجيدة بين البيزنطيين والعرب والتي تطورت منذ أواخر القرن العاشر الميلادي وحتى العصر الأيوبي في القرن الثالث عشر الميلادي.

مماثلة ذو الشرى في الفترة اليونانية الرومانية

زياد الشرمان

إن طبيعة الآلهة فوق إدراكنا، كما أن مقدرتنا على أن نفهم وعلى مستوى عاطفي ماذا كانت تعني هذه الآلهة إلى عابديها، ربما تكون مقيدة بسبب عادات التوحيد التي طرأت على ديننا، بالإضافة إلى أن الطبيعة الدقيقة للآلهة وعملها غالبا ما تكون مبهمة. وعلى أية حال، نحن قادرون ومن خلال ما لدينا وما نملكه، وبإرجاعه إلى ثقافات موازية معروفة، أن نقدم على الأقل تصوراً أساسياً عن الحياة الدينية عند الأنباط، وذلك من خلال العلاقة الوثيقة لهم مع الشعوب السامية الأخرى والتحضر الذي جلب إليهم التغيير، ويضاف إلى هذا علاقتهم مع الحضارة الرومانية- الإغريقية، وبذلك فإن تطوراً على مستوى عالٍ من مفاهيم دينية ليست شرقية اكتسبت، فكان لابد من التوفيق بين المعتقدات الدينية (*syncretism*)، أي إيجاد مماثلات وتشابهات بين الآلهة في مجمعي الآلهة اليونانية والسامية.

انتهى الإله الأكبر عند الأنباط "ذو الشرى" بخليط لسلسلة آلهة أخرى، فأصبح ديونيسوس-باخوس(*Dionysus-Bacchus*)، وبسبب مكانته في مجمع الآلهة وطبيعته الشمسية، فإن مماثلته مع زيوس (*Zeus*) هي التطور المنطقي أيضا. أطلق عليه المؤرخون الإغريقيون والرومان الاسم "*Δουσάρες*"، أما النقوش اليونانية فقد أسمته ببساطة *θεὸςἅγιοςἈραβικός*. وكان في الدلالة السورية-الهلينستية يعرف زيوس -هدد لأنه إله للشمس والإله ديونيسوس أيضاً؛ والدليل الذي يبرهن مماثلة ذي الشرى مع ديونيسوس، أورده المؤرخ الإغريقي هيرودتوس: *ΔουσάρηςτὸνΔιόνυσονΝαβαταῖοι*.

فصل العرب في التاريخ الرسمي للأسرة تانغ (٦١٨–٩٠٧م):
صورة العرب من وجهة نظر المصادر الصينية في وقت مبكر من القرون الوسطى

لين ينغ -ويو يوسن

إن كلمة داشي التي تعني باللغة الصينية العرب ظهرت لأول مرة في عصر سلالة جيو تانج شو، وقد جُمع وكتب التاريخ الرسمي لأسرة تانج التي حكمت من٦١٨–٩٠٧م قبل نصف قرن فقط من نهاية أسرة تانج. ويوجد في تاريخ أسرة جيو تانج شو فصل خاص يسجل التاريخ المبكر للإمبراطورية العربية من عادات ومنتجات والاتصالات العربية الصينية قبل بداية القرن العاشر الميلادي.

هذا ويمكن أن تبحث الرؤية الصينية الرسمية المبكرة للعرب على ثلاث مستويات. فأولاً يمكن أن نبحث في الروايات الأدبية الصينية المعتادة عن ما كان يروى في المنطقة الغربية عن التاريخ الرسمي (وعادة ما يطلق عليه التاريخ المعماري لأسرة زهينغ شي). إن صيغة كتابة زيو زهوان تمثل كتابة من المنطقة الغربية في التاريخ الرسمي. وسوف نعرض لتحرير وتدقيق أساليب مؤرخي دواوين الحكام والانطباع العام للمناطق الغربية في تلك السجلات. وثانياً يوجد في الفصل المكتوب عن داشي "العرب" في عصر جيو تانج شو حكايات عن الاتصالات العسكرية، والدبلوماسية، والتجارية بين العرب والساسانيين في إيران وكذلك البيزنطيين. وبذلك ينبغي وضع التصور الصيني عن العرب في السياق العالمي للشرق الأدنى في العصر الوسيط المبكر، أي فترة النزاعات العسكرية بين العرب والرومان والفرس. وثالثاً فإن نظرة العرب مرت بتغييرات كثيرة خلال قرنين ونصف من الزمن أي من٦٥١م تقريباً، وهو أبكر تاريخ أرسل العرب مندوبين فيه إلى الصين ولغاية ٩٠٧م نهاية عصر حكم أسرة تانج.

وُصف العرب في البداية بأنهم قوم شجعان وجنودهم معتزون بأنفسهم قادمون من الصحراء بحياة بسيطة ساذجة جداً. ونُظر للعرب في وقت لاحق على أنهم شعب متحضر جداً يعيشون في أماكن حضرية ولديهم منتجات تعد كنوزا. ومما هو جدير بالذكر أن الدين الإسلامي وشعائره لم تذكر إلا ذكراً عابراً في التاريخ الرسمي وهذا ما يغاير ما كتبه مفصلاً عن الإسلام

جنغ زنجي الذي كان أحد الرحالة الصينين الأوائل في بلاد العرب في عام ٧٦٢م تقريباً. وبذلك فإن صورة العرب في عيون الحكومة الإمبريالية الصينية وفي عيون الأدباء الصينين قبل بداية القرن العاشر الميلادي بقيت في السياق التقليدي. لقد كان ينظر للعرب شعباً من الغرب الأقصى مشهورين بكنوزهم الأسطورية، كما كانوا أيضاً قوة عسكريه برزت حديثاً في زينيو، أي المنطقة الغربية من الصين. وعلى أية حال فإن المعرفة غير الواضحة عن الإسلام تبين أن الانتشار الواسع للدين والعلوم العربية في وقت لاحق في الصين كان غير متوقع في تلك الحقبة.

ملوك كندة

كريستيان جوليان روبن

بالرغم من أن ملحمة "ملوك" كندة قد درسها أشهر العلماء، إلا أن من الممكن حالياً التقدم في فهم هذه الملحمة الأكثر تعقيداً في تاريخ جزيرة العرب القديم. اعتمد جونار أوليندر المصادر البيزنطية لتحديد تسلسله الزمني للأحداث، ولكن النقوش السبئية والحميرية تعطينا الآن الدلائل الأكثر صدقاً وواقعية للأحداث.

إنّ أسماء أقدم ملوك كندة مذكورة في هذه النقوش التي تعود إلى القرن الثالث الميلادي. وباستثناء الملك الأول فكلهم يحملون اللقب "ملك كندة ومذحج" وأسماؤهم موجودة في شجرات النسب عند هشام ابن الكلبي ضمن سلالة بدّاء.

يذكر نقش سبئي غير منشور أن ملك كندة ومذحج يخضع خضوعاً تاماً للحميريين في حوالي نهاية القرن الثالث الميلادي، في عهد شمّر يهرعش، فاحتساباً من هذه الفترة يشكل المجنّدون من كندة ومذحج (وأيضاً من مراد التابعة لمذحج) العدد الأكبر للقوات التي تتيح للحميريين السيطرة على أواسط وغرب جزيرة العرب، ولا تذكر النقوش أبداً رؤساء هذه الكتائب الكندية، ولكن في أقرب الاحتمالات كانوا "ملوك كندة" الذين تذكرهم المصادر العربية والإسلامية. وقد حكم هؤلاء الملوك كندة ومذحج ومراد (وهذا ما يفسره وجود نقش تركه لنا حجر بن عمرو بالقرب من نجران) وقد أوكل إليهم ملك حمير مهمة مراقبة صحراء جزيرة العرب.

يذكر نقش مريغان المعروف ريكمانس ٥٠٦ حملة عسكرية لملك حميري من أصل حبشي يدعى أبرهة ضد قبيلة معدّ و"كل بني عمر" انتهت في شهر سبتمبر سنة ٥٥٢ للميلاد. وقد حُدَدت هوية بني عمرو بأنهم بنو عامر بن صعصعة. ومن المحتمل أن يكون بنو عمر رؤساء كندة من سلالة حجر بن عمرو. وبهذا يكون لدينا ذكر تمرد عام لأمراء كندة ضد أبرهة في السنوات التي سبقت عام ٥٥٢ للميلاد.

يمكننا تمييز عدة سلالات متفرعة من بني عمرو هؤلاء من بينهم آل الجون الذين درسهم أوليندر وأيضاً بنو كبشة، ومن الممكن أيضاً معرفة أفضل لهوية القائد الكندي أبي جبر الذي قاد جيشاً لأبرهة؛ غير أن هوية Kaisos كيسوس (قيس)، الذي حاول البيزنطيون تتويجه على كندة في السنوات ٥٣٠ للميلادية، مازالت غامضة، ومن ثم فيمكننا اليوم معرفة سبعة أجيال كندية كاملة.

سيف الدولة، والمتنبي وبيزنطة: الأدلة من النسيج

كارول هالينبراد

هذه الورقة تلقي الضوء على جوانب من حكم الحاكم الحمداني، سيف الدولة، الذي حكم في شمال سوريا من ٩٤٤/٣٣٣ إلى ٩٦٧/٣٥٦. تبحث الورقة على وجه الخصوص كيف نظر الشاعر العربي، المتنبي، إلى العلاقة بين سيف الدولة وجيرانه البيزنطيين، وركزت الورقة على بعض الطرق التي خلد فيها المتنبي ذكرى الانجازات العسكرية التي قام بها سيف الدولة للأجيال القادمة.

بعد تقديم المقدمة الموجزة التي تتعامل مع السياق التاريخي والوظيفي للمتنبي في بلاط سيف الدولة في حلب، تنتقل الورقة إلى تحليل مفصل لوصف الشاعر لخيمة احتفالات سيف الدولة في القصيدة التي ألقاها عند عودة سيف الدولة إلى انطاكيه بعد الاستيلاء على قلعة باروزيان Barzūya في جمادى الآخرة / ٣٣٧، ديسمبر ٩٤٨، وتنتهي المناقشة بمقارنة بين السطور الشعرية للمتنبي والسرد التاريخي للمؤرخين المسلمين الذين سجلوا معركة ملاذ كرد في القرن الذي تلاه، عندما انتصر السلطان التركي المسلم ألب أرسلان الشهير على الإمبراطور البيزنطي ديوجين رومانوس الرابع.

العناصر البيزنطية في الجامع الأموي في دمشق

روبرت هالينبراند

تحاول الورقة تسليط الضوء على بعض الجوانب المهملة حتى اليوم بالنسبة للمسجد الأموي الشهير في دمشق. وبعد مناقشة ربط المسجد مع قبة الصخرة، فإن الورقة تركز على محاكاة الوليد والده في الإنجازات المعمارية الرئيسة، وعلى التقارب في الزمان والمكان بين هاتين التحفتين، فيما يختص بإعادة تشكيل خلفيات التقاليد الكلاسيكية والمسيحية الموروثة، وكونها رمزاً لانتصار المسلمين على المسيحية، وأخيرا دور قبة الصخرة بوصفها نموذجاً لمسجد دمشق العظيم في مواضيع الأشكال المعمارية والزخرفية، من حيث الأسلوب والتقنية.

وتتناول الورقة بعد ذلك أنماط ومزالق أشكال الفسيفساء، خاصة التحدي المتمثل في ابتكار موضوع مناسب لهذه الفسيفساء، التي تنوعت وبشكل استثنائي لهذا النوع من الزخرفة. وتناقش هذه الورقة أيضاً الدور الثانوي الذي لعبته النقوش، كما هو مع عدم مساعدة الفسيفساء المسيحية كنماذج. ويركز الاهتمام بعد ذلك على أصالة الفسيفساء، وخاصة الحجم الهائل للبرمجة وكيف يجب أن يكون موضوع المناظر الطبيعية متمشيا مع المعمار، وإعادة توظيف العنصر الروماني المألوف، والنصب التذكارية المسيحية المبكرة والبيزنطية. وبالتالي، فان الورقة تحاول فهم السياق القرآني في هذه الصور، ومن ثم الطريقة التي رسمت فيها المباني، والأشجار، والمياه مع خلفية من الذهب. وأخيراً، فإن الورقة تفحص احتمال أن هذه الفسيفساء تحمل رسائل متعددة، منها أن الجنة هي مجرد واحدة من هذه الرسائل.

اللغة والكتابة والمجتمع في جنوب شبه الجزيرة العربية ومملكة اكسوم

رينيه فويجت

كانت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية في العهد الروماني اليوناني القديم. كما أنها لعبت دوراً مهماً تخطى حدود الإمبراطورية البيزنطية في الفترة الانتقالية التي استمرت طويلا والتي سميت "بأواخر العهد القديم".

وسوف تركز هذه الدراسة على بلاد جنوب شرق الحدود الرومانية والواقعة ضمن أراضي الجزيرة العربية وأثيوبيا وأراضي شمال السودان وجنوب مصر والمعروفة بالأراضي النوبية الحالية. إن حكومة ميرو، والتي سيطرت على وادي النيل في القرن الرابع، كانت تمر في فترة انهيار وتعاني من اعتداء حكومة أكسوم الجارة الشرقية لحكومة ميرو. إن بقايا آثار نصرهم والتي كتبت باللغة اليونانية وجدت في مدينة ميرو. كما عُثر على أعمدة تذكارية منقوش عليها كتابات باللغة اليونانية والأثيوبية في أراضي أكسوم. وكان سيلكو الملك النوبي يستخدم اللغة اليونانية في كتابات نصره على كلابشا جنوب أسوان بينما كان ملك نوبي آخر يتبادل رسائل مكتوبة باللغة اليونانية مع نظيره بليميان.

هذه بعض الأمثلة البارزة التي تدل على أن هذه الأراضي الإفريقية قد استخدمت اليونانية في تعاملاتها في أواخر العصر القديم. وسوف تتوسع هذه الدراسة في هذا المجال كما أنها ستقارن بين استخدام البلاد الإفريقية للغة اليونانية واستخدام جيرانها من الدول العربية لتلك اللغة. إن عمليات المسح والتنقيب عن الآثار أثرت مجموعتنا لتلك المواد اللغوية للأقاليم الثلاثة.

كلمة المشاركين

كارول هايلنبراند

لقد كان هذا المؤتمر محل الاهتمام، نظراً لاحتوائه على مجموعة متنوعة غير مسبوقة من الموضوعات والاهتمامات التي قدمت فيه؛ لاسيما بعض الموضوعات المتميزة على نحو خاص. وهذه الموضوعات تشتمل على الأهمية الدائمة للتجارة، على حد سواء بين العالم البيزنطي والجزيرة العربية، والتجارة الأبعد من ذلك؛ والموضوعات ذات الصلة بالبحرية، ونظام الملاحة ورسم الخرائط. وهناك موضوعات ثقافية كتلك التي يمثلها الفن، وعلم النميمات، والعمارة، وعلم الآثار، وجميعها تمتد ليس فقط عبر الجزيرة العربية بل أيضا إلى داخل العالم البيزنطي؛ وهناك أيضا علم دراسة النقوش، التي لا غنى عنها أساساً للمعلومات التاريخية الأولية، وبعبارة أخرى التواريخ والأسماء، وهي ذات أهمية كبرى. لقد بحثنا أيضا في الرحالة بأنواعهم بكافة -كالدبلوماسيين والتجار والعلماء- الذي درسوا بلدان "الآخر"، ودياناته وبلاطه ومؤسساته. لقد درسنا كتابة التاريخ خلال العالمين الكلاسيكي والوسيط على حد سواء، وهذا سلط الضوء على صلات متعددة بين العالمين اليوناني والعربي، من خلال حبهم المشترك للخيول ووجود النصارى في اليمن والمسلمون في القسطنطينية. لقد رأينا كيف كان رد فعل الصينيين تجاه كل من هذه الحضارات، وقد علمنا الكثير عن كيفية أن تمويل مدارس الترجمة رسميا كسر الحواجز بين الثقافات المختلفة وعزز نقل المعرفة العلمية والنصوص الأدبية عبر العالم الوسيط.

وقد اتسمت الأوراق التي قدمت في الرياض بالانتباه الشديد إلى المصادر المكتوبة بلغات مختلفة مثل العربية واليونانية والنبطية والآرامية واللاتينية والأمهرية والمجموعة العربية الجنوبية. وقد تنوعت هذه المصادر تنوعاً مناسباً: كالبرديات، والكتابات الجدارية، والنميمات ودراسة النقوش، وكذلك المخطوطات. إن كل هذه المصادر تسلط الضوء على الحاجة لخبرات لغوية عالية. وهنا ثبت أن إسهامات العلماء السعوديين في التاريخ العربي أمر لا يحتاج جدالاً مطلقاً. وقد تجلى على نفس المستوى من الاهتمام دراسة الأدلة الأثرية، والنقوش وأدلة تاريخ الفن والنميمات.

وبطبيعة الحال فقد خصصت كثير من الأوراق المقدمة للتعريف أكثر وعن كثب بالصلات المتعددة بين العالمين اليوناني والعربي في العصور الوسطى الباكرة. لقد تناقشنا في تبادل السفارات، ليس هذا فحسب بل أيضاً في الاتصالات غير الرسمية، وممارسة التجارة براً وبحراً، ودور

العملات المعدنية وسيلةً للتبادل، بل أيضاً كونها أدوات للتعبير عن السلطة الحاكمة، وحتى الرسائل الدينية، والاهتمامات المشتركة بين اليونانيين والعرب على حد سواء في مجال الاستكشاف وفي التقنيات البحرية التي تطلبتها؛ والحرص الدائم في الحصول على المواد الغريبة والتَرَفية مثل العطور والبخور والمنسوجات والأشياء الثمينة؛ وأخيراً، وكما لاحظنا بالفعل، مشاريع الترجمة الكبرى التي وصلت عبر الانقسامات السياسية والدينية لتجعل المعرفة متاحة على نطاق أوسع.

وهذا يعززه ليس فقط دور هذا المؤتمر المهم أكاديمياً، بل أكده أيضاً الطرح الجديد والأصيل في شتى الاتجاهات. وهو أيضا -على مستوى آخر- معبر جداً عن رسالة واضحة مرسلة إلى العالم بأسره، حيث لا يزال هناك الكثير من الأمية الثقافية والدينية. ولا يزال هناك الكثير من الجهل حول السبل التي من خلالها تفاعل العالمان الكلاسيكي والبيزنطي مع البلاد العربية وكيف أن العالم الإسلامي، في فترة تكون الثقافة الإسلامية من القرن ٧ إلى القرن ١٠م، ورث ومر على تقاليد الإغريق، حيث ورث معارفهم واستند إليها، ووسع نطاقها في اتجاهات جديدة. ويمكن رؤية هذا النبض الفكري في شتى أنواع المجالات، مثل علم الفلك والفيزياء والرياضيات والطب والفن والعمارة، وعلم النبات وغيرها من المجالات المعرفية.

ومثل هذا المؤتمر يتيح لنا فرصة تكوين الروابط التي لا يمكن أن تتم عادة بين العلماء الذين يعملون بمفردهم. ولا تقل المحادثات غير المرتبة التي تجري بين كل ورقة وأخرى أثناء استراحة الغداء والقهوة أهمية عن الأوراق المقدمة نفسها؛ ويعزز من قيمة عقد مؤتمر مثل هذا بدرجة كبيرة مشاركة الحاضرين، وهذا يفرض علينا أن ننظر إلى أبحاثنا بعيون جديدة.

لقد كان من دواعي الشرف والسرور أن نكون جزءا من هذا المؤتمر. ونحن جميعا نتطلع إلى نشر وقائعه -إذا كان ذلك ممكنا- مع توفير الأوراق كافة باللغتين العربية والانجليزية، ليصبح توثيقاً لذكرى ما قدمناه في الرياض. وفي الختام الشكر كل الشكر لكل القائمين على هذا المؤتمر، وأخص بالشكر أ. د. عبدالله العبدالجبار، وسعادة السفير اليوناني ديمتريس ليتسوس والأستاذ الدكتور فاسيليوس خرستيذيس.

أ.د. كارول هايلنبراند

٨ ديسمبر ٢٠١٠م



عناويـن البـاحثين

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، أستاذ التاريخ القديم.
العنوان: دار القوافل، الرياض، السعودية.
البريد الالكتروني: alansary1935@hotmail.com

التركي، هند بنت محمد، أستاذ التاريخ القديم المساعد.
العنوان: جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، الرياض، السعودية.
البريد الالكتروني: hend_5_@hotmail.com

جاد، السيد محمد، أستاذ التاريخ اليوناني والروماني المساعد.
العنوان: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا.
البريد الالكتروني: gadreeg@yahoo.com

حسن، على حسن عبدالله، أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية المساعد.
العنوان: قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة أسيوط، أسيوط، مصر.
البريد الالكتروني: Ali4_Hassan@yahoo.com

رسلان، رضا عبدالجواد، أستاذ تاريخ قديم.
العنوان: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.
البريد الالكتروني: redaraslan18@yahoo.com

رمضان، عاطف منصور محمد، أستاذ التاريخ البيزنطي المساعد.
العنوان: قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة الفيوم، الفيوم، مصر.
البريد الالكتروني: atef_mansour2000@yahoo.com

سالم، نهى عبد العال، أستاذ الحضارة الأوروبية المساعد.
العنوان: كلية الآداب، جامعة عين شمس القاهرة، مصر.
البريد الالكتروني: noasalem@yahoo.com

سمسم، عبد المعطي بن محمد، أستاذ التاريخ القديم المشارك.
العنوان: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
البريد الالكتروني: amsimsim@uqu.edu.sa

السناني، رحمة بنت عواد أحمد، أستاذ التاريخ القديم المساعد.
العنوان: قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة، السعودية.
البريد الالكتروني: rahmh_alsinany@hotmail.com

الشيخ، حسين أحمد حسين، أستاذ التاريخ القديم.
العنوان: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.
البريد الالكتروني: Hsheikh51@yahoo.com

صراي، حمد محمد بن، أستاذ التّاريخ القديم المشارك.
العنوان: جامعة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، الإمارات.
البريد الالكتروني: hala1965@hotmail.com.

عبدالرحمن، محمد نصر، أستاذ التاريخ البيزنطي المشارك.
العنوان: جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.
البريد الالكتروني: mohamed_rahman2007@hotmail.com

عبدالغنى، محمد السيد محمد، أستاذ التاريخ والحضارة اليونانية والرومانية.
العنوان: كلية الآداب جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر.
البريد الالكتروني: msghani55@yahoo.com

العبدالجبار، عبدالله بن عبدالرحمن، أستاذ التاريخ القديم.
العنوان: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية.
البريد الالكتروني: aajabbar@ksu.edu.sa

عقاب، فتحية حسين، أستاذ التاريخ القديم المشارك.
العنوان: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية
البريد الالكتروني: fa_okab@hotmail.c

العيدروس، حسين أبو بكر عبد الرحمن، مدير إدارة الآثار.
العنوان: الهيئة العامة للآثار والمتاحف – حضرموت، اليمن.
البريد الالكتروني: aidarous777@gmail.com

محمود، خالد عبد البديع رضوان، أستاذ التاريخ البيزنطي المساعد.
العنوان: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة سوهاج، سوهاج، مصر.
البريد الالكتروني: elhawi78@yahoo.com

النعيم، نوره بنت عبدالله، أستاذ التاريخ البيزنطي المساعد.
العنوان: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.
البريد الالكتروني: - nalnaim@ksu.edu.sa

الهلابي، عبدالعزيز بن صالح، أستاذ التاريخ الإسلامي.
العنوان: قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.
البريد الالكتروني: azizhelabi@gmail.com

BERGER, ALBRECHT, Professor, Ludwig-Maximilians-Universität (University of Munich)
Postal Address:Institut für Byzantinistik, Ludwig-Maximilians-Universität, Geschwister-Scholl-Platz 1, 80539 München, Germany
e-mail: Albrecht.Berger@lmu.de

CHRISTIDES, VASILIOS, Professor of Arab History, Director of the Institute for Graeco-Oriental and African Studies (IGOAS), Athens and Research Associate at the Department of Old Testament and Ancient Near Eastern Studies, University of South Africa
Postal Address: Solomou Street, Kryoneri Attikis, 145 68 Greece
e-mail: christv2@otenet.gr

GINALIS, ALKIVIADIS, PhD Candidate in Classical Archaeology, Institute of Archaeology, Centre for Maritime Archaeology (OCMA), Oxford University
Postal Address: Merton College, Merton Street, OxfordOX1 4JD, United Kingdom
e-mail:alkiviadis.ginalis@arch.ox.ac.uk&:alkiviadisginalis@archaeologist.com

HANAFI, ALIA, Professor of Papyrology, Ain Shams University, Egypt
Postal Address: 22st. El-Sheikh Ali Mahmoud, Heliopolis, Cairo, Egypt, P.C. 11351
e-mail: alia.hanafi@gmail.com

HEALEY, JOHN, Professor of Semitic Studies, University of Manchester
Postal Address: School of Languages, Linguistics and Cultures, University of Manchester, Oxford Road, ManchesterM13 9PL, United Kingdom
e-mail: john.healey@manchester.ac.uk

HILLENBRAND, CAROLE, Professor Emerita of Islamic History, University of Edinburgh
Postal Address: Islamic and Middle Eastern Studies, University of Edinburgh, 19 George Square, EdinburghEH8 9LD, UK
e-mail: c.hillenbrand@ed.ac.uk

HILLENBRAND, ROBERT, Professor Emeritus of Islamic Art and Architecture, University of Edinburgh**Postal Address**: Islamic and Middle Eastern Studies, University of Edinburgh, 19 George Square. EdinburghEH8 9LD, United Kingdom
e-mail: r.hillenbrand@ed.ac.uk

KORDOSES, STEPHANOS, Visiting lecturer, Dpt of Cultural Heritage Management and New Technologies, University of Western Greece, Agrinio
Postal Address: Kaplanist, Ioannina, Postal Code: 45444, Greece
e-mail: stkordosis@yahoo.gr

KOUNTOURAGALAKI, ELEONORA, Senior Researcher, Institute of Byzantine Research, The National Hellenic Research Foundation
Postal Address: 48, Vas. Constantinou, Athens Greece, 11635
e-mail: ekount@eie.gr

KOUTRAKOU, NIKE, Dr, Research Follow, IGOAS, Athens. Affiliation: Société belged' Etudes byzantines
Postal Address: Moshopoleos 10, 15669 Papagou, Athens, Greece
e-mail: n.koutrakou@mfa.gr

LEONTSINI, MARIA, Associate Researcher, Institute for Byzantine Research, National Hellenic Research Foundation
Postal Address: Vas. Constantinou 48, 11635 Athens, Greece
e-mail: leontsini@eie.gr

LIN, YING, Professor, Department of History, Sun Yat-sen University, China
Postal Address: Department of History, Sun Yat-sen University, Guangzhou 510275, People's Republic of China
e-mail: hssliny@mail.sysu.edu.cn

MANSOURI, MOHAMED TAHAR, Professor, Girl's College of Dammam, KSA
Postal Address: BP. 54, Hammamet 8050, Tunisie
e-mail: taharmansouri1@yahoo.fr

MCCABE, ANNE, Research Associate, Centre for the Study of Ancient Documents, Oxford
Postal Address: Ioannou Centre for Classical and Byzantine Studies, 66 St. Giles, Oxford OX1 2LU
e-mail: anne@agathe.gr

MUHAMMAD, TAREK MANSOUR, Professor of Medieval History, Ain Shams University, Egypt & Taif University, KSA
Postal Address: Dept. of History, Faculty of Arts, Ain Shams University, Cairo,Egypt, postal code 11566
e-mail: tarekmansoureg@yahoo.com &:ntaseg@hotmail.com

EL-NOWIEEMY, MAGDA, Professor of Greco-Roman Studies, Faculty of Arts, University of Alexandria, Egypt
Postal Address: 40 (repeated) Mostafa Abu Heif St. Flat 8, Saba Pasha 21311, Alexandria, Egypt
e-mail: magda_now@yahoo.com

PATOURA, SOPHIA, Research Director, Institute of Byzantine Research, the National Research Foundation
Postal Address: 48, Vas. Constantinou, 11635 Athens, Greece
e-mail: spatoura@eie.gr

ROBIN, CHRISTIAN JULIEN, Directeur de recherche de classe exceptionnelle émérite, membre de l'Institut, CNRS et Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, France
Postal Address: Villa Entrebois, Chemin de la Tour de César, Plateau de Beauregard, 13100-Aix-en-Provence, France
e-mail: christian.robin@ivry.cnrs.fr

AL-SHORMAN, **ZEYAD MUSTAFA,** Assistance professor, Department of Archaeology, Faculty of Tourism and Archaeology, King Saud University, Saudi Arabia
Postal Address: Department of Archaeology, Faculty of Tourism and Archaeology, King Saud University, Saudi Arabia
e-mail: zeyadshorman@yahoo.com

TEAZIS, CHRISTOS, Lecturer, University of Ankara International Relations Department
Postal Address: Ulubeysk 4/2, G.O.P, Ankara Turkey & Kerkyras 73, 18121 Korydallos, Athens, Greece
e-mail: christosteazis@yahoo.com

TSOUTSOS, GEORGE, Political scientist, Institute for Graeco-oriental and African Studies
Postal Address: 22, Vas. Alexandrou St., Athens 145 61, Greece
e-mail: geortsou1@cyta.gr

VOIGT, RAINER, Professor, Freie Universität - Seminar für Semitistik und Arabistik
Postal Address: Altensteinstr. 34, 14195 Berlin, Germany
e-mail: voigtrai@zedat.fu-berlin.de

YANNOPOULOS, PANAYIOTIS, Professeur émérite, Université Catholique de Louvain, Belgique
Postal Address:Bd Charlemagne 92 (bte 3), B - 1000 Bruxelles, Belgique
e-mail: p.yanno@hotmail.com

YU, YUSEN, Student, Department of History, Sun Yat-sen University, China
Postal Address: Department of History, Sun Yat-sen University, Guangzhou 510275, People's Republic of China
e-mail: shuidiyu@hotmail.com